

التجارة والتجار في الأندلس

أوليفيا ريمي كونستبل

تعريب : د. فيصل عبد الله

مكتبة العبيكان

شكر وعرفان

لقد ساعدنا أناس كثر في هذا المشروع، بعضهم بالكلمة المناسبة، وآخرون بحضورهم ودعمهم الدائمين. ويجب علينا أن نشكر شكراً خاصاً أفرام أودوفيتش ومارك كوهين، اللذين شجعاني على استخدام الجنيزا Geniza وكانا بين أولئك الذين قرأوا أو علقوا على مخطوطي. وكذلك أوجه شكري إلى دافيد أبو العافية Abulafia وجوردان بيركي Berkey، وتوماس كليك Glick ومارتا هويل ووليم جوردان. ودافيد لوستكوم، ودافيد نيرنبرج وتيوفيلورونير، وآمي سينجر وكريستوفر تايلور الذين بنصحهم وخبرتهم واقتراحاتهم ذات الحس الجيد أنقذوني من كثير من المآزق.

ويتوجب علي شكر آخرين كثيرين لأفكارهم المعرفية الواسعة، وضيافتهم وتشجيعهم وصداقتهم، من هؤلاء مرجريت الكسندر، كاترين باجليتو، درك ودورتي بيل، محمد بن عبود، كورين بلاك، جون بوسويل، روبير بورنز، كارولين بينوم، منيرة شابوتو، بيل ولين كورتني، هث ديلاد، ايليزابت، محمد الخطيب، مرسيدس جارسيا ـ ارنيال، ادواردو كرندي، فرانسيسكو هرناندز، كارولين بينوم، منيرة شابوتو، بيل ولين كورتني، جوناتن كاتز، هلماوسن كرويلر، برنارد لويس، فيكتوريا لورد، دافيد نيقول، كاترين اوتن ـ فروكس، فيم فيليبس، فيتو بيرجيوفاني، وجيو بيستاريوني، وجون بريور وأدلين روكوا، روبير سومرفيل، فيم سميت، آلان ستاهل، ومحمد طالبي، جواكين فالفي، دافيد فاسرشتاين. وأوجه شكري الخاص

أيضاً، إلى وليم دافييس وآن ريكس في مطبعة جامعة كمبردج وإلى إليزا ماك لينين التي رسمت خرائط هذا الكتاب.

كما أوجه شكري إلى المكتبة والمحفوظات (الأرشيف) حيث عملت، وإلى أولئك الموظفين الذين ساعدوني في بحثي. وذلك في جنوا حيث محفوظات A.S.G.S. وفي تونس (المكتبة الوطنية)، وفي مدريد MRAH وCSIC، ومكتبة الاسكوريال، والمكتبة الوطنية، والمعهد الاسباني العربي IHA. وفي الرباط المكتبة الوطنية، وفي الولايات المتحدة، مكتبة جامعة برنكتون وبيل وفيسكنسين وماديسون وكذلك مختبر أبحاث جامعة برنكتون. وجمعية النميات في نيويورك.

وأنا مقر بالجميل من أجل الدعم المالي الكريم من قبل جامعة برنكتون ومجلس البحث وكلية تطوير العلوم الاجتماعية في جامعة كولومبيا. وصندوق فولبرايت هايس ومجلس البحث العلمي الاجتماعي، وصندوق جوزيفين دو كارمان وصندوق السيد جيلز وايتينج.

أخيراً، حبي الخاص وشكري إلى جيلز وماتيو.

المختصرات

تدل النجمية على مجموعة مخطوطات جينيزا Geniza المذكورة وفقاً للترتيب الانموذجي المستخدم من قبل جوتين Goitein وآخرين. وتدل علامة الرف على مجموعتها وأحياناً على قياسها والمجلد والورقة. وهكذا فإن الوثيقة المذكورة بالأحرف والأرقام TS 10J12.7 هي من مجموعة: - Tayler Schechter في مكتبة جامعة كمبردج في انجلترا. وهي الورقة السابعة في الكتاب أو المجلد الحادي عشر من سلاسل المجلدات بطول 10 انش. TS مخطوطات محفوظة في الزجاج هي متسلسلة بصورة مختلفة (TS12.51 تدل على الرقم 251 من السلاسل الزجاجية بطول أحد عشر إنشاً)،

وتستخدم كل مجموعة ترتيباً مختلفاً لعلامات الرف بالنسبة لمخطوطات جينيزا. من أجل مزيد من الشرح والوصف انظر:

S.D Goitein. A Mediterranean Society. [Berkeley, 1967 - 88]. I, PP XIX - XXVI.



كلمة الناشر

الصدق والحياد، قدر المستطاع، والمتانة والعمق في المعرفة والمنهج.. كانت هذه من أولى صفات مؤرخي العرب زمن نهضتهم وتجليها في دمشق وبغداد والقاهرة والمغرب والأندلس. وكان البحث هاجس الأمة بأسرها. والبحث العلمي يؤدي إلى التفتح والتوسع في العقل وفي الزمان والمكان. وعندما يتوقف البحث العلمي، يضمر ويتقهقر ما تقدم.

إن الباحثة الشابة اللامعة. بشهادة أساتذتها ومن عرفها من البحاثة تمتلك تلك الصفات، أوليڤيا ريمي كونستبل؛ من وراء المحيط، جاءت لتبحث في ماضي الأندلس وتعطينا درساً يذكرنا برواد الحقيقة والمعرفة في عصر النهضة العربية في الأنْدلس، وفوق ذلك، فإن علم التاريخ الحديث قد أصبح أكثر رسوخاً وتشعباً وانتشاراً بين الناس. ولذا فإن المهمة صعبة وعويصة. إن قراءة كتاب كونستبل عن التجارة والتجار في الأندلس، تذكرنا بالأمجاد.. ولكنها تشدنا وتمنعنا من الغرق في النرجسية، والذاتية الإنسانية السلبية، وتعلمنا الصبر في الفهم والتروي في اطلاق المشاعر المجانية.

كيف وصل العرب إلى الاندلس، إحدى أهم بقاع أوروبا الغربية؟ وماذا فعلوا هناك خلال ما يزيد على خمس مئة سنة؟ ولماذا خرجوا منها وزالت سيادتهم ولغتهم؟

على الرغم من أن كتاب كونستبل ـ وهو الذي أعطاها درجة الدكتوراه العلمية ـ يبحث في التجارة، لا يتوقع القارئ أن يجد فيه أجوبة على مثل تلك الأسئلة الكبيرة. ولكن، كلنا يعلم أن التجارة تزدهر من وراء الفائض

والاقتصاد الناجح، والأنظمة الحرة المفتوحة. ونعلم أن الاستهلاك والعوائد خير دليل على معرفة الفرد.

وهكذا أعطتنا الباحثة صورة تطور الحياة الاقتصادية، وانعكاساتها السياسية، لا العكس. وبتنا نعلم أن غياب وحدة مصالح العرب المسلمين، ونمو مصالح الأوروبيين، رغم فرقتهم السياسية، قد أدت إلى انهيار سيطرة المسلمين على تجارة عالم العصور الوسطى واقتصاده. ولكن كيف حدث ذلك؟ إن كونستبل تخرجه من وثائق التجار والمؤسسات التجارية آنذاك، وتقدمه لنا في نطاق هذا الكتاب.

مقدمة المعرِّب

كما أدارت اسبانيا (قشتالة) المسيحية ظهرها إلى البحر الأبيض المتوسط لتلتفت إلى الأطلنطي وشمال أوروبا، كذلك فإن مصر المسلمة قد أدارت ظهرها إلى البحر نفسه لتلتفت بعيداً إلى الجنوب والشرق. وتحول المتوسط شيئاً فشيئاً إلى بحيرة أوروبية شمالية مسيحية.. يمتطي فيه المسلمون وبضائعهم مراكب خصومهم؟

كيف نصل إلى الأسباب الحقيقية لانحسار العرب عن اسبانيا الأندلس، وتقدم الاسبان من سكان قشتالة وكتالونيا؟

ـ ما هي الأسباب الحقيقية لتقهقر الحاكم المسلم وتقدم الحاكم المسيحي الأوروبي؟

كيف تحول التفوق العلمي والفكري إلى الخصم؟ ما دور التجارة والتجار في ذلك؟ هل كان الحاكم أم الأفراد أم التجار وراء ذلك التحول؟

لم يظهر حتى الآن كتاب يبحث في تاريخ العرب المسلمين ويستخدم جميع الوثائق التجارية في مصر وجنوا وپيزا والمصادر التقليدية العربية كما هي الحال في هذا الكتاب. ولعل السمعة العلمية لمؤلفة الكتاب في جامعات الولايات المتحدة، تجعل منه أول عمل تاريخي يفصح عن الأسباب الحقيقية لنهاية تاريخ العرب في الأندلس، لا بل بداية نهايتهم في عالم قوي «العالم الحديث». ترى هل نستفيد ويستفيد إنساننا العربي وحاكمه بالذات من تجربة الأندلس؟

إن الأستاذة الدكتورة اوليفيا ريمي كونستبل تستحق كل الإعجاب والتقدير لحياديتها وعلميتها، وتقديمها الأطراف المتنازعة المسلمة والمسيحية واليهودية، في ذلك الوقت، وعلى المستوى التجاري والسياسي بصورة تاريخية علمية جامعية تفيد الباحث والطالب والحاكم والتاجر و«القائد الاستراتيجي».

إن هذا الكتاب درس في البحث والمنهج، ودرس يجب أن نتعلم منه لبناء علاقات أكثر وعياً مع الماضي وبالتالي مع الحاضر ومع المستقبل.

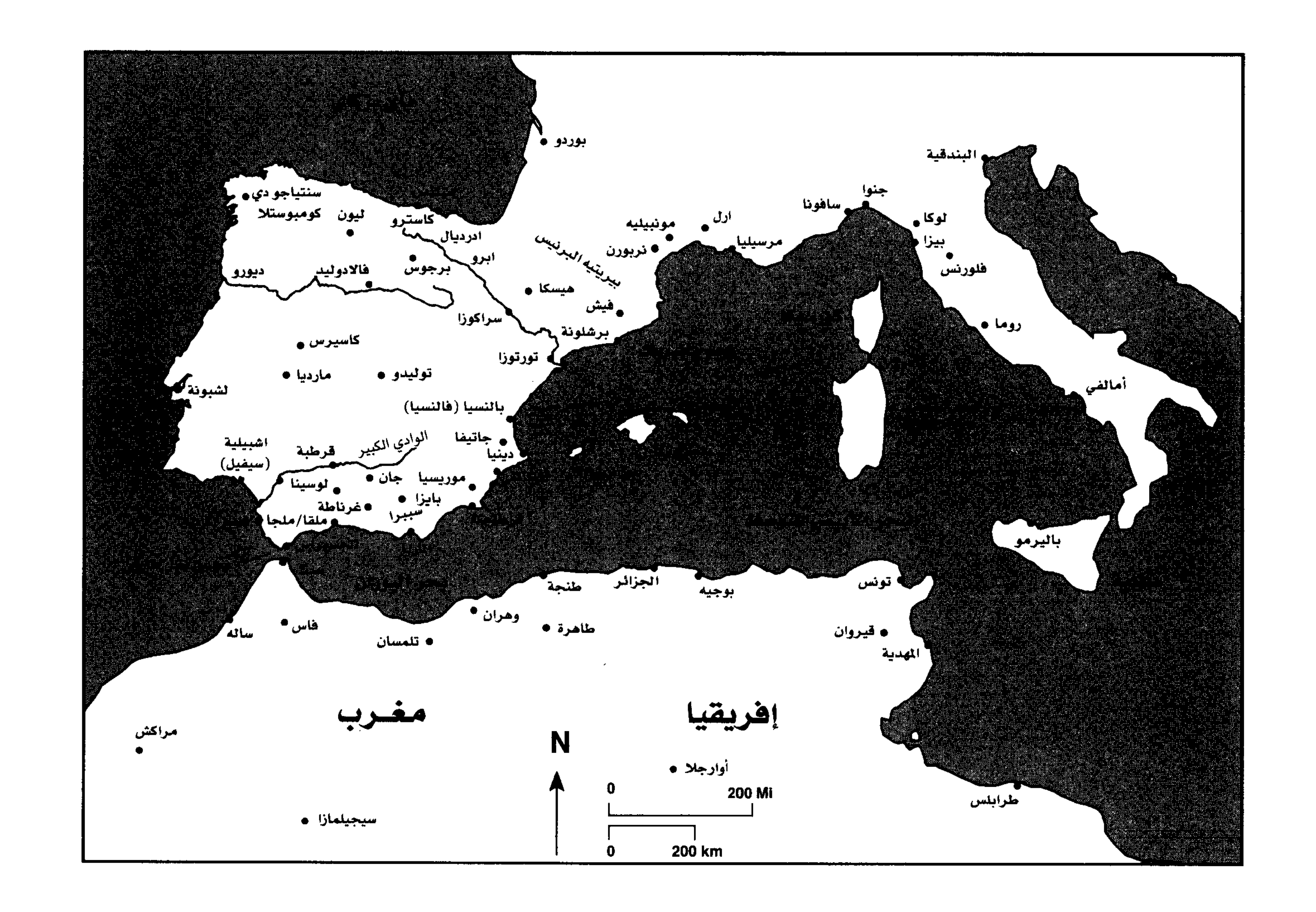
أ.د. فيصل عبد الله

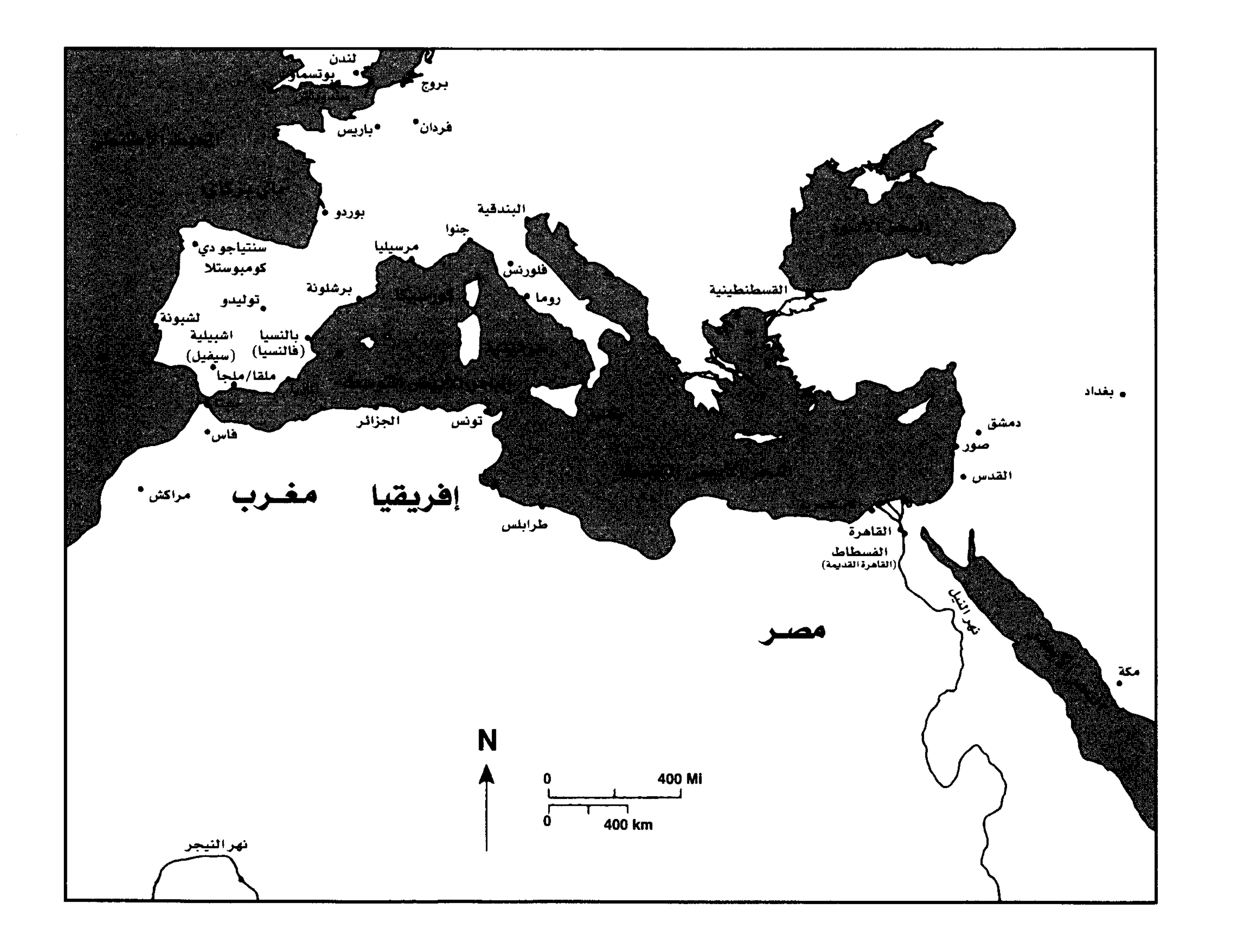
ملاحظات قبل القراءة

أوردنا قائمة المراجع والمصادر كما هي لسهولة العودة إليها من قبل الباحثين، ويمكن قراءة أسماء الكتب العربية، معربة، عند استخدامها وذكرها في حواشي الكتاب، ويمكن الاستعانة بالدليل العام للأسماء للحصول على أرقام الصفحات التي ورد فيها اسم المرجع العربي أو أي اسم آخر بالعربية أولاً وما يقابله بالإنكليزية واللاتينية ثانياً.

ـ تحاشينا الأقواس والحواصر واكتفينا بالفاصلة للمرجع والنقطة.. إلخ.. وهذا ما يدرج عليه البحاثة اليوم.

ـ حافظنا على نطق الاسماء باللاتينية والانجليزية عند نقلها إلى العربية مع الاحتفاظ باللفظ العربي التقليدي إن وجد.


بوردو
البندقية
سنتياجو دي
كومبوستلا
ليون
كاسترو
اردديال
ابرو
برجوس
ديورو
فالادوليد
جنوا
سافونا
لوكا
بيزا
فلورنس
ارل
مونبليه
نربورن
مرسيليا
بيرينيه البرنيس
هيسكا
فيش
سراكوزا
برشلونة
روما
كاسيرس
ماردیا
توليدو
تورتوزا
لشبونة
أمالفي
بالنسيا (فالنسيا)
جاتيفا
دينيا
اشبيلية
(سيفيل)
قرطبة
الوادي الكبير
لوسينا
جان
موريسيا
بايزا
غرناطة
سببرا
ملقا/ملجا
باليرمو
تونس
طنجة
الجزائر
بوجيه
وهران
فاس
ساله
تلمسان
طاهرة
قيروان
المهدية
مغـرب
إفريقيا
مراكش
N
أوارجلا
0
200 Mi
0
200 km
سيجيلمازا
طرابلس


لندن
بروج
فردان
باريس
بوردو
البندقية
جنوا
مرسيليا
سنتياجو دي
كومبوستلا
فلورنس
روما
برشلونة
توليدو
لشبونة
اشبيلية
(سيفيل)
بالنسيا
(فالنسيا)
ملقا/ملجا
الجزائر
تونس
فاس
مراكش
مغرب
إفريقيا
طرابلس
القسطنطينية
بغداد
دمشق
صور
القدس
القاهرة
الفسطاط
(القاهرة القديمة)
مصر
نهر النيل
مكة
نهر النيجر
N
0
400 Mi
0
400 km

المقدمة

إن إعادة دراسة وتركيب أنماط التجارة الدولية لمسلمي إسبانيا في (الأندلس) لهو مثل مَنْ يحاول ترقيع وجمع لغز منشار متهزهز لرسم أو تصحيح مجهول، حيث فقد كثيراً من القطع، كما أن بعض القطع المتيسِّرة هي الأخرى مستعارة من ألغاز مشابهة على ما يبدو. ولا يوجد مصادر أولية تعالج موضوع تجارة الأندلس على وجه الخصوص ولا يقدم سوى القليل منها حفنة من المراجع الصالحة. إنَّ هذا الشُّحَّ في المصادر قد جعل من الضروري اللجوء إلى معلومات من نوعيات واسعة من المواد. إنه لمن الممكن رؤية طيف الطرقات والتجار والبضائع في تجارة الأندلس فقط من خلال ضم أو جمع كثير من المصادر التي تحتوي على فجوات.

ويوجد بين المصادر العربية أعمال جغرافية ورحلات ومواد حقيقية ومعاجم السير الشخصية (التراجم)، وقَدَّمَتْ جميعُها معلومات كاملة ومفيدة، بالإضافة إلى معلومات داعمة أُضيفت من خلال حوليات وأشعار وبحوث أو رسائل محترفة. لقد قدم جغرافيو العصور الوسطى ورحالتها أوصافاً دقيقة لمدن الأندلس وصادراتها، بما في ذلك تقارير تصف طرق التجارة ومناطق الإنتاج.

وقد أثبتت كتبهم نفاسة هذه الدراسة وقيمتها، رغم تنوعها دقةً وأصالةً. وكان بعض الكتاب بما فيهم ابن حوقل وابن جبير وبنجامن التودلي Benjamin of Tudela قد عاشوا، في الواقع، في الأماكن التي وصفوها في أعمالهم. بالمقابل بقي كثير من المؤلفين خلف مكاتبهم يقتبسون من الكتب

العتيقة أو يسجلون ذكريات الرحالة المعاصرين.

إن هؤلاء الجغرافيين الثانويين ليسوا بالضرورة أقل دقة من نظرائهم الأكثر حيوية، ولكنهم يميلون أن يكونوا أقل جدة أو عصرية. وعندما يَدْمُجُ كاتبٌ ما المعلومات المستقاةَ من عهود مختلفة ـ كما هي حال الإدريسي الذي كتب في وسط القرن الحادي عشر إذ أدخل موادّ أقدم في عمله ـ نستنتج أن بعض هذه المعلومات يؤرخ في زمن الكتابة. لقد قبلت، من قريب أو بعيد، المعلومات المقدمة من الجغرافيين ما لم تكن غير دقيقة تماماً أو أنها ثانوية بالكامل، وقد أرختها في زمن كتابتها.

وتقدم المواد النظامية تعقيدات مختلفة، خاصة وأن كتب القانون الإسلامي وصيغ الكتيبات الخاصة بتسطير العقود (الوثائق)، وكتيبات تعليمات وإرشاد مفتشي السوق (كتب الحسبة) تميل إلى أن تكون وصفية.

وعلى الرغم من ذلك، فإنها تتضمن كثيراً من التفاصيل النفيسة التي تعكس ممارسة تجارية. كما نستفيد من مجموعة الأحكام القضائية (الفتاوى) المتعلقة بأسئلة أو شكوك شرعية، مع إجاباتها المنسوبة إلى عالم شرعي خاص (وهكذا نستدل على الزمن ومكان صدور الفتوى). وتبدو كثير من الفتاوى وقد سجلت مواقف تجارية حقيقة وخصومات التجار. كما أن وصف معاجم السيِّر الشخصية ورحلات العلماء المسلمين هي أيضاً ذات فائدة، ذلك أنها تذكرُ العلماءَ الذين كانوا تجاراً. وربما، لم يكن هؤلاء العلماء التجار ممثلين للتجار المسلمين، ولكنهم كانوا، في الواقع، التجار المسلمين الوحيدين الذين نملك عنهم معلومات شخصية.

لقد كانت الوثائق العربية اليهودية في مجموعة جينيزا في القاهرة من أهم الوثائق لهذه الدراسة. إن هذه المواد المخبأة تضم آلاف الرسائل من العصر الوسيط وأوراق أخرى، وقد حُفظت في غرفة مختومة من كنيس في القاهرة القديمة، حيث كانت قد اكتشفت في أواخر القرن التاسع عشر. وكانت قد كتبت بالعربية باستعمال الحروف العبرية، وتخص كثيراً من رسائل

الجينيزا (أعمال تجار يهود)، الذين كانوا يتعاطون التجارة من مصر وإليها خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وتضم مئتين ونيف منها مرجعيات عن الأندلسيين وبضائعهم والترحال إلى موانىء الأندلس. كذلك فإن الجينيزا تضم فتاوى أو إجابات عبرية، وتسجل المحكمة اليهودية مشهد التجار اليهود الأندلسيين وشركائهم وقد انخرطوا في دعاوى قضائية متشابهة في تفاصيلها مع فتاوى المسلمين. ولكن يبقى هناك بعض الأسئلة التي تتعلق بدرجة تمثيل وثائق جينيزا أشكال التجارة العامة في البحر الأبيض المتوسط المعاصر أو أنها تمثل، على الأقل، أشكال التجارة اليهودية.

أخيراً، إن هذه الوثائق تقدم معلومات عن حركة التجار اليهود وبضائعهم مِنْ موانىء الأندلس وإليها، ولقد أُذِنتُ بالوصول إلى وثائق الجينيزا عامة المنشور منها والمترجم، وفضلاً عن ذلك حصلت على ملاحظات غير منشورة، ومنسوخات، وصور وأفلام صغيرة الحجم (مايكرو فيلم) مهداة إلى جامعة برنكتون من قبل س.د. جوتاين S.D. Goitein الذي بيّنت أعماله الرائدة قيمة هذا المصدر الوثائقي.

لقد ملأت الوثائق اللاتينية وكذلك العامية اللغة صورة الأندلس على صعيد الاتصال التجاري مع إسبانيا المسلمة ومع مناطق أخرى من أوروبا. وضمت صكوكاً fueros من قشتالة وأراجون والبرتغال فيها قوائم الأسعار التي تبين أنواع البضائع (الأندلسية وغيرها) التي تُوجِرَ بها في أسواق الشمال.

ويوجد بالمتناول قوائم مشابهة للرسوم أو المكوس التجارية من المدن والريف الايطالي، ومن موانىء شمال أوروبا، وكذلك سجلات الصكوك - الكمبيالات. . وهي ذات قيمة أيضاً إذ إنها تسجل عقود التجار الجوالين في الموانىء الايبرية أو مبيعات البضائع الأندلسية. وإن أقدم السجلات الباقية تؤرخ قبل سنة 1150م وهي محفوظة في محفوظات الدولة في جنوا، وفي عقود متوافرة في مرسيليا في وقت لاحق، وفي سافونا Savona وفي فيشي Vich وفي مدن أخرى. كما تقدم الحوليات المسيحية والمراسيم الملكية

والقضائية، والوثائق الدبلوماسية وسجلات الهبات الكنسية، والأدب الدنيوي، غير الديني، معلومات عن أنشطة التجارة الأندلسية.

من جهة أخرى فإن البراهين المادية من ميدان التنقيب الأثري كتاريخ الفن، والنميات قدمت مفاتيح لحل ألغاز التجارة الأندلسية الدولية والعقود الاقتصادية. ومثال ذلك الـ بيزا باتشيني (قطع السيراميك أو الفخار التي استخدمت في الزينة المعمارية) تظهر انتشار الفخاريات الأندلسية والاسبانية المسيحية في ايطاليا اعتباراً من القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر. إن طبيعة موادها تفترض، وبصورة واضحة، أن هذه المواد قد وصلت إلى إيطاليا من خلال التجارة. وبالعكس، فإن الانتشار الواسع للعملة الأندلسية، ربما كان حصيلة الاحتكاك الاقتصادي والتجاري أو من خلال بعض طرق التمويل.

إنه لمن الصعب تثمين واستخدام هذه القطع المتفرقة من المعلومات، فمن جهة يمكن أن نبرهن أن النقص النسبي في المعلومات المتعلقة بتجارة الأندلس تدل على أن التبادل التجاري لم يكن مهماً ولا واسع الانتشار، وهذا ما أعتقده شخصياً، من جهة أخرى ـ وعلى الرغم من استحالة إحصاء عدد التُّجار بدقة، أو تقدير حجم وقيمة الحمولات، أو تواتر الرحلات التجارية في أية سنة ـ من المستحسن الوصول إلى الهدف عن طريق تفحص هذا التنوع في الوثائق. إن القليل من المراجع عن التجارة، وإنْ كانت مبعثرة، قد تعكس لنا حقيقة واسعة. فهناك القليل من المصادر المادية التي تتحدث عن التجارة بين مسلمي إسبانيا (الأندلس) وبيزا، في الوقت الراهن، ومع ذلك فقد ثَبُتَ وجودها من خلال معلومات باقية ولكنها متنوعة ومتقطعة. فهناك أسعار مجدولة في بيزا منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر تسجل جباية الضريبة من المراكب الواصلة من موانىء الأندلس، وهناك وثائق دبلوماسية معاصرة محررة بين أمراء الموحدين وپيزا تتعلق بأعمال تجارية. ويسجل مؤرخو الحوليات من جهة أخرى، حملة پيزا البحرية في مياه الأندلس، عندما حاول بيتشيني البيزاويون بصمت نقل الفخار بين اسبانيا

وإيطاليا علماً أنه لا توجد عقود موثقة تذكر الحملات التجارية لپيزا الموجهة إلى موانىء الأندلس، ولكن ربما نستطيع هنا استنتاج بعض الحقائق من خلال معلومات الاتفاقات أو العقود الموثقة للجنويين. ذلك أن لمدينتي جنوا وپيزا تطلعات تجارية مشتركة (وهو ما خلق التنافس بين المدينتين) ولأنَّ المدونات الجنوية مشابهة لتلك المذكورة أعلاه لمدينة پيزا فمن المحتمل أن تجار پيزا قد ألفوا شراكات وقاموا برحلات مشابهة تماماً لما نراه في عقود أو اتفاقات الجنويين.

ومن خلال فحص شبكة الطرق التجارية في الموانىء الإيبرية وإليها، وفحص مختلف نوعيات التجار، وتنوع البضائع المصدرة من شبه الجزيرة الإيبرية، فإنه من الممكن إعادة بناء مواصفات التجارة الدولية، حتى ولو كان متعذراً تقدير حجمها في أي دور أو عهد. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المعلومات المرقعة يجب أن تنمي لدينا شعوراً تخمينياً يتعلق بالتبديلات في حجم التجارة بين العهود. كذلك فإن نقص البراهين لا يثبت بالضرورة عدم وجود شيء ما، فالهبوط الحاد أو الارتفاع الفجائي لمادة ما، ربما يكون اشارة لتبدل حقيقي وهذا صحيح بصورة خاصة في حالات نعثر فيها على برهان خارجي يدعم تنوعاً ملحوظاً في المعلومات. إن نقص سجلات جينيزا بعد أواسط القرن الثاني عشر مثلاً، يخلق انطباعاً بانحسار نشاط اليهود في تجارة الأندلس. وإنه لمن الصعب قبول هذا البرهان وحده كمؤشر لظاهرة حقيقية دون اعتبارات الاضطهاد المعاصر لليهود في الأندلس والظهور المتزامن للتجار الايطاليين في تجارة الأندلس. وبطريقة مماثلة عندما تتضاءل المصادر التي توثق تجارة الأندلس مع الموانىء الإسلامية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، فربما يعكس هذا تغيراً حقيقياً في التجارة حيث تظهر فجأة وبنفس الزمن كمية من المعلومات التي تعرض حركة مرور بين شبه الجزيرة الإيبرية وأوروبا.

إن هذا الكتاب يختص بالتجارة الدولية أولاً، وليس بالاقتصاد الأندلسي الداخلي. وإلى حد ما، فإن التمييز بين التجارة الدولية والاقتصاد الداخلي

هو أمر مصطنع، ذلك أن الأولى هي امتداد للأخير، وتتعلق في كثير من الوجوه بالأسواق المحلية وبالإنتاج الاقليمي. وتبقى التجارة الدولية تخصصاً مستقلاً حيث تدرَّب فيها متخصصوها. ومن ناحية ثانية فإن التجار الذين مارسوا هذه التجارة قد اختصوا بشراء وبيع البضائع لمسافات أطول من المستوى المحلي. وربما تعتبر التجارة الدولية باستقلالها أداة احتكاك بين الاقتصاد الأندلسي الداخلي والمجال الأُوروبي المتوسطي العريض.

إن تعابير مثل، المسافة الطويلة، والدولي والثقافة المزيجة، تحمل معانيها الخاصة وتداعياتها. ومن أجل أغراض هذه الدراسة، فإن تجارة المسافة الطويلة هي تعبير عام إلى أبعد حد، حيث إنه استعمل للدلالة على جميع الأنشطة التجارية المعنية سواء أكانت بين المدن الإيبرية فقط، حيث يفصل الواحدة عن الأخرى مسيرة أيام قليلة أم بين الأندلس والشرق الأدنى. لقد استعمل تعبير التجارة الدولية للدلالة على التجارة الأندلسية الخارجية مع أوروبا وباقي مناطق العالم الإسلامي (دار الإسلام). ذلك لأن الحدود في العصر الوسيط، لم تكن مفهومة كما هي الحال بالنسبة للحدود القومية المعاصرة، ولم يستعمل تعبير الدولي هنا للدلالة على التجارة بين المناطق الواقعة تحت أنظمة سياسية مختلفة، كالتي بين مملكتين داخل شبه الجزيرة وحسب، بل استعمل أيضاً للدلالة على التجارة بين المناطق الجغرافية التقليدية كتلك، في شبه جزيرة إيبريا، وشرق أفريقيا ومصر وأوروبا.

أما الثقافة المزيجة فقد استعملت للدلالة على التجارة المتقاطعة مع جهات متعددة اللغات والديانات والميراث الثقافي والعرقي[1]. فقد كانت تجارة الأندلس ذات ثقافة مزيجة لأن حركة مرورها وصلت إلى شمال إسبانيا وأوروبا أو بيزنطا. بالمقابل فقد كانت التجارة مع المناطق الأخرى من العالم الإسلامي ذات مسافات طويلة ولكن دون ثقافة مزيجة.

---

(1) هذا مشابه للتعريف الذي عرضه كورتين في P. Curtin in Cross - Cultural Trade in World History (Cambridge, 1984).

هذا ويطرح التنوع في شبه الجزيرة الإيبرية بميراثها المتعدد الديانات والثقافات واللغات، مصاعب تعبيرية، تبدأ مع اسم إسبانيا بالذات حيث استعمل هنا ليعني شبه الجزيرة الإيبرية بالكامل وذلك لأسباب التبسيط والملاءمة، إلا إذا لم يعدل بالمسيحية أو الإسلامية ومع ذلك فإن التعبير المفضل للدلالة على إسبانيا المسلمة هو التعبير الغربي الأندلسي - al Andalus. وقد استعمل التعبير: الأندلس Al - Andalus مقابل أندلسيا Andalusi (جنوب قشتالة Castile في أواخر العصور الوسطى). وأندلسي Andalusi يختص بالأندلس Andalus مقابل أندلسياً Andalusian (ويختص بأندلوسيا). وقد اسُتعمل عدد من الأسماء الجغرافية التقليدية مثل أوروبا والشرق الأدنى وعالم البحر الأبيض المتوسط والعالم الإسلامي على الرغم من أن معالم حدودها مبهمة ومتقلبة، ومع ذلك، وحيثما استطعت، فقد فضلت الأسماء الدقيقة المعنية مثل قشتالة Castile وأراجون Aragon، وبرتغال Portugal وغرناطة Granada.

وهناك تعابير أخرى تطرح مشكلات، وبصورة خاصة عندما انتشرت الأسماء التعريفية الدينية والعرقية لتطلق على الكيانات الجغرافية والسياسية. فالعالم الإسلامي، مثلاً، شمل جميع الديانات تحت إدارة العواهل المسلمين على الرغم من أن المسيحيين واليهود عاشوا داخل حدوده، وبصورة مماثلة فإن التجارة الإسلامية تعني عامة تلك التجارة التي نُقلتْ خارجاً من قبل المسلمين. ونقيض ذلك وجود تجارة في العالم الإسلامي (حيث لها مشاركون كثيرون)، من جهة أخرى، تعني التجارة العربية تلك التجارة بين العرب أنفسهم حيث أن التجارة العربية تدار بالعربية (وهذا يشمل كثيراً من غير العرب وغير المسلمين) وقياساً على ذلك توجد مشاكل متشابهة مع التعابير المسيحية واللاتينية. وغالباً، من المستحيل أن يَثْبُت المرء دائماً على استخدام أسماء الأماكن والأشخاص، ولكن حيثما وُجد شكل تعبيري انجليزي فقد اخترته نظراً لسهولة استعماله. ومن ثم إنني أفضل Castile على Castilla (قشتالة)، وأفضل القاهرة القديمة أو فسطاط (Fustat) على Fustāt،

والمريا Almeria على Almería وal - Mariyya. وعلى الرغم من هذه القاعدة العامة، فقد استعملت بعض الأسماء بلغتها الأصلية بقصد التخصيص أو التنويع. من جهة أخرى، هناك بعض الأسماء التي حولت إلى الانجليزية عندما توافر المعادل المشترك لها. وقد أصبح اسم العواهل الإيبريين جيمس James وهذا لاستبعاد الخلط بـ جيم/جوم Jaime/Jaume. ونجد بيتر Peter وفرديناند Ferdinand، ولكن الفونسو Alfonso استبقى لفظه القشتالي.

كما أن الأسماء الأولى اللاتينية قد جُعلت انجليزية بصورة عامة. ولكن ليس دائماً. أما الأسماء العربية فمشكلتها مختلفة وبسيطة، وقد احتفظنا بالهجاء الأصلي تبعاً لنظام نقل قراءتها المنشور في:

International Journal of Middle East Studies

وهكذا فقد استعملتُ الاسم محمد Muhammad (وليس مُحمِد Mohammed)، وعلي Ali، وهكذا.. أما الأسماء مثل يوسف Yusuf ويعقوب Yacqub فقد ذكرت بصيغتها العربية، سواء كانت تخص المسلمين أم اليهود، إذا كانت المصادر هي نصوص عربية أو يهودية - عربية. ومع ذلك يوجد بعض الشذوذ بالنسبة للأسماء المعروفة جيداً مثل موسى بن ميمون Moses b. Maimon أو ميمونيد Maimonides أو بنجامين Benjamin صاحب تدلا Tudela. وعند استعمال اسم النسبة nisba (وهو الجزء اللغوي الذي يدل على أصل بلد الشخص مثل أندلسي Ansalusi بغدادي، ألخ)، ويكتب دون الحرف النهائي i (أي Andalusi) ما لم يذكر الاسم بالكامل.

وباستثناء أسماء الأماكن الأندلس al - Andalus والمهدية al - Mahdiyya فقد أهمل المدخل al - (اداة التعريف) وبذلك فإن الإدريسي al - Idrisi تصبح إدريسي Idrisi وحسب، والمِقَّرِيّ تصبح مِقَّري والرازي تصبح رازي وهكذا. واحتفظنا من جهة أخرى بأداة التعريف حيث تلفظ، عندما تظهر في وسط الاسم (مثل عبد الرحمن Abd al - Rahman، وليس Abd ar-Rahman).

ويمثل استعمال أو إهمال أداة التعريف مشكلة في تركيب الاسماء مثل Almoravid (وهي صيغة من المرابط al - Murabit) وAlmohad (الموحد al - Muwaḥid) حيث ادغمت اداة التعريف مع الاسم في صيغة الاسم الانجليزية. ومن الناحية التقنية يُعد اسهاباً الرجوع إلى تعبير Almoravids أو Almohads ولكن من الناحية العملية يأتي وقع هذه الأسماء على الناطق بالانجليزية شاذاً دون أداة التعريف.

ومن جهة أخرى، هناك نقطة دقيقة، وهي أن بعض التعابير في العربية مثل دار الإسلام dār al - Islām أو شرق الأندلس sharq al - Andalus فقد كَتَبْتُها: دار الإسلام وشرق الأندلس.

وقد اخترت نظام التأريخ المسيحي لأسباب دلالية ولإلفته، ولكن ذكرت التأريخ الإسلامي في حالات قليلة بقصد الإشارة إلى استشهاد من نص عربي.

الفصل الأول

سوق الطرف الغربي

لقد جربت شبه جزيرة ايبريا تناقض العيش بين عالمين، خلال العصر الوسيط بمعظمه. فهي تقع في الطرف الغربي من البحر الأبيض المتوسط المسلم، وفي الطرف الجنوبي لأوروبا الغربية، فكانت جزءاً من الاثنين. وليس جزءاً كاملاً من أي منهما، وكان لهذا البعد دور مبرّز في انطلاقة شبه الجزيرة في حين بقيت عاملاً مقبولاً في نظر مسلمي ومسيحيي العالم، وكانت شبه الجزيرة خلال القرن الثامن حتى القرن الخامس عشر، تتبع عالمين أو مجالين، المسيحي في الشمال والمسلم في الجنوب حيث تتبدل الحدود(*) عبر القرون، فقد كانت إسبانيا كجبهة (أقصد بها شبه الجزيرة بالكامل) بوابة بين عالمي المسيحيين والمسلمين، متيحة بذلك عبور الدبلوماسيين، والعلماء واللاجئين والجنود والتجار.

سيركز هذا الكتاب على حركة ومرور التجار وبضائعهم مِنْ إسبانيا المسلمة وإليها (الأندلس بالعربية) منذ القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر.

فقد ساعد التجار وتجارتهم الدولية على حفظ الروابط بين الأندلس والمناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط المسلم والمسيحي،

(*) المقصود أن الحدود الجنوبية هي المغرب وأفريقيا من ورائها فهي واسعة ومتبدلة، بينما كانت حدود الشمال المسيحي شبه ثابتة، (إضافة المعرب).

وشكلت الجزيرة، خلال هذه القرون الثلاثة وجوداً أو كينونة اندمجت مع عالم الإسلام الواسع أي دار الإسلام. وعلى الرغم من بعد المسافة الجغرافية عن القاهرة وبغداد ومكة فقد بقيت مدن الأندلس على صلة وثيقة مع مسلمي المشرق، وكان الأندلس جزءاً حقيقياً من عقلية مسلمي البحر الأبيض المتوسط، وديانتهم ومجال تجارتهم، وقد بقيت الاتصالات مفتوحة بالنسبة للرحالة والرسائل والبضائع التي عبرت بالاتجاهين بسهولة وانتظام، حتى في زمن النزاع السياسي بين الأنظمة المسلمة في الشرق أو الغرب، وقد مخرت مراكب التجار وحمولاتها البحر الأبيض المتوسط بين الشرق والغرب وبتواتر كاف كي تجعل الرحلة التجارية من مصر إلى الأندلس «تجربة رتيبة مملة»[1]. وقد نافست تجارة الأندلس الدولية معظم أوجه وأشكال اقتصاد العصر الوسيط الواسع في البحر الأبيض المتوسط، خلال هذه القرون الثلاثة. لقد كانت بنية التجارة الأندلسية مماثلة للتجارة المعاصرة في الأماكن الأخرى، ولم يكن هناك أي شيء استثنائي خاص في آلية التجارة الإيبرية، وعلاقات تجارها أو الشحن البحري أو الموقف الحكومي تجاه التجارة أو قوى السوق. وكما لاحظ برودل أنه كان هناك، وخلال زمن طويل، عوالم متطابقة أو شبه متطابقة... فعلى تخوم مثل تلك البلدان المتباعدة، والمختلفة، بالتعبير العام، مثل اليونان وإسبانيا وإيطاليا وأفريقيا... [عوالم حيث يمكن] العيش بإيقاع متماثل.. [مع] الإنسان، والسلع... قادر على التحرك من بلد إلى آخر دون أي حاجة للتأقلم[2].

ومع كل هذه المتشابهات فقد كان الأندلس يختلف عن الأقطار الإسلامية الأخرى، فقد كانت شبه جزيرة إيبريا على التخوم بين دنيا المسلمين، ودنيا المسيحيين، وكان القطر الوحيد في عالم البحر الأبيض

---

(1) S.D Goitein, A Mediterranean Society. The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza [Brkeley, 1967 - 88] I, P. 42.

(2) F. Braudel The Mediterranean and the Mediterranean World in The Age of Philip II, New York, 1966, p.23.

المتوسط الذي بقي جبهة خلال ثمانية قرون، وقد كان للأندلس دور فريد في تجارة غرب المتوسط، كمنطقة عبور ومستودع تجاري امتدت من خلاله الاتصالات التجارية عبر التخوم بين العالم الإسلامي والغرب اللاتيني. ومن وجهة النظر المتوسطية الإسلامية كان الأندلس سوق الطرف الغربي، فهو مستهلك للمستوردات الغربية ومصدر للسلع الأندلسية، ومحطة على طريق البضائع القادمة من أوروبا باتجاه الجنوب إلى دار الإسلام، وكان الأندلس من منظور أوروبي مسيحي نقطة اتصال مع ميدان التجارة الإسلامية، وإحدى القنوات للحصول من خلالها على وسائل الترف المرغوب فيها: مثل توابل الشرق والمعادن الثمينة والأنسجة والورق ومواد أخرى.

وقبل توسع آفاق التجارة الأوروبية والأنشطة التجارية في أواسط العصور الوسطى استطاع الأندلس المجاور أن يقدم كثيراً من الأشياء الجيدة في حياة المسيحيين اللاتين.

ولقد انحلت هذه الوظيفة التجارية الفريدة في النصف الأول من القرن الثالث عشر، عندما أعيد تنظيم القوى في شبه الجزيرة إثر تقدم الانتصارات المسيحية وظهور التوجهات نحو توسع عسكري وتجاري مسيحي في جميع أنحاء عالم البحر الأبيض المتوسط.

وقد تضافرت التبدلات الاقتصادية مع الفتوح على الأرض كي توجه الجزيرة تجارتها شمالاً نحو أوروبا المسيحية بعيداً عن عالم الإسلام.

إنه لمن الضروري إلقاء نظرة عامة على تاريخ الأندلس من أجل إظهار أصداء الأحداث السياسية والاقتصادية في بنية التجارة الدولية الأندلسية. لقد أصبح الأندلس جزءاً من العالم الإسلامي سنة 711 عندما عبر الجيش الإسلامي مضائق جبل طارق وفُتحت فيزيجوت Visigoths وجعل من معظم الجزيرة ولاية عربية تتبع الخليفة الأموي بدمشق. وعندما طُرِدَ الأمويون من قبل العباسيين في وسط القرن القادم، تحول مركز القوة في السياسة الإسلامية الشرقية، وثقافتها واقتصادها إلى العراق، وتهمش دور الأندلس،

وتحول، وهو الجاثم على الطرف الغربي الإسلامي، إلى وجود مستقل تحت ولاية أميره الأول عبد الرحمن (I) الداخل (756 . 788) أحد القلة الباقين من أفراد العائلة الأموية.

وعلى الرغم من الاستقلال الجديد لمملكته لم يعلن عبد الرحمن نفسه كخليفة ولم يعترف بخلافة العباسيين في خطبة صلاة الجمعة في الأندلس، ولكن بقيت شبه الجزيرة مرتبطة ثقافياً بدار الإسلام.

وظلت التطورات الدينية والفكرية الأندلسية تُتَابع عن كثب الاتجاهات الشرقية المنشأ. فقد أعجب أهل شبه الجزيرة بشعراء وعلماء بغداديين وقرأوا لهم، في حين أن القراء الشرقيين لم يعطوا كتّاب الغرب الأندلسيين سوى اهتمام قليل. كما اشتهر سكان قرطبة، وهي العاصمة الأموية، في القرن التاسع بولعهم بالأَزياء، وسلوك أهل بغداد، ذلك أن الأندلسيين من التجار والعلماء والحجاج كانوا يرحلون إلى الشرق طالبين العمل والعلم والحج، كما اتصل الأندلسيون بالمناطق المسيحية داخل وخارج شبه الجزيرة خلال القرنين الثامن والتاسع.

وقد بقيت ثغور الأندلس وحدودها مع إسبانيا المسيحية مستقرة بصورة واضحة في هذه الفترة لأن جيش المسلمين احتفظ بالتفوق، كما أن فكرة المسيحيين عن إعادة الفتح (أو الفتح باسم الصليب لاستعادة الأراضي المفقودة سنة 711 بعد فتح المسلمين)، لم تأخذ جذورها قبل القرن الثامن، ولم تعطِ ثمارها إلا بعد قرنين. وقد امتدت مصالح الأمويين بعيداً إلى بيزنطا، كما يبدو من خلال الاتصال الدبلوماسي بين قرطبة والقسطنطينية في القرن التاسع.

وهناك المزيد من الأدلة على وجود علاقات بين قرطبة وآخن Aachen في ذلك الزمن. فبعد التوسع الكارولنجي Carolingian في تخوم إسبانيا ثم هزيمتهم المنكرة على يد الباسك Basques في رونسفال Roncevalles (يحتفل بذكراها دائماً وإن كان بصورة غير دقيقة في رولاند) تم تبادل

السفارات بين البلاطين الأموي والكارولنجي، كما سجل فيما بعد وجود علاقات دبلوماسية بين الأمويين والزعماء الأتونيين Ottonian[3].

لقد نمت التجارة من خلال اتصالات أخرى، وبدأت الأسواق الأندلسية تفيد كقنوات تجد فيها بضائعُ المسلمين طريقَها من شبه الجزيرة والشرق البعيد إلى المستهلكين في شمال إسبانيا وأماكن أخرى من الغرب اللاتيني. وبالتعبير التجاري، أمكن للأندلس أن يكون له دور مسيطر في علاقاته مع المقاطعات المسيحية أكثر من دار الإسلام. وإن القوى العاملة الأندلسية الماهرة والتطور الصناعي الجيد والزراعة المعقدة وفر للأندلس المزيد مما تقدمه إلى الممالك الشمالية الرعوية الأقل تطوراً على المستوى التقني أو التكنولوجي.

لقد أنهت التطورات السياسية في القرن العاشر وضع الأندلس كتابع في علاقاته مع العالم الإسلامي المشرقي، ولكن عندما أعلن العاهل الأموي عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة في سنة 929، أصبح مسلمو إسبانيا كلاعب رئيس على خشبة مسرح السياسات والتجارة المتوسطية، لقد انطلقت شرارة إعلان الخلافة الأندلسية بعد انحسار (وليس اختفاء) قوة العباسيين في العراق وظهور الفاطميين، وهم سلالة شيعية أقدمت على خطوة لا سابقة لها بإقامة أول خلافة منافسة في تونس سنة 909 (وفي مصر بعد سنة 969). وبإتخاذ عبد الرحمن لقب خليفة، وضع الأندلس في موقع متنفذ داخل عالم البحر الأبيض المتوسط الإسلامي، ودعم إعلانه هذا بقوة عسكرية ودبلوماسية. فقد استولت القوات الأموية بين 920 ـ 930، على عدد من الموانئ على طول شواطئ شمال أفريقيا: واستخدمتها كمصدات ضد الفاطميين ومحطات من أجل تجارة الأندلس ومداخل إلى مناطق غرب أفريقيا المنتجة للذهب. وعندما بدأت دور السك بإنتاج الدنانير الذهبية للمرة الأولى سنة 929،

(3) E. Lévi - Provençal "Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au Ixe Siècle". Byzantion 12 (1937). PP. 1-24, A.A el Hajji. Andalusian Diplomatic Relations With Western Europe during The Umayyad Period, Beirut, 1970.

ساعدت هذه النقود المعدنية على إظهار القوة السياسية والاقتصادية الأموية في الداخل والخارج.

ومع إعلان الخلافة الأموية في الأندلس، وظهور الخلافة الفاطمية في تونس ومن ثم في مصر، وأُفول العباسيين في بغداد، اضطلع عالم البحر الأبيض المتوسط بنشاط وقوة جديدين في القرن العاشر. ولقد فازت وتفوقت الفرص الاقتصادية المناسبة ومشروع التاجر على التنافرات الدينية، كما ظهرت شبكة تجارية وصلت بين أسواق الأندلس وصقلية وتونس من جهة، وبين مصر من جهة أخرى. إن توقف بغداد عن كونها محور التجارة الحاسم، سمح لموانئ مدن البحر الأبيض المتوسط (وخاصة الماريا وتونس والمهدية والاسكندرية) أن تغدو بؤرة أسواق التجارة على طول محاور البحر الأبيض المتوسط الشرقية والغربية النشطة. وقد دل ظهور هذا النظام التجاري الجديد الفعال على نهضة في تجارة المتوسط التي أصابها الكساد ومن ثم همدت لا محالة، خلال القرنين الماضيين. إن الطلب على البضائع المحصورة بقنوات شرق المتوسط قد أصبحت تأتي عن طريق المحيط الهندي بعيداً عن الخليج العربي . الفارسي وعبر طريق البحر الأحمر إلى مصر. وكانت تتوزع من مصر شرقاً وغرباً عبر الطريق الرئيس إلى الأسواق في أفريقيا والأندلس، وتوزع من هناك إلى طرق ثانوية نحو البلاد المسيحية والأسواق التابعة الأخرى. وكانت الأسواق الأندلسية عنصراً أساسياً وحاسماً في هذا النظام إذ إنها لم تكن تستورد وتوزع المستوردات الشرقية وحسب، بل صدرت السلع الإيبرية إلى ما وراء شرق المتوسط. وكانت الزراعة والصناعات الأندلسية قد تطورت جيداً أو تنوعت خلال القرن العاشر، ما سمح بتوازن معقول في التجارة بين الشرق والغرب.

لقد سَجَّلَ الدّورُ ما بين القرن العاشر حتى أواخر القرن الثاني عشر، حيث بقي نظام التجارة المتوسطي الإسلامي فاعلاً، سَجَّلَ مرحلةَ استقرارٍ نسبي لتجارة الأندلس الدولية. وإن تكامل تجارة إسبانيا المسلمة مع المحور التجاري المتوسطي قد أعطاها سنداً، ومن ثم كانت أسواق الأندلس مؤهلةً

للاحتفاظ باتصالاتها التجارية القوية والبعيدة، وأمكنها من ممارسة مهنتها حتى عند مواجهتها عقبات كبيرة ثلاث، كان أولها بعد المسافة الواقعي والحسي معاً، وثانيها الاضطرابات السياسية الأندلسية الداخلية، وثالثها التغيير في ميزان القوى بين المسيحيين والمسلمين في شبه الجزيرة وعالم المتوسط الواسع. وكان ممكناً التغلب على العقبتين الأوليين، ولكن وقوع الثالثة في نهاية الأمر قد دمر تجارة الأندلس وشبكة البحر الأبيض المتوسط الإسلامية.

وقبل المضي في معاينة التاريخ السياسي، فإن مناقشة مفاهيم البعد والمسافة، يلفت النظر إلى وضعية الأندلس داخل عالم التفكير الإسلامي خلال الدور الأموي وما بعد.

كان التجار والرحالة الآخرون يعلمون أنه من الممكن قطع المسافة الطبيعية، وأن الرحلة من الماريا إلى الاسكندرية من الممكن انجازها في شهرين. لقد كان إدراك المسافات صعباً على التحقيق، وفوق ذلك، يبقى الأندلس نائباً على تخوم الخارطة الذهنية الإسلامية. وكان التناقض واضحاً في الكتابات الجغرافية حول الأندلس فهو جزء من دار الإسلام ولكنه في الواقع بعيد وليس جزءاً كاملاً منه، وقد قدم الجغرافيون العرب في القرن التاسع عشر وصفاً وخرائط تمثل شبه الجزيرة الإيبرية في الطرف الغربي من الأرض، وقد وصف ابن الفقيه الجغرافي المشرقي في بداية القرن العاشر، سكان العالم على أنهم «معروفون بين الأندلس والصين»[4]. وفي منتصف القرن الثاني عشر عَدَّل فنيو الخرائط، وكذلك الجغرافي الأدريسي الذي وصف (نحو 1150) وصفاً واضحاً صورة الأندلس وأنهاره ومدنه على أنها لا تزال في واقع الأمر أبعد نقطة معروفة في غرب العالم، وبعدها يأتي محيط فارغ تماماً، وأضحت هذه الصورة أو المفهوم حقيقة واقعة خلال سنة بعد

---

(4) Ibn al - Faqih, Kitāb al - buldān, ed. M. J. de Goeje. BGA, 2nd ed, V, Leiden 1967, P50.

ابن الفقيه، كتاب البلدان....

وضع الإدريسي خريطته، وقد ابتعدت الأندلس بمعظمها عن العالم الإسلامي وتحول نطاق عملياته نحو الجنوب وعبر البحر إلى شمال إفريقيا في منتصف القرن الثالث عشر. ولم تكن المشكلة مركزة في المسافة البعيدة وحسب بل في الوضع الفريد للأندلس وبقائه جبهة لفترة طويلة منعت شبه الجزيرة من الاندماج الكامل في صورة العالم الإسلامي.

وقد شدد الوصف الجغرافي على دور الأندلس كأراضٍ حدودية، وكان له نوعان من الحدود طبقاً لجغرافيي القرن العاشر، وهما الإصطخري وابن حوقل، واحدة على طول جبهته مع إسبانيا المسيحية «بلاد الكفار» The Land of The Unbeliever والأخرى على طول شواطئه[5].

وبسبب أن التعبير العربي ثغور Thughur كان يستعمل للدلالة على جبهة أرضية أو شاطئ بحري، فقد كان الأندلس محاطاً بالكامل بالحدود، كما أن الوصول إلى بقية العالم الإسلامي يتطلب رحلة عبر مضائق جبل طارق. وكانت موانئ المدن في الجنوب بما فيها اشبيلية/ سيفيل Seville وملقا Malaga والماريا، قنوات اتصال بالمناطق الإسلامية الأخرى، وكانت مدن الشمال مثل برشلونه Barcelona وتاراجونا Tarragona بوابات الأندلس[6]، وكانت توديلا Tudela (شمال زاراكوزا Zaragoza محاذاة ايبرو Ebro) «أقصى حدود المسلمين» ونقطة يمكن فيها للتجار والرحالة الآخرين العبور إلى داخل «بلاد الكفار»[7].

---

(5) Istakhri, Kitab al msālik wa al - mamālik (ed. M. J. de Goeje, BGA, 2nd edn, 1, Leiden, 1967, P.413 Ibn Hawqal, Kitāb Ṣurat al - arḍ, ed. J. H. Kramers. Leiden, 1938, P109.

الاصطخري، كتاب المسالك والممالك.... ابن حوقل، كتاب صورة الأرض.

(6) Ishaq b. al - Husain, «Il compendio geografico arabo di Ishaq ibn al-Husayn», ed and Trans, A Codazzi and C.A. Nallino, Rendiconti della R. academia nazionalè dei lincei, Rome, 6th series, 5, 1929, P. 411.

اسحق بن الحسين: المختصر الجغرافي العربي لاسحاق بن الحسين.

(7) ibn Ghalib, «Nass andalusi jadid qat'ia min Kitāb Farha al-anfūs li-Ibn Galib» [ed L. 'Abd Bādī], Majalla ma'had al-makhtutat al-'arabiya I, 1955, P287.

وكان لبعض المؤلفين نظرة كئيبة إزاء وضع الأندلسيين، مثل ابن بسام (ت 1147) الذي يندب أو يتفجع على شعب الأندلس الذي يعيش، قرب المسيحيين في بلاد واقعة أقصى أولئك المغلوبين من قبل الإسلام، بعيدين تماماً عن تأثير التقاليد العربية، محاطين ببحر واسع[8]. وكذلك يبدو الأندلس في الكتابات الأدبية على طرف العالم الإسلامي.

فهذا مؤلف مجهول يروي حكاية أو نادرة، وبأسلوب عجيب خيالي عن أن الملك سليمان استنطق غيمة وهو يرقب وجهة سيرها. واكتشف أنها عبرت السماء من «بوابة للفردوس، تدعى الأندلس في أقصى الغرب»، إلى عبدان في الشرق[9]. ويتذكر ياقوت (ت 1229) المؤلف المشرقي، بنفس الطريقة والمزاج البيت الشعري:

سألت القوم عن أنسٍ، فقالوا بأندلس، وأندلسٌ بعيد[10]

ولعل ابن حزم العالم الأندلسي، في القرن الحادي عشر، يلخص وضع الأندلس المتناقض بين المسافة والوحدة أو الإنسجام حيث كتب: «ثم بينت أنه وإن كان [محبوبي] في أقصى المعمور من المشرق وأنا في أقصى المعمور من المغرب، وهذا طول السكنى، فليس بيني وبينه إلا مسافة يوم إذ الشمس تبدو في أول النهار أول المشارق وتغرب في آخر المغارب. . .»[11].

= ابن غالب: نص أندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب، لـ. عبد البادي، مجلة معهد المخطوطات العربية.

(8) H. E. Kassis, «Muslim revival in Spain in The 5th/11th Century», Der Islam 67, 1990 P. 83.

(9) L. Molina, ed. Una descripcion anonima de al-Andalus, Madrid, 1983, P.17.
وصف مجهول للأندلس.

(10) Yaqut. Mu'jam al -buldan; Jacut's Geographisches Worterbuch , ed. F. Wüstenfeld Leipzig. 1873, 1, P375.
ياقوت الحموي معجم البلدان.

(11) Ibn Hazm, Tawq, al-hamama, ed. T.A. Makki, Cairo, 1975, P.135.
ابن حزم، وقد نقلنا العبارة من طبعة دمشق "طوق الحمامة" لابن حزم. وتقع في الصفحة 990، (المعرب).

كان الأندلس نائياً دون شك، إلا أن مرور الناس والأفكار كان مؤمناً، ذلك أن شبه الجزيرة لم تكن قط دون اتصال مع الإسلام المشرقي، وقد كتب الشاعر اليهودي، يهودا هاليفي Judah Ha-Levi: «قلبي في الشرق، وأنا على طرف الغرب.. يا ليتني أعيش بين طيب الأشياء كلها في إسبانيا؛ كم هو رائع رؤية الثرى والضريح المنهار».

لقد حقق رغبته وارتحل إلى الديار المقدسة سنة 1140(12). وعندما وصل، رحب به أصدقاؤه المشرقيون والمعجبون بتوق، وقد دلَّ حماسهم على تبدل مهم منذ عهد باكر. فقد بدأ الأندلس بالظهور كمشارك أكثر مساواة في عالم الفكر العربي خلال القرن العاشر. وقد ازدهر العلم أو المعرفة الأندلسية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، فقَدَّمَ شخصياتٍ مثل: ابن رشد وابن حزم وابن طفيل وموسى بن ميمون ويهودا هاليفي، وقد دُرس الأدب والمعرفة الأندلسيين وقُدِّرا حَقَّ قدرهما في المشرق أكثر فأكثر، وبدأ علماء الغرب بالترحال شرقاً للتعليم والتعلم في آن معاً.

لقد كانت التبدلات في العلاقات بين الأندلس والعالم الواسع، المسلم والمسيحي معاً واضحة في المجال السياسي. وقد شهد القرنان الحادي عشر والثاني عشر جَيَشَاناً أو ثَوَرَاناً في السياسات الأندلسية الداخلية، على الرغم من أنها لم تكن كافية لتخريب محور التجارة المتوسطية.

وبعد قرابة قرنين ونصف من عهد أموي مركزي مستقر نسبياً في الأندلس، تقوضت السلالة الحاكمة في أوائل القرن الحادي عشر (ويؤرخ هذا عادة في 1031) إثر النزاع على الخلافة أو الوراثة والحرب الأهلية.

---

(12) The Penguin Book of Hebrew Verse ed. and Trans: T. Carmi, London, 1981, P347.

وظهر مكانها دويلات مستقلة صغيرة دعيت بالطوائف أو ملوك الطوائف Party Kingdoms وكانت سيرة هذه الدول الصغيرة تشدد على الاختلافات العرقية التي وُجدت في المجتمع الأندلسي دائماً. ومثال ذلك، حكمت سلالة العباديد العربية في إشبيلية، وسيطرت سلالتان بربريتان هما الحموديد والزيديد في ملقا وغرناطة بالتتابع في حين أمسك ما يدعى بالصقالبة (أو العبيد) بالسلطة في المدن الساحلية في الماريا وفالنسيا وتورتوزا[13].

إن تفكك الدولة الأموية إلى ممالك صغيرة قد أضعف تماسك الأندلسيين، على طول الجبهة، البلاد، وقدمت الفرصة المناسبة للعواهل المسيحيين في الشمال (في جاليسيا، وقشتاله وليون Leon ونافار Navarre، وأراجون Aragon، وقتلونيا أو كتلونيا Catalonia)، لكسب موقع أفضل، ولم يعد العواهل المسلمون قادرين على الدفاع كلٌ بمفرده عن حدوده ضدّ الجيوش المسيحية الأخرى أو أي منها منفرداً. وبحث كثير منهم عن تحالف مع دول الشمال.

دفعت دول الطوائف جزية (باريا Paria) شهرية أو سنوية إلى العواهل المسيحيين[14]. وهذا الموقف معاكس تماماً لما كان عليه الحال في القرن العاشر حيث كانت الممالك الإسبانية المسيحية تدفع الجزية للأمويين. ودفعت الباريا إلى رامون برنجر الأول Ramon Berenguer I صاحب قتلونيا خلال سنة 1040 وما بعد، وستغدو قريباً ظاهرة واسعة الانتشار، وكانت

---

(13) D. Wasserstein, The Rise and Fall of The Party Kings: Politics and Society in Islamic Spain 1002 - 1086, Princeton, 1985.

(14) إن التعبير باريا Paria قد اشتق إما من بَرَأ 'Bara العربية (حر، حرر، بيَّن ديناً) أو من بَرَأ، 'Barà التي تعني في بعض التصريفات وهب أعطى، تنازل، ويتضمن الفصل الثاني مزيداً من النقاش حول ضريبة باريا).

بعض دول الطوائف تدفع جزيات مضاعفة، وخاصة مملكة زاراكوزا Zaragoza التي كانت مجبرة على جزية لـ قتلونيا وأرجل ونافار وقشتالة وأراجون حيث تشترك بالحدود مع كل منها، في حين أن الطائفة المعزولة تدفع جزية واحدة فقط. لقد كان دفع الجزية استنزافاً لخزائن عواهل الطوائف. ولكنه لم يؤذِ التجارة الدولية الأندلسية. وقد أشارت البراهين من القاهرة الجنيزا ومن أماكن أخرى إلى أن التجارة بقيت ناشطة في أواسط القرن الحادي عشر، بفضل التجار الكثر الذين ينقلون بضائعهم عبر الطرق الرئيسة بين الماريا والاسكندرية. وكان هذا في واقع الأمر نجاحاً حقيقياً للتجارة الأندلسية في هذه الفترة وبصورة خاصة الفوائد المكتسبة من صادرات الحرير، التي سمحت لملوك الطوائف أن يفوا بدفع جزيتهم (الباريا). إلا أن الجزية لا تَحفظ السلم. بدأ المسيحيون بقواتهم يندفعون نحو الجنوب محطمين ثقة المسلمين بأنفسهم باستيلائهم على طليطلة Toledo في سنة 1085. وقد أظهر فقدان طليطلة الحاجة إلى المساعدة العسكرية، فقدّمت الدعوة إلى المرابطين، وهي سلالة بربرية مقيمة في مراكش، فوصلت قواتها إلى شبه الجزيرة في سنة 1086، وسرعان ما أوقفت التقدم المسيحي إثر معركة الزلاقة Zallaqa ووطدت سيطرة المرابطين على شبه الجزيرة وشمال إفريقيا معاً. وكان التوحيد المرابطي علامة نهاية الإنقسام الطائفي. وثُبت الأندلس كجزء من مملكة واحدة ضخمة، وساعد التنظيم المركزي الجديد على تقوية الأندلس عسكرياً، وتوقف دفع معظم الباريا، أي الجزية، وكذلك تباطأت الغارات المسيحية، ومع ذلك فإن قوات المسلمين لم تتمكن من تدبير أمر استعادة طليطلة. وأدّى الانشقاق الداخلي إلى تفتت قوة المرابطين في أوائل القرن الثاني عشر، كما أن الظهور القصير للطوائف قبل سلالة بربرية أخرى، مكّن الموحدين من دمج الأندلس في امبراطوريتهم الأفريقية الشمالية في سنة 1147.

إن اتساع مساحة أراضي دولة المرابطين والموحدين، التي امتدت من الأندلس عبر معظم شمال أفريقيا (وضمت مناطق تمر فيها طرق تجارة الذهب القادمة من غرب أفريقيا) أعطى هاتين السلالتين ثقلاً اقتصادياً لا سابقة له في عالم البحر الأبيض المتوسط، إن نفوذ النظام المرابطي، قد ظهر بصورة خاصة من خلال انتشار عملية تقليد دينارهم الذهبي (مرابطون Murabituns) في إسبانيا المسيحية، وجنوب أوروبا، فقد سيطروا على موانئ منتشرة من بالنسيا أو فالينسيا إلى طرابلس في عهد الخليفة عبد المؤمن 1130 . 1163م. كما تحكمت هذه السلالة بالمعابر البحرية الحساسة في مضائق جبل طارق من عاصمتهم الأندلسية إشبيلية أو سيفل، وساعدت السيادة الموحدية بالتعاون مع السلالة الأيوبية في مصر على الحفاظ على الطرق الرئيسة المتوسطية المسلمة بين مصر والأندلس، ومع ذلك كانت هذه الشبكة من الطرق قد بدأت تُبلى من خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ولا يكمن هذا التفسخ داخل العالم الإسلامي وحده، بل حيث بدأت المصالح التجارية في مصر تتجه نحو الشرق أي نحو المحيط الهندي، وخارج دار الإسلام، بالإضافة إلى التطور المعاصر في أوروبا والمتوسط المسيحي. لقد كانت التبدلات في التجارة عاملاً من عوامل التبدل البطيء بل العميق الذي بدأ في أوروبا وعالم البحر الأبيض المتوسط منذ القرن العاشر إلى الرابع عشر. وقد اتحدت مجموعة اتجاهات القوة السياسية والعسكرية والبشرية والاقتصادية لتعيد تحديد التوازن بين المسلمين والمسيحيين شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً. إن نهوض سكان أوروبا وصناعاتهم وتجارتهم ساهمت جميعها في تبديل مركز القوى في عالم البحر الأبيض المتوسط، وأخيراً فإن نمو دول المدنية الأوروبية الجنوبية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، بما فيها مدن جنوا وپيزا والبندقية Venice وفلورنسا ومرسيليا وبرشلونة، خلق لاعبين حقيقيين وجُدُد على مسرح غرب البحر الأبيض المتوسط، وقد

ظهرت هذه المدن كقوى بحرية وتجارية لم يكن يجهلها العواهل المسلمون في الأندلس وغيرها.

ومع فتوح المسيحيين العسكرية في شبه الجزيرة الإيبرية، كان هناك تقدم في كل نواحي البحر الأبيض المتوسط، فقد غدت صقلية تحت حكم النورمان في سنة 1060، وما يلي حتى 1070 قبل وقت قصير من انطلاق أول حملة صليبية نحو فلسطين. ولكي تدعم المدن الايطالية مؤسساتها التجارية دفعت أسطولها السريع في محاولات بحرية مع پيزا لمهاجمة المهدية سنة 1087، وقامت پيزا وجنوا بتقديم العون للحملات المسيحية في شبه الجزيرة الإيبرية خلال 1090، كما مهد التفكك الداخلي في الأندلس خلال عصر الطوائف لفتح القشتاليين طليطلة سنة 1085. ولقد فتحت أحداث العالم الإسلامي الطريق إلى هذا التقدم المسيحي، وتميز منتصف القرن الثاني عشر في المغرب الأوسط بالتمزق، بعد أن انتقل الفاطميون إلى مصر.

وكانت غزوات البدو في أفريقيا متبوعة بغزو النورمان، وقد سببت الاضطراب للتجارة والزراعة في جنوب مركز البحر الأبيض المتوسط ما قدم المزيد من الانفتاح للتجارة المسيحية الانتهازية، كما كانت دول المشرق الإسلامية في حالة تفكك في ذلك الزمن. فالسلاجقة سيطروا على بغداد سنة 1055 مُتَحَدِّين الحكمَ الفاطمي في سورية، وملحقين الهزيمة بالقوات البيزنطية في منزيكرت Manzikert سنة 1071 وبدأ التجار الأوروبيون بفضل التقدم العسكري في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، باستثمار أسواق البحر الأبيض المتوسط والطرق التي كانت تخضع للتجار المسلمين واليهود سابقاً. وذلك بفضل التقدم، أما الطرق البحرية الممتدة على طول الطريق الرئيس شرقاً وغرباً، والتي كانت مجالاً للتجارة الإسلامية واليهودية فقد استولى عليها الأسطول المسيحي أو أنها انتقلت إلى طرق الشمال حيث

انتقلت الأعمال التجارية بعيداً عن المرافىء الإسلامية، وإن اندماج جزر البحر الأبيض المتوسط (بما في ذلك باليريك Balearics وكورسيكا، وسردينيا وكريت) في المجال المسيحي اللاتيني سمح للسفن الايطالية والفرنسية القتالية بالسيطرة على طرق سريعة وآمنة على امتداد شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشمالية متحاشية بذلك الصخور السطحية والريح العكسية على شواطئ أفريقيا الشمالية[15]، وفي غضون ذلك، فإن نمو المدن والسكان والمصالح التجارية في إيطاليا وجنوب فرنسا وقتلونيا قد خلق ملكيات مشتركة جديدة في تجارة البحر الأبيض المتوسط. ولقد ازدهرت أعمال هؤلاء التجار بسبب فرص التجارة الناشئة التي ظهرت بسبب بدء مطالبة المستهلكين الأوروبيين الشماليين بالسلع المتوسطة، كما أصبح الباعة أكثر وعياً أو إدراكاً للصناعات والتصدير الأوروبي، وقد جلبت الفتوحات المسيحية الإسبانية في شبه الجزيرة النهاية للحكم الإسلامي في الجنوب بمعظمه خلال النصف الأول من القرن الثالث، فقد سيطر فرديناند الثالث Ferdinand III صاحب قشتالة على قرطبة في سنة 1236 وعلى إشبيلية في سنة 1248، بعد أن سبق وانتصر جده في لاس نافاس، من أعمال تولوزا في سنة 1212، وفتح جيمس الأول James I صاحب أراجون ملورقا Mallorca بين 1229 . 1230 وفالنسيا في 1238، وأعطى التوحيد السياسي والتوسع اقتصاداً وسكاناً وأراضي جديدة وثوباً جدياً لحكام الشمال المسيحيين. وقد حكم فرديناند الثالث قشتالة وليون موحدتين في أواخر 1230، في حين اندمجت أراجون وقتالونيا وفالنسيا مع تاج أراجون، ولم يبق في يد المسلمين من السلالة الناصرية سوى مملكة غرناطة محاصرة من الجنوب بشاطئ جبل طارق وشرقاً بالماريا وتمتد شمالاً إلى سييرا نيفادا.

---

(15) J. Pryor's Geography, Technology, and War: Studies in the Maritime History of The Mediterranean, 649 - 1571. Cambridge, 1988.

إذا كان من السهل نسبياً القبول بواقع أساسٍ للتبدل من السيطرة المسلمة إلى المسيحية في عالم البحر الأبيض المتوسط، فالأصعب هو إيجاد تفسير لهذا التحول، فمن صف النظريات الفجة القائلة بالتفوق الثقافي إلى فرضيات ذكية تُدخل مختلف التطورات الإوالية، أو التكنولوجية والزراعية، والبنية السياسية والعسكرية، والميزان التجاري والمادي أو البشري ثم رد الفعل تجاه هذا التبدد أو الموات الأسود. Blak Death ويوجد كثير من التفسيرات الاقتصادية بما فيها ملاحظة أو إدراك لوبيز Lopez لثورة اقتصادية، قامت في أوروبا بين 950 ـ 1350 تفترض أن سبب التبدل يرجع إلى ظهور شيء جديد في الغرب المسيحي في هذا الدور[16]. فهناك بعض التوحيد أو التركيب في التطورات الأوروبية الداخلية، وثمة طاقة غربية جديدة انطلقت، ونمو تجاري وزراعي ومدني دفع إلى تفوق اقتصادي وعسكري في البحر الأبيض المتوسط. وهناك نظريات أخرى، نذكر منها لأبي اللغد الذي يرفض هذه النظرة الأوروبية، مفضلاً مكانها تطورات في أماكن أخرى من عالم العصور الوسطى، وهي التي خلقت موقفاً أوصل في النتيجة إلى خلق السيادة الأوروبية، في أواخر القرن الرابع عشر. ومن هذا المفهوم أو الإدراك، فإن صعود أوروبا إلى السلطة لم يكن له علاقة أو لا شيء يربطه بشيء أوروبي متأصل فيها، بل بعقبة أو عائق، ونقص في الحيوية اللازمة في مكان آخر[17]. ولكن ما من نظرية تضمنت دور شبه الجزيرة الإيبرية، بموقعها على الحدود الإسلامية المسيحية وتحكمها الخطر بمضائق جبل طارق، كمساعد في شرح سبب التبدل في الميزان الدولي. إن تحليل التجارة

---

(16) R.S Lopez, The Commercial Revolution of The Middle Ages 950 - 1350. New York, 1971.

(17) J. Abu - Lughod, Before European Hegemony, The World System A.D 1250 - 1350, Oxford, 1989.

الإيبرية الدولية قد أمسك بالمفاتيح، وليس بأجوبة تامة عن مشكلة تغير الميزان الاقتصادي والميزات العسكرية. كما يقدم هذا التحليل منظوراً جديداً لصورة أخرى مألوفة ومباشرة عن البلاد التي أهملها العلماء المعاصرون بتجارتها أو بدونها بصورة ملفتة للنظر، وثبتوا صورة متناقضة عن إسبانيا كعنصر هامشي في عالم العصور الوسطى. ونُظر إلى تاريخ إيبريا وكأنه مجتزأ من مجرى التاريخ الأوروبي الوسيط، ولم يكن مركزاً في اهتمامات المؤرخين من دارسي العالم الإسلامي. وبعد قدوم الإسلام وقعت شبه الجزيرة في صورة وصفية تاريخية لبلاد وكأنها دون سكان أو أراضٍ نائية، وقعت بين مجالين أو ساحتين متصارعتين. واتجه مؤرخو العصور الوسطى إلى التركيز على العزلة، والاختلاف والطبيعة الفريدة لإسبانيا دون البحث عن دمجها أو تكاملها داخل مُركّب أوسع. وتتوقف نصوص كتب أوروبا العصور الوسطى على تغطية الأحداث عند جبال البيرينيه (ربما مع إشارة إلى الحج في كومبوستلا Compostela، حتى أن أعمالاً مكرسة للمواجهات بين المسيحية والإسلام تتجه إلى إهمال التخوم الغربية، بعد إشارة مقتضبة إلى بواتيه Poitiers ورونسفال Roncevalles والمترجمين في طليطلة Toledo. وبالمقابل، فإن تألق ثقافة الأندلس، قد أوصلته بصورة مألوفة، إلى مكان للحنين الوطني في نصوص كتب التاريخ الإسلامي، أما الفصل القصير عن إسبانيا المسلمة، فيبدو غالباً، بصورة غير لبقة مطعماً في كتابٍ كُرِّس، بطريقة أخرى، إلى مسائل أو أمور الشرق الأدنى، حتى أن الكتب التي تبحث عن التأكيد على «نظام عالمي» في العصور الوسطى، تُبعد شبه جزيرة إيبريا عن الاندماج أو حتى الاتصال بمناطق أخرى[18]، حيث يبدو هذا

(18) انظر على سبيل المثل خارطة أبو اللغد لنظام العالم في القرن الثالث عشر قبل السيطرة الأوروبية Abu - Lughod, Before European Hegemony, P, 34.

بصورة جلية. ويجب الانتظار إلى عصر متأخر وحسب، حيث أدرك برودل Braudel من خلال نظرته إلى «عالم البحر الأبيض المتوسط» حيث ظهرت إسبانيا كعنصر متحد أو مندمج في المشهد المتوسطي الأوروبي.

ويبدو هناك عاملان إيبريان ممكنان ساهما في صنع هذه الرؤية لعالم متوسطي متعانق ومطوق في القرن السادس عشر أكثر مما كان عليه في القرن الثاني عشر. الأول وهو أن شبه الجزيرة الإيبرية، لم تعد بين، أو في ما بين، بل أصبحت جزءاً من أوروبا، والثاني: أن استيلاء العواهل الإيبريين المسيحيين على مضائق جبل طارق، أخذ بعين الاعتبار الوحدة البحرية لشمال أوروبا والبحر الأبيض المتوسط.

وقبل الانتصارات المسيحية في إسبانيا كانت هذه الوحدة مستحيلة، وبعد أنجازها، ظهر نظام تجاري شمالي جنوبي جديد تماماً، وكانت شبه الجزيرة على طرفه الجنوبي.

إن الانتصارات المسيحية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر وأوائل الثالث عشر قد خربت محور التجارة المتوسطية المسلمة، بل شقت طريقاً لإعادة تنظيم شبه الجزيرة الإيبرية مع أوروبا ولفتح الاطلنطي. ولقد كان الأندلس قطراً مسلماً وثغراً غربياً من عالم امتد شرقاً إلى ما بعد الهند، خلال خمسة قرون تقريباً أو من 716 . 1212م تماماً. وكانت مراكز الحياة الأندلسية في البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى مع العلماء المرتحلين إلى بغداد والقاهرة ورجال أعمال يتاجرون مع الاسكندرية وتونس، ويوجه الحج طريقهم إلى مكة والقدس، وبعد أواخر القرن الثالث عشر، عاد المجتمع والاقتصاد الإيبريين ليتركزا شمالاً نحو الأطلنطي وشمال أُوروبا، وتوقف الأندلس عن الوجود، وصارت شبه الجزيرة مجالاً مسيحياً واسعاً وجديداً، جاراً جنوبياً تواقاً إلى الثقافة

الأوروبية ومجالها التجاري، ومكتشفاً وجهة جديدة نحو باريس وبروج Bruges ولندن، وجنوى وروما. وقد ظلت شبه الجزيرة جزءاً من عالم المتوسط. والجديد هو أن سواحلها الأطلنطية أخذت منحىً واتساعاً جديدين حيث وصلت الطرق البحرية المتوسطية بمدن باي Bay وبيزكاي Biscay وبحر الشمال. وفي الوقت ذاته حول تجار العالم الإسلامي أعمالهم الدولية شرقاً نحو البحر الأحمر والمحيط الهندي بعيداً عن البحر الأبيض المتوسط ومحوره. وقد تغيرت وظيفة أو عمل الأسواق الإيبرية مع فتح الأطلنطي وإعادة تنظيم التجارة لشبه الجزيرة وتوجيهها نحو أوروبا. وخدمت الأسواق الأندلسية التجار المحليين والأجانب معاً، وصدرت أنواعاً كثيرة من السلع، واستوردت البضائع الشرقية، وتوظفت كمراكز عبور تجارية واصلة التجارة المسيحية مع نظام البحر الأبيض المتوسط في آن واحد. وبالمقابل فإن التجارة بين شمال أوروبا وأسواق قشتالة وأراجون وغرناطة، كانت أقل توازناً في القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر، وخلال هذا العصر، فقد تقسمت تجارة شبه الجزيرة بين مناطق تجارية مختلفة، مع تلك الجنوبية المراقبة من قبل تجار أجانب بصورة تامة. وصار اقتصاد شبه الجزيرة تابعاً لاقتصاد أوروبا الشمالية على نطاق واسع. ولم تتأخر إسبانيا عن إنتاج مواد خام متنوعة، وسلع مصنعة، ولكن عوضاً عن صادرات شبه الجزيرة، اختصت بعدد معين من المواد التي جُهزت لمقابلة الطلب الخارجي (وغالباً ما أُنتجت للمنافسة مع أنواع أرقى من أماكن أخرى) وتابع المستهلكون الإيبريون، في الوقت نفسه، الطلب على سلسلة واسعة من المستوردات من شمال أوروبا ومن البحر الأبيض المتوسط على حد سواء، وبقيت الموانئ الإيبرية الجنوبية تعمل كأسواق للسلع والتحويل، ولكنها لم تكن محطات رئيسة لوقت طويل، ولم تكن لتسيطر على تجارتها الخاصة، ولم تُفد، خلال القرن الرابع عشر، سوى كمراكز رئيسة للمراكب العابرة على طول الطريق بين

المتوسط والأطلنطي. وقد ازداد التناقض أو ازدواجية شبه الجزيرة بصورة ساخرة في أواخر العصور الوسطى وغدت أقل اندماجاً مع الاقتصاد الأوروبي في القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر مما كانت عليه التجارة الأندلسية داخل العالم الإسلامي، من القرن العاشر إلى الحادي عشر.

وأصبحت شبه الجزيرة الإيبرية الآن جزءاً في أقصى الطرف الجنوبي للعالم المسيحي الغربي، ولكن ليس جزءاً كاملاً من أوروبا.

الفصل الثاني

الأندلس داخل شبكة البحر الأبيض المتوسط

الجغرافيا والطرق والاتصالات قبل القرن الثالث عشر

جغرافية الأندلس وموانئه:

إن الجغرافية والطرق وأشكال الاتصالات هي التي تمسك بالمفتاح لفهم دور الأندلس داخل شبكة تجارة البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، فقد كات شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشمالية جزءاً من عالم التجارة الشاطئية المسيحية، في حين كانت الشواطئ الجنوبية بأيدي المسلمين حتى أوائل القرن الحادي عشر وكانت شبه جزيرة إيبريا، وهي واقعة غرب البحر الأبيض المتوسط، واحداً من هذين المكانين بالإضافة إلى أفريقيا عن طريق صقلية، حيت التقت مراكب المسيحيين والمسلمين. وهكذا اتحدت مجموعة مميزات لتصبح المنطقة كشريك احترابي استراتيجي في تجارة المتوسط خلال العصور الوسطى. وهذه المميزات هي: أولاً، دورها كجبهة تجارية، ومنطقة عبور بين المجالين التجاريين الإسلامي والمسيحي. ثانياً، موقعها الجغرافي الكامن وراءه استفادة أو سيطرة على هذه التجارة؛ وأخيراً استهلاكها الاقتصادي الخاص وإنتاجها.

إن معظم المسالك التجارية من وإلى الموانئ الأندلسية تتكل على الطرق البحرية. وباستثناء وضع التجارة الأندلسية مع ممالك إسبانيا المسيحية شمالاً، والتي تقدم برهاناً مهماً على وجود شحن بري، كان التجار من مناطق أخرى من العالم الإسلامي وجنوب أوروبا يجعلون طريقهم في كثير من الأحيان إلى الأندلس ومنه بحراً. وكان بحارة العصور الوسطى يفضلون أن تبقى مراكبهم ملازمة للشاطئ، لأنها الأسلم والأنسب من طرق الشمال والجنوب، بين شمال إيطاليا وجنوب فرنسا وبين شمال أفريقيا الذي يقع على طول الشواطئ الإيبرية، مروراً من بحر بالريك Balearic، لأن شكل وهيئة شواطئ الأندلس الأرضية مناسبة جداً، وكأنها قناة ملاحية. والواضح أن هذه الطرق لم تتبدّل على طول هذا الشاطئ عبر زمن السيادة الإسلامية. فقد وصف الجغرافي ابن حوقل، في القرن العاشر، هذه الطرق الساحلية في كتاباته عن أوروبا الجنوبية، كما أن المؤرخ أحمد الرازي المعاصر له قد لاحظ بدوره أنه للوصول إلى الأندلس من جهة أوروبا، كان من الضروري المرور عبر قناة بين مالوركا Mallorca والبر الرئيسي[1]. وفي أوائل القرن الثاني عشر، وعندما بدأ التجار الايطاليون بلعب دورٍ في تجارة الأندلس، فإن المراكب الشراعية لجنوى العائدة إلى موطنها من الماريا قد وضعت خارطة مسلك يعبر بين برشلونة وجزر باليريك[2]. وفي أواخر القرن، تبع الرحالة الأندلسي اليهودي بنيامين التوديلا Benjamin of Tudela مسلكاً بحرياً مشابهاً ومثله فعل الانجليزي روجر هوفدن Roger Hoveden سنة 1190[3].

---

(1) Ibn Hawqal, Kitab Surat al-ard, ed. J.H Karmers, Leiden, 1938, P.194; Razi. «La Description de l'Espagne», d'Ahmad al-Rāzī, trans. E. Lévi Provençal, al-Andalus 18, 1953, p. 60.

ابن حوقل كتاب صورة الأرض، «وصف اسبانيا» أحمد بن الرازي.

(2) Petrus Guillelmus. Miracula beati Aégidi, ed. P. Jaffe. MGH Scriptores (in folio) Hanover, 1856, XII p. 321.

(3) Benjamin of Tudela, «The Itinerary of Benjamin of Tudela» Trans. M. N. Adler, Jewish Quarterly Review 16, 1904. p.p 467-70; Roger of Hoveden, Cronica. ed. =

إن السيطرة على طريق الجزر هذا وجزر باليريك الذي يحدده، كان خطيراً وحاسماً في تطور المسلمين، والملاحة التجارية المسيحية متأخراً[4]. إن القناة أو الطريق البحرية بين باليريك والبر الرئيسي قد أشرفت على إرشاد ومراقبة ملاحتها، زوارق فالنسيا ودينيا وبرشلونة ومالوركا. ومن الضروري للقوى البحرية الأخرى أن تستعلم وتستأذن عبورها إلى الطرق المائية. «كان الأندلس يمتلك عدداً من الموانئ البحرية العظيمة على شواطئه الأطلنطية والمتوسطية» كما كتب الرازي «أحمد» أنه كان «يؤم هذه الموانئ مراكب عديدة حاملة البضائع على متنها، وناقلة بعيداً سلعاً مشتراة من أسواق إيبريا»[5]. وكانت موانئ الأندلس متموضعة جيداً للاستفادة من التجارة عبر بحر باليريك، وبحر البوران Alboran ومضائق جبل طارق.

وكان لرحالة البحر على طول شاطئ شرق وجنوب الأندلس اختيار واسع بين المرافئ التي يتوقفون فيها للتجارة، والتمون والاصلاحات، أو المبيت، أو من أجل معلومات تجارية. وكانت المدن تضم، بصورة عامة، أفضل الأسواق من أجل الأعمال التجارية الدولية. وهناك واقعة مدونة في نوادر القرن الحادي عشر يرد فيها أن تاجراً عزبياً نصح ابنه أن: «خذ بضائعك إلى المدن الكبرى حتى إذا اعتقدت أنك ستبيع فيها بأرخص»[6]. وكان من بين أهم الموانئ الإيبرية في العصر الوسيط التي عملت باتجاه الشمال من سواحل البحر الأبيض المتوسط، واعتباراً من جبل طارق هي:

= W. Stubbs. London. 1868 - 71 III, p.p. 46 - 52.

وقد تبع روجير طريقاً مطابقة لما عثر عليه في الجغرافيا العربية، وفي الواقع، أن هذه الطريق هي تقليدية، بحيث اقترح ج. فيرنيه J. Vernet أن روجير قد اقتبس وصفه من نص أقدم من أصل اسباني ـ عربي La Cartografia nautica Madrid: MDI 1,1953, P.67.

(4) J. Pryor. Geography, Technology, and War, Cambridge, 1988, p.p. 109-110. J.Ruiz Domenec. "Ruta de las especias ruta de las islas: apuntes para Una nueva periodizacion" 1980, p.p. 689 - 97 من أجل أهمية طرق الجزر.

(5) Rāzi «Description» و(ترجمة انجليزية من الفرنسية من العربية) Lévi - Provençal P.63

(6) Petrus Alfonsi, The "Disciplina clericalis" of Petrus Alfonsi. Trans. P.R Quarrie London, 1977, p. 135.

الجسيرس Algeciras وملقا والماريا وقرطاجنة Cartagena والكانتي Alicante ودينيا وفالنسيا وكانت إشبيلية إلى الجنوب الغربي مع منفذها إلى الأطلنطي، قد هيمنت على الشاطئ الغربي ومضائق جبل طارق، وكان الاستخدام البحري والشعبية التجارية لهذه المرافئ المختلفة، يتقلبان عبر الزمن، لكن بقي بعضها ناشطاً طوال العصر الإسلامي.

كانت الماريا أول ميناء متوسطي لمسلمي إسبانيا، وقد وصفت من قبل جغرافي عربي في القرن الحادي عشر «كمفتاح» لتجارة الأندلس(7). ولم تعرض أهمية الماريا البحرية من خلال وصف مسهب في الأدب الجغرافي وحسب، بل وصفت في حوليات عربية ولاتينية ورسائل تجار يهود في مجموعة رسائل جينيزا في القاهرة(8). لقد أُسس اقتصاد المسلمين في الماريا على الصناعات والتجارة البحرية وإنتاج الحرير وسبق أن حرر الرازي في بداية القرن العاشر أن الماريا كانت ورشة لبناء السفن وحياكة الحرير(9). وبالنظر لأهمية الشحن البحري الماري فقد كتب أحد الشعراء الأندلسيين: «سئلت إذا [المدينة] لها سبل كي تعيش فأجبت: [نعم] إذا ما هبت الريح!»(10). وقد أنهت المدينة قمة نجاحاتها التجارية في القرنين الحادي

(7) Ibn Ghālib. «Naṣṣ-andalusi jadid qat'ia min Kitab Farḥa al-anfūs li-Ibn Ghalib» ed. L. Abd al- Badi, Majalla ma'had al-makhṭūṭat al-'arabiya I, 1955, p. 283.
ابن غالب، نص أندلسي جديد، قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب.. تحرير عبد البادي، مجلة معهد المخطوطات العربية.

(8) اختيارات مختصرة لدراسات حديثة عن الماريا تتضمن عملاً طويلاً لـ: J.A. Tapia Garrido musulmana, Almaría, 1986. وهناك كشف أقصر من قبل أ.أ. سليم A.A. Salim تأريخ مدينة الماريا الأندلسية.

Ta'rikh madinat al-Máriyya al - Andalusiyya; Alexandria, 1984. E. Molina López "Algunas Consideraciones Sobre la vida socio - économica de Almaria en el siglo XIX Primera mitad del XI y "Actas del IV Coloquio hispano - tunecino Palma, 1979, Madrid, 1983, p.p. 181 - 96. L. Torres Balbas «Almeria Islamica» Al-Andalus 22, 1957, P.P. 411 - 53.

(9) Razi «Description» p.67.

(10) Himyari, La Péninsule ibérique au moyen âge d' après le "Kitāb ar-rawd al-mi'ṭār fi khabar al-akhtār: ed. E. Lévi - Provençal, Leiden 1938, p. 183.
حميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ـ ليدن.

عشر والثاني عشر، حيث أن رسائل جينيزا قد أظهرت بوضوح وإسهاب أهميتها كمرفأ دولي. وتذكر رسائل عدة بضائع مشحونة بالسفن في الماريا، أو تشير إلى وصول مراكب منها إلى مصر(11)، وكتب المقري أن: «المراكب ملك لتجار مسلمين وغير مسلمين» دُعوا إلى الماريا بين 1069 و1091، وبالمثل فقد ذكر الجغرافي العذري (ت 1085) أن «المراكب تصل إلى مينائها وتغادر منه إلى المغرب وبقية أنحاء العالم»(12). وفي القرن القادم، يقرر الإدريسي (نحو سنة 1154) أن المراكب ترسو في الماريا قادمة من الاسكندرية وسورية، وهناك جغرافيون آخرون قد أكدوا معلوماته.

وكتب الزهري (في أواسط القرن الثاني عشر) مسمياً الماريا «مرفأ الأندلس» حيث ترسو فيه السفن قادمة من المشرق والاسكندرية، أضف إلى ذلك أن المدينة كانت [قيصرية] الأندلس وحوض بناء السفن، في حين يذكر ياقوت (ت 1229) «أن التجار ينزلون [من الماريا] وهنا، تصل مراكبهم وتتعاطى التجارة».

أما السقطي (غالباً ما كتب بين 1210 . 1220) فقد ذكر أن الماريا كانت مرفأ الاعلان أو المناداة «للتجارة والرحالة»(13).

---

(11) على سبيل المثال: TS 13. J16; Ts 8 J20.2; Ts 8 J18, 1; Bodld 74. 41.

(12) Maqqari, Nafh al-ṭib min ghuṣn al-andalus al-raṭibs, Cairo, 1949, v, p.110;

المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. وحول تاريخ العرب في إسبانيا (بالفرنسية):

Analectes sur l'histoire et la littérature des arabes d'Espagne, ed R. Dozy, Leiden, 1855 - 60 p.p. 386 - 7. 'Udhri "Nuṣûṣ 'an al-andalus" [in tarḍi' al-akhbar watanwi' al-'athar. ed .A.A Ahwani, Madrid, 1960, p.p 85 - 6.

عذري : نصوص عن الأندلس، في ترصيع الأخبار وتنويع العثار.

(13) Idrisi, opus geographicum. v, Rome - Naples, 1975, P. 562; Zuhrī "kitab al-dja'rafiyya" (كتاب الجغرافيا) ed. M. Hadj - Sadok, Bullettin des études orientales 21, 1968, P. 206; Yaqūt Mu'jam al-buldan, Jacut's Geographisches worterbuch, ed. F. Wüstenfeld, Leipzig, 1873, IV, P.517; Saqaṭi, Kitāb al-faqīh al-ajall al-'alim al-'arif al-awhad.

السقطي: كتاب الفقيه الأجل العالم العارف الأوحد، ومقدمة بالإسبانية عن الحسبة eds. Colin and E. Lévi-Provençal, Paris, 1931. p.55.

ويأتي بعد الماريا مدينة ملقا Malaga إذ ازدهرت جراء تجارتها الدولية، وموقعها المرغوب، خاصة كملجأ للمراكب التي تنتظر الرياح المناسبة للابحار الشراعي غرباً عبر جبل طارق باتجاه اشبيلية، وقد لاحظ الاصطخري أهمية سفنها وتجارتها في القرن العاشر ثم يذكر الإدريسي أن «أسواقها مزدهرة وتجارتها لها مبيعات [جيدة] ولها امتيازات كثيرة»(14). ويقع على الجانب الشرقي من ساحل الأندلس مرفأ دينيا Denia وكان لها تجارة مع باليريك وعبور من وإلى شرق المتوسط. أما كاتب السيرة ابن الأبّار فقد ذكر عالماً من دينيا أدى مناسك الحج في بواكير القرن الحادي عشر، وذكرت رسائل جينيزا وصول المراكب إلى الاسكندرية، قادمة من دينيا خلال 1060 و1071(15). وكتب المؤرخ اليهودي ابراهام بن داوود في الزمن نفسه تقريباً: كانت دينيا معمورة بالكامل، ملكت السيادة على البحر(16). وكتب الإدريسي لاحقاً: «ترحل المراكب إلى هذه المدينة وكثير منها بني فيها (في دينيا) فقد كان هناك حوض لبناء السفن وتغادر المراكب من هنا للغزوات، ومراكب أخرى ترحل من هنا إلى المشرق البعيد»(17).

وقد ذكر واحد من مثل هذه المراكب في رسالة أرسلت من الاسكندرية إلى القاهرة القديمة سنة 1156 حيث قال: «لقد وصل المركب القادم من دينيا، حاملاً ما تبقى من بضاعة، منها الحرير والعطارد أو الزئبق»(18).

---

(14) Iṣtakhrī, kitāb - al -masālik wa al-mamalik, ed. M.J. de Goeje, B G A, 2 nd edn, 1, Leiden 1967, p. 42; Idrisi, Opus, v, p. 565. الاصطخري، كتاب المسالك والممالك.

(15) Ibn al-'Abbar, Kitāb al-takmila li-kitāb al-ṣila, ed. F. Codera, BAH, v. Madrid, 1886, p.118 # 409; TS 13, J16, 19 and TS 10 J 16. 17. ابن الأبّار، كتاب التكملة لكتاب الصلة.

(16) Abraham ben Daud, Sefer ha-qabbalah, Trans. G.D. Cohen, Philadelphia, 1967, p.p. 82 -3. (بالعبرية)، كتاب التقاليد

(17) Idrisi, Opus, v, p. 557.

(18) T.S 10 J 14, 16.

ويقع شمال دينيا، مدينة بالنسيا Valencia التي غدت ميناء مهماً في عصر دول الطوائف، وخدمت المدينة كمركز لتجارة ساحل الأندلس، ومنفذ للزراعة المحلية الفنية، ولكن البراهين التي تشير إلى مساهمتها في الملاحة مباشرة إلى المغرب أو المشرق في العصر الإسلامي هي قليلة، ومن المحتمل أن المدينة شاركت في التجارة على طول الشاطئ الشرقي باتجاه باليريك، ثم جنوب أوروبا مؤخراً. ومن المؤكد أن ابن حزم (ت 1064) قد أراد الارتحال بسرعة من الماريا إلى بالنسيا، وقد ذهب بالمركب[19]. وبالرغم من أن بالنسيا لم تظهر في رسائل جينيزا فقد ذكر الإدريسي أن المدينة تضم كثيراً من التجار... وفيها أسواق ونشاط تجاري: انطلاق ووصول [المراكب؟] إلى المدينة[20]. وعند وسط القرن الثاني عشر، أدخل التجار الجنويون بالنسيا في دورتهم التجارية، وتشير عقودهم إلى أن المدينة قد خدمت كمنفذ للبضائع الأندلسية المصدرة إلى الموانئ المسيحية على طول حافة البحر الأبيض المتوسط الشمالية الغربية.

إن موقع ملقا والماريا ودينيا وبالنسيا والقرى الصغيرة على طول البحر الأبيض المتوسط قد منح هذه الموانئ أهمية مزدوجة للأندلس كسوق وأماكن للتوقف على طول مسالك البحر الأبيض المتوسط. بالمقابل فإن الموقع الجغرافي لمدينة سيفيل أي إشبيلية، وهو أضخم مرفأ غرب مضائق جبل طارق، أدى وظائف متنوعة. إذ إن السيطرة على الموانئ في غرب المضائق يسمح بالتحكم بالمرور عبر المضائق ذاتها، وهو ما جعل من إشبيلية مدينة استراتيجية احترابية. فقد غدت عاصمة الأندلس في زمن حكم المولدين. وبالنتيجة فإن استيلاء المسيحيين على إشبيلية سنة 1248 هو إشارة التوسع

---

(19) ابن حزم، طوق الحمامة، Ibn Hazm, Tawq al-hamama, ed. T.A. Makki, Cairo 1975, P. 156. Alfonso X's Primera cronica general de España.

قال أنها ترجمت من مؤلف بالنسي ابن القما (1036 . 1107) الذي أطرى على أهمية اقتصاد مرفأ بالنسيا.

Ibn al- Qama (ed. R. Menéndez Pidal, Madrid, 1906, reprint 1977, II. p.578.

(20) Idrisi, Opus, v, p. 556.

الأقصى للقشتاليين Castilian في القرن الثالث عشر، وليس سقوط قرطبة قبل اثنتي عشرة سنة.

وللوصول إلى إشبيلية من المتوسط، على المراكب الشراعية أن تبحر غرباً باتجاه المضائق، وهي رحلة صعبة غالباً، بسبب صدِّ الريح والتيارات البحرية ما لم تكن المراكب مجهزة بالمجاذيف، أو كان عليها أن تلجأ إلى ميناءٍ جهة شرق المضائق بانتظار الريح المناسبة، فالعبور داخل الأطلنطي يمكن أن يكون بطيئاً وصعب المرتقى. وبالنسبة للمراكب القادمة من البحر الأبيض المتوسط فملاذها لوقت قصير، إلا إذا أرادت الانسحاب إزاء تهديد منتظر في جهة الاطلنطي[21]. ومع ذلك، فإن إشبيلية كانت وبصورة واضحة جزءاً من الشبكة العريضة لتجارة البحر الأبيض المتوسط الإسلامية، التي تفترض أن مراكب التجار مأذونة بالمرور بحرية عبر المضائق. ومن المحتمل أن بعض التجار قد وصلوا الأندلس عبر موانئ جهة الشرق، قادمين براً إلى إشبيلية، ومن ثم أخذوا مركباً من هنا من أجل رحلة عودة مريحة نسبياً نحو الشرق داخل المتوسط. ومن جهة أخرى لم تسيطر التجارة الإشبيلية على بعض النماذج أو الأشكال، إذ تبيِّن رسائل جينيزا أن إشبيلية كانت على اتصال مباشر مع شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الحادي عشر. فقد ذكرت رسالة من نحو 1060 ـ 1055 أن عبور مركب إشبيلي من الاسكندرية إلى الغرب ورسالة أخرى، في 1140 تقريباً، وهذا يدل على أنه كان من الممكن الابحار من جابس Gabes إلى إشبيلية بأقل من ثمانية أيام[22]، كما سجل ابن ميمون (ت 1204) ارتحال المراكب بين إشبيلية

---

(21) فيما يتعلق بتعقيدات المرور باتجاه الغرب عبر المضائق فقد وصفها:

A. Lewis "Northern European Sea Power and Straits of Gibraltar, 1031 - 1350 AD, : "Order and Innovation in the Middle Ages, Essays in Honor of Joseph Strayer, Princeton 1976, p.p. 139 - 65.

(22) T.S. 8J 27.2,

هذه السفينة تدعى «المركب الاشفيلي، وهي يجب أن تعني المركب الإشبيلي Sevillian». ومن الممكن أن لا يكون المركب من المدينة ذاتها. بل مجرد مركب تابع لتجارة إشبيلية في المشرق.

والاسكندرية[23]، وكان الجنويون يتاجرون مع إشبيلية في بواكير القرن الثالث عشر، كما كان القتلانيون Catalans يفعلون حتى سنة 1227.

وقد عُدت إشبيلية كـ «أحد أفضل موانئ الأندلس» برغم أن المدينة واقعة على بعد 15 ميلاً من البحر على نهر جوادلكيفير (Guadalquivir الوادي الكبير) [24].

وكانت أنهار أندلسية أخرى قد استثمرت للتجارة، ولكن نهر الوادي الكبير قد حمل الحجم الأعظم من السلع[25]. ولم تكن البضائع القادمة من أعلى النهر مرسلة لاشبيلية وحسب، بل إلى أسواقٍ داخل البلاد.

وكانت قرطبة واحدة من هذه الأسواق، فكانت عاصمة الأمويين واقعة على طول نهر الوادي الكبير، في أعلى المجرى من إشبيلية، وكما لاحظ الإدريسي، «من يريد الارتحال إلى قرطبة من إشبيلية [يمكن] أن يأخذ قارباً ويذهب إلى أعلى النهر»[26]. لقد كان النقل عبر النهر مصدر نعمة للمدينة، ويجلب المزيد من الأعمال إلى أسواق قرطبة أكثر من أي مدينة أندلسية داخلية. كانت قرطبة أعظم مركز مدني في شبه الجزيرة، وقد تغنى جغرافيو القرن العاشر بعظمة واتساع هذه الحاضرة. ووفقاً لابن حوقل، فـ«قرطبة» لم يكن لها نظير في المغرب أو في الجزيرة أو في سورية أو في مصر، ولا يدنو منها شيء بعدد سكانها واتساع أراضيها، ومساحة أسواقها، ونظافة سكانها، وبناء جوامعها، وعدد حماماتها وخاناتها». وعَلّق المقدسي

---

(23) Moses b. Maimon, Responsa, ed. Blau, Jerusalem, 1957, II, p. 576.

(24) Razi "Description" p.93.

(25) يذكر جغرافيون مسلمون عدداً من الأنهار الأندلسية الصغيرة، بما فيها ابرو Ebro تاجوس Tagus، ديور Duero، وجديانا Guadiana كشريانات تجارية، وكان كثير منها قابلاً للملاحة بقوارب صغيرة، وليس بسفن أو مراكب عريضة، ولكنها ظلت طرقاً مهمة للوصول إلى الداخل، ويذكر قانون فيزيجوتك Visigothic المصنف استخدام الأنهار الإيبرية في القرنين السادس والسابع.

(26) Idrisi, Opus, v, p. 574.

Muqaddasi، بصورة إيجابية على أسواقها ونشاطها التجاري المكثف، في حين لاحظ المسعودي وابن حيان كثرة المراكب الصاعدة والهابطة عبر النهر وعبر المدينة[27]. لقد كانت قرطبة الأموية محور المواصلات أيضاً. ذلك أن الطرق الأندلسية الرئيسة التي تمر عبر العاصمة، قد عزّزت الأهمية الاستراتيجية للمدينة من خلال حقيقة أن قرطبة كانت موقعاً على أفضل منصة أو جسر على النهر الكبير.

بالإضافة إلى ذلك كانت قرطبة مركزاً تجارياً مهماً داخل المجال التجاري الأندلسي، ولم تكن قط سوقاً دولية في مستوى إشبيلية أو الماريا، ولم توصف قرطبة على أنها ميناء، ذلك أن مرور النهر في الوادي الكبير قبل إشبيلية كان عبر مسالك للذهاب إلى البحر بالقوارب. ويبدو في النتيجة أن التجار الأجانب يأتون إلى قرطبة بأقل من المدن البحرية الأندلسية. وتصعد السلع في الوادي الكبير إلى العاصمة حيث تُشحن في قوارب نهرية صغيرة في إشبيلية، وغالباً ما كانت تسلم إلى تجار محليين في ذلك الزمن، وبعد زوال السلطة الأموية في بداية القرن الحادي عشر، تقلّص نفوذ قرطبة التجاري. وتصف المصادر المتأخرة المدنية باختصار مقدمة القليل من المعلومات التجارية بدل أن تسجل وجود الورش المتنوعة والأسواق والفنادق[28].

سفن النقل الأندلسي:

كانت موانئ المدن الأندلسية ذات أهمية خاصة للتجارة الدولية لأن

(27) Ibn Hawqal, kitab, P,III; Muqaddasi, Description de l'occident musulman au Ive = Xe siècle. ed. C. Pellat, Paris. 1950, p.p. 33 - 5; Ibn Ḥayyān, Muqtabis, II, ed. M.A. al Makki, Beirut, 1973. p. 19: Mas'udi Kitab at-tanbih wa al-ishrāf ed. M.J. de Goeje, BGA, 2nd, VIII Leiden, 1967, p. 68.

المسعودي، كتاب التنبيه والاشراف.

(28) Idrisi, Opus, v, p. 575; Himyari Péninsule, p.153: Yāqūt, Mu' jam, IV, p.p. 58 - 61 M.A. Khallaf. Qurtuba al - islamiyya, Tunis, 1984 ن، حول قرطبة زمن الطوائف، ي

معظم السلع والبضائع انتقلت من وإلى شبه الجزيرة بحُرية، وكان أي اتصال بعالم الاسلام يتطلب رحلة بحرية، وكان بعض التجار الأوروبيين يفضلون المجيء عبر المياه، وكانت الماريا وإشبيلية وموانئ الأندلس الأخرى شهيرة بأحواضها لبناء السفن وموانئها، وكذلك بمخازنها وأسواقها، وكانت تخدم كمراكز بحرية وتجارية. وقبل وصف الطرق البحرية التي تصل هذه المدن مع مناطق البحر الأبيض المتوسط سيكون من الأفضل النظر بسرعة إلى المراكب والسفن التي تسافر في هذه الطرق.

كانت معظم السفن التجارية المتوسطية مزودة بالأشرعة، وتميل إلى أن تكون واسعة، مدورة وأبطأ من القادس أو السفينة المزودة بالمجاديف والتي كانت تشكل الأساطيل البحرية، والقوادس من السفن هي بعكس السفن المدورة ذات هيكل طويل وضيق، ما يجعلها سريعة وفائقة المناورة وعمق جرها الضحل يجعلها غير مرغوبة للنقل أو الشحن أو الاستخدام في أعلى البحار، وكانت سفن التجارة أكثر ثباتاً، ومع ذلك كانت تتفادى رحل الشتاء. وكانت الأشرعة المثلثة مألوفة الاستخدام من قبل سفن العرب والمسيحيين في البحر الأبيض المتوسط زمن العصور الوسطى. وكانت هذه الأشرعة مفضلة لأنها متعددة الجوانب أو البراعات مع أن مساحتها لم تكن مجهولة. وهناك دراسات حول امتداد الرحلات التجارية، تفيد أن مراكبها تعتمد غالباً، وبصورة خاصة على الرياح كقوة دفع على الرغم من حقيقة أن بعض أنماط المراكب المتوسطية (وخاصة ما يدعى طريدة) قد صمّمت لاستخدام الأشرعة والمجاديف معاً، بينما كان استخدام الدفع بفضل الأشرعة، يُمكِّنُ من إدراة المراكب التجارية من خلال مجدافين للتوجيه في المؤخرة[29].

---

(29) A. Udovitch, "Time, the Sea and Society: Duration of Commercial Voyages on the Southern shores of the Mediterranean during the High Middle Ages, "La navigazione mediterranea nell'alto medioevo Spoleto, 1978, p. 517.

وقد وصفت سفن الشحن المتوسطية الوسيطة والتكنولوجيا البحرية من قبل:

Pryor, Geography, Technology, and War. E.H. Byrne, Genoese Shipping, in the Twelfth and thirteenth Centuries, Cambridge, Mass, 1930; B Kreutz, "Ships, =

وبالإضافة إلى معلومات عامة عن المتوسط وملاحته، يوجد أدلة على سفن الشحن الأندلسية من خلال مصادر متنوعة مكتوبة ومصورة معاً[30]، علماً بأن الأخيرة تميل إلى أن تكون مجرد معلومات. وعلاوة على ذلك، من الصعب التثبّت من المعلومات أو المصدر. فكثير من مقتنيات پيزان باتشيني Pisan bacini من أقراص الفخار المستخدمة للزينة المعمارية ترسم مراكب منها «إناءان» من صنع باليريك في القرن الحادي عشر، حيث يبدو مركب بثلاث صوارٍ وأشرعة مثلثة (في حالة واحدة، هي مؤخرة المركب وغير مزودة بشراع وصار) ولكل منها مؤخرة ضخمة ومقدمة منعطفة أو معقوفة. ونرى في أسفل القرص زورقاً بمجاديف وصارٍ مفرد، وربما يُحمل الركاب من أو إلى السفينة الكبيرة[31]. ومثل هذه السفن تلك التي أطلقها للملاحة ابن مجاهد حاكم دينيا (1044 . 1475) حيث تصوره وثائق جينيزا كمالك للسفن.

= shipping, and the implications, of change in the Early Medieval Mediterranean, "Viator 7. 1976, p.p. 79 - 107, R.W. Unger, The ship in the Medieval Economy (600 - 1600), London, 1980; A Lewis and T.Runyon, European Naval and Maritime History 300 - 1500. Blooming-on, Indiana, 1985.

(30) أعلم أنه لا يوجد معلومات عن سفن أندلسية عثر عليها إثر تنقيبات أثرية بحرية، ولكن المعلومات حول السفن المتحطمة ذات قيمة كبيرة لمعارفنا عن سفن الشحن الوسيطة في مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. إن استكشاف ياسي أدا Yassi Ada ومركب سيرج Serçe Liman من القرن الحادي عشر قد قدمت الكثير من المعلومات حول السفن في شرق المتوسط. وكان قد عثر على حطام سفينة عربية (من القرن العاشر غالباً) من قبل الفرنسيين قرب شاطئ كان Cannes. وقد عثر على كثير من حمولتها من الفخاريات، وكان لا يوجد برهان على صلتها بالأندلس ن:

M.J.P. Joncherey "Le Navire de Bataiguier" Archéologia 85, 1975, p. 43.

(31) يربط J.H. Pryor و D.Niclle هذه الأقراص البتشيني (Bacini) التي تصور مراكب لـ باليريك (Belearics أو لتونس احتمالاً). ن:

J.H Pryor, "The medieval Muslim ships of the Pisan Bacini".The Mariners Mirror 76, (1990 p.p. 99 - 113; D. Nicolle , "Shipping in Islamic Art; Seventh through Sixteènth Century AD. "The American Neptune 49, 1989, p.p. 172 - 173.

وبالعكس فإن G. Berti و L. Tongiorgi يذكران أن هذين البتشينيين غير صالحين وأنهما اسبانيان، ولا يذكران الـ باليريك:

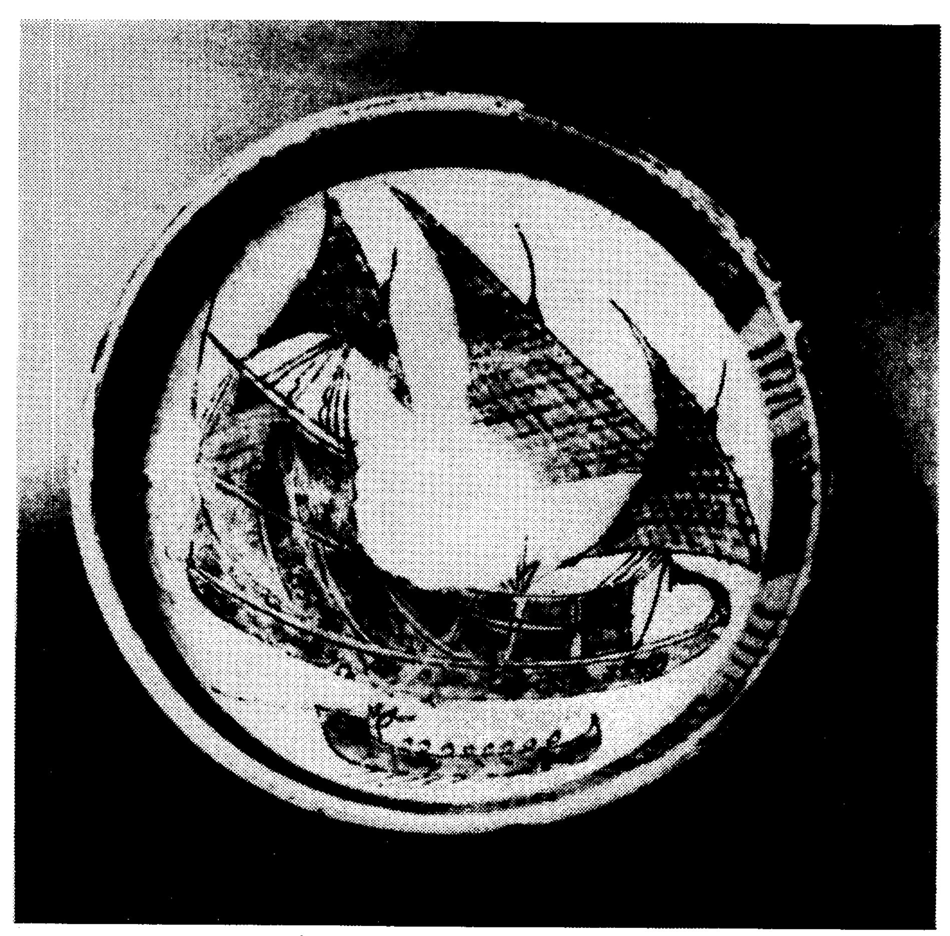
I bacini ceramici, medievali delle chiese di Pisa, Rome, 1981, p.p.191 - 192.

وتقدم الوثائق العربية تعابير بحرية كثيرة، وأسماء تكنولوجية للسفن التي نقلت التجار بين الموانئ الأندلسية، ومناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. وغالباً لا يمكن تحديد نمط وشكل المركب من خلال استخدام التعبير لوصفه وحسب. ذلك لأن المؤلفين المحليين (المغفلين أحياناً) لم يكونوا دقيقين في استخدام التعابير الوصفية، وعلينا أن نعرف ببساطة تطبيقاتها الدقيقة بالتعبير البحري. وتذكر المصادر الإسلامية الأندلسية أنواعاً من المراكب، فمن خلال عينة تتعلق بتأجير المراكب، ذكر القانوني الجزيري Jaziri (ت 1189) تعابير مختلفة هي: شاني خراق Shani, Kharraq ودغيّاص Dughaiyas وزورق Zawraq وتعني بالتسلسل: قارباً أو فِلُوكه أو مركباً شراعياً، أو مركب نقل أو اسْكِفاً[32]، أي مركباً صغيراً ذا مجاديف! وهكذا لم يفرق النص القانوني بين هذه التعابير، وزيادة على ذلك تتنوع أسماء المراكب عبر الزمن وفي المكان، وهكذا فإن الكلمة المخصصة لمركب شراعي كبير في أحد الموانئ قد تعني، برجاً[*]، والبرج قد يعني قارباً صغيراً. وكان يستخدم، من خلال الأدوات العربية واليهودية العربية المتعلقة بالمراكب كلمات عامة هي مركب وقارب وسفينة، ولكن نعثر في النتيجة على أنماط أخرى من المراكب. وتذكر رسالة من جينيزا من سنة 1130 أن شختورة Shahtura وصلت إلى الماريا من الاسكندرية خلال خمسة وستين يوماً، على رأس مركبين شراعيين كانا قد تركا مصر في الوقت ذاته.

ويذهب جوتين إلى القول إن الشختورة تظهر دائماً في وثائق جينيزا، وكانت نمطاً أو شكلاً من البرج أو القارب المفتوح المسّير بالمجاديف والمستخدم في تجارة المتوسط خلال الصيف (وقد وصل هذا القارب

(32) Jaziri. Maqsud al- mahmud fi talkhis al-'uqud, Miguel Asin Institut. CSIC, Madrid, ms. 5. fol. 47v. For shani and dughaiyas see R. Dozy. Supplément aux dictionnaires arabes, Leiden 1881, I. p.p. 447, 717. جزيري مقصود المحمود في تلخيص العقود.

(*) في النص الانجليزي للمؤلفة Barge وهي عربية الأصل من برج وبارجة. المعرب.



قرص يُظهر صورة ثلاث سفن بالصواري، من باليريك، غالباً، القرن الحادي عشر
(Soprintendenza ai Beni Ambientale) (Pisa عمارة وفن وتاريخ في)

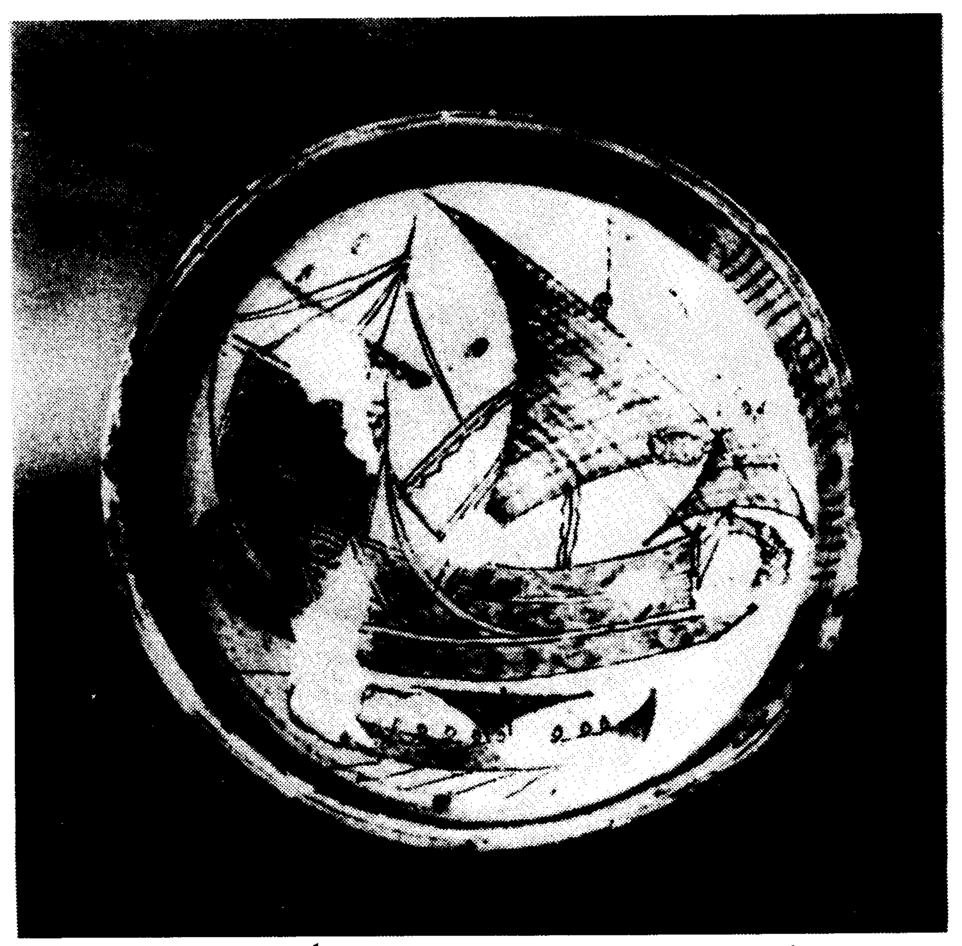
الخاص إلى إسبانيا في أوائل تموز) [33]. وفي مثال آخر، يبدو بَرْجاً قد أثبت مزيداً من القوة أكثر من مركب شراعي، عندما سافر الاثنان بمهمة بين طرابلس وإشبيلية في 1140 تقريباً، وغرق المركب الكبير. وهرع البرج لانقاذ الركاب التعساء[34].

ومع ذلك يبقى الشراع هو المعيار، فقد كان مسطرو رسائل الجينيزا

---

(33) Bodl d74.4I; S.D Goitein A Mediterranean Society, Berkeley, 1967-88, I. p.p. 305 - 325.

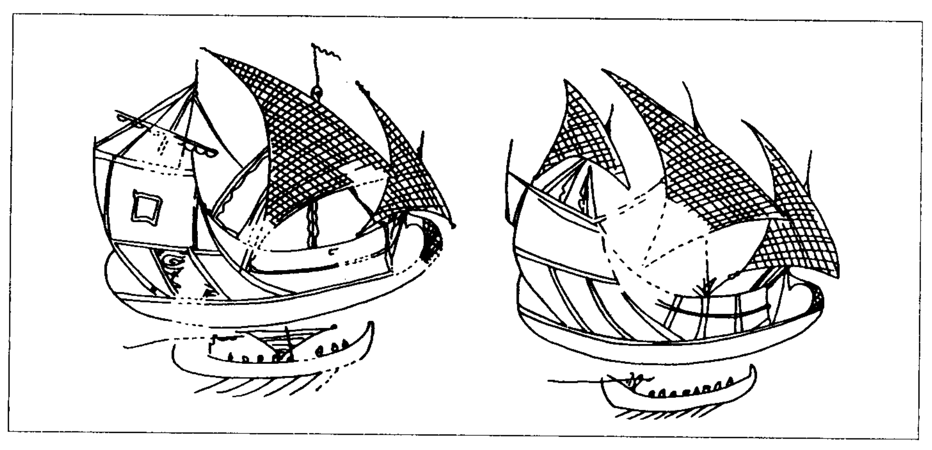
(34) TS. 16. 54. Goitein, Mediterranean Society, I, p.p. 305 - 6.



قرص يُظهر صورة ثلاث سفن بالصواري، من باليريك، غالباً، القرن الحادي عشر
(عمارة وفن وتاريخ في Pisa) (Soprintendenza ai Beni Ambientale)

يلاحظون حركة الرياح دائماً، كما في رسالة الاسكندرية التي تشكو أنه ما من مركب، «باستثناء واحد أندلسي كبير» قد وصل قبل شهر منذ أن صمتت الرياح ولم تهب «لا من الشرق ولا من الغرب»[35]. ومن الواضح أن الاستثناء المذكور هو أن مراكب التجار كانت تسير بقوة دفع الريح، وهناك مثال آخر، فقد كان يهودا هاليفي قد تأخر بضعة أيام في مصر منتظراً الرياح الغربية المناسبة كي تدفعه إلى فلسطين، وبالإضافة إلى أن المراكب المتوجهة

(35) S.D. Goitein, "The Unity of the Mediterranean World in the 'Middle' Middle Ages" Studia Islamica 12 (1960), p. 40.



رسم لسفينتين من بتشيني (بالإذن من د. نيكول D. Nicolle)، The American Neptune 49 (1989 P.172).

غرباً إلى إسبانيا وصقلية والمغرب قد سبق وانطلقت مع رياح شرقية مناسبة[36].

وقد تنوعت أحجام أو سعة مراكب البحر الأبيض المتوسط. وعندما يوصف مركب بأنه «كبير»، فلأنه كان يتسع لعدة مئات من المسافرين، وقد ذكر أسامة بن منقذ أن سفينة قد نقلت أربعمائة حاج من المغرب إلى شرق البحر الأبيض المتوسط في وسط القرن الحادي عشر[37]. وتؤكد رسائل جينيزا هذا الرقم اعتباراً من القرن التالي، وتذكر إحدى الرسائل أن مركباً سافر إلى إشبيلية وعلى ظهره ستة وثلاثون أو سبعة وثلاثون من اليهود وثلاثمائة مسلم تقريباً، وتشير رسالة أخرى إلى سفينة تحمل أربعمائة من الناس من باليرمو Palermo إلى الاسكندرية[38]. ويصف ابن جبير في هذا

(36) ULC Or 1080 J 258; S.D. Goitein, "The Biography of Judah Ha-Levi In the Light of the Cairo Geniza Documents, "Proceedings of the American Academy for Jewish Research 28, 1959, p. 55.

(37) Usamah b. Munqidh, Kitāb al-i'tibar (Ousama ibn Mounkidh, un émir Syrien au premier siècle des croisades, 1095 - 1188), ed. H. Derenbourg. Paris. 1886 - 93, 1. 2. p.61.

أسامة بن منقذ كتاب الاعتبار.

(38) Goitein Mediterranean Society, 1. p. 315.



مركب تاجر قشتالة Castil من القرن الثالث عشر (بالإذن من: التراث الوطني مدريد).

الزمن تقريباً، سفينة جنوية تحمل مئتي حاج مغربي إلى بلادهم من مصر[39].

ونعرف، إلى حد ما، أكثر حول المراكب المسيحية التي كانت تسافر من وإلى الموانئ الإيبرية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد صُوِّرت المراكب الإسبانية في Castilian Cantigas de Santa Maria في القرن الثالث عشر، الذي يضم عدداً من روايات التجار، والصليبيين أو الحجاج الناجين من المراكب الغارقة بمعجزات دينية. ويضم كذلك قصصاً أخرى تتعلق بالمراكب. وإن بعض السفن المصورة هي مدورة الشكل ومزودة بصاريين أو ثلاثة، ونشر فوقها أشرعة مربعة أو مثلثة، وهي الأخرى ذات مؤخرة ضخمة مرتفعة ومعقوفة ومجذاف توجيه خلفي[40]. ومن الواضح أن

(39) Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubair., trans. R.J. C. Broadhurst. London, 1952, p. 362.

(40) Boats are pictured in Cantigas numbers 9, 5, 23 , 35, 36, 65, 95, 112, 115, 172, 176, 183, and 193 See J. Guerrero Lovillo. Las Cántigas, estudio arqueológico de sus miniaturas, Madrid, 1949, p.p. 324-39. صورت المراكب ورقمت كما هو أعلاه.

هذه المراكب القشتالية هي من ذات التقاليد المعمارية البحرية ومثل مراكب باليريك الإسلامية المصورة في بتشيني. ويشير منظمو العقود أو كتاب العدل الجنويون إلى مراكب شراعية، وبصورة متعارف عليها بالتعبير العام Navis ونادراً بتعبير آخر هو Bucius(41)، وكان للمراكب الايطالية المدورة صاريان عامة، وأشرعة مثلّثة وعدة مستويات لاحتواء المسافرين والمشحونات(42).

وأخيراً كانت هذه المراكب متشابهة جداً مع المراكب المصورة Cantigas de Santa Maria وخاصة عندما كانت التجارة البحرية القشتالية تحت سيطرة الجنويين، زمن صنع هذه المخطوطة، وحتى نهاية القرن الثالث عشر، وكان تصميم المسلمين والمسيحيين للمراكب التجارية في البحر الأبيض المتوسط يحتفظ بمشابهات ولدت من ميراث مشترك. وقد تبدل هذا الأمر مع المراكب المسيحية في المتوسط بتبني مميزات الجهة المقابلة من أوروبا الشمالية ذات الأشرعة المربعة القوية.

الأندلس وشبكة التجارة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط

لقد ارتحل التجار وبضائعهم بعيداً عن موانئ الأندلس، وهناك براهين على اتصال تجاري اندلسي مع معظم مناطق عالم المتوسط. ولم يكن موقع شبه الجزيرة الإيبرية في التجارة العالية شيئاً جديداً؛ فقد كان عنصراً داخلياً في مجال التجارة الرومانية (وهو ما دعا بليني Pliny أن يطري على الأنسجة المصبوغة في مريدا Merida وصادرات إيبريا الأخرى)، وقد حافظت شبه الجزيرة على مستورداتها التجارية في زمن الفيزيجوت(43). وتذكر المصادر

---

(41) H. C. Krueger اقترح أن البتشيني استخدم في غرب المتوسط للتجارة والنقل إلى صقلية وإسبانيا وشمال أفريقيا. navale a Genova secondo metà del secolo XII., Genoa, 1985, p.p. 25 - 7.

(42) R. W. Unger, "Warships and Cargo Ships in Medieval Europe;" Technology and Culture 22, 1981, p.p. 236 - 7.

(43) حول دور إسبانيا في التجارة الرومانية انظر:

M.Grant, The Ancient Mediterranean. New York, 1969, p.p.264-5. Pliny, Natural History, ed. H.Rackham, Cambridge, Mass, 1983, Book Ix, Ixv, p. 258.

الإيبرية وجود تجار أجانب في أراضي فيزيجوت. وكتب جورجي صاحب تور عن وجود حركة سير بحرية بين إيبريا ومرسيليا[44]. ومؤخراً ذكر مصدر من أوائل القرن السابع أن «بعض التجار الاغريق قد جاؤوا بمراكب من الشرق... ونزلوا على شواطئ إسبانيا»[45]. حتى أن هناك برهاناً على تجارة اطلنطية بين البحر الأبيض المتوسط وبريطانيا، قبل القرن السادس، تدل على أن تجاراً عبروا مضائق جبل طارق ثم أبحروا على طول الشواطئ الإيبرية[46].

وكما كانت شبه الجزيرة جزءاً حقيقياً من مجال التجارة القديمة المتأخرة فقد اندمجت بسرعة داخل عالم البحر الأبيض المتوسط الإسلامي. ويصدق على هذا الواقع قريباً بعد سنة 711 الارتحال والسفر بين الأندلس ومناطق أخرى من عالم المتوسط، عندما تركت الجيوش وكذلك الهاربون والحجاج والدبلوماسيون والعلماء آثار رحلاتهم. وقد سجل فريق من التجار رحلات من الأندلس إلى مكة، عن طريق القيروان في أول سنة 763[47]. وقد وصف ابن خُردَاذُبهْ مسالك التجار اليهود المرتحلين بين الجزيرة والمشرق في القرن

= P.D. King Law and Society in the Visigothic Kingdom, Cambridge, 1972, p.p. 194-9. حول تجارة الفيزيجوت،

(44) Gregory of Tours, Historia Francorum, eds. W. Arndt and B.Krusch, MGH Scriptores rerum Merovingicarum I.I, Hanover, 1884, Ix. 22. p. 380.

(45) Vitas sanctorum patrum Emeretensium, ed A. Maya Sanchez, Corpus Christianorum: Series latina, 116; Turnhout, 1992, p. 31.

(46) R. Hodges, Dark Age Economics. The Origins of Towns and Trade AD 600-1000, New York, 1982, pp. 33-4.

أعلن هودج أن هذه الطرق ظهرت بعد آخر القرن السادس. ولم تترك سوى براهين قليلة عن حركة التجارة بين المتوسط وشمال أوروبا حتى القرن الحادي عشر، وحول الطرق البرية الواصلة بين شبه الجزيرة وأوروبا في هذا الدور. ن:

Rouche, "Les relations transpyrénéennes du Ve au VIIIe siècle," Les communications dans la péninsule ibérique au moyen âge, Actes du Colloque de Pau, 28-9 mars 1980, Paris, 1981, p.p. 13 - 20.

(47) Nuwayri, Historia de los musulmanes de Espana y Africa por en-Nuguari. ed. M. Gaspar Remiro, Granada, 1917] Arabic text p. 5.

إن الفجوة الزمنية بين هذه الرواية والدور الموصوف تتطلب بعض الحذر في قبول صحته.

التاسع، ولاحظ المقدسي في القرن التالي أن سكان الأندلس كانوا بين أكثر الناس خبرة بالبحر... فلديهم طرق عبر هذا البحر إلى مصر وسورية[48].

ويقع إلى جنوبي الأندلس، وعبر البحر المغرب أي (الـ «غرب») كما كان يدعى بالعربية عملياً. إن مواصلات النقل البحرية الأندلسية بين الموانئ على طول شواطئ المغرب قد سمحت بالاتصالات الأولى بين مسلمي إسبانيا وبين بقية العالم الإسلامي. كما أن عبور البحر في مياه مائجة شاق وبغيض، وأن المضائق بين شبه الجزيرة وشمال أفريقيا ضيقة جداً، لدرجة أنه يمكن وفي بعض الأماكن رؤية الشاطئ المقابل في يوم صافٍ[49]. وذكر الجغرافي العذري من القرن الحادي عشر أن المراكب قد أبحرت من الماريا إلى الجانب الآخر [من المضائق] (العدوة) وبقية العالم، في حين أن الرأي العام (الفتوى) لابن رشد (ت 1126) المشرع الأندلسي قد وصفت مركباً يملكه تاجران أندلسيان، وكان واحد منهما يرغب في الابحار عبر المضائق إلى بر الطرف الآخر (بر العدوة) [50].

لقد كان المغرب سوقاً لتجارة الأندلس ومكان عبور البضائع ومراكب الشحن. وربما ارتحل كثير من التجار الأندلسيين الجوالين عبر البحر قبالة الشاطئ فقط، ومن ثم واصلوا رحلتهم في البر بواسطة القوافل إلى المكان المقصود. وبهذه الطريقة، أمكن للأندلس أن يبقى على اتصال تجاري مع

---

(48) ابن خُرداذبهْ، كتاب المسالك والممالك Ibn Khurradádhbih, Kitab al-masalik wa al-mamalik, ed. M.J de Goeje, BGA, 2nd edn. vi, Leiden, 1967, p.p. 153-5, M. Lombard The Golden Age of Islam, Oxford, 1975, p. 210; يقدم خارطة ممتازة حول الطرق Muqaddasi, Description, p. 15.

(49) لاحظ الشاعر الغرناطي ابن مالك (1163 – 1249) أنه كان من الممكن الرؤية من الجزيرة حتى سيوتا وقد جمع شعره من قبل ابن سعيد الغرناطي. «رايات المبرزين وغايات المميزين» القاهرة: Cairo. 1393/1973 PP. 85 - 6.

(50) 'Udhri, "Nuṣuṣ", P. 85, Ibn Rushd, Fatawa Ibn Rushd, ed. Ibn al-Tahir al-Talili, Beirut, 1407/1987, p.836. العذري، نصوص، ابن رشد، فتاوى ابن رشد، طبعة ابن الطاهر التليلي.

بقية مناطق العالم الإسلامي حتى في الشتاء، حيث يكون طول شاطئ البحر خطراً ومستحيلاً على العبور.

وقد أمكن لرحالة العصور الاختيار بين عدد من الطرق لإتمام رحلتهم من شبه الجزيرة الإيبرية إلى شاطئ شمال افريقيا وما بعده. وقد بذل المسلمون جهوداً كبيرة لتعداد هذه الخيارات، وتركوا توصيفاً لكثير من الطرق التي استخدمت بين القرن التاسع والرابع عشر. وربما يرغب التجار النزقون استخدام أقصر المعابر الممكنة حيث ينطلقون من الجزيرة الجسيراس Algeciras ويصلون إلى سيوتا Ceuta في يوم. أما إذا كانت الملاحة جيدة فقد يختارون رحلة أطول من دينيا إلى مدينة الجزائر (في نحو اسبوع)، أو أن تطول الرحلة أكثر بين الماريا والاسكندرية (شهراً أو شهرين) [51].

إن بعض السفن وركابها يقومون مباشرة برحلة أطول، في حين يهبط آخرون في مختلف الماونئ على طول الطريق. من جهة أخرى، حتى إذا كانت الرحلة لوثبة قصيرة من شاطئ إلى شاطئ وحسب، فإن المسافرين من وإلى موانئ الأندلس يضنفون قانونياً في رحلة بحرية أكثر من نقلة على الشاطئ. وقد أوجز يحيى بن عمر وهو القانوني الضليع فارقاً واضحاً يتعلق بأجور سفن الركاب من مدينة تونس إلى مصر، وصقلية والأندلس. وطبقاً لقاعدته (التي ذكرت مراراً لدى قانونيين آخرين)، فإن رحلة إلى مصر كانت تذهب عن طول الشاطئ (ريف rif)، في حين أن الرحلة إلى صقلية والأندلس كانت تذهب عبر البحر (على البحر 'alà al-bahr). ونظراً لهذا الفارق بين الرحلة الشاطئية أو في عرض البحر، فإن ربان السفينة المؤجرة له

(51) أطول الرحلات، وأكثرها تنوعاً. إحدى رسائل الجنيزا (Bodl d74. 41) كتبت عام 1130 ذكرت أن الرحلة من الاسكندرية إلى الماريا تستغرق خمساً وستين يوماً، في حين يذكر الإدريسي (Opus.V. p.582) أن ستاً وثلاثين يوماً للعبور من إسبانيا إلى انطاكيا. وذكر J.Mann أن رسالة أرسلت بين إسبانيا الأموية والعراق يمكن أن تستغرق سنة للوصول:

"The Responsa of the Babylonian Geonim as a source of Jewish History Jewish," Quarterly Review 7, 1916-1917, p.486.

حقوق مختلفة ومسؤوليات طبقاً لمكان الرحلة المقصود وطبيعة الطريق المتبوع[52].

وتختلف شعبية الطرق والموانئ المتميزة عبر الزمن، فمثلاً لم تكن مدينة تونس محطة شعبية بالنسبة للسفن الأندلسية خلال القرن العاشر، وربما كان هذا بسبب العداوة الأموية الفاطمية قبل 969، ولكنها غدت سوقاً مهمة للسلع والتجار الأندلسيين خلال القرن الحادي عشر. وفي هذا الزمن وثق الجغرافي البكري مزيداً من الطرق عبر بحر البوران (مثلث البحر مع زوايا جبل طارق تقريباً، الجزائر ودينيا) أكثر مما كان يُراقب سابقاً[53]. وربما تفسر تعقيدات السياسات الطائفية هذا الانتشار الواضح لعبور البحر في القرن الحادي عشر، ذلك لأنه وبخلاف الاستقرار النسبي للنظام الأموي (الذي استخدم القليل من الموانئ المستقرة والمسيطر عليها) فإن ممالك الطوائف المنفردة قد طورت عدداً من الموانئ الصغيرة ونوّعت من اتصالاتها التجارية، وربما تقلص عدد الطرق بين الأندلس وشمال افريقيا إلى حد ما في زمن المرابطين والموحدين، وقد ذكر الإدريسي من الطرق في القرن الثاني عشر، أقل بكثير مما ذكر من قبل البكري في القرن السابق. ومن المحتمل أن السلالات البربرية قد حاولت السيطرة على المرور من وإلى أراضيها عن طريق مركزية مرور التجار إلى بعض الموانئ المعينة. وعلى الرغم من تخفيض أنشطة الموانئ يبدو أن التجارة بين مسلمي إسبانيا والمغرب قد ازدهرت في ظل هذا النظام الذي كان يساعده سابقاً، عاملٌ هو

---

(52) أول ذكر لهذه الفتوى، كتاب كري السفن لابن أبي فراس Ibn Abi Firas Kitab akriyat al-sufun, ed M.A. Tahir, Cahiers Tunisie 31, 1983, p28 وذكر أيضاً من قبل جزيري d. 585/189, Jaziri في، مقصود المحمود .fol. 55r ومن قبل: الونشريسي (1508)، معيار Wansharisi, Mi'yar al-mu'rib wa al-jami 'al-maghrib المعرب والجامع المغرب ed.M. Hajji, Rabat-Beirut, 1981, VIII, p.p. 310-311

(53) Bakri, Description de l'Afrique septentrionale par Abou-Obeid El-Bakri, ed.M.de Slane, Paris, 1911 (reprint 1965), Arabic text p.p. 89-99.

البكري، وصف القارة الافريقية من قبل أبي عبيد البكري.

أن المنطقة بكاملها كانت تخضع لسلطة واحدة.

وقد كانت مدن الداخل المراكشي مثل فاس ومراكش ولوقت طويل جزءاً من مجال التجارة الأندلسية، إلا أن التجارة قد ازدهرت غالباً بعد أواخر القرن الحادي عشر بعد علو مقامها تحت حكم المرابطين والموحدين. وقد كانت فاس في موقع جيد للحفاظ على علاقات تجارية مع الأندلس. وفي وسط القرن الثاني عشر كتب تاجر يهودي إلى أبيه في بيته في الأندلس، يقول له إنه وصل سالماً إلى فاس مع حمولة خمسة جمال من السلع. وقد استغرقت هذه الرحلة قرابة أسبوع انطلاقاً من سيوتا كما يذكر الإدريسي[54]. وتذكر رسالة خطية أخرى من جينيزا كُتبت سنة 1110 عملية شراء من فاس بعملة أندلسية[55]. كما يذكر الجغرافي الزهري أن «السلع البالغة الجودة والبضائع المرتفعة الثمن [كانت قد استوردت] من اليمن والعراق وسورية والأندلس» إلى مدينة فاس في القرن الثاني عشر[56]. وعندما طلب أحد صائغي الذهب في فاس زوجاً من الأوزان وكفتي ميزان من الأندلس سنة 1141، كان يريد من ذلك ان يجعل أعماله أكثر تناسباً مع زبائنه الأندلسيين[57].

وخلال الزمن ذاته، سمحت لنا وثائق جينيزا بتتبع طرق التجار الأندلسيين في داخل البلاد من فارس حتى مراكش، او بالاتجاه الآخر، من تلمسان حتى فاس ثم إلى الأندلس. إن الرسالة العائلية المذكورة أعلاه، تذكر أن التاجر الماري في فاس، كتب أنه خطط كي «يلتقي أوّل شركة تقيم خارج مراكش». وبعد قرابة قرن من الزمان، فإن لاجئاً أندلسياً هارباً من إشبيلية في

---

(54) TS 12.435; Idrisi, Opus, v, p. 532. See also R. Le Tourneau, Fez in the Age of the Marinids. [Norman, Oklahoma, 1961], p. 113.

(55) Bodl d66.52؛ قشتريات من العطور دفعت بالمثقال الاندلسي. وسواء أوصلت أم لم تصل هذه النقود إلى فاس فإن تداولها في مراكش يثبت الاتصال الاقتصادي بين الأندلس والمدينة.

(56) Zuhri, "Kitab," p. 193 الزهري، كتاب.

(57) TS 13, J21. 12.

سنة 1224، قد تبع ذات الطريق من سيوتا إلى مراكش[58]. وقد جاء في رسالة اخرى كتبها حلفون بن نتائيل Halfon b. Nethanel من جينيزا مرسلة من فاس إلى الأندلس نحو سنة 1138 وهو تاجر مصري معروف جيداً من خلال مراسلاته الكثيفة في جينيزا انه سافر من تلمسان إلى فاس، ثم نوى أن يتابع من هناك إلى الماريا[59] وباعتراف الإدريسي فإن رحلته من تلمسان إلى فاس استغرقت نحو تسعة أيام[60].

وقد وحّدتْ الصلات الاقتصادية بين الأندلس وفاس ومراكش ومناطق بعيدة إلى الجنوب، كما يشهد على ذلك عملة أو نقد عثر عليه في موقع محتمل هو أوداغوست Audaghost ويشمل أربعة دنانير أندلسية تعود لفترة ما بين 1107 . 1116، وقد ضُرب ثلاثة منها في مورسيا Murcia وواحد في ملقا. وبالمثل فقد عثر على مسلة رخامية في جاو Gao مؤرخة في الفترة ذاتها 1107 . 1116، كانت قد اقتطعت من حجر مستورد من الماريا[61]. إن مثل هذه المكتشفات أو اللقى لا تثبت قيام تجارة مباشرة بين شبه الجزيرة وما وراء الداخل الصحراوي، بل ترينا أنه كان يوجد اتصال خلال أوائل القرن الحادي عشر.

وإن كثيراً من الموانئ الأخرى البعيدة شرقاً على طول الشاطئ المغربي

---

(58) الحميري، الجزيرة Himyari, Péninsule, p. 86.

(59) TS12. 435; TS8J19.28.

(60) Idrisi, Opus geographicum. III [Naples-Rome, 1972], pp. 243-246.

(61) M. Brett, "Ifriqiya as a Market for Saharan Trade from the 10th to 12th C. AD," Journal of African History 10 (1969), p.358; J. Devisse, "Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée: Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe siècle," Revue d'histoire économique et sociale 50 (1972), p.67. See also C.Vanacker, "Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle," Annales: ESC 28 (1973), p. 680. On the Gao stelae: J. Sauvaget, "Les épitaphes royales de Gao," Al-Andalus 14 (1949), pp. 123 - 41, and another article by the same title in Bulletin de l'Institut français de l'Afrique Noire 12 (1950), pp. 421, 424, 429.

قد وصلت إليها حركة التجارة البحرية الأندلسية. كان يوجد في وهران Oran على سبيل المثال: أسواق وصناعة وتجارة.. وإن كثيراً من موادّ الشاطئ الأندلسي كانت تأتي منها...

كانت الأسعار رخيصة، والسفن تأتي من الأندلس[62]. وكانت المدن الواقعة إلى الشرق من تنيس Tenes، شرشال Cherchell والجزائر قد حافظت على اتصالات وثيقة مع موانئ الأندلس المقابلة. وكان لمدينة تنيس صلات أندلسية ثابتة وقديمة ويمكن أن تعزى إلى التقاليد حيث أن المدينة قد أسست من قبل القراصنة (المجاهگون. المعرّب) الأندلسيين في القرن التاسع[63].

كان على جميع المراكب والقوافل العابرة بين شرق وغرب حوض البحر الأبيض المتوسط أن تمر عبر المحور المركزي: صقلية وتونس. وكانت الأحداث السياسية والعسكرية توقف حركة التجارة في المنطقة تكراراً، وخاصة بعد القرن الحادي عشر، ولكن موقعها الجغرافي حافظ عليها كنقطة حساسة للعبور من خلال جميع طرق المتوسط شرقاً وغرباً. وهناك براهين كثيرة على قدوم السلع والتجار الأندلسيين إلى هذه المنطقة، ويمكن لنا أن نتوقع مجلداً عن حركة التجارة وليس مجرد سجل للوثائق، كانت البضائع القادمة من العالم الإسلامي المشرقي متيسرة باستمرار في الأندلس، وكان عليها المرور غرباً عبر صلات أو علاقات افريقيا وصقلية. وبالمثل فقد أسس المصدرون الأندلسيون طريقهم إلى أسواق مصر وتونس مظهرين أن التجارة امتدت في الاتجاه المعاكس أيضاً. وغالباً ما أقام التجار الأندلسيون، قاعدة في مركز البحر الأبيض المتوسط سواء في تونس أم في صقلية ما قبل النورمان. ومنها توسعت أعمالهم وشحنوا البضائع بالسفن عبر البحار بين شبه الجزيرة الإيبرية والمشرق. وإن كثيراً من التجار الاندلسيين

(62) Idrisi, Opus, III, P. 252.

(63) T. Lewicki, "Les voies maritimes de la Méditerranée dans le haut moyen âge d'après les sources arabes," La navigazione mediterranea nell'alto medioevo. [Spoleto, 1978] p.460.

اليهود الذين كانوا يهتمون أولاً بنقل الحرير والكتان بين مصر ومراكز البحر الأبيض المتوسط كانوا يعيشون في باليرمو والمهدية في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وقد بينت رسائل من هؤلاء التجار ومن زملائهم وضعية الرقابة والاشراف على أفريقيا وصقلية في تجارة البحر الأبيض المتوسط. وقد لاحظت رسالة من جينيزا، كتبت في القيروان سنة 1000، أن شحنة خشب البقم(*) قد وصلت من مصر وأرسلت من ثم إلى الاندلس، وأن وثيقة لازمة في مصر، سُجلت على أنها ضلت بين الماريا وتونس سنة 1015. وبعد ذلك بخمس سنوات عبر اللؤلؤ والأنسجة المشرقية إلى الأندلس قادماً من تونس، لأنه لم يكن لها سوق محلي. وذكر تاجر تونسي سنة 1040 أن البضائع قد نقلت إلى مصر على متن «السفن الأندلسية»(64).

وكان النفوذ الاقتصادي الأندلسي ظاهراً داخل البلاد في الزمن نفسه تقريباً. حيث لاحظ تاجر قيرواني أن «الدراهم الأندلسية كثيرة [هنا] وأن جميع الأسعار قد وضعت بقيمتها»(65). وقد تابعت المنطقة لعب دور المرتكز في تجارة المتوسط حتى بعد غزو النورمان صقيلية، وكانت طرق التجار الجنويين تتضمن محطة في صقلية على طريق مصر أو على طرق المرور البادئة في جنوا والمرتحلة من وإلى موانئ الأندلس(66). ومن خلال هذه الشبكة المركزية المتوسطية احتفظت الموانئ الأندلسية بالاتصال التجاري مع مصر وبقية العالم الإسلامي وما بعده. وسبق وكانت الاتصالات الإيبرية مع شرق المتوسط توطدت في زمن الأمويين، عندما انتقل التجار اليهود الرَاذَانيون Radhànite على شبكة الطرق المعقدة الواصلة بين المشرق والمغرب، وعندما كان التجار والعلماء الأندلسيون يبحثون عن العلم

(*) البقّم أو العندم شجر للصباغ وقد ورد في النص الانجليزي brazilwood أي خشب البرازيل إلا أن البرازيل لم تكن قد اكتشفت زمن تجارته هنا! (المعرب).

(64) DK 13; TS 13 J 36.1; TS 8.12; Bodl a2.17.

(65) TS 12.282.

(66) D.Abulafia, The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes. [Cambridge, 1977], pp. 162, 229.

والأعمال التجارية في الحجاز والعراق وعدن خلال القرنين التاسع والعاشر[67].

وافترض مجهول الاسم في كتاب عن جغرافية القرن العاشر تدعى حدود العالم Ḥudud al-'alam وجود علاقات تجارية. فكتب في افادته «ما ينتج في... الأندلس» كان يُصدر إلى سورية في حين لاحظ حسداي بن شربوت Ḥasday b. Sharput أحد أفراد حاشية البلاط الأموي في الأندلس، وصول التجار من مصر وخراسان إلى قرطبة[68]. كما أشار ابن حيان أن التجار جاؤوا إلى الأندلس من مصر والعراق[69]. وربما كان بعض هؤلاء الرجال قد طلبوا سفينة أندلسية كبيرة ورحلوا على متنها إلى مصر سنة 955 وعادوا إلى الأندلس من الاسكندرية محملين بالبضائع[70]. وقد ارتحل التجار الأندلسيون حتى ابعد الحدود في الدور الأموي طبقاً للروايات او التقارير الموثقة. وكما جاء في رواية من القرن العاشر ان سفينة غرقت في بحر الصين بعد الابحار من سيراف Siraf مع «حشد من التجار... من كل قطر» وأنقذت بفضل حكمة شيخ مسلم من كاديز Cadiz وهو ما صدف وحدث

(67) ابن الفرضي، كتاب تأريخ علماء الأندلس.

Ibn al-Faradi, Kitab ta'rikh 'ulama' al-Andalus. [ed. F.Codera, BAH, Madrid, 1890] 1, pp.51-2, 53, 68-9, 130-1, 179-81.

(68) حدود العالم، جغرافية فارس، مترجم؛ تاريخ يهود الخزر. تاريخ التجارة في المشرق في العصور الوسطى (فرنسي) (انجليزي).

Hudud al-alam: "The Regions of World," A Persian Geography. [trans. V. Minorsky, London, 1970], pp. 134-5; and W. Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen âge. [Leipzig, 1885] I, p. 148.

(69) ابن بسام، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وينسب ابن بسام هذه المعلومات إلى ابن حيان.

Ibn Bassam (d. 1147/8), Dhakhira fi mahasin ahl al-jazira. [Cairo, 1358/1939-1364/1945] IV/I, P.65. Ibn Bassam attributed this information to Ibn Hayyan.

(70) ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

Ibn al-Athir, Kamil fi al-tarikh. [ed. C.J. Tornberg. Leiden, 1851-76] VIII, pp. 384-5; [trans. E.Fagnan, Annales du Maghreb et de l'Espagne. Algiers, 1898], pp. 358-9.

فوق ظهر السفينة[71]. هذا وتدعم معلومات كتاب السيرة عن تجار آخرين، إمكانية تصديق هذه القصة. فهناك على سبيل المثال، حالة أبي بكر محمد بن معاوية المرواني، وهو تاجر. عالم ترك مسقط رأسه قرطبة ليذهب للحج سنة 908، ثم سافر لأعمال تجارية بعيدة إلى الهند[72]. وتبيّن مصادر من القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر الاتصال التجاري بين مسلمي إسبانيا ومصر.

وتذكر كتابة تاجرٍ في جينيزا في سنة 1040 أن صديقاً قد غادر إلى الأندلس في حين، تذكر ثلاث وثائق أخرى مؤرخة بين 1050 . 1070 وصول سفن من الماريا ودينيا إلى الاسكندرية[73]. وكتب تاجر مطولاً في رسالة متأخرة مرسلة من الاسكندرية سنة 1115 تقريباً عن البضائع ملمحاً باقتضاب إلى وصوله مجدداً من الأندلس[74]. ومثل ذلك حلفون بن نتائيل الذي أبحر من الماريا إلى مصر سنة 1138. في حين أن صديقه الشاعر والفيلسوف يهودا هاليفي Judah Ha-Levi قد أتم رحلة مشابهة بعد ذلك بوقت قصير، واصلاً إلى الاسكندرية سنة 1140[75].

ويمكن للسفن الأندلسية التي تتاخم حدود مصر أن تكون مُستطلعة من

---

(71) بزرج بن شهريار «كتاب عجائب الهند» ترجمة... قصة خيالية إذ لا يوجد سبب للاعتقاد أن ذكر الأندلسي على ظهر المركب هو جزء من المعجزة المروية، وكما في ألف ليلة وليلة فإن هذا النوع من الأدب العجائبي يتضمن بالعادة ما يكفي من وصف العجائب بما يتناسب والرونق.

Buzurg b. Shahriyar, The Book of the Wonders of India. [trans. G.S.P. Freeman-Grenville, London, 1981], pp. 13-18.

(72) ابن الفرضي، كتاب:

Ibn al-Faradi, Kitab, p.363, no. 1287; E. Lévi-Provencal, "Le Kitab nasab Quraysh, de Mus'ab al-Zubayri" Arabica 1 (1954). P.95. " كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري.

(73) مراجع خاصة بالتجارة المصرية الاندلسية بعد عام 1060.

TS 13 J 28.9; TS 13 J 16.19; TS 8 J 20.2; TS 10 J 16.17. See also TS 10 J 11.13 and Gottheil-Worrell 27.

(74) Bodl d66. 52

(75) TS 8 J 19.28; TS 13 J 15.16

قبل الشواطئ المصرية الغربية قبل وصولها تاركة أخبار قدومها تُنقل إلى القاهرة القديمة حتى قبل أن تمضي إلى الحوض في الاسكندرية. ومن ثم يرسل من الشاطىء عدد من رسائل جينيزا الخطية بسرعة إلى القاهرة لتبلغ عن الوصول مباشرة، أو عدم وصول السفن الأندلسية. وهناك رسالة مكتوبة في بداية القرن الحادي عشر، تندب الحال أنه «ما مِنْ أحد وصل من الغرب باستثناء سفينة من الأندلس... [وواحد آخر فقط] منتظر من الأندلس» وبطريقة مماثلة كان مزيد من الشركاء الفرحين يكتبون من الاسكندرية إلى العاصمة، في وسط القرن هذا، ليقدموا تقريراً أن «السفينة القادمة من دينيا وصلت للتو، حاملة بقية السلع»[76]. وكانت تقدم معلومات أخرى في رسالة ثالثة، من شبه الجزيرة هذه المرة (مكتوبة في الماريا سنة 1138) ناصحة أن «بارجة [قد] وصلت من الاسكندرية... [وأن] التجار الذين سافروا فيها قالوا إنهم تركوا وراءهم سفينتين [أخرين] جاهزتين للإبحار باتجاه الماريا»[77]. ويوجد هنا أحياناً اشارات إلى مراكب أندلسية معينة. وهناك عدة رسائل من مصر تدل على المركب القائد qaid وهو مركب، كان جوتين قد ربط بينه وبين المرابطي القائد Qaid ابن ميمون من الماريا[78].

ومقابل هذا الفيض من المعلومات عن عقود التجارة بين مصر

(76) تم توثيق الإقلاع والرسو وتوجد رسائل أخرى من الاسكندرية إلى القاهرة ومؤرخة في سنة 1141 وتذكر أن المراكب المتجهة إلى الأندلس والمهدية وطرابلس وصقيلية والروم قد أقلعت.
ULC or 1080 J 178 (trans. Goitein Mediterranean Society, I, p. 320); and TS 10 J 14.16, ULC or 1080 J 258.

(77) إن الترجمة بشكلها المكيف قد عدت من قبل S.D. Goitein بعنوان:
Bodl d 74.41. Letters of Medieval Jewish Traders [Princeton, 1973], p. 263.
وهناك وثائق أخرى أخذت من جينيزا من القرن الثاني عشر التي تذكر حركة التجارة بين اسبانيا ومصر تشمل:
Other Geniza documents from the twelfth century that mention traffic between Spain and Egypt include TS 13 J 22.30; TS 8 J 18.1; and TS 12.285.

(78) TS 12.290; TS 13 J 14.21; and JTS Geniza misc 13. See also Goitein Mediterranean Society, I, P. 310.

والأندلس في القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، تغدو أدلة جينيزا على التجارة الأندلسية المصرية نادرة بعد وسط القرن الثاني عشر. ورغم ذلك، استمرت بعض سجلات الاتصالات التجارية المتأخرة في مصادر أخرى، منها الزهري الذي كتب أن «بضائع الرفاهية أو الترف من الهند والسند والعراق» كانت قد صدرت «إلى أفريقيا والأندلس» عبر مصر.

وقد أكد بنجامين توديلا (سنة 1165) أن الاسكندرية كانت «سوقاً تجارية لكل الأمم» عندما سافر إلى هناك، مع تجار واصلين من مناطق مختلفة، بما فيها الأندلس، كي يقوموا بمشترياتهم هناك(79). وقد قدم الفيلسوف الميمون الأندلسي الأصل تقريراً عن أن شحن زيت الزيتون الإشبيلي تأتي بصورة منتظمة من الغرب إلى الاسكندرية في أواخر القرن الثاني عشر(80).

الأندلس وشبكة التجارة المسيحية

لقد وُجدت الاتصالات التجارية بين الأندلس وبقية العالم المسيحي، ومع ذلك لم تكن هذه كثيفة جداً أو موثقة جيداً كالاتصالات مع المجال الإسلامي المتوسطي. وحين كانت الاسواق الاندلسية مندمجة في شبكة التجارة الإسلامية، فإن بضائع وتجار الأندلس كانوا قد أسسوا صلات جيدة في مركز وجنوب شرق المتوسط (حتى أنهم غامروا بعيداً إلى الشرق الأقصى مثل المحيط الهندي) حيث الصلات مع التجارة المسيحية كانت محدودة جداً وسينكب هذا القسم على دراسة المعلومات عن الاتصالات بين الأندلسيين ومسيحي المتوسط وشمال أوروبا أولاً، ثم دراسة البراهين على تجارة الأندلس البرية مع إسبانيا المسيحية ثانياً، وقليل ما أشارت وثائق بيزنطا والبندقية إلى اتصال مع الأندلس، ونادراً ما عثر على الأندلسيين في

(79) Zuhri, "Kitab" p. 257; Benjamin of Tudela, "Itinerary," p. 686.

(80) Moses b. Maimon, Responsa, II, p 576.

شمال شرق البحر الأبيض المتوسط. وبعكس وضع التجار في غرب المتوسط، حيث لعبت الأسواق الأندلسية دوراً استراتيجياً في توزيع الصادرات الأندلسية والسلع الإسلامية الأخرى، فقد كان للتجار البيزنطيين قنوات مباشرة أكثر للوصول إلى البضائع الإسلامية. وفي الوقت نفسه فقد كان للبيزنطيين صناعاتهم الخاصة المنتجة للحرير والبضائع الأخرى المتنافسة مع الصادرات من إسبانيا المسلمة. ومع ذلك يوجد هناك قليل من الأدلة على وصول بضائع أندلسية إلى القسطنطينية، ولكنها كانت تميل إلى دون أن تكون هدايا سياسية اكثر من أن تكون بضائع[81].

وبعكس ندرة التجارة مع أسواق الشرق المسيحي فقد كان الأندلس مساعداً وعامل نفوذ في مجال التجارة اللاتينية المسيحية. وقد جذبت الأسواق الأندلسية التجار المسيحيين من شمال إسبانيا ومناطق أخرى من أوروبا، ورغم ذلك بقي الاقتصاد الأندلسي متوجهاً نحو عالم التجارة الإسلامية، وركز التجار الأندلسيون على نقل البضائع من خلال الموانئ الإسلامية. وقد تاجر قليل من التجار اليهود (وأقل من المسلمين) مع إسبانيا المسيحية، ونادراً ما غامروا داخل المناطق الأوروبية شمال جبال البيرينيه، وخاصة بعد العهد الأموي، وعوضاً عن ذلك، حصلت بعض الاتصالات عبر تدفق التجار المسيحيين اللاتين إلى أسواق الأندلس وموانئه، وتدفق البضائع الإسلامية والنقود إلى البلاد المسيحية.

ومع تغير خط التطور المعاصر للمراكز المدنية الأوروبية ونمو الالتزامات التجارية في البحر الأبيض المتوسط فإن معلومات الوثائق وعلم النميات توحي أن الاتصالات التجارية قد تنامت مع الزمن، وتفسح سجلات باتشي الكارولنجية Patchy carolingian المجال أمام المزيد من الوثائق

---

(81) إن تفحص الوثائق الجمركية التي تعطي عادة بعض المفاتيح عن الاتصالات التجارية لم تبيّن وجود اتصال بيزنطي مع مسلمي إسبانيا.

(H. Antoniadis-Bibicou, Recherches sur les douanse a Byzance. [Paris, 1963]).

الحقيقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. اما بالنسبة للفترة ما قبل القرن الحادي عشر فتقدم النقود برهاناً ملموساً على الاتصال بين الأندلس وأوروبا اللاتينية، ولكن يجب أن يستخدم هذا الدليل بحذر ذلك أن حركة النقود وحدها لا تدل على التجارة. وقد حذر موريسن من أن «اثبات وجود... طريق للتجارة بوساطة النقود الملقية هو كمن يثبت وجود الطائر الخرافي (نسر بجسم سبع) بوساطة المزاريب وفن النقش أو النحت. وبالفعل فالحال أقوى بالنسبة للطائر هذا». وهكذا لا يمكن للتجارة أن تسوء خارجاً، ذلك أن النقود تنتقل وتتوزع لأسباب عدة: كهدايا وكجزية وكغنيمة وكفدية أو لأغراض أخرى لا تتصل بالتجارة[82].

ولكن ومهما كانت وساطة الانتقال أو التوزع، فإن معلومات علم النميات ترينا أن النقود قد انتقلت بين الأندلس وأوروبا خلال القرون الثامن والتاسع والعاشر وبداية الحادي عشر. ويتضمن أقدم ادخار معروف نقوداً فضية أندلسية، وهذا ليس مفاجئاً، ذلك أنه كان يوجد قليل من الذهب الأندلسي المتداول قبل اصلاحات عبد الرحمن الثالث سنة 929، ويذكر دليل أدبي واحد من أرلس Arles سنة 798، نقوداً ذهبية إسلامية، ولكن دون الاشارة إلى مصدرها[83]. وإن قرب أرلس من شبه الجزيرة يفترض أن هذه النقود هي دنانير أندلسية، ولكن نقص البرهان المادي، جعل جريسون يستنتج أن ذهب ايبريا لم يدخل أبعد من جنوب فرنسا (في كل الأحوال)، وإن أي توسع في تداول الذهب العربي في أوروبا قبل 1100 يجب «أن ينظر إليه بلا برهان، وهو في

(82) K. Morrison, "Numismatics and Carolingian Trade: A Critique of the Evidence," Speculum 38 (1963), p. 432; P. Grierson, "Commerce in the Dark Ages: A Critique of the Evidence," Transactions of the Royal Historical Society 9 (1959), pp. 123-40.

(83) Theodulfus, Versus contra iudices. [ed.E.Dummler, MGH Poetae latini medii aevi, 1, 2, Berlin, 1881], P. 498. For other documentary data on coinage transfer, see J. Duplessy, "La circulation des monnaies arabes en Europe occidentale du VIIIe au XIIIe siècle," Revue numismatique 5th series, 18 (1956), pp. 121-52.

واقع الحال غير محتمل إلى أقصى درجة»[84].

ويؤكد أحد الاتجاهات المدرسية أن اصلاحات ضرب العملة الكارولنجية قد أصبح قوياً بسبب الحاجة إلى مواجهة تدفق الفضة الاندلسية المتفوقة في الأراضي الكارولنجية[85]، فإذا كانت الحال هكذا، فإن تداول العملة الإسلامية في بلاد الغول Gaul يجب أن يكون أعظم بكثير من أي برهان أثري أو نصي ظهر حتى الان. فقد عُثر على قليل من الدراهم الفضية الأندلسية (المضروبة بين 777 و 807) في فرنسا، وفي بريطانيا (مؤرخة في 869 و 999)، وعثر على عدد صغير من عملة اموية متأخرة ظهرت في مدخرات اسكندينافيا وشرق أوروبا[86]. ومع ذلك فإن الأمثلة الحية أو الباقية قليلة، فقد كانت الدراهم الأندلسية معروفة كفاية في أوروبا بحيث أمكن تقليدها وإعادة استخدامها. وقد عثر على قطعة نقد مدهشة في مدخر من بولونيا تحمل كتابة عربية باسم هشام الثاني (976 . 1009) على الوجه الأول، وكتابة لاتينية باسم هنري الثاني (1002 . 1024) على الوجه الثاني[87].

(84) P. Grierson, "Carolingian Europe and the Arabs: The Myth of the Mancus," Revue belge de philologie et d'histoire 32 (1954), pp. 1064, 1074.

(85) H. Pigeouneau, Histoire du commerce de la France. [Paris, 1885], pp. 86-7; On Carolingian reforms, see R. Doehaerd, "Les réformes monétaires carolingiennes," Annales: ESC 7(1952), pp. 13-20.

(86) تمثل الدراهم الأندلسية 1 بالمئة فقط من العملة الإسلامية في شرق أوروبا، كما أن العدد في اسكندينافيا ضئيل جداً. إن الادخارات الاسكندينافية تتضمن نقوداً من الفترة ما بين 724 . 999 ولكن جميع النقود الموجودة في خزائن بولندا وروسيا واوكرانيا تؤرخ في زمن هشام الثاني 976 . 1009. ن:

M. Barceló "Why and How did Andalusian coins travel to Europa during the Emirate and the Caliphate from 98/716-17 to 403/1012-13," ROMM 36(1983), p. 10; A.D. Longpérier, "Monnaie andalouse trouvée à Contres," Revue numismatique n.s. 8(1863), pp. 14-16; A. Canto Garcia and A.M. Balaguer," Al-Andaluse y los carolingios, un singular testimonio monetario," Gaceta numismatica 85(1987), p. 48; N.M. Lowick, "The Kufic coins from Cuerdale," The British Numismatic Journal 46(1977), pp. 21-5; R.H.M. Dolley, "A Spanish Dirham found in England," The Numismatic Chronicle 17(1957), pp. 242-3.

(87) T.S. Noonan, "Andalusian Umayyad Dirhams from Eastern Europe," Acta numismatica 10(1980), p. 87.

وتختلف الآراء حول الطريق الذي وصلت فيه هذه النقود الأندلسية إلى مدخل شمال أوروبا. فهل جاءت مباشرة من شبه الجزيرة أو من خلال دورة طريق أبعد عبر المشرق ثم سلكت نهر الفولغا[88]؟ ذلك أن انتشار النميات باتجاه الجنوب قد ظهر من خلال مدخرات إيبرية تنتج عملة كارولنجية (وهي لم تصل بالتأكيد عن طريق المشرق)، ويبدو مرجحاً أن العملة الأندلسية وصلت إلى أوروبا عبر طريق الشمال الأقصر[89].

---

(88) وفيما يتعلق بالدراهم المعثور عليها في بريطانيا فإن لوفيك (Lowick "Kufic coins" pp. 21-5) يلح أن نقوداً من عام 869 ومن سيوردال Cuerdalea لم تكن قد وصلت إلى انجلترا مباشرة من الأندلس، بل جاءت عن طريق المشرق. وبالعكس يعتقد دوللي Dolley أن الدراهم قد ضربت في عهد هشام الثاني في 390/ 999 . 1000 وجاءت إلى انجلترا عن طريق أوروبا .Spanish Dirham pp. 242-3

حول طرق حركة التجارة انظر مقالات:

U.S. Linder Welin. "Spanish-Umaiyad Coins found in Scandinavia," Numismatiska Meddelanden 30(1965), pp. 15-25; T.S. Noonan, "Andalusian Umayyad Dirhams," pp. 81-91; T.S. Noonan, "Ninth-century dirham hoards from European Russia: A preliminary analysis," Viking-Age Coinage in the Northern Lands. [ed. M.A.S. Blackburn and D.M. Metcalf, Oxford, 1981], pp. 47-117.

(89) إن الخزائن الأندلسية تحوي النقود الإسلامية بصورة رئيسة، والقليل من النقود المسيحية وقد عثر في عام 1866 على مجموعة تتضمن نقوداً مؤرخة في 884 . 986. وقد ضربت في تولوز Toulouse وكنتوفيك Quentovic، واورليان Orleans وتورز Tours ومناطق أخرى. واكتشف مجموعة أخرى قرب قرطبة عام 1950، وتضمنت سبع بنسات كارولنجية وفلوساً أخرى، ضربت معظمها في إسبانيا. آذار في عهد لويس بيو Louis the Pious وشارل بالد Charles the Bald. وحول هذه اللقى وغيرها انظر:

S. de los Santos Jener, "Monedas carolingias en un tesorillo de dirhemes del emirato cordobés," Numario hispànico 5(1956), pp. 79-87; E. Gariel, Les monnaies royales de France sous la race Carloingienne. [Strasbourg, 1883] I, p. 136; K. Morrison, "Numismatics and Carolingian Trade," p. 428.

وكان عثر على درهم أموي أثار الاهتمام، فقد ضرب في 230/ 844 . 845 كان بين نقد صغير لبنس كارولنجي ضرب في عهد لويس البيو 814 . 840 وقد درسه:

A. Canto Garcia and A. M Balaguer, "Al-Andalus y los carolingios," pp. 41-9.

وعثر على ستة نقود انجلو. ساكسون ضربت في عهد إثلرد Ethelred II 978 - 1013 عليها قرب رونسفال كانت ولا شك نقلت من قبل حجاج.

=

واستناداً إلى براهين غير واضحة من النقود، ومصادر كتابية تشير إلى أن الاتصال التجاري بين أوروبا والأندلس قد حدث قبل العام 1000 وقد لاحظ هارون بن يحيى، وهو مسلم وقع أسيراً لدى المسيحيين في القرن التاسع، وجود طريق بحري بين شبه الجزيرة وإيطاليا(90). وذكر ابن حيان أن وفداً دبلوماسياً وتجارياً وصل إلى قرطبة قادماً من أمالفي Amalfi في حين أن الرحالة الأندلسي إبراهيم بن يعقوب وصل إلى ماينز Mainz وإلى قرى أخرى في شمال أوروبا(91). ومن الغريب أنه لا يوجد سوى القليل من البراهين على التجارة بين الأندلس وأوروبا خلال معظم القرن الحادي عشر. هذا بالرغم من أن هناك اتصالاً اقتصادياً واضحاً بين ملوك ودول الطوائف وممالك إسبانيا الشمالية، وكان طريق سانتياجو Santiago قد بلغ الشهرة في هذا الزمن.

ومهما كان الأمر، فإن هذا النقص في البراهين من القرن الحادي عشر يتعارض مع تكاثر مفاجئ للوثائق. معظمها باللاتينية، وتتعلق بتجارة أوروبا والأندلس في القرن الثاني عشر. وكان الإيطاليون أهم المشاركين في هذه التجارة، وخاصة تجار جنوى وبيزا. ونظراً لتقارب مصالحهما التجارية، فقد كانت المدينتان متنافستين غالباً، مع أن بيزا لم تصبح أبداً في مستوى النجاحات التجارية لمدينة جنوى في تجارة إيبريا. وزيادة على ذلك فقد

= (F. Mateu y Llopis, "El hallazgo de 'pennies' ingleses en Roncevalles," Principe de Viana II (1950), pp. 201-10).

(90) لقد سُجلت رواية هارون بن يحيا من ابن روستاه Rustah، عَلقُ النفيسة.

Harun b. Yahya's account was recorded by Ibn Rustah, 'Alaq al-nafisah [ed. M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn, VII, Leiden, 1967], p. 129.

(91) ابن حيان، المقتبس، وحول ابراهيم بن يعقوب. ويتضمن حدود العالم (ص158) إفادة مفاجئة هي أن بريطانيا Baritiniya كانت امبراطورية الروم والاسبان؛ ولا يوجد برهان آخر يوحي بوجود روابط تجارية بين بريطانيا واسبانيا في القرن العاشر. ن:

Ibn Hayyan, Muqtabas. V [eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subh, Madrid, 1979] pp. 478, 485. On Ibrahim b. Ya'qub, see A. Miquel, "L'Europe occidentale dans la relation arabe d'Ibrahim b. Ya 'qub (X es.)," Annales: ESC 21(1966), pp. 1048-64.

عقدت المدينتان خمس عشرة معاهدة تحالف في نيسان من سنة 1149 تسري على غرب المتوسط، بما في ذلك البربريم ...Barbariam والكربوم Garbum و...توتم يسبانيم الاسبان Totam Yspaniam[92].

وأخيراً، فإن مركباً جنوياً قد رسا في ملقا في أواخر القرن الحادي عشر. وأبحر آخر وهو من مراكب المدينة إلى البلاد منطلقاً من الماريا نحو العام 1120[93]. ويمكن لهذا المركب أن يكون الوحيد، ذلك أن التعرفة الجنوية قد أدرجت من سنة 1143 مكوساً على المراكب القادمة من الماريا[94]. وصارت جنوا متفوقة في تجارة غرب المتوسط في أواخر القرن الثاني عشر. مما دفع الزهري ليلاحظ أن «مدينة جنوا بين أعظم المدن [الأوروبية]... كان الجنويون تجاراً [يتاجرون] في البحر بين سورية والأندلس. واستطاعوا السيطرة على البحر»[95]. وتقدم سجلات العدلية الجنوية مصدراً نفيساً من المعلومات عن التجارة الإيطالية الإيبرية بصورة خاصة. وتتضمن سجلات من النصف الثاني من القرن الثاني عشر ما يقرب من خمسين عقداً لرحلات جنوية إلى موانئ الأندلس أو لبيع سلع أندلسية. فعلى سبيل المثال وافق أحد التجار الجنويين على نقل أنسجة أندلسية من جنوا إلى بوجي Bougie وأوران Oran وسيوتا وإسبانيا في سنة 1197[96]. وتكشف الوثائق الدبلوماسية عن المصالح التجارية الإيطالية في الأندلس. وقد

---

(92) Imperiale di Sant Angelo, Cesare (ed), Codice diplomatico della repubblica di Genova. [Rome, 1936-42] I, pp. 243-7.

غالباً ما تشير Yspania إسبانيا في هذا السياق إلى الأندلس.

(93) R. Arié, La Espana musulmana siglos VII-XV. [Barcelona, 1982], P. 152; Petrus Guillelmus, Miracula beati Aegidii, p. 321.

(94) يذكر عاهل جنوي عام 1142 انه جنى ضريبة أو تعرفة مرور من مراكب ذاهبة إلى اسبانيا.

L.T. Belgrano (ed), "Il registro della curia arcivescovile di Genova," ASLSP 2(1862). I.c. 9. (Imperiale, Codice, I, p. 141).

(95) Zuhri. "Kitab." pp. 229-30.

(96) Giovanni Scriba, II Cartolare di Giovanni Scriba. [eds. M. Chiaudano and M. Moresco, Rome, 1935] II, p.4, #812; ASG, Diversorum 102, fol. 84r.

عملت كل من جنوا وپيزا خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر، على توسيع سلطاتها التجارية من خلال المعاهدات مع الملوك المسلمين في فالنسيا ودينيا وباليريك[97].

كذلك أجرت المدينتان محادثات مع الموحدين للحصول على امتيازات تجارية في ميادينهم ويمكن للجنويين أن يكونوا قد توصلوا إلى اتفاقات مع الخليفة الموحد عبد المؤمن قبل سنة 1153 (وبوقت قصير بعد وصول الموحدين إلى إسبانيا)، وأقيم تحالف في سنة 1161 بصورة مؤكدة. ويبدو أن معاهدات الموحدين مع الجنويين قد تجددت بين فواصل لا تقل عن خمس عشرة سنة حتى سنة 1223، وشملت مواد أو فقرات تضمن سلامة إدارة السفن، وتعرفة مخفضة للتجار الجنويين، وحق الاحتفاظ أو حجز فنادق في موانئ الموحدين[98]. كما حُررت معاهدة مماثلة بين الموحدين ومدينة پيزا في أواخر القرن الثاني عشر، علماً أنه كان على كل التجار الپيزيين أن يدفعوا تعرفة أعلى، كما أن وصول الپيزيين إلى موانئ الموحدين كان محدوداً أكثر مما كان ممنوحاً للجنويين.

ورغم الجيشانات الحربية في شبه الجزيرة في بداية القرن الثالث عشر،

---

(97) لقد نظمت جنوا وبيزا اتفاقات متوازية مع ابن مردانيش Ibn Mardanish عاهل بلنسيا في سنة 1149 و 1150. وقد تعهد مردنيش، تحت التهديد بالهجوم، بدفع نقود جنوية واعفاءات تعرفية، والفندقية في بلنسيا ودينيا.

وتعهد اتفاق بيزا بالفندقية والادارة السليمة ولم تتحدث عن النقود. ويبدو أن جنوا قد حددت المعاهدة أو الاتفاق مع ابن مردنيش في سنة 1161. وقد سعت جنوا إلى روابط دبلوماسية مع باليريك في سنة 1180:

(Imperiale, Codice, 1, pp. 247-9; and Liber iurium reipublicae genuensis. [ed. M.E. Ricotti, Historia patria monumenta], VII, pp. 152-3). (M. Amari (ed), I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino. [Florence, 1863], pp. 239-40). (Caffaro, Annali genovesi di Caffaro. I. 61 - 62 (Imperiale, Codice, 11, pp. 341-3; M. Amari, "Nuovi ricordi arabici su la storia de Genova," ASLSP 5(1867), pp. 600-6).

(98) H.C. Krueger, "Genoese Trade with Northwest Africa in the 12th century," Speculum 8(1933), p. 379.

فقد حقق الجنويون نجاحات خارقة للطبيعة في حفظ وتقوية علاقاتهم التجارية مع منطقة إشبيلية في سنة 1231[99]. وزيادة على ذلك عندما سيطر فرديناند الثالث صاحب قشتالة على المدينة في سنة 1248 منح امتيازات تجارية واسعة للجنويين في إشبيلية، وفي جميع أنحاء مملكته في سنة 1251. وقد مهدت هذه التنازلات الطريق لمرحلة جديدة من العلاقات الجنوية الإيبرية ثبتت الجنويين بصورة قوية، كشركاء في التجارة المتأخرة من جنوب قشتالة[100]. ورغم محدودية البراهين، فقد كانت مدن مسيحية أخرى في غرب المتوسط على اتصال مع موانئ الأندلس. وتشير معاهدة عُقدت في سنة 1155 بين جنوا وأرلس Arles إلى «مراكب آتية وذاهبة من أرلس إلى إسبانيا عبر البحر» بينما يوثق اتفاق آخر في هذه السنة الشيء ذاته في مدينة مونبيلييه Montpellier[101]. وقد حصلت هذه الأخيرة فيما بعد على أذنٍ خاصٍ من قبل جيمس الأول صاحب أراجون في سنة 1231 للمتاجرة مع الموانئ الأندلسية[102]. وتاجر القتلانيون Catalans أيضاً مع الجنوب. وقد نُظم عقد تجاري في برشلونة في سنة 1211 يتعلق برحلة بحرية إلى إسبانيا المسلمة Yspania[103]، وخلال أواسط القرن الثالث عشر، ومع تطور الانتصارات المسيحية ونمو مصالح التجارة القتلانية، تعاظم النقل نحو الجنوب (خاصة النقل البحري) بصورة سريعة.

وتجول التجار في كل اتجاه عبر طرق البلاد بين مدن الأندلس وأسواق قشتالة وليون Leon ونافار Navarre وجاليسيا Galicia والبرتغال. وعلى الرغم

---

(99) Caffaro, Annali genovesi, III, p. 57.

(100) إن نص المعاهدة 1251 والتجديدات اللاحقةقد نشرت في: Liber iurium, pp. 1060-4, 1392-3.

(101) Imperiale, Codice, I, pp. 316-20.

(102) F. Fabrége, Histoire de Maguelone. [Paris-Montpellier, 1894-1900] II, p. 238.

(103) بحث غير منشور مقدم إلى اللقاء السنوي لأكاديمية العصور الوسطى في:
S. Bensch, "From Prizes of War to Domestic Merchandise: Slaves in the Towns of Eastern Iberia," [Princeton, NJ, May, 1991], p.6.

من شكوى ليفي بروفنسال ذات مرة من النقص التام للوثائق المتعلقة بتجارة إيبريا البرية[104]، فهناك اشارات قصيرة تدل على وجود تجارة بين الشمال والجنوب. وهناك برهان على تجارة برية بعيدة المدى واتصال اقتصادي، ربما ظهرا من خلال معلومات عن الطرق البرية، وتسجيل النقل التجاري الدبلوماسي أو المنظم، أو من معلومات تتعلق بالنميات والمال، ومن خلال اشارات أخرى لتجار وبضائع متنقلة عبر الثغور. وقد اختلفت العلاقات بين الأندلس وبين جيرانه المسيحيين الشماليين عن تلك مع الدول الأوروبية الأخرى بسبب حدودهما المشتركة. وعلى أية حال، فقد كان التبادل في داخل شبه الجزيرة أقل منهجية وشكلية من التجارة مع بقية المجالات ذلك أنه لم يكن يستلزم حمولات كبيرة أو بضائع مرتفعة الثمن حتى في زمن الصراع، وعندما كان المرور عبر حدود المناطق مخاطرة، فقد استمر النقل التجاري.

ومن الجلي أن الجغرافيين العرب، وبصورة خاصة الإدريسي، كانوا على معرفة جيدة بتجارة مدن إسبانيا الشمالية، ومع ذلك، لم يذكروا وجود تجارة أندلسية هناك. وكما ازدادت شعبية الحج إلى سنتياجو دي كوميُسلا Santiago de Compostela في القرن الحادي عشر والثاني عشر، كذلك صار حال القرى الواقعة على طريقه، وتشمل بُرغوش Burgos, Burghush وليون Leon, Liyun، التي يصفها الإدريسي بأنها تضم «أسواقاً وتجاراً» وكانت سانتياجو شانت يقوب Santiago Shant Yaqub ذاتها شهيرة من خلال أسواقها، وبيوعها وشرائها؛ وكانت هيوسكا وشقا Huesca, Washqa إلى الشرق، مدينة رفيعة متحضرة ولها تجارة نشطة وأسواق مزدهرة[105]. وفي نفس الزمن تقريباً، أي نحو سنة 1140 ذكر دليل الحج إلى سانتياجو وجود أنسجة إسلامية بين المواد المباعة في

(104) E. Lévi-Provencal, L'Espagne musulmane an Xème siècle: Institutions et vie sociale. [Paris, 1932], p. 183.

(105) Idrisi, Opus geographicum, VII, Naples - Rome, 1977, PP. 732, 728, 733, Himyari, Péninsule, P. 174.

قدم الحميري في شبه الجزيرة معلومات عن ليون Leon وهو بدوره نسبها للإدريسي.

الأسواق المحلية[106]. وسواء أكانت هذه المصنوعات أندلسية أم شرقية فقد وصلت عبر التجارة مع الأندلس غالباً. وذكر فيما بعد مصدر معاصر آخر تجاراً يرتحلون بين سانتياجو وبالنسيا[107].

وكانت الطرق بين مدن الشمال، تؤمن مسالك للتجارة البرية، كما هو مذكور في وثائق تشير إلى عبور البضائع من Per ipsam viam mercadarium المذكورة سنة 1925 ومن per viam mercati سنة 1058، ومن per via mercatera سنة 1076[108]. وقد دعم القادة المسيحيون وحموا التجارة في هذه الطرق. وهكذا ففي عهد ألفونسو الرابع صاحب ليون. كاستل (قشتالة) (بين 1065 . 1109)، ارتحل التجار والحجاج عبر أنحاء مملكته غير خائفين من شيء، لا على أنفسهم ولا على بضائعهم. ومثل ذلك موقف أوستاجس البرشلوني Ustages في القرن الثاني عشر الذي سطر أن الطرق يجب أن تبقى آمنة فكل الناس ـ بمن فيهم التجار ورجال الأعمال ـ الذاهبين والقادمين لوحدهم، يمكن لهم أن يأتوا ويذهبوا بطمأنينة وأمان، مع بضائعهم وبدون خوف[109].. وكانت الطرق بين المسيحيين ومناطق المسلمين آمنة أيضاً، كما كان زمن سانشو الرابع Sancho صاحب نافارِ والمقتدر حاكم سراكوزا Zaragoza حيث اتفقا في سنة 1069 على أنه «يجب أن تبقى الطرق التي بين [مملكتيهما] آمنة وسالمة، فلا إعاقة ولا أذى يصيب أياً [من الناس] الذين يرتحلون خلالها»[110]. ومع ذلك لم يذكر هذا الاتفاق النقل التجاري

---

(106) Le guide du pélerin de Saint - Jacques de Compostelle, ed. J.Vielliard, Macon, 1950, p.p. 32-2.

دليل الزائر أو الحاج سان جاك كومبوستل..

(107) Herman of Tounai, "Epistola de corpore S. Vincentii diaconi". Analecta boilandiana 2, 1883, P. 246.

(108) L. Garcia de Valdeavellano, Sobre los burgos y burgueses de la Espana medieval. Madrid, 1960 P. 60.

(109) J.O' Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, PP. 294, 297.

(110) J.M. Lacarra, "Dos tratados de pazy alianza entre Sancho el de Penalén y Moctádir de Zaragoza 1069-1073", Colonizacion. parias, repoblacion, y otros

بصورة خاصة، وقد أشار حكام آخرون، يؤمنون سلامة التجار المرتحلين براً إلى أن أولى نواياهم هو الحفاظ على أمن الطرق. إن البورتازجو Portazgos هو قوائم التعرفة التي تُلحق دائماً بالصكوك المدنية، والتي قدمت معلومات عن التجارة البرية عبر الحدود المسيحية الإسلامية(111). وباستثناء حالات معينة، فإن التعرفة لم تكن محددة لتنظيم التجارة مع مناطق خاصة، بل على الأصح لزيادة الثروات. إن كثيراً من هذه المدن، وبفضل قوائم البورتازجو قد أشارت إلى التجارة مع الأراضي الإسلامية، وكانت تقع جنوب قشتالة قرب حدود الأندلس. وربما يدل هذا على اختلاف بين قشتالة واتصالاتها الاقتصادية الوحيدة وقربها الطبيعي من الأندلس، وبين الممالك الأيبرية في أقصى الشمال ذات الاتصالات القليلة. وقد فرض ذات مرة بورتازجو واحداً من قبل مدينة ألاريلا Alarilla في أواخر القرن الثاني عشر على مرابطي Morabetino وما يرافقه من حمولةِ دابةٍ وصل من [بلاد] المور (أي المغرب) وفُرِضَ رَسمٌ مماثل على أناس ذاهبين إلى بلاد المور(112). ومثل ذلك، تشترط التعرفة أو البورتازجو من سنة 1173 أن مبلغاً يجب أن يدفع لحساب كالاترافا على جماعة وبضاعة تتاجر مع بلاد المور Terras Maurorum، وكانت ستعاد الضريبة في كونسيجرا Consuegra، وهي مدينة قشتالية أخرى قريبة من حدود الأندلس(113). وعندما دفعت الحدود جنوباً بعد انتصار المسيحيين في لاس

=

estudios. Zaragoza, 1981, P. 92.

معاهدة بيزا التجارية بين سنخو البنالن والمقتدر صاحب سراكوزا...

(111) حول مؤسسة بورتازجو Portazgo انظر:

C.Gonzalez Minguez, El portazgo en la edad media. Aproximacion a su estudio en la Corona de Castilla, Bilbao, 1989, and J. Gautier - Dalché, "Les péages dans les pays de la Couronne de Castille état de la question, réflexions, perspectives de recherches", Les Communications dans la péninsule ibérique au moyen âge. (Actes du Colloque de Pau, 28-9 mars 1980) Paris, 1981. PP.73-8.

(112) J.L.Martin Rodriguez, "Portazgos de Ocana y Alarilla", Ahde 32, 1962, P. 524.

(113) J. González, El Reino de Castilla en la época de Alfonso VIII. Madrid, 1960, II. P. 297.

نافاس Las Navas في تولوزا سنة 1212 فإن البورتازجو من سنة 1226 ومن مدينة أوكانا Ocana (شمال ـ شرق طليطلة ـ توليدو، ومن ثم أصبحت الحدود الفعلية للمنطقة) بقيت تنظم الرسوم على جميع البضائع الذاهبة إلى بلاد المور والقادمة منها[114]، أما جهة الغرب، البعيد قليلاً، فإن تعرفة فيرو Fuero لمدينة كاسيريس Caceres أشارت إلى وجود طرق برية، عندما اشترطت أن يجاز التجار من بلدي المور والمسيحيين بالاتجار في سوق أو معرض سنوي[115]. وبعد ذلك بثلاث سنوات، في سنة 1234، منح البابا جريجوري التاسع أذناً لأحد الحصون في منطقة طليطلة كي يتاجر مع الأراضي الإسلامية[116]، ويدل هذا الأذن بنظر البابا ومن خلال محاولات أخرى للتضييق على التجارة المسيحية الإسلامية، يدل مرة أخرى على التواصل والمكانة الطبيعية العريقة لتجارة الحدود الإيبرية. وهناك أدلة على وجود بضائع أندلسية في الأسواق المسيحية وهي بدورها تشير إلى وجود تجارة عبر الحدود البرية. وتعج الوثائق والأدب الشمالي بالأدلة على منتجات المسلمين من منسوجات وجلود وورق، وتوابل ومستوردات أخرى. وبالعكس توجد أدلة على بضائع شمالية في أسبانيا المسلمة ولكنها أقل تنوعاً، وتنحصر بالدقيق والغراء. وفيما يتعلق بالبضائع، فإن تبنّي وحدات الوزن والمقاييس الأندلسية في إسبانيا المسيحية، يدل على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب. إن معظم الوحدات (الوزن) العربية المألوفة قد وجدت طريقها إلى الأدب الجمالي «الرومانسي»، فقد ظهرت وحدة وزن تدعى قافظ/ ز Qafiz في قتلونيا بشكل كافيشيو Kaficio، وصار مقياس الحبوب المدعو قدح Qadah يلفظ Alcadafe في قشتالة قبل سنة 1989،

---

(114) Martin, "Portazgos" P. 526.

(115) T. Gonzalez (ed.), Colección de privilegios, franquezas, exenciones y fueros. Madrid, 1833, IV, P. 94.

(116) R.I. Burns, "Renegedes, Adventurers, and Sharp Businessmen: The 13th century Spaniards in the Cause of Islam", Catholic Historical Review 58 (1972) P. 363.

وصار Alcadefe في البرتغالية و Cadaf و Cadufa في قتلانيا(117). وهناك براهين على حركة النقود الأندلسية في شمال إسبانيا تشير أيضاً إلى وجود اتصالات ايبرية برية، دون الحاجة إلى التلميح إلى التجارة. إن مشكلة انتشار النميات واضحة في شبه الجزيرة الأيبرية خاصة، حيث ازدادت حركة المرور التجاري من النقود الذهبية وبضائع الاستهلاك الرفاهي من الجنوب إلى الشمال خلال معظم العصور الوسطى. ولم يسك العواهل المسيحيون الشماليون عملتهم الذهبية حتى القرن الثالث عشر، حيث استعملوا أنواعاً من النقود الذهبية في الشمال خلال العصور الوسطى(118). وكانت العملات الأندلسية المتداولة قد انتقلت عبر الحدود حتماً في بواكير القرن الثامن. وإن الوثائق اللاتينية التي تدل على العملات الأندلسية في إسبانيا المسيحية نادراً ما تذكر التجارة مع الجنوب، ولكن عوضاً عن ذلك تشير إلى الهبات الدينية المحلية وبيوع البيوت ونفقات أخرى ذكرت مبالغها بالنقود الأندلسية. وفي سنة 915 مثلاً، وَرَّث أوردونو Ordoño الثاني خمسمائة، mectales ex auro purissimo (ميكتاليس اكس اورو بوريسيموس) لكنيسة سنتياجو(119). وهنا، فإن التوصيف المشوه mectales والذهب يجعلان من شبه المؤكد أن المبلغ كان مؤلفاً من دنانير أندلسية (التي يشار إليها في المصادر الأندلسية بـ مثقال mithqàls). وتظهر الدراهم الأندلسية أيضاً في الوثائق المسيحية، بصورة عملية بمظهر تعبيري متعدد هو: Solidos mahometi, solidos de argento kazimi, solidos hazimi (سوليدوس محمدي، سوليدوس ارجنتو كازيمي، سوليدوس خازمي). وقد ورد في مدينة تشالمتا Chalmeta اثنتان وعشرون

---

(117) J. Vallvé, "Notas de metrologia hispano -árabe II, Medidas de capacidad", Al - Andalus 42, 1977, PP. 91-8.

وقد حسب فالفي أن قافظ Qafiz يزن تقريباً 56 . 64 باونداً، ومع ذلك يمكن أن يختلف كثيراً وفق المناطق.

(118) P. Grierson, "Carolingian Europe", P. 1065.

(119) C. Sánchez - Albornoz, Estampas de la vida en Léon durante et siglo X. Madrid 1934, P.37.

إشارة إلى هذه الدراهم القاسمية qāsimi المؤرخة بين 933 و 1078، في قتالانيا أولاً ثم المصادر البرتغالية ثانياً، كما ظهرت النقود الأندلسية في نصوص ليون Leon وجاليسيا Galicia. ومن الممكن أن هذه الاشارات أو الأدلة اللاتينية إلى الدراهم القاسمية qásimi تنطبق على قيمة العملة أو على وحدات الوزن أكثر من إشارتها إلى دراهم حقيقية، وفي مثل هذه الحال، فإن ظهور دراهم قاسمية في شمال إسبانيا يثبت وجود اتصالات اقتصادية، وليس وجود تحويل نقود حقيقية[120]. ومع ذلك، عندما أصبح ضرب الدراهم الأندلسية متقطعاً بعد موت العاهل الأندلسي المنصور في سنة 1002، بدأت تضرب دراهم مقلدة في برشلونة[121]. ولربما يمكن تفسير ظهور هذا الانتاج الجديد ببعض درجات التبعية للعملة الجنوبية والحاجة إلى ترميم نفعها الضائع.

وقد انتقلت العملة الذهبية في عصر الطوائف في إسبانيا المسيحية بصورة واسعة ولكن انتشارها كان بداعي دفع الضريبة الباريا Parias أكثر منه

---

(120) P. Chalmeta "Précision au sujet du monnayage hispano - arabe (dirham qásimi et dirham arba'ini درهم قاسمي ودرهم اربعيني. JESHO 24, 1981, PP. 316-18; C. Sánchez - Albornoz,'La primitiva organizacion monetaria de Léon y de Castilla, AHDE 5, 1928, P 308; E. Lévi-Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane III, Paris, 1953, P. 257. كان التعبير سوليدوس Solidus مطابق للنقود الذهبية، وكان يستعمل في إسبانيا كترجمة لكلمة درهم ولكلمة كازيمي / خازيمي hazimi/ Kazimi الذي كان يعتقد أنه مشتق من اسم قاسم بن خالد مدير دار الضرب «سك العملة» الأموية في قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث. وهناك تفسير آخر. ربما كان أكثر إقناعاً لكلمة قاسمي qásimi قد وضع من قبل ج فالفي:

J. Vallvé ("Notas de metrologia hispano -árabe III, "Al-Qantara 5, 1984, P 165.
الذي ساوى هذه الوحدة مع الدرهم الأربعيني حيث كان وزنه ستاً وثلاثين ذرة، وقسم الدينار إلى النصف (qasma). وحول تداول هذه النقود انظر أيضاً:

Garcia de Valdeavellano, "Economia natural y monetaria en Léon y Castilla durante los siglos IX, X, y, XI, "Moneda y crédito 10, 1944, p.p 37 ff.

(121) Grierson, "Carolingian Europe," P. 1064, وقد نشر F. Mateu, صور الدنانير البرشلونية في:

Hallazgos numismáticos musulmanes, "Al-Andalus 12, 1947, PP 481-4.

تجارة، وقد كانت المبالغ كبيرة، وصار تسديدها عبر السنين أمراً يعدل من ميزان الثروة بين المسلمين والمسيحيين إلى حد بعيد. فعلى سبيل المثال، دفع عبد الله بن بوللجين Buluggin صاحب غرناطة Granada (1073 ـ 1090) 30,000 مثقال من حيث المبدأ كباريا إلى ألفونسو السادس صاحب قشتاله (1065 ـ 1109)، وتورتوزا Tortosa ديناً ما مجموعه 50,000 مثقال سنوياً إلى الـ: سيد Cid كممثل لـ: ألفونسو السادس، ودفعت فالنسيا أعلى جزية سنوية هي: 100,000 مثقال[122]. وكانت مبالغ دفع الـ: باريا لا تتغير خاصة من الذهب، ولكن، ربما، سُلِّمت أحياناً بالفضة، أو سلعاً أخرى. وقد كان تضخم العجز في الذهب في أواخر القرن الحادي عشر قد أدى إلى إدراك البديل، كما هو موضح في معاهدة محررة في سنة 1073 بين سنخو الرابع Sancho صاحب نافار وطائفي صاحب زاراكوزا حيث حددت سعراً مقبولاً للمقايضة[123]. وعندما لم تكن تتوافر مبالغ بالذهب أو الفضة، فقد كانت دول الطوائف، مثل الماريا، تدفع الجزية حريراً أو سلعاً انتاجية محلية[124].

---

(122) J.M. Lacarra, "Aspectos economicos de la sumisión de los Reinos de Taifas 1010 - 1102", Colonizacion, parias, repoblacion, y otros estudios, Zaragoza, 1981, PP. 71-2.

ويسبب التنوعات في العملات والتعويم السريع لبعض نقود القرن الحادي عشر، فمن الصعب معرفة القيمة الحقيقية لهذه المبالغ. وقد ذكر م. بنابود M.Benaboud، وفي الزمن نفسه تقريباً، أن مبلغ 5000 مثقال كانت ثمن اشتراك في مؤامرة لخلع حاكم قرطبة، ومنح نفس المبلغ كجائزة لشاعر في اشبيلية.

Tendances économiques dans al-Andalus durant la période des Etats- Taifas, Bulletin économique et social du Maroc 151- 52, 1983, P.24.

أما في المجال العملي، فكان يمكن أن يشتري بيتاً بـ 50 ـ 280 مثقالاً في أواخر القرن الحادي عشر في قرطبة، وفي بداية القرن، 100 كغ من الحبوب بيعت بـ 1,52 دينار. ن:

E. Ashtor, "Prix et salaires dans l'Espagne musulmane aux Xe et XIe siècles, Annales: ESC 20, 1965, p.p. 665, 669.

(123) Lacarra, "Aspectos". P. 62.

(124) Molina López, "Algunas consideraciones sobre la vida socio- economica de Almeria", P. 186.

لقد شكّلت جزية (باريا) على اقتصاد إيبريا الوسيط موضوعاً كثير النقاش. فغالباً ما أنقصت الباريا وفرة المعادن الثمينة في إسبانيا المسلمة، مسببة الإفلاس وتعويم العملة، ولكنها ربما حفزت تجارة دول الطوائف أيضاً. ويرى جليك Glick أن «قسماً كبيراً» من الباريا «لا مفر من صرفه بعيداً» عن الشمال المسيحي، إذ كان يعود إلى الأندلس عن طريق التبادل مع السلع الإسلامية[125]. ومن وجهة النظر هذه، فإن دفع الجزية قد حرض، في الواقع، الصناعات الإسلامية وعزز التجارة الداخلية الإيبرية.

وبالمقابل، فقد زادت دفوعات الجزية (الباريا) من مبلغ العملة المتداولة في شبه الجزيرة، وعززت تضخماً حلزونياً، أدى إلى ارتفاع الأسعار ونموٍ قليل في الانتاج الأندلسي[126]. ورغم عودة بعض مبالغ الجزية إلى الجنوب عبر التجارة البرية، فإن حملات التحصين والبناء، وتحسين أوضاع الجيش والأسطول، والهبات الكنسية، جميعها شكلت منافذ أخرى لاستهلاك ذهب الباريا[127].

وقد توقف دفع معظم الباريا مع وصول المرابطين سنة 1085، ووضع حد لموقف التبعية الضريبية لجنوب الأندلس، ولكن ليس لاستمرارية تدفق الذهب إلى شمال شبه الجزيرة. فقد كان الدينار المرابطي قد ظهر في وثائق إسبانيا المسيحية في سنة 1084، وانتقل عبر ممالك الشمال بوضوح حتى

---

(125) T. Glick, Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages. Princeton, 1979. PP. 126 - 7.

(126) اقترح هذه النظرية م. بنابود. M.Benaboud. "Tendances économiques", P. 22.

(127) باستخدام نقود الباريا، فقد ضاعف الفونسو السادس الهبات السنوية القشتالية لـ كلوني Cluny، وللخزائن الاسبانية الكاتدرائية، بما فيها سانتياجو كومبوستولا، وكانت قد مُلئت بالعملة الاسلامية في أواخر القرن الحادي عشر، C.E. Dufourcq and J. Gautier Dalché, Histoire économique et sociale de l'Espagne chrétienne au moyen âge. Paris, 1976, PP. 70-1.

أواخر القرن الثاني عشر[128]. وقد توبع ضرب الدنانير المرابطية في مورسيا Murcia حتى فَتْحِ الموحدين للمنطقة سنة 1172. وبدأ ألفونسو الثامن صاحب قشتاله بضرب الـ: مرابيتينو ألفونسينو أو مارافيدي Morabetino Alfonsino or Maravedi خلال عام أو عامين قادمين[129]. وكما كان الحال بالنسبة لدراهم برشلونا في القرن السابق، فإن ادخال مرابيتينو ألفونسيو يدل على أن قشتالة قد تعودت على الوجود المنتظم للذهب الإسلامي. وهكذا فقد كان المخرج القشتالي الجديد مؤسسٌ على «المرابطون»، فمنذ وضع النسخ الأولى، ظل يحمل كتابة عربية، كما أن الأسم «مرابيتينو» كان اسماً مستقىً منه وبإتباع مثل سميه، فقد كسب المرافيدي القشتالي شعبية كبيرة، حتى خارج أسبانيا المسلمة، ورغم أن الغرب توقف في سنة 1221، فقد استمر الاعتماد على هذه العملة في القرن الخامس عشر[130]، سواء أكانت نقوداً حقيقية أم وحدة قيمة.

وخلاصة القول إن الطرق البحرية قد حافظت على اندماج موانئ وأسواق الأندلس في شبكة التجارة الإسلامية المتوسطة منذ آخر القرن الثامن إلى أول القرن الثالث عشر وظلت الاتصالات مفتوحة طالما أن التجار والرحالة الآخرين يحملون البضائع جيئة وذهاباً بين المشرق والمغرب المتوسطيين، مرتحلين على ظهر السفن إلى أبعد نقاط المغرب/ مراكش والالتقاء مع قوافل التجارة البرية، أو الرسو، بعد رحلة بحرية طويلة، في

(128) Devisse, "Routes de Commerce", P. 63.

وذكر ديفايس توزيعاً شاملاً لـ: المرابطون Murabitun في إسبانيا المسيحية. وذكر أدلة من قشتالة سنة 1112، ومن استورياس Asturias سنة 1127 وسانتاندر Santander 1136 وليون 1141 وجاليسيا عام 1166.

(129) تختلف التقارير أيضاً حول ما إذا كان الفونسو الثامن قد أدخل نقوده الجديدة في سنة 1172 أو في 1173 أو في 1175 ويفضل J. Todesca في مقالة سنة 1173.

The Monetary History of Castile - Leon ca. 1100 - 1300, in Light of the Bourgey Hoard, "American Numismatic Society Museum Notes 33, 1988, p.p. 136 - 7.

(130) دليل المبادلات التجارية في العصور الوسطى P. Spufford, Handbook of Medieval Exchange, London, 1986, P. 155.

تونس والاسكندرية. وكان من المألوف التوقف في المحطات للبيع والشراء، والاستراحة، والتمون والتصليح، وجمع المعلومات التجارية. وكانت موانئ الأندلس على اتصال اقتصادي مع أوروبا اللاتينية وغرب المتوسط، دون البندقية والشاطئ الاغريقي على ما يبدو. وإن معظم هذه التجارة قد حوفظ عليها من قبل تجار غير مسيحيين ولا أندلسيين، جاؤوا إلى شبه الجزيرة بحراً وبراً، بحثاً عن السلع الإسلامية. وقد تعاظمت حركة التجارة عبر الزمن، وخاصة بعد القرن الحادي عشر، وبعد «الثورة التجارية» الأوروبية، عندما بدأ الجنويون والإيطاليون الآخرون بالاستثمار في التجارة مع شبه الجزيرة.

وعلاوة على الحلة القشيبة للمراجع عن الطرق التجارية والاتصالات بين الأندلس والمناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط، فإن الوثائق عن التجار وأعمالهم في أسواق الأندلس، وعن بضائعهم المتداولة، تقدم أفضل المعلومات عن آلية التجارة في إسبانيا المسلمة. وقد وصفت هذه المعلومات عن التجار والسلع والطرق التي تكيفت فيها شبه الجزيرة مع الشبكة التجارية العريضة، أنظمة التجارة الاقليمية قبل وبعد العصر الإسلامي. إن التجار وتجارتهم سيكونان موضوع الفصول التالية.

الفصل الثالث

مهنة التاجر في إسبانيا المسلمة والبحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط

أصناف التجار والشركاء

جاء التجار من جميع أنحاء عالم البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط كي يقوموا بالأعمال التجارية في أسواق إسبانيا المسلمة، في حين غامر التجار الأندلسيون من جهتهم، وراحوا بعيداً بحثاً عن الفرص التجارية.

سيتفحص هذا الفصل انتماءات هؤلاء التجار الدوليين وولاءاتهم، وتداخل المجالات التجارية لجماعات التجار المختلفة وبنية شركاتهم.

إن الكلمة العربية تاجر Tajir (جمعها تُجار Tujjar) تتضمن نماذج مختلفة من التجار داخل هذا المجال، إذ يمكن أن تدل على بائع في تجارة محلية. ولكنها تستعمل أكثر للدلالة على تجار منخرطين في تجارة دولية ولمسافات بعيدة. وقد ذكر أبو الفضل الدمشقي المؤلف المشرقي، في وصف تقليدي للتجار العاملين في العالم الاسلامي في العصر الوسيط ثلاثة أصناف أساسية للتجار. وأول أصنافه كانت الخزان Khazzan أو فَرّاز Stapler وهو تاجر حضري يخزن السلع في موسم الرخص ويبيعها عند ارتفاع السعر، والصنف الثاني هو الركّاض rakkad الذي كان يرتحل من أجل

أعماله التجارية الخاصة به أو بشركائه. أما الصنف الثالث من التجار فلربما هو المجهز mujahhiz وهو مصدر ومستورد حضري[1]. ويبدو أن الأخير من بين هؤلاء الثلاثة هو الذي تاجر على نطاق واسع. وكان يعمل كمنظم مركزي لشبكة واسعة من الرحالة والشركاء الحضريين في الأماكن البعيدة. ومع أن هذه الأنماط الثلاثة قد وصفت أصلاً، التجار المسلمين المشتغلين في المشرق، فهي تتلاءم جيداً مع المعلومات عن التجار الأندلسيين.

ونعثر على أمثلة من نموذجين للتاجر الدمشقي في وثائق جينيزا المعاصرة حيث تصف التجارة بين مصر والأندلس. ومن بين أولئك الذين يتعاطون التجارة الدولية، فقد عرف ابن حوقل ونهراي Nahray بن نسيب تجاراً يهوداً كانوا يدبرون معظم أعمالهم التجارية من قاعدة مركزية في القاهرة القديمة، وهذا يتطابق مع صورة التاجر المجهز.

من جهة أخرى كان هلفون بن نتائيل قد عاش في القرن الثاني عشر، وتجول كثيراً وبعيداً، وأمكن وصفه، بصورة دقيقة، بالتاجر الركّاض... وتُبَيِّنُ معظم المعلومات عن نشاط التجار في التجارة الدولية الأندلسية أن الناس يتطابقون مع صنف «ركّاض» ولكن ربما تكون هذه الغزارة مضللة، فلربما كانت حقيقة ترحالهم هو أن يكسب هؤلاء التجار مكاناً في السجلات التاريخية. ولربما كان للخزان أهمية من خلال دوره في الحفاظ على تدفق التجارة الدولية، مثل نظرائه الجوالين، ولكنه لم يترك إلاّ آثاراً قليلة في السجلات التاريخية.

كان التجار غالباً ما يبدلون من أوضاعهم ومجالات أنشطتهم في مختلف مراحل حياتهم المهنية. وما أن يؤسس الشاب عملاً تجارياً حتى يبدأ

---

(1) دمشقي Dimashqī أبو الفضل جعفر، كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة. القاهرة 1318/ 1900 ص 48 . 52. لقد اختلف حول تأريخ هذا المؤلف، فلربما عاش في بواكير القرن التاسع أو في أواخر القرن الحادي عشر. وحول التجار المسلمين انظر بصورة عامة:

M. Rodinson, Le marchand musulman, Islam and the Trade of Asia. ed, D.S. Richards, Philadelphia, 1970/pp. 21-35.

بالترحال بعيداً مكتسباً خبرة تجارية ومقيماً علاقاته الخاصة. وبالعكس، فقد كان التاجر المخضرم المجرب أكثر قابلية من أجل أن يقوم بدور الحضري المجهز. ومع ذلك يمكن أن نعثر على كثير من الأمثلة المضادة لهذه المسألة، إذ هناك بعض التجار المحترمين، بما فيهم هلفون بن نتانئيل صاحب النفوذ، قد ارتحلوا خلال حياتهم كلها.

وكان هناك أنماط أو نماذج أخرى من الناشطين في تجارة الأندلس، وذلك إلى جانب أصناف الدمشقي الثلاثة السابقة رغم أنهم لم يكونوا منخرطين مباشرة في أعمال التجارة الدولية، وكان بين هؤلاء تشكيلة من الوكلاء والسماسرة والوسطاء الذين يتعاطون التجارة الخارجية. وكان يوجد باعة جوالون في المستويات الدنيا، وكانوا يرتحلون خارج الشبكات والطرق التجارية المحددة للاستخدام من قبل التجار المستقرين. وقد ناقش السقطي الذي كان يراقب الأسواق في أوائل القرن الثالث عشر، وضع هؤلاء التجار مسمياً إياهم تارة بالتجار المسافرين وتارة بالتجار المتجولين[2]. إن هذا النوع من التجار، ربما حمل بضائع خلال الحدود بين المناطق المسيحية والاسلامية، ولكن يبدو أن مجال تجارته كان محدوداً نسبياً ويقتصر على بضاعة رخيصة مألوفة.

إن الباعة المحليين الحضر (أصحاب الحوانيت وأشباههم) ليسوا المقصودين هنا. ومع ذلك ربما تعاطوا في تجارة البضائع الدولية. وكان نطاق عملهم الشخصي محدوداً. وكانوا يشتغلون في المناطق الحدودية وحسب، وفي أي شيء يُقرّب طول المسافة أو حركة التجارة الدولية[3].

---

(2) السقطي، كتاب الفقيه الجل العالم العارف الأوحد (دليل اسباني للحسبة).

Saqati kitab al-faqih al-ajall al-'alim, al-'arif al-awhad (un manuel hispanique de hisba) eds. G.S Colin and E.Lévi- Provençal Paris, 1931, pp. I,15,17.

(3) لقد درس ب. تشالمتا بصورة مكثفة التجار المحليين والأسواق وتجارة الأندلس في:

P. Chalmela, El señor del zoco en España: edades media y moderna, contribución al estudio de la historia del mercado. Madrid, 1973.

إن الدليل على التجار وأعمال التجارة متقطع إلى حد بعيد، ذلك لأنه لا توجد معاهدات من العصور الوسطى، مكرسة للتجار الأندلسيين كموضوع خاص بهم. ولربما ناقشت مجموعة الفتاوى القضائية النشاطات التجارية المعقدة، ولكنها نادراً ما كانت تذكر أسماء تجار بصورة خاصة. وينطبق الوضع نفسه على الوثائق المدنية وكتب الدليل للأعمال التجارية. وهناك شواهد الأضرحة او القبور التي تقدم الأسماء وتواريخ وفاة التجار، وهناك معاجم السيرة الذاتية أي كتب التراجم وهي الأخرى تذكر اسم العلماء التجار وتاريخ وفاتهم وشيئاً عن رحلاتهم، ولكن مؤلفي هذه الكتب، كانوا يهتمون أولاً بموضوعات حياتهم العلمية. وليس بأعمالهم التجارية.

وفوق ذلك، لا تقدم لنا المصادر سوى القليل عن التخصص التجاري، والحياة الشخصية والأعمال التجارية المشتركة، والتسديد والتدريب، والوضع الاجتماعي أو العمليات التجارية اليومية لمجموع التجار الأندلسيين. ونسمع عن التجار أنفسهم في حالات خاصة فقط أي من خلال رسائلهم، وعقودهم، وحساباتهم ودعاويهم القضائية، وهكذا تقدم رسائل جينيزا في القاهرة تأكيداً واضحاً للإدعاء القائل بأن «أفضل مفتاح لنفسية التاجر هو مراسلاته»[4]. وتمثل رسائل الجينيزا المصدر المبدئي للمعلومات المقدمة هنا حول التجار اليهود الذين تاجروا مع الأندلس. وقد استخدمت معلومات الجينيزا، لبعض التوسع، ولمزيد من الاستكمالات العامة فيما يتعلق بتنظيم التجارة المتوسطية في العصور الوسطى. وتصبح الوثائق العدلية اللاتينية ووثائق كتاب العدل مواد عملية لتتبع رحلات التجار المسيحيين اللاتين إلى موانئ الأندلس في العصر التالي إلى جانب نشاطهم التجاري، وهناك عوامل أخرى، إلى جانب وفرة المعلومات، تجعل من الصعب تحديد موقع التجار في المجتمع الأندلسي. ويبدو أنه كان مألوفاً أن يمسك التجار بمهن أخرى، وهكذا الأمر بالنسبة لكثير من التجار من مالكي السفن، والأطباء والجنود،

(4) R.S. Lopez I.W. Raymond, eds., Medieval Trade in the Mediterranean World. New York, 1955. p. 378.

والموظفين الحكوميين أو العلماء. وقد عزت المصادر هذا الانطباع عن الازدواجية في الوظيفة، لأن قلة من رجال الأعمال كانت مهمة كي تستحق الذكر في الحوليات أو في سجلات أخرى. فقد وجد العلماء التجار المسلمون مثلاً مكانهم في كتب السيرة بفضل علمهم وليس تجارتهم[5].

---

(5) لقد أُلفت كتب التراجم بقصد تسجيل حياة العلماء وتواتر علمهم بقصد التحقق من الانتقال الصحيح للمعارف الدينية. ولم تكن هذه الكتب لتهدف إلى تسجيل المهن الشخصية إلى جانب ذكر حياة العلماء. وهناك مشكلة أخرى جراء استخدامها. أولاً وقبل كل شيء: إن من يحمل لقب تاجر ليس بالضرورة أن يكون تاجراً. فقد يكون حاملاً لاسم مهنة العائلة. ولا تكون تجارته مؤكدة إلا في حالات، حيث يُوصف: عاش حياته كتاجر أو قادماً إلى مكان: كتاجر، أي «تاجراً». لقد أوردت أمثلة من أنماط متأخرة وحسب. ثم يجد المرء نسبة عالية من القادمين من الشرق إلى الأندلس «كتجار» ولكن قليلاً من الأندلسيين الذين يذهبون إلى المشرق للغرض ذاته، وأسباب ذلك واضحة؛ إذ يمكن للتجارة أن تكون تعليلاً معقولاً من أجل رحلة إلى الأندلس، ولكن كتّاب السيرة، كانوا يفضلون ذكر الحج كمحرض للأندلسيين كي يغامروا ويذهبوا للمشرق. وإذا كان الأندلسيون يقومون بتجارة إلى جانب ذلك. فلا يُذكر ذلك.

إن الأعمال الأولى المستخدمة هي: ابن الفرضي (ت 1013) «كتاب تاريخ علماء الأندلس»:

Ibn al-Faradī (d. 1013) Kitab ta'rikh 'ulama' al-Andalus ed.F.Codera. BAH, Madrid, 1890; Ibn Bashkuwal (d. 1183) Kitāb al-sila fi tarikh al-immat Al-Andalus, Cairo 1955; Ahmad al-Dabbi (d. 1202) Kitab bughyat al-multamis fi tarikh rijál ahl al-Andalus. ed.F. Codera, BAH, Madrid, 1885;

ابن باشكوال (ت 1183)، كتاب الصلة في تاريخ أمة الأندلس؛ أحمد الضبي (ت 1202)، كتاب بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس.

Ibn al- 'Abbar (13thc) Kitab al-takmila li-kitab al-sila, ed. F.Codera, BAH, Madrid, 1886.

ابن الأبّار (القرن 13) كتاب التكملة لكتاب الصلة.

The Silat al-silah. Ibn-al Zubayr (d1308) ed. E. Levi-Provencal, Rabat, 1938.

صلة الصلة لابن الزبير (ت 1308) لا يتضمن تجاراً بين صفوف العلماء. وهناك مصدر إضافي هو Akhbar wa tarajim Andalusiya أخبار وتراجم أندلسية لـ Silafi سلافي (ت 1180) حيث نشر القسم المتعلق بالأندلسيين الرحالة إلى المشرق بصورة منفصلة من قبل إ. عباس I' Abbas Beirut 1963 وانظر: A.I.Rozi, "The Social Role of scholars ('Ulama') in Islamic Spain.

وانظر أيضاً دراسة معاجم سير العصور الوسطى أي التراجم وهي:

A Study of Medical Biographical Dictionaries (Tarajim)., Ph. D. Dissertation, Boston University, 1983, pp. 349-71, 410.

=

ويبدو أن التجار وغيرهم ممن جعلوا من التجارة مصدر عيشهم كانوا منتشرين بصورة أوسع، في مراتب المجتمع من العالم الاسلامي في العصر الوسيط أكثر من نظيره في الغرب اللاتيني.

وكما صار واضحاً، من خلال وجود العلماء التجار المسلمين، الذين جمعوا بين المعرفة الدينية والخبرة التجارية، ومن خلال الرسائل المحفوظة في القاهرة جينيزا، فقد كان كثير من التجار مثقفين ورفيعي الخلق وأمكن لهم أن يكونوا رجال دين، ورجال اقتصاد في مجتمعاتهم. ولربما كان هؤلاء الأفراد لا يمثلون غالبية التجار، وعلى الرغم من ذلك فهم التجار الذين تركوا سجلاً عن وجودهم.

يضاف إلى هذا عامل مهم هو أن جماعة او فئة التجار لم تكن كتلة متحدة، بل كانت منفصلة وموزعة على جميع الخطوط الدينية والعرقية، والأصول الجغرافية ورجال الأعمال. إن توصيف الدمشقي لأنماط التجار، يستند إلى ادعاء أو افتراض لشخصيات متنوعة واهتمامات وظيفية. ولقد تبنى ابن خلدون عن بعد، هذا النوع من التمييز أو التفريق ولاحظ وجود نمطين

= وربما كان العلماء المتصوفون أقل انغماساً في أعمال تجارية دولية رابحة. وقد ذكر ابن عربي سلسلة مهن صغيرة مثل (دباغ، صانع القبعات، الإسكافي، ...إلخ) كوساطة لعيش الذين وصفهم في:

Sufis of Andalusia. The Ruh al-quds and al-Durrat al-Fakhirah of Ibn ‘Arabi, trans. R.W.J. Austin. Berkeley, 1977, pp. 76, 84, 97, 115, 117, 124, 140.

الصوفية في الأندلس. روح القدس والدرة الفاخرة لأبن عربي.

بأية حال، كان وضع التجار العلماء في الأندلس فريداً من نوعه. فقد وجد هـ. ج كوهين H.J. Cohen في دراسة حول تصنيف مهن علماء المشرق خلال القرن الحادي عشر أن 4200 من أصل 14000 مادة تصف العلماء في التراجم، وكانت تتضمن معلومات عن تجارتهم. فقد كان بينهم 22٪ مستخدمين كتجار أو مهنيين في صناعة النسيج و 13٪ في المواد الغذائية و 4٪ في المجوهرات و 4٪ في العطور و 4٪ في أعمال الجلود و 4٪ في الكتب و 3٪ في المعادن و 2٪ في الخشب و 2٪ في التجارة العامة و 9٪ وكلاء تجاريين وسطاء:

The Econonic Background and Secular occupations of Muslim Jurisprudents and traditionists in the Classical Pereiod of Islam" JESHO 13, 1970, pp. 26-31.

متميزين من التجار: الماكر، العنيد المكرس للعمل التجاري وهو الذي يتعامل مع جميع أشكال التجارة، ثم الارستقراطي التاجر المزود أو المجهز بدعم مالي وارشاد، ولا يتعامل بصفقات يومية. وطبقاً لملاحظات ابن خلدون فإن التاجر معني بالبيع والشراء وجمع المال، وجني الأرباح وكان من الضروري أن يتصف بالبراعة والسرعة في الدخول في النقاشات والذكاء والثبات العظيم. من ناحية ثانية، يتابع المؤرخ تحديد المواصفات، فقد وُجد نوع ثان من التجار... وهم الذين يتمتعون بحماية منزلتهم، فهم مفضلون وليس لديهم أي شيء يعملون به على المستوى الشخصي مع مثل (هذا الاحتكار للعمل التجاري)[6]. إن هذه المغازلات المتناقضة الساخرة أو الكاريكاتورية، غالباً ما سبق وأشار إليها ابن خلدون واصفاً الفروقات الواقعية، التي يمكن أن تنطبق على تجار الأندلس، كما هو الحال في شمال أفريقيا بلد المؤلف. ومن المؤكد أن معلومات الأندلس تدل على تنوع مهمّ بين أولئك المنخرطين في التجارة بدءاً من التاجر البسيط إلى المستثمرين الارستقراطيين.

من جهة أخرى، فقد تعامل التجار الأندلسيون الدوليون مع أنماط أخرى من التجار. فقد تاجر الرحالة مثلاً مع شركاء حضريين. كما أن التجار الأجانب باعوا واشتروا من تجار محليين. وإن بنية الشراكة الخاصة والتعاون بين التجار موضوعان سيناقشان في القسم الأخير من هذا الفصل. ومن جهة أخرى إن الصفقات التجارية والشراكة لا يعنيان أن رجال الأعمال المشتغلين بتجارة الأندلس قد شكلوا فئة أو جماعة منفتحة. بل على العكس، فمن خلال اختيارهم الشركاء قسموا أنفسهم إلى مجموعات على أساس أصولهم الجغرافية، ويبدو هذا أكثر أهمية من الأصول الدينية. كانت روابط الولاء أو الإخلاص والهوية الواضحة ضمن جماعة التجار

---

(6) Ibn Khaldun, The Muqadimah., trans, F. Rosenthal New York, 1958, II, pp. 343-5.

ابن خلدون . المقدمة.

منسجمة مع الاتجاهات العامة في المجتمع الأندلسي، ذلك لأن التعاون الاقتصادي غالباً ما ينمو خارج تفاعلات المجتمع والدين. ويبدو أن الأندلسيين التجار. بطريقة أو بأخرى. كانوا مترابطين معاً بسبب هويتهم الاقليمية. وكان يتم تعارف الأندلسيين خارج بلدهم من خلال نسبهم Nisba وهو الكنية التي قد تشير إلى الأصل[7]، ثم مدى ارتباطهم مع آخرين من بلادهم[8].

من جهة أخرى، كان يوجد وثاق قوي يربط الأندلسيين ألا وهو الدين والعرق، وهذا يحاول بدوره إلغاء دور التضامن الجغرافي. وكان التجار العاملون داخل مجال تجارة الأندلس ـ وكما هو الحال في عالم المتوسط في العصر الوسيط ـ يفضلون تجميع انفسهم وفق دياناتهم: مسلمون، ويهود، ومسيحيون. ويمكن ان نعثر على مثال ضمن هذا الاتجاه من خلال رسالة من موسى بن ميمون إلى ابنه إبراهيم/إبراهام منبهاً إياه أن يحترس من الغرباء في أثناء ترحاله، وأن «لا يكون صديقاً حميماً لأي

(7) يمكن أن تشتق الكنية أو النسبة من أسماء الأماكن مثل: الأندلسي والفارسي والقرطبي، أو من القبيلة أو العائلة أو نسب آخر. وكان ذلك أمراً مألوفاً في التعريف، وخاصة في أوساط التجار والرحالة البعيدين عن بلادهم وقد استخدمت النسبة من قبل كثيرين ناطقين بالعربية، ومهما كان دينهم، ربما كان ينفع في التعريف ببعض الجماعات. من جهة أخرى، يمكن للنسبة أن تكون غير جديرة بالاعتماد في تعريف الأصل الجغرافي إذ قد تدل على أصل الأجداد، وليس على مكان ولادة حاملها.

(8) إن مسألة التضامن الأندلسي (العصبية) قد نوقشت كثيراً، انظر:

D. Wasserstein, The Rise and Fall of Party kings: Politics and Society in Islamic Spain 1002-1086, Princeton, 1985, p. 165; N.Roth, Some aspects Muslim-Jewish Relations in Spain, Estudios en homenaje a D.Claudio Sánchez-Albornoz III, Buenos Aires, 1983, P.203; M.Benaboud, Asabiyya and Social Relations in al-Andalus during the Period of the Taifa states, Hespéris-Tamuda 19, 1981, pp.5-45; M.Shatzmiller, The Legacy of the Andalusian Berbers in the 14th-century Maghreb; Relationes de la peninsula iberica con el Magreb, siglos XIII-XIV, eds.M.Garcia Arenal and M.J.Viguera, CSIC, Madrid, 1988, pp.205-36; P. Guichard, Structures sociales, orientales et occidentales, dans l'Espagne musulmane, Paris, 1977.

جماعة باستثناء أخوتنا الأحبة في إسبانيا، المعروفين بالأندلسيين»[9].

وكان ميمون يقصد من خلال هذا، أن على إبراهيم أن يكون صديقاً مع الأندلسيين اليهود، وليس بالضرورة مع مسلمين أندلسيين أو مسيحيين. ومن خلال مجاراة الشعور الذي عبر عنه الميموني في نصيحته الأبوية، ترينا وثائق جينيزا أن يهود الأندلس قد تآلفوا فيما بينهم إلى درجة جعلت من جوتين يذكر أن التجار الأندلسيين اليهود الذين يعملون خارج بلادهم قد شكلوا «نوعاً من النادي المغلق حيث يعرف بعضهم بعضاً» وبصورة عامة لا يمكن لغير اليهودي أو لغير الأندلسي أن يشارك فيه[10]. ومن المحتمل أن الأندلسيين المسلمين والمسيحيين قد اشتركوا في عصبة أو جماعة مماثلة. وهكذا ومع أن الأصول الجغرافية مهمةٌ، وسببٌ كي يبحث التجار والرحالة الآخرون خارج الجماعة عن مواطنيهم، فقد وجدوا هويتهم لدى جماعتهم الدينية.

إن مسألة الفصل الديني، كانت حقيقة واقعة في المجتمع خارج العالم الاسلامي، ويظهر واضحاً في مصادر مختلفة أنّ من النادر مثلاً إيجاد نوع أو مصدر منفرد يتضمن معلومات عامة عن التجار من مختلف الأديان. بينما يوجد المزيد من البراهين على الفصل الديني مقدمة من معلومات عن طرق السفر والتخصص بالبضائع[11]. فمثلاً، نادراً ما كانت طرق الشحن البحري المسيحي هي ذات الطرق المتبوعة من قبل المسلمين واليهود. وبصورة عامة اتجه التجار البحارة في أوروبا اللاتينية إلى تفضيل الطرق الممتدة عبر شواطئ

---

(9) Moses b.Maimon, Letters of Maimonides, trans L.D. Stitskin, New York, 1977, p 157.

يستخدم ستيتسكين تعبير Andalusians وأنا أستخدم Andalusis.

(10) S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. Princeton, 1973, p. 184, n.21.

(11) من أجل التخصص المهني لمختلف الأديان والأعراق في المجتمع الأندلسي (على الرغم من أنه لا ينعكس في التجارة الدولية):

"M. Statzmiller Professions and Ethnic Origins of Urban Labourers in Muslim Spain," Awraq 5-6 (1982-3), pp. 149-59.

البحر الأبيض المتوسط الشمالية أو على أطراف الأراضي المسيحية، فيما كان التجار من العالم الاسلامي يفضلون الطرق الجنوبية[12]. ولم تكن مجموعات التجار تشحن في سفن واحدة على الرغم من أن بعض تجار العصور الوسطى كانوا يتعاملون بأنواع متعددة من البضائع. فعلى سبيل المثال إن المسيحيين والمسلمين، وليس اليهود ظاهرياً، تاجروا بالأخشاب حتى أمام التحريم الديني ضد تزويد الأعداء بالبضائع. وبصورة مماثلة، ففي كثير من الحالات لا يستطيع التجار بيع الرقيق أو نقله من ذات دينهم، فالمسلمون اشتروا وباعوا رقيقاً مسيحياً. وفعل المسيحيون ذات الشيء مع المسلمين.

وقد بقي معيار الهوية الشخصية على أسس دينية والأصل الجغرافي على الرغم من وجود خطوط مشتركة وجدت بصورة حتمية بين مجموعات التجار المنفردة .

فقد كان هناك اتصال مؤكد بين رجال الأعمال من مختلف الأديان، وبصورة خاصة من أجل تبادل المعلومات، والحصول على السلع وتنظيم النقل البحري.

وبطريقة مماثلة، فإن هؤلاء التجار المنخرطين في صفقات تجارية منفردة، لم يشكلوا على الاطلاق - إلاّ في النادر - شراكة موثوقة ودائمة. وقد فضلوا التعامل التجاري والشراكة مع أمثالهم في الدين بصورة واسعة.

وقد عمل التجار المسلمون واليهود والمسيحيون، بصورة منفصلة جغرافياً ولكنها متداخلة المجالات التجارية. وكان للجميع نصيب في تجارة البحر الأبيض المتوسط الدولية، وكان الجميع يتاجر مع أسواق الأندلس؛ وكانت لكل مجموعة مخاوف مختلفة، وكان وضعاً مميزاً أن نجد يهوداً او مسيحيين يتاجرون مع جميع الأديان خلال البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. وفي الوقت نفسه حدد التجار المسلمون مجال عملياتهم التجارية في

---

(12) J.Pryor وصف هذه الاتجاهات في: Geography, Technology, and War. Cambridge, 1988.

الأسواق الإسلامية، وتاجروا بحرية جنوب البحر الأبيض المتوسط ومع الأندلس وفي أي مكان من دار الاسلام... وتابعوا أنشطتهم التجارية من جهة أخرى، إلى الشرق حتى الهند والصين. وبالمقابل، كان التجار المسلمون غائبين تماماً عن أسواق أوروبا اللاتينية. وقد طرحت جملة من التفسيرات لهذا التباين.

ولكن أيّاً منها هو غير مُرضٍ تماماً. فربما كانت الأسواق الأوروبية أقل جذباً من نظائرها في البلاد الإسلامية، إذ ليس لديها سوى القليل مما تقدمه في إطار التصدير. وفي أية حال، كان يمكن الحصول على معظم المنتوجات الشمالية بسهولة من التجار المسيحيين الذين احتشدوا بكثرة في الموانئ الإسلامية. وربما أن المسافرين لم يجدوا أن المدن المسيحية ملائمة لحاجاتهم، وخاصة ما يتعلق بالتسهيلات من أجل الاستحمام والطعام، فاجتنبوها في نهاية الأمر.

لقد كانت هذه الاعتبارات أقل أهمية أو إعاقة بالنسبة للتجار اليهود، الذين استطاعوا الاعتماد على وجود جالية يهودية مقيمة في معظم المحطات.

كما لم يشجع التشريع الإسلامي الاتجار والسفر مع البلاد غير الإسلامية، فقد كان هذا مكروهاً، على الرغم من أن تلك الرحلات لم تكن في الواقع ممنوعة (حرام) [13]. وعلاوة على ذلك، فإن القضاة المسلمين في الأندلس وشمال إفريقيا اتبعوا المذهب المالكي في تطبيقاتهم الشرعية الإسلامية، وحاولوا تبني المزيد من المواقف ضد السفر والتجارة مع دار الحرب (البلاد غير الإسلامية) أكثر مما فعله القضاة في أماكن أخرى. وقد ذكر القاضي سحنون (القرن التاسع) أن لدى الإمام مالك «كراهية شديدة» للنشاط التجاري الإسلامي في الأراضي غير الإسلامية، وفيما يلي من الزمن، فإن علماء الشريعة الأندلسيين بمن فيهم ابن حزم المتوفى سنة 1064

(13) B. Lewis, The Muslim Discovery of Europe. New York, 1982, p. 61.

وابن رشد المتوفى سنة 1126 قد حكموا أيضاً ضد الاتجار مع البلدان غير المسلمة[14]. وكانت هذه الآراء المنشودة غير العملية، نتيجة مؤكدة للقرب الشديد بين الأندلس وإسبانيا المسيحية. وبسبب الحدود الإيبرية فإن فرص التجار المسلمين للتجارة مع البلاد المسيحية كانت واسعة جداً أكثر من معظم مناطق العالم الإسلامي الأخرى.

من جهة أخرى، وكما هي الحال مع معظم الشواهد الشرعية، فقد كان هناك تفاوت بين النظرية القضائية والواقع التجاري، ذلك أن تكرار المنع يدل غالباً على عدم الطاعة! وعلى الرغم من أن المؤرخين الحديثين يضعون، وبصورة تقليدية، التجارة خلال حدود الأندلس بين أيدي التجار المسيحيين واليهود، يبدو أن التجار المسلمين قد جالوا في الطرقات البرية الإيبرية، على الرغم من الحد القضائي. فقد كان التجار المسلمون موجودين في أسواق شمال إيبريا، ولكنهم نادراً ما غامروا في شمال البيرينيه. إن عقود وبراءات Fueros مدن قشتالة وأراجون تضمنت مراراً قوائم تعرفة تدل على الناس والبضائع القادمة من بلاد المور. فعلى سبيل المثال، إن عقود إيفورا (Evora) من سنة 1166 سجلت «التجار المسيحين، واليهود وكذلك الموريش والمسافرين» بين أولئك الناس المتأثرين من جراء تطبيقها[15]. وبطريقة

---

(14) Sahnun, Mudawwana al-kubra. سحنون، المدونة الكبرى، Cairo, 1323/1905 x, p. 102; Ibn Hazm, Mahallī محلى Cairo, 1347/1928-9 VII, pp. 349 - 50; Ibn Rushd, Kitab al-Muqaddimat al-mumahhidat ابن رشد، المقدمات الممهدات Cairo, 1325/ 1907, II, p. 285;

كان ابن حزم ظاهرياً وليس مالكياً وهناك عالم مغربي متأخر هو ابن جُزَيِّي (توفي في 1340) كان صارماً في هذه المسألة إذ أفتى بأنه «غير مسموح المتاجرة في دار الحرب» (قوانين الأحكام الشرعية).

(Qawanin al-ahkam al-shar'iya Beirut, 1968 p. 319). See also M. Khadduri, War and Peace in the Law of Islam. Baltimore, 1955; J. Yarrison, "Force as an Instrument of Policy: European Military Incursions and Trade in the Maghrib, 1000-1355." Ph.D.Dissertation, Princeton University, 1982, pp. 269 ff.

(15) Portugaliae monumenta historica: Leges et consuetudines. 1, Lisbon, 1856, p.393. في المجلد نفسه the Fuero of Mós (1162) يشير إلى نسيج مراكشي p.391.

مماثلة، وعَدَ امتياز آخر من سانتا ماريا وكورتس من القرن الثاني عشر أن «السارازان Saracens أي العرب المعفيين أو المسموح لهم بصورة ما، يحصلون على الحماية إذا جاؤوا إلى هذه المدينة بقصد الاتجار بالحيوانات»[16]. وكما ذكرنا في الفصل السابق فإن امتيازات كاسيريس لسنة 1231 قد سمحت للمسيحيين واليهود والمسلمين أن يأتوا إلى معرض سنوي، سواء من الأراضي المسيحية أم الإسلامية[17]. لقد كان مجال عمل التجار اليهود أكثر وضوحاً من نظيره للتجار المسلمين.

وقد وصلت شبكة التجارة اليهودية الأندلس مع جميع أسواق عالم البحر الأبيض المتوسط وما بعد. إن النجاح التجاري لليهود الأندلسيين أو غيرهم خلال العصر الوسيط المبكر قد عُزي إلى أسباب مختلفة. من بينها، الحضور الشامل والكلي للطائفة اليهودية في معظم شواطئ البحر الأبيض المتوسط، واتصالاتهم المتيسرة خلال الروابط العائلية والشراكة، ووضعهم غير الحربي، وموقفهم الليّن تجاه المؤسسات المصرفية، جميع ذلك أدى إلى إقامة شبكة اتصالات تجارية قوية. وقد سيطر التجار اليهود على الحصة الكبرى من تجارة الأندلس من بواكير العصر الوسيط حتى وسط القرن الحادي عشر على الأقل، حيث تعرض لنا رسائل الجينيزا حركة النقل بين موانئ الأندلس وتلك في المغرب ومصر وفلسطين. وتشير كثير من الرسائل المكتوبة في الشرق بصورة خاصة إلى تجار مسافرين إلى الأندلس ومنها. أو تتضمن إشارة مقتضبة إلى واقعة «وصل الأندلسي» أو «ننتظر الأندلسي»[18].

(16) A. Ballesteros y Beretta, Historia de España y su influencia en la historia universal Barcelona, 1920, II, p. 529.

(17) T. González, Colección de privilegios, franquezas, exenciones, y fueros, concedidos a varios pueblos y corporaciones de la Corona de Castilla, copiados de orden de S.M. de los registros del Real archivo de Simancas. Madrid, 1833. IV, p. 94.

(18) تشير وثائق الجينيزا إلى وصول جماعات من الأندلس. كذلك بودل :Bodl b3.20 (ca. 1042); TS 12.794 (1050-5); TS 13 J 16.19 (1050s); TS 13 J 19.20 (1062); TS 16.163 (ca. 1063); TS 8 J 20.2 (ca. 1065); TS 10 J 16.17 (late 1000s); ULC or 1080 J 178 (ca. 1100); TS 13 J 15.16 (1140).

لقد كان رجال الأعمال اليهود أيضاً جزءاً متمماً من اقتصاد الأندلس الداخلي. وهناك فتوى من القرن الحادي عشر تعالج شكوى من باعة جوالين يهود (وتتحدث خاصة عن سهولة وصولهم إلى النساء في البيوت لبيعهن البضائع) وقد سلطت هذه الشكوى الضوء على القابلية الخاصة للتجار اليهود للتحرك خارج المجتمع الأندلسي، حتى الدخول إلى القسم الخاص بسكن النساء[19]. وقد أمسك اليهود بالعقد التجارية خلال حدود إيبريا، وهناك حكاية نادرة ذكرت من قبل عدد من المؤلفين الأندلسيين في القرن الحادي عشر تشير إلى أن رجال الأعمال اليهود قد تمتعوا بحرية وليونة في السفر لم تتوافر لدى جماعات التجار الأخرى في شبه جزيرة إيبريا.

وتقول الرواية أيضاً أن تاجراً يهودياً استؤجر من مسلم ليحاول انقاذ بناته اللواتي أُسرن من قبل المسيحيين في حصار برباسترو Barbastro في سنة 1064. وعلى الرغم من أن المحاولة لم تنجح، فقد ظلت حكاية التاجر اليهودي مثلاً على النخوة العالية، وعدم التعصب الطائفي، وهو ما يتمناه الناس في مثل هذه المواقف[20].

وربما كانت تجارة اليهود خلال حدود الأندلس جزءاً خاصاً من منطقة تجارة اليهود. من جهة أخرى لا يوجد برهان مباشر على اتصال بين اليهود في المشرق من العالم الإسلامي وأولئك في أوروبا[21]. ومن المحتمل أن اليهود الأندلسيين كان لهم دور الوسيط في المجال التجاري اليهودي مماثلاً للذي لعبه الأندلس في العالم التجاري المتوسطي الواسع. وتوحي الشواهد

(19) R.H. Idris, "Les tributaires en occident musulman médiéval d'après le Mi'yār d'al-Wansharisi," Mélanges d'islamologie: Volume dédié à la mémoire de Armand Abel. Leiden, 1974, p. 180.

(20) E.Ashtor, The Jews of Moslem Spain. Philadelphia, 1973-84, III, p. 202.

(21) قلة المعلومات نوقشت من قبل:
A.O. Citarella, "A Puzzling Question Concerning Relations Between the Jewish Communities of Christian Europe and those represented in the Geniza Documents," JAOS 91, (1971), pp. 390-7.

من جينيزا ومن مصادر أخرى - على الرغم من أنها لا تثبت - أن اليهود قد قاموا بهذا الدور. ومن المؤكد أن التجار اليهود تاجروا بانتظام بين الأندلس والمغرب والمشرق العربي، متمتعين بأفضلية علاقات تجارية متطورة وروابط طائفية عبر شرق البحر الأبيض المتوسط. وبالمثل فقد كان لليهود اتصالات خلال حدود إيبريا داخل شمال إسبانيا وأوروبا. ويمكن تلمس هذا في أي مرحلة مبكرة، من خلال أنشطة تجار الرقيق اليهود والرحالة من أمثال إبراهيم ابن يعقوب، وما لمسناه من خلال بنجامين تودلي الذي يبدو أنه عرف عدداً من أفراد ديانته في مدن الساحل الفرنسي والايطالي. ولربما كان للطوائف اليهودية في غرب المتوسط، شبكة اتصالات ليست مختلفة عن النظام القائم في شرق المتوسط. وإن نقطة الاحتكاك بين هاتين الشبكتين تقع وسط الجالية اليهودية الأندلسية.

وعلى الرغم من أن التجار المسيحيين قد تاجروا أيضاً في أسواق الأندلس، إلا أنهم لم يكونوا مسيطرين ولا كثيري العدد. وخلافاً للأندلسيين المسلمين واليهود، فإن المسيحيين المحليين المدعويين موزاراب Mozarab[22]. يبدو أنه كان لهم مصلحة متواضعة في التجارة. ومن المقبول غالباً أن الموزاراب التجار قد كونوا تجارة حيوية وروابط ثقافية بين الشمال والجنوب خلال حدود إيبريا، ولكن النصوص لا تقدم المزيد من الدعم لهذا الأمر. ولا يوجد سوى شواهد عملية عن نشاط التجار الموزاراب في تجارة الأندلس خلال العهد الأموي، ولا توجد معلومات عن العهود المتأخرة، وربما كان اللاجئون منهم يتمتعون بنفوذ في تجارة شمال إسبانيا (مثال ذلك، وجود عدد من الموزاراب التجار يعيشون في طليطلة في القرن الثاني عشر

(22) يعتقد Ashtor أن الموزاراب نقلوا بضائع الرفاهية عبر اسبانيا ويعتبرهم أريبه وفرلاندن ناشطين في تجارة العصر الوسيط، ن:

E. Ashtor, The Jews of Moslem Spain, I, p. 278; R. Arié, España musulmana Barcelona, 1982, p. 251; C. Verlinden, "The Rise of Spanish Trade in the Middle Ages, Economic History Review 10,1940, p. 47.

والثالث عشر)، ولكن لا يوجد سبب يدعو للاعتقاد انهم اشتغلوا بالتجارة مع بلادهم التي هجروها[23]. وهناك تفسير لنقص النشاط التجاري لموزاراب في الجنوب . إذا كان هذا هو الواقع . ربما يكمن في الوضع القانوني للتجارة كمهنة في أعين المسيحيين الأندلسيين خلال معظم العصر الوسيط. وهذا معاكس أو مخالف للاحترام الكبير الممنوح للتجار في المجتمع الإسلامي واليهودي، عندما كانت التجارة متوافقة تكراراً مع مهنة أخرى مثل السياسة والعلم أو الطب. فقد وقع التجار في إسبانيا وفي عهد الفيزيجوت ضحية التراكمات الاجتماعية السيئة، هي ذلك الموقف من التجارة الذي كان سائداً في قشتالة في القرن الثالث عشر. وربما لم ير التجار المسيحيون المحليون سبباً للمنافسة من أجل مهنة يحتقرونها، وهناك من يقوم بها عن طيب خاطر. ومن ثم فإن القليل من التجار المسيحيين الذين عملوا في الأسواق الأموية، وهم غرباء أو أجانب انجذبوا من شمال إسبانيا وأوروبا من خلال رغبتهم في الإنتاج الأندلسي وسلع الرفاهية الإسلامية الأخرى. وقد بقي معظم النقل التجاري بين الأندلس والمناطق المسيحية بأيدي التجار اليهود والمسلمين حتى التبدلات المحزنة (الدرامية) المفروضة إثر التوسع التجاري الأُوروبي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. ومع تطور القوة البحرية الإيطالية، وتقدم الفتوحات الإسبانية المسيحية نحو الجنوب، تحولت التجارة الأندلسية الدولية إلى سيطرة التجار المسيحيين من شمال إسبانيا، وجنوب فرنسا وإيطاليا. وعند وسط القرن الثالث عشر كانت التجارة الإيبرية في معظمها شأناً مسيحياً على وجه الحصر، حتى أن تجارة غرناطة الناصرية سيطر عليها التجار المسيحيون الأجانب.

إن البداية البطيئة للنقل التجاري المسيحي مع الأندلس، ربما يعزى إلى عدم الاهتمام التجاري للمسيحيين وعدم التنظيم في بداية العصور الوسطى أكثر منه إلى التشريع أو الموانع الدينية في العالم الإسلامي. وعلى الرغم من

---

(23) A. González Palencia, Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII. Madrid, 1926-8, pp. 79, 126, 127, 162.

أن التشريع الإسلامي لم يشجع التجار المسلمين على النقل التجاري في البلاد المسيحية، لكنه وضع قليلاً من الحواجز في طريق التجار المسيحيين القادمين. لقد كان الرحالة الأجانب من غير المسلمين مطلوبين في دار الإسلام للحصول على شهادة الوصول الآمن (أمان)، والتقيد بالنشاطات المقررة لجميع التجار غير المحليين[24]. لقد كانت شهادة الأمان صالحة، بصورة عامة، لمدة أربعة أشهر إلى سنة، وتسمح لغير المسلم أن يعيش ويعمل في الأراضي الإسلامية خلال هذه المدة دون أن يتحمل وضع مقيم غير مسلم أي (ذمي) حتى مع الوثائق اللازمة، وبعد أن استقامت التجارة المسيحية في القرن الحادي عشر والثالث عشر، ظل المسيحيون محدودين عملياً في اتصالهم مع بعض موانىء المدن حيث يقيمون بيتاً تجارياً (فندق) مع جالية صغيرة من بلدهم. من جهة أخرى، كان نادراً أن يدخل التجار الأوروبيون إلى شبكات التجارة الدولية في البلاد الإسلامية. وباستثناءات قليلة، أمكن للتجار الأجانب أن يمروا مع أي نوع من البضائع[25]. وإذا ما واجه التجار المسيحيون قيوداً على مرورهم إلى البلاد الإسلامية، فهي تعني أنها مفروضة من قبل حكامهم وسلطاتهم الدينية، أكثر من أن تكون من قبل مستضيفيهم المسلمين.

وقد كانت السياسة المألوفة للسلطات المسيحية، حتى القرن الثالث عشر على الأقل، تكرار القيود ضد حركة المرور إلى أراضي «الأعداء» المسلمين. وربما يعزى النقص في البنية القضائية الإسلامية من واقع أن القضاة المسلمين، وكذلك التجار المسلمين واليهود، يبدون نظرة لا تخلو

---

(24) درس طبيعة هذه المؤسسة:

J. Wansbrough, "The Safe Conduct in Muslim Chancery Practice," BSOAS 34, 1971, pp. 20-35, and by Khadduri, War and Peace, pp. 163-4.

(25) لم يمنع سوى القليل من المواد فقد حكم ابن رشد (ت 1126) أنه يجب أن لا يبيع التاجر المسيحي عبيداً في دار الاسلام (كتاب المقدمات).

(Kitāb al-muqaddamat, pp. 274-6).

من ازدراء للتجار المسيحيين. ولم يكن ينظر إلى الأجانب كغرباء، بل اعتبروا سذجاً وبسطاء. وقد استشهد ابن عبد الرؤوف (كتب بين 975 - 950) وهو المراقب للأسواق الأندلسية، للخليفة عمر، لدعم رأيه أنه «يجب ألا يبيع الأجانب في أسواقنا ما لم يفهموا ديننا (ولهذا) من المفضل المتاجرة مع أناس متعلمين ودمثين»(26). ونجد في بعض الحالات أن المسيحي الغريب تحول إلى فكاهة محلية، فقد كتب شريك من الإسكندرية إلى نهريا ابن نسيم في القاهرة القديمة نحو 1075 مفصلاً له حماقات التجار المسيحيين الذين «لا يميزون بين الصنف الأول والأدنى من السلع. إذ تبدو لهم جميع الأصناف شيئاً واحداً ويدفعون السعر نفسه... إنهم يشترون المواصفات المتدنية بالسعر نفسه، وكأنها أنواع ممتازة، وهم غير مهيأين لدفع المزيد للنوع الأخير»(27).

لقد جاء التجار المسيحيون إلى أسواق الأندلس من شمال إسبانيا والمناطق الأخرى من أوروبا في بواكير القرن العاشر. وقد دافع القضاة المسلمون عن وجوب حماية هؤلاء التجار، وخاصة في العصر الأموي. فقد دعا ابن أبي زياد (توفي سنة 996) إلى العودة إلى فتوى سحنون من المذهب المالكي في القرن التاسع التي تقول «ما يخص المراكب المسيحية الواصلة، فليس من المسموح احتجازها إذا [كانت تحمل تجاراً معروفين بعلاقاتهم

(26) E. Lévi-Provençal (ed), ابن عبد الرؤوف، رسالة، Ibn 'Abd al-Ra'uf, Risala. Documents arabes sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge. Cairo, 1955, pp. 84-5.

ينسب ابن عبد الرؤوف هذا القول إلى عمر وحسب وليس واضحاً إذا كان يقصد عمر الأول أو الثاني.

(27) BM or 5546.27; trans. A.L. Udovitch, "A Tale of Two Cities, Commercial Relations between Cairo and Alexandria during the Second Half of the 11th Century," The Medieval City eds. H. Miskimin, D. Herlihy, A. Udovitch, New Haven, 1977, p. 156.

نوقش موضوع ازدراء المسلمين للتجار المسيحيين وغيرهم في:

A. Al-Azmeh, "Barbarians in Arab Eyes," Past and Present 134, 1992, pp. 3-18.

التجارية مع المسلمين...]» [28]. إن سلامة هؤلاء التجار المسيحيين الذين يمرون عبر الأراضي الأندلسية ببضائعهم، تتعلق بتبدل مناخ العلاقات بين الممالك المسيحية وحكام الأندلس. وكانت سلامة مرور البضائع في زمن الهدنة مضمونة تحت حماية القانون «الأمان»، هذا بصورة نظرية، إن لم يكن فعلياً ودائماً، ولتأكيد هذا المفهوم العام، فقد ذكر ونشريسي Wansharisi فتوى من القرن العاشر تتعلق بمسيحي ناج من الأسر عاد تاجراً إلى المدينة الأندلسية التي أسر فيها وقد حكم القاضي ثانية أنه، في زمن السلم، فإن هذا الرجل وغيره من المسيحيين في مثل حالته مصونين ضد الأسر ثانية[29]. وتبين لنا حالة هذا الرجل الذي أُسر ومن ثم منح الأمان طبيعة العلاقات المتبدلة بين الأمويين والمسيحيين. وتدل على تأثير السياسة وأدوار الهدنة شكلياً على التجارة. ومع الفتوحات وآثارها العدائية عند وصول المرابطين ثم الموحدين انخفض مستوى الأمن التجاري عبر الحدود البرية في إيبريا. وهناك مسألة طرحت قبلاً، جعلت الأمير المرابطي تميم بن يوسف بن تاشفين (متوفى 1127) يسأل عن إمكانية أسر فريق من التجار المسيحيين من طليطلة، قدموا إلى قرطبة في زمن السلم، وأَخْذهم رهائن مقابل عودة بعض المسلمين المأسورين. وقد كان الجواب إيجابياً. وأمكن الاحتفاظ بالتجار وبضائعهم حتى استعادة الأسرى، وبعد ذلك تتحدد الهدنة المتوقفة[30]. ويمكن رؤية الأخطار المهنية المتأصلة في التجارة البرية في مصادر أخرى. إذ يصف أحدها وهو من القرن الحادي عشر، كيف نجا تاجر كتلاني يدعى

(28) M. Talbi, "Intérêt des œvres juridiques traitant de la guerre pour l'historien des armées médiévales ifrikiennes," Cahiers de Tunisie 4, 1956, p. 291.

أخذت هذه الترجمة الانجليزية من M. Talbi الفرنسية غير المنشورة لمخطوط لابن زياد «كتاب النوادر».

Ibn Zayd, Kitāb al- nawadir. Tunis, Zaytuna ms. 5191. fol. 287r.

(29) H.R. Idris, "Les tributaires en occident musulman," p. 174.

(30) Wansharisi, Mi'yar al-mu'rib wa al- jami' al-maghrib. ed M. Hajji, 13 vols., Rabat Beirut, 1401/1981 IX, pp. 598-9 ونشريسي، معيار المعرب وجامع المغرب.

أورنولد بأعجوبة من كمين أحد المسلمين عندما كان مسافراً من منزله في كردونا Cardona (في وسط كتلونيا) إلى بلجاريس Balegaris (قرب لوريدا Lerida).

ووردت قصة أخرى عن راهب يبحث عن السفر إلى بلنسيا في القرن الثاني عشر، وبعد أن قيل له إن معظم الطرق مستحيلة بسبب الحرب، فقد نُصح بالذهاب إلى سنتياجو حيث يمكن له أن يلتحق بتجار قد دفعوا مكساً مقابل حمايتهم في رحلتهم إلى بلنسيا[31]. وعلى الرغم من فقدان الأمن في التجارة البرية، فقد بدأت حركة التجارة البحرية الإيطالية نحو موانئ الأندلس بالازدهار في هذا الدور. وكان الوصول إلى الموانئ أسهل للمراقبة من الطرق البرية، ويبدو أن الحكام المرابطين والموحدين قد شجعوا تجارة المسيحيين البحرية (من خلال معاهدات دبلوماسية مع المدن الإيطالية، في الوقت نفسه الذي أعاقوا فيه حركة التجار القادمين من الطرق البرية أي من مناطق الأعداء في شمال إسبانيا). فالأوضاع السياسية أو الدبلوماسية المختلفة للمناطق المسيحية، بعضها كان في حالة حرب مع الأندلس، وبعضها الآخر ليس كذلك، إذ انقسم فيها جمهور التجار المسيحيين. وخلافاً للمسلمين ولليهود فإن التجار المسيحيين لم يشكلوا جماعة قوية متماسكة، بل انحصرت درجة أعمالهم في الخطوط المحلية أو بين المقاطعات القومية، ومنذ ذلك الوقت ربحوا نفوذاً قوياً في تجارة إيبريا أي في آخر القرن الحادي عشر. وعلى الرغم من أن الجنويين كانوا يرون أنفسهم جزءاً من الطائفة المسيحية الكبرى، فقد اتجهوا إلى التعاون مع الجنويين، وكذلك فعل الكتلان مع الكتلان، وهكذا كان كل فريق يرى في الآخر منافساً له في التجارة. وقد شُجع هذا الاختلاف من قبل الحكام المسيحيين، الذين شرَّعوا القوانين وفق مصالح أتباعهم وتوسع أعمال التجار الأجانب.

---

(31) Liber miraculorum Sancte Fidis. ed. A. Bouillet, Paris, 1897. Appendix, p. 243, p. viii; Bouillet يؤرخ هذا المخطوط في وسط القرن الحادي عشر بالتأكيد قبل 1060؛ Herman of Tournai, "Epistola de corpore S. Vincentii diaconi," Analecta bollandiana 2, 1883, p. 246.

وقد كان جمهور التجار المسيحيين منقسمين أيضاً من خلال وصولهم إلى أسواق الأندلس. فقد كان على التجار القشتاليين أو النقاريين أن يأتوا عبر الطرق البرية، وكان من الأسهل للطليان والتجار الأوروبيين الآخرين بمن فيهم الكتلان أن يأتوا بحراً. ولهذا السبب فإن تجار شمال مركز شبه الجزيرة قد تغلغلوا غالباً في عمق الأندلس أكثر من بقية التجار المسيحيين. وإلى جانب هذه المغامرات البرية للوصول إلى أسواق الأندلس، وجدت التجارة الدولية القشتالية بقوة قبل القرن الثالث عشر. فقد كانت هناك سلسلة عمل تجاري صغير خلال موانئ الأطلنطي في لاردو Laredo وسنتاندر Santander وكاسترو وأورديال Urdiales، وسان فيسنت دو لابركيرا San Vicente de la Barquera، ولكن هذه الموانئ لم تصبح حيوية للاقتصاد القشتالي حتى نهاية القرن الثالث عشر[32]. وبالمقابل فإن أراجون . كتلونيا، وبفضل شاطئها المتوسطي الطويل، أنجزت بناء أول وأكبر قوة بحرية مميزة. إن سهولة النقل البحري النسبية أدت إلى توسع تجاري هائل في كتلونيا خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر، عندما بدأت برشلونة بمنافسة القوى البحرية الإيطالية. وتُعزى الاختلافات في التطور التجاري في كتلونيا وقشتالة بجزء منه إلى اختلاف مفاهيم الحالات الاجتماعية للتجار، وفي حين أن الشخصية التجارية الكتلانية قد تطوّرت متوازية مع المفاهيم الإيطالية والفرنسية الجنوبية مؤدية إلى خلق ما سماه بعض المختصين بالبرجوازية التجارية، فإن التجار في قشتالة (في مناطق الفيزيجوت والموزاراب) كانوا في موضع أدنى. وما من قشتالي ذي منصب اجتماعي كان يرغب في أن يكون تاجراً مهنياً خلال القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، وكانوا سعداء بأن يتركوا أعمالهم التجارية بين أيدي التجار الأجانب وخاصة الجنويين.

---

(32) T. Ruiz, "The Transformation of the Castilian Municipalities: The Case of Burgos 1248-1350," Past and Persent 77,1977, p. 12; L. Garcia de Valdeavellano, El mercado en Leon y Castilla durante la edad media. [2nd edn., Seville, 1975], p. 154.

الشركاء التجار

على الرغم من الانقسام الديني داخل جماعة التجار الأندلسيين، كانت التجارة مهنة اجتماعية، فقد كان التجار ملزمين بروابط التعاون والشراكة بعضهم مع بعض. وكان التمييز بين التعاون والشراكة أمراً غامضاً أو مبهماً، ففي كثير من حالات التعاون، بما في ذلك الخدمات بين الأصدقاء، كانت الرسائل الشخصية تتضمّن معلومات سرية عن المهنة، يمكن اعتبارها نمطاً من الشراكة غير الرسمية. وبالمقابل، فإن الشراكة الرسمية هي بصورة عامة قانونية وملزمة ويستنتج أن القانون وضع لفترة المشروع التجاري أو أبعد منه. ويجب أن يُجرى العقد بين شخصين أو مع شبكة أوسع من أعضاء العائلة، أو مع شركات أعمال أو وكلاء، ويخدم الشركاء في كثير من الوظائف. إذ عليهم أن يستقبلوا وأن يرسلوا، وأن يحملوا، وأن يشتروا وأن يبيعوا البضائع وعليهم تحويل المال اللازم، وهم يحيطون الأعضاء الاخرين في الشركة أو المشروع التجاري بالاسعار المحلية والشروط وصلاحية السلع.

لقد عمل التجار المسلمون واليهود والمسيحيون جنباً إلى جنب في تجارة البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط وتعاونوا مراراً على أسس غير رسمية. وكان التعاون جلياً من خلال مرور السلع والمعلومات بين مختلف مجموعات التجار. فعلى سبيل المثال، هناك تاجر يهودي، يكتب من الأندلس إلى مراكش في سنة 1138 قائلاً: إنه تلقى معلومات من تجار مسلمين، وصلوا لتوهم من الإسكندرية[33]. وبطريقة مماثلة هناك تاجر جنوي، وقد أبحر إلى سبتا أو إلى بوجي، ربما توقف في طريق رحلته في ميناء أندلسي جنوي للحصول على أخبار من التجار المحليين عن شروط الاتجار العادية في شمال أفريقيا[34].

---

(33) Bodl d74.41.

(34) هناك عقد من مدينة نوليزو naulizo كتب سنة 1253 يسمح بتوقف في ملقا في الطريق من جنوا إلى شمال أفريقيا.

ASG Cart. 29, fol. 164r.

وكانت الصفقات التجارية بين مجموعات التجار المختلفة واضحة وجلية في السفر والشحن البحريين، حيث يمكن للمركب الواحد أن يُحمّل لتجار مختلفين، وعبر النقل البري أيضاً. وتبين رسائل الجينيزا أن تجاراً يهوداً سافروا بين الأندلس والمشرق على مراكب مسلمة. وفي عدد من الحالات، يتم تعريف هذه السفن على أنها ملك للحكام المسلمين مثل السلطان أو القائد أو تعود ملكيتها إلى مسلم ايبري عادي من مثل عبدالله الأندلسي. لقد سافر يهودا هاليفي إلى مصر على سفينة رسمية (مركب السلطان) في سنة 1140. وهناك مراكب أخرى مجهولة أصحابها، كانت تحمل المسافرين اليهود والمسلمين، كما تذكر رسائل الجينيزا. وهناك مركب قد غرق في أثناء رحلة من ليبيا إلى إشبيلية في وسط القرن الحادي عشر، وعلى ظهره سبع وثلاثون يهودياً وثلاثمئة مسلم. ولم ينج سوى القليل من المسافرين[35]. ولربما سافر اليهود خلال البر مع التجار المسلمين، كما يبدو في جواب رابي الفاسي من القرن الحادي عشر الذي ذكر أن تاجراً يهودياً أندلسياً عاد إلى الأندلس مع قافلة الإسماعيلي[36].

وفي وسط القرن الحادي عشر ـ وكان بدأ الشحن الإيطالي يسيطر على طرق غرب المتوسط ـ أصبح مألوفاً للتجار المسلمين واليهود أن يبحثوا عن السفر على سفن مسيحية[37]. وعلى سبيل المثال، فإن الرحالة الأندلسي ابن جبير، الذي أبحر إلى المشرق وعاد على ظهر سفينة مسيحية في سنة 1180، لاحظ أن المسلمين والمسيحيين لم يختلطوا على ظهر السفينة[38]، والواقع أن النقل المسيحي كان مألوفاً جداً في هذا الدور لدرجة دفعت الخليفة

(35) TS 16.54.

(36) Alfasi, Isaac b. Jacob, She'elot u-teshuvot. Bilgoraj, 1935, reprinted Jerusealem, 1973, no. 72.

(37) Bodl c28.60; تذكر الرسالة تاجرين مسافرين من المهدية إلى صقلية على ظهر مركب ايطالي.

(38) Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubair. trans. R.J.C. Broadhurst, London, 1952, pp. 26, 325, 353.

الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور أن يهتم بتضمين فقرة في معاهدة سنة 1186 مع مدينة پيزا يحدد فيها بصورة خاصة أن تمتنع عن نقل الركاب المسلمين على ظهر سفنها[39]. وعلى الرغم من هذا الواقع، فإن التاجر المسلم بن مهلم، الذي أبحر من سبتا على ظهر سفينة جنوية سنة 1222، لم يكن الوحيد بين الكثيرين من غير التجار المسيحيين لينتفعوا من النقل الإيطالي والكتلاني في القرن الثالث عشر[40].

وعلى الرغم من التعاون بين الأديان، فنادراً ما اجتاز الشركاء حدود دينهم. فقد شكل التجار اليهود شراكة مع اليهود الآخرين بصورة عامة. والمسلمون مع مسلمين آخرين. وفي بواكير القرن الحادي عشر، عُرف عن التاجر المصري ابن حوقل أنه اشتغل مع وكلاء مسلمين ويهود[41]. ولربما دخل التجار الجنويون المسيحيون في شراكة مع التجار اليهود مع أن الشراكة بين المسيحيين والمسلمين كانت نادرة[42]. ولعل تقاليد الشركاء وتطلعاتهم قد وضعت العراقيل في سبيل المغامرة في التعامل بين الأديان. وبصورة عامة توحي الشواهد إلى أن التعهد طويل الأمد للشريك كان مألوفاً أكثر بين التجار المسلمين واليهود مما كان لدى المسيحيين الأوروبيين، وتميل الشراكة

(39) M. Amari, ed, I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino. Florence, 1863, p. 21.

(40) Salmon, Liber magistri Salmonis sacri palatii notarii 1222-1226. ed. A. Ferretto ASLSP 36, 1906, p. 100, 283. See also C.E. Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siecle. Paris, 1966, p. 576.

(41) N.A. Stillman, "The Eleventh-Century Merchant House of Ibn 'Awkal, A Geniza Study," JESHO 16,1973, p. 23.

(42) من المشكوك به، نظراً لديانة بعض التجار المذكورين في عقود جينيزا، ما يجعل صعباً التحقق من اتساع الشراكة الجنوية بين الأديان. إن وجهة نظر:

E.H. Byrne "Easterners in Genoa," JAOS 38,1918, pp. 176-87, and B. Nelson "Blancard (the Jew?) of Genoa and the Restitution of Usury," Studi in onore di Gino Luzzato, Milan, 1949, I, pp. 96-116, صارت عتيقة. C. Cahen قد عالج مسألة العلاقة الإسلامية المسيحية في مصر في in "Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Egypt médiévale d'après le 'Minhadj d'al-Makhzumi," JESHO 7(1964), p. 270.

الرسمية إلى أن تكون أطول عمراً في العالم العربي منها في العقود المسيحية، التي بقيت صالحة لعملية تجارية واحدة عملياً.

وقد وجدت أنواع عديدة من الشراكة الرسمية في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط[43]. ففي المحيط الإسلامي، تستخدم غالباً التعابير «شراكة» أو «خُلطه» لوصف شراكة بين شخصين يستثمران رأسماليهما، ويعملان بهدف أرباح اقتصادية. ومن ثم تقسم جميع الأرباح بين الشريكين وفقاً للاستثمار الفردي. وإن أفضل تسوية أو تنظيم مُحكم هو «القراض» و(المضاربة) حيث يقوم الفريق الأول المستثمر (و ن) الرأسمال في حين يقدم الفريق الثاني العامل (ون) العمل. وكانت الأرباح تقسم وترياً وليس شفعياً، وأكثر الأمثلة المألوفة هي قسمة ثلثين للفريق الأول كتعويض عن المخاطر الاقتصادية وثلث للفريق الثاني للمخاطر الجسدية. وعلى الرغم من أن اللمحة الأولى لهذا النظام ربما تُظهره مناسباً لتجار مستثمرين مدنيين وأغنياء، حيث يقرضون المال لوكلاء رحالة، فقد سمح هذا النظام لمستثمرين هامشيين لوضع مبالغ صغيرة أو سلع لتؤخذ شراكة من قبل عارف جيد وتاجر ناجح. وبصورة مماثلة فقد أدت الشراكة الرسمية في محيط البحر الأبيض المتوسط إلى تصاعد المضاربات على الاتصالات التجارية بين الأديان وتدفق في تبادل الأفكار التجارية والتقنية. وفي كثير من الوجوه، فإن «القراض» (الذي ظهر في القانون الإسلامي في القرن التاسع) كان مشابهاً لأشكال الشراكة السابقة لليهود وهي بالعبرية «عصق» 'isqa وبالبيزنطية

(43) من أجل وصف كامل للشراكة الرسمية ن:

S.D. Goitein, Mediterranean Society. Berkeley, 1967-88, I, pp. 164-83, ومقاله "Commercial and Family Partnerships in the Countries of Medieval الأقدم Islam," Islamic Studies 3, 1964, pp. 315-37. Also, E. Bach, La cité de Gênes au XIIe siècle. Copenhagen, 1955, pp. 16-20; A.L. Udovitch, Partnership and profit in Medieval Islam. Princeton, 1970; J.H. Pryor, "The Origins of the 'Commenda' Contract," Speculum 52,1977, pp. 5-37. Also of interest are the economic models proposed by A. Greif, "The Organization of Long Distance Trade: Reputation and Coalitions in the Geniza Documents and Genoa during the 11th and 12th centuries" Ph.D.Dissertation, Northwestern University, 1989.

Chreokoinonia . وفضلاً عن ذلك كان «القراض» يُميز من خلال إعفاء الوكيل في معظم الحالات، من أي مسؤولية عند فقدان الرأسمال. ومن المحتمل أن القراض قد تبنته أوروبا الغربية وكذلك اللاتينية، Accomendatio, commenda التي بقي منها أقدم الأمثلة في عقود من البندقية مؤرخة في 1072[44]. إن تركيب هاتين الشراكتين الرسميتين هو جوهرياً الشيء نفسه مع أن القراض، خلاف الـ commenda، كان غالباً يستمر لزمن طويل وأمكن استعماله في التجارة البرية وكذلك المضاربات المالية البحرية المرغوبة بالـ: commenda[45] وسواء أكان التشابه مشتقاً من صلة مباشرة، فإنه يُظهر توازياً في فوائد العمل التجاري، ويوحي بالمبادلات بين التقنية التجارية للمسلمين واليهود والتجار المسيحيين في هذا الدور. وإذا كان الـ commenda قد نشأ من «قراض» فمن الجدير بالملاحظة أن الفكرة قد تبناها العالم التجاري العربي مباشرة عندما بدأ المحور التجاري الإسلامي بالضعف في البحر الأبيض المتوسط. وكان التجار الأوروبيون يفضلون استخدام الـ commenda، والقروض البحرية Foenus nauticum وsocietas كإنموذج للشراكة التجارية. وقد وجد الثلاثة معاً خلال القرن الثاني عشر؛ ولكن معظم العقود الجنوية الباكرة مع التجار المسافرين إلى اسبانية قد عُبّر عنها بـ ...Cum hac societate laboratum ire debet Yspaniam[46]. ومن النماذج الثلاثة، كان القرض البحري هو الأقدم، فقد استخدم في التجارة الرومانية إلا أن استخدامه في العصر الوسيط كان محدوداً لسببين: لاعتماده

---

(44) هذا النص ترجم في:

R.S. Lopez and I.W. Raymond, Medieval Trade, pp. 178-9.

(45) A.L. Udovitch, "At the Origins of the Western Commenda: Islam, Israel, Byzantium?" Speculum 37, 1962, pp. 198-207.

وعكس نظرة Udovitch فإن: J.H. Pryor ("The Origins of the 'Commenda' Contract") يبرهن أن commenda: قد أنشئت من نماذج غربية قديمة للشراكة.

(46) انظر على سبيل المثال عقداً مؤرخاً في 16 كانون الثاني عام 1160.

in Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano and M. Moresco. Rome, 1935, p. 327, 603.

الكلي على دفع الفوائد مقابل المال المقرض وثانياً، أن القرض يحتاج أن يكون معاداً مجرد الوصول بالسلامة للمركب أو الحمولة. وهذا الشرط الأخير ـ مع عدم الأمان للشحن البحري في العصر الوسيط، حيث كان البحر الأبيض المتوسط منذ زمن ليس طويلاً بحيرة رومانية ـ شجع الفوائد العالية النسبة، وخفَّض العائدات على استثمار القرض البحري[47].

من جهة أخرى، إن الـ societas مثل «القراض» والـ commenda سليمة وأكثر أمناً، حيث رُبط بتوزيع الأرباح إثر المحاولة التجارية أكثر من دفع الفوائد (وهي ممارسة مكروهة من المسلمين والمسيحيين). من جهة أخرى، وخلافاً لـ: commenda، تتطلب الـ societas البسيطة أن يستثمر الطرفان رأسمالاً في المشروع التجاري، ويساهم المستثمر بثلثين والعامل أو الوكيل التجاري بثلث واحد، وتقسم الأرباح بالتساوي. ونرى في بعض الحالات مبلغاً كبيراً (لأحد الشريكين) دعم الاستثمارين معاً[48]. وبالمقابل، فقد جمعت الـ commenda القراض الإسلامي في فريق الاستثمار بين المستثمرين (100٪) والوكيل. وكان توزيع الأرباح مختلفاً، ويتجه أن يكون 75٪ للمستثمرين commendator و 25٪ للوكيل tractator. ومع وجود تبدل ظاهر في السجل العدلي من تفضيل لـ: societas، في وسط القرن الثاني عشر إلى تفضيل commenda في بداية القرن الثالث عشر، فمن غير المؤكد، إذا كانت هذه الصيغ متميزة بوضوح في عقول التجار الذين يجرون العقود.

---

(47) كانت هناك حاجة خاصة للاهتمام بالنصوص العدلية للعقود المتعلقة بالقروض البحرية بقصد الافلات من رقابة القانون الكنسي. ومن أجل المزيد عن القروض البحرية ن:

C.B. Hoover, "The Sea Loan in Genoa in the 12th Century," Quarterly Journal of Economics 40, 1925-6 pp. 495-529, and Pryor, "The Origins of the 'Commenda' Contract," pp. 22-3.

(48) E.Rottenburger, "Genoese Relations with Mediterranean France and Spain and the Balearic Islands, 1155-1164." MA Thesis, University of Cincinnati, 1947, p. 108.

من المألوف أن نجد هذه المبالغ الخاصة موظفة في شركة أو قراض أو commenda.

إن استخدامهم للتعبير commenda and societas يمكن أن يكون غامضاً ولا يتبدل، إلى درجة (كما لاحظ بريور) يمكن اعتبارهم فيها نماذج ثنائية وأحادية الجانب للنمط نفسه من الشراكة[49]. ومن خلال التوسع في العمل فقد يتنازع الطرفان حول العلاقة بين «شراكة» و«قراض».

إن الشراكات بين التجار الأندلسيين أو بين التجار الأجانب المسافرين برحلات إلى شبه الجزيرة، لا تبين فوارقاً بين الشركاء وبين التجار المتاجرين في مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. وقد أورد القاضي الأندلسي من طليطلة، ابن مغيث (المتوفى في 1067) تفاصيل عقد إسلامي تقليدي جاء فيه: «شريك (أ) وشريك (ب) أقاما شركة للتجارة يأخذ الشريك أ بعض المبلغ من موجوداته ويأخذ الشريك ب مثل المبلغ، ويخلطان (المال) وبذلك يكون لهما كيس واحد لتجارة مشتركة في أي سوق وفي أي بلد...»[50]. وكتب جويتين، مثالاً آخر: «أنموذج شراكة بين تاجرين يهوديين، يسميان (ربما خطأ) إبراهيم بن موسى، وكان واحد منهما من مدينة مالوركا. وقد دفَعَ كل شريك، في أساس الشراكة، مبلغ مئتي درهم من أجل السفر إلى مكان غير محدد. وقد وضعت الأموال «في كيس واحد» وتواعد الشريكان على «البيع والشراء، والأخذ والعطاء والقيام بتجارة بماليهما وشخصيهما» واتفقا على اقتسام الأرباح بالتساوي[51]. إن مثل هذا العمل في

(49) قَدَّر H.C. Krueger قيمة العقود في وسط القرن الثاني عشر كالتالي: ما يزيد على 57٪ لجميع العقود التجارية في جنوا، 22٪ لـ commendas و 21٪ للقروض البحرية. وخلال عام 1200 كانت الأرقام بالتسلسل كالتالي: 13٪، 72٪، 15٪ ن:
"Genoese Merchants, their Associations and Investments, 1155-1230," Studi in onore di Amintore Fanfani, Milan, 1962 I, p. 421. Pryor, "Origins of the 'Commenda' Contract," pp. 6-7.

(50) ابن مغيث «المقنع في علم الشروط» Ibn Mughïth, Muqni' fi 'ilm al-shurüt. Real Academia de la Historia, Madrid, Gayangos ms. 44. fol. 71r. يشير إلى كل فريق بفلان «fulān».

(51) TS 8 J II.14; See Goitein, Mediterranean Society, I, pp. 173, 442.

تجميع مصادر المال أمكن بفضله تقديم رأسمال كبير وتقليل المخاطر، وزيادة مجمل الأرباح من الصفقات التجارية.

لقد كان هناك استثناءات وتنوعات في أساس نماذج الشراكة سواء أكان بين الأندلسيين أم بين الآخرين. وقد استثمر هلفون بن نتائيل مبلغ (ستين مثقالاً مرابطياً جيداً شراكة مع يوسف بن شعيب بعقد ثنائي غير عادي من أجل رحلة تجارية من فاس إلى الماريا في كانون الثاني من سنة 1138 وقد شارك ابن شعيب بمبلغ أربعين أخرى وسافر إلى الأندلس وكيلاً. وكانت العائدات من هذه الرحلة التجارية موزعة بالتساوي[52]. وفي كثير من الحالات كان هذا التنظيم أكثر شبهاً بـ societas من «قراض» إذ تظهر السيولة ويظهر التنوع في مثل هذه الترتيبات.

ولعل العلاقات بين المستثمر والوكيل لم تحقق غالباً متطلبات الشراكة الانموذجية، وإن حكاية أو قصة شخص يدعى حبيب أحمد اللهمي Lahmi توضح أهمية الدعم المالي للنجاح في التجارة الدولية. سُمي حبيب قاضي قرطبة في سنة 904، وأصبح غنياً، من خلال مساعدة أحد أرباب العمل. وفي حكايته مع قضاة قرطبة يروي خُشَني أن «ثروة حبيب، سببت له القلق بقدر ماله، الذي يعود فضله إلى القاضي سليمان بن أسود الذي أبدى قلقاً عظيماً تجاهه... مبيناً له أسس العمل التجاري، ويلح عليه أن (يصبح تاجراً). ويرد حبيب أن على المرء أن يستحوذ المال كي يذهب للتجارة، وهو لم يكن معه شيء. وبعد سماع ذلك، انتظر سليمان بضعة أيام ثم دعا (حبيباً) إليه، وأعطاه خمسة آلاف دينار قائلاً «خذ هذه وتاجر بها لنفسك»[53].

وعلى الرغم من عدم وضع شروط لاقتسام الأرباح في المستقبل، فإن هذه القصة، يمكن أن تقرأ على أنها عقد قراض أنموذجي أكثر منها حكاية

---

(52) TS 12.830.

(53) Khushanï, Historia de los jueces de Cordoba por Aljoxaní. ed. and trans. J. Ribera Madrid, 1914, pp. 175-6, 216-17.

وحسب، عن كرم شيخ تجاه رجل شاب. إن كل كلمات سليمان في النهاية، تدل على أنه يتوقع من حبيب أن يستعمل ذكاءه ومبادرته الخاصين ليحقق كسباً من هذا الاستثمار. لقد كان من الممكن ممارسة العمل التجاري بصورة مستقلة (وينال التشجيع) داخل الشراكة، على الرغم من أن استقلال الاعضاء يختلف بالنسبة للعلاقة بعضهم مع بعض. ومن المعتاد أنه إذا تغيب أحد الشركاء أو أنه كان منشغلاً، فإن الطرف الآخر، كان حراً في القيام بالعمل التجاري على حسابه الخاص، ويمكن لنا العثور في بعض الرسائل على عبارات متبادلة بين شركاء عريقين من مثل «اعمل ماتراه مناسباً» في حين قد توجه تعليمات صارمة إلى شريك أكثر شباباً مثل الرسالة التالية التي وجهت شبه إنذار ووصية من تاجر أندلسي في صور إلى شريكه في مصر، وهذا أمر مألوف: «لا تدع عاملاً كسولاً يأخذ من شراكتنا درهماً واحداً، اشتر ما يلهمك الله به، وأرسله مع أول سفينة مبحرة». في مثل هذه الحالات فإن المتلقي قد يتصرف كما يراه مناسباً، لوجود الثقة المتبادلة. وفي رسالة من فاس إلى الماريا في سنة 1141، ترك للشريك الأندلسي أن يقرر إذا كان يجب أن يشتري مادة بالمفرق أو بالجملة[54]. ومن ناحية ثانية، فإن مثل هذا الموقف ليس مسموحاً دائماً. فقد كان ابن حوقل وهو التاجر المصري بحالة غضب واضحة من شريك في القيروان لأمر يتعلق بإرسال شحنة من خشب الصباغ إلى الأندلس عكس التوجيهات، وهو ما نراه في رسالة ساخطة تشرح ذلك كُتبت في سنة 1000 تقريباً[55].

وتكشف الرسائل المتبادلة بين الشركاء اتساع نطاق عمل الشركات والاحتكارات والتعاون والمسؤولية الضرورية للحفاظ على علاقات مستمرة.

---

(54) TS 8 J 41.2 ترجم Goitein هذا المقطع in Mediterranean Society, I, p. 200, and TS 13 J 21.12.

(55) DK 13 ; هذه الرسالة ترجمت من قبل Goitein in Letters, pp. 29-30 لا يوضح الكاتب اطلاقاً إذا كان ابن حوقل قد ارسل خشب الصباغ لبيعه في الأندلس الذي بيع خطأ في افريقيا أو كان ينوي بيعه في تونس وأنه شحن إلى الأندلس. وفسر جوتين ذلك بأنه تلميح إلى ابن حوقل لأن شريكه التونسي قد تلاعب بالأوتار من أجل أرباحه الشخصية.

وكانت معلومات أو (أخبار) تبدل الأسعار والمنتوجات إحدى المواد الأساسية المتبادلة في رسائل الشركاء، وكان من المهم الاشارة إلى تقلبات السوق من خلال تقلبات الأسعار، وهذا ما يحتاج إلى رقابة اقليمية من قبل التجار ووكلائهم. فهناك رسالة، كتبت في القرن الحادي عشر يشكو فيها كاتبها بألم من تدهور أسعار الفلفل أو البهار في أسواق تونس، ويروي تفاصيل ذلك إلى شريك في مصر كما يلي:

«من جهة أخرى، لقد اختفى الفلفل، ولم يعرضه أحد. السعر أقل من 130 [ربع دينار للوقية]، ولكن لم يشتر أحد. [طبعاً] إن جميع الغرباء، إما باعوا وكان السعر 132 - 130، ويعدون ذلك نعمة، أو أنهم باعوا وسافروا. ولكن قلبي لم يسمح لي أن أبيع بمثل هذا السعر، واحتفظت بالمواد حتى موعد اقتراب المركب القادم، بأمل أن يرتفع السعر. من ناحية ثانية الهبوط يزداد. كنت خائفاً من أن يزيد أحد المشبوهين السعر ضدي ويبيع فلفلك إلى تجار أندلسيين بسعر 133... وأنا أكتب لك هذه الرسالة. صارت العتمة الآن، قبل ابحار المراكب. وصار الفلفل أكثر طلباً وباع الغرباء كل ما لديهم، في حين وصلت المراكب (مع الزبائن)، وهناك بقايا مع السكان المحليين. ومن ثم بيع بـ 142 - 140. وقد أخذت ضمانات لبيع فلفلي بـ 142 - 140. ولكن يا أخي لا أريد أن آخذ الأرباح لوحدي. وبعد ذلك حولت المبيعات إلى شريكنا»[56].

وكما يبدو واضحاً من كلامه، فقد باع كاتب الرسالة الفلفل لحسابه ولحساب شريكه وهو صديق مصري سبق وأرسل فلفله إلى الغرب كما نعتقد. وعندما كانت الأسعار منخفضة، لم يرغب الباعة بالرحيل مع سلعهم. ولكن مجيء مجموعة من الزبائن الجدد، باع بعض التجار على مضض الفلفل بأسعار منخفضة عندها ارتفع السعر من جديد فحصل تاجرنا هنا في النهاية على ربح وسط جراء بيعه، فقد باع فلفل شريكه بحذر بسعر هزيل،

(56) Bodl a3.13. مع بعض التعديلات والترجمة لـ: Goitein Letters, pp. 122-3.

ومن ثم اسعفه الحظ فباعه بسعر أرفع من سعر بضاعته من أجل استبعاد أي شك بأنه لم يفعل الأفضل لصالح شريكه. ووعد كاتب الرسالة أن يقتسم الفرق بينهما.

وهناك مقطع آخر مأخوذ من رسالة مؤرخة في سنة 1141 مرسلة من فاس إلى الماريا، تتحدث بالتفصيل عن ارتفاع أسعار أسواق حجر الشبّ، والتنوع في مواصفات الانتاج وضرورة أن يكون التاجر يقظاً دائماً للعناية بأعماله وأعمال شريكه. فقد كتب شريك من مراكش إلى الأندلس قائلاً: «رجاءً، انتبه إلى أن شحنة الشب التي أرسلتها لك هي مؤلفة من سبع رزم من الصنف الممتاز، وقد بلغ سعر القنطار أكثر من السعر العادي أي ربع مثقال. والكميات الباقية لها أسعار مختلفة، ولكن جميع الصفقات كانت بسعر منخفض... يمكن لك أن تبيع كل صنف لوحده، أو أن تخلطها. أنت تعرف السوق أفضل، وقادر على التحرك وفق الموقف... إذا كان لدي الشجاعة سأرسل لك 100 قنطار. ولكنني لا أجرؤ حيث هناك طلب كبير عليه... إن حامل رسالتي هو الموضب الذي كان مساعداً على توضيب الشب. وهو يعرف أين هي الرزم الجيدة والممتازة»[57].

هنا، ليس من الواضح إذا كان الكاتب خائفاً من إرسال مزيد من الشب إلى الأندلس بسبب وجود طلب كبير في مراكش وسعر جيد، أو أنه يوجد طلب بين التجار الأندلسيين الآخرين، وكان خائفاً أن يرسلوا الشب إلى الماريا، مسببين بذلك هبوط الأسعار في الأندلس. يبدو أن الاختيار الأول هو الأكثر شرحاً وتعزيزاً. وهكذا فإن الأخبار والتعليمات المتبادلة بين الشركاء كانت عاملاً حيوياً في نجاح مغامراتهم التجارية.

كان الشركاء موزعين جغرافياً، ولأن بعض الاشارات عن أعمالهم قد حفظت في وثائق متعلقة بالشكاوي القانونية، فقد أدى هذا (ربما خطأ) إلى تكوين انطباع أن الشراكة لأمد طويل، كانت محفوفة بالمخاطر. ومن مثل

---

(57) TS 13 J 21.12 trans. Goitein Letters, p. 267.

(والشبّ: ملح معدني قابض لونه أبيض ومنه أزرق وهو أشبه بالزاج ـ المعرّب).

هذه الشكاوي العدلية حالة عرضت أمام جاون البابلي Babylonian Gaon في أواخر القرن العاشر وهي خصومة بين شريكين أولهما من القيروان والثاني من الأندلس. وقد ذكر القاضي ابن سهل القرطبي في القرن التالي عدداً من القضايا التي نشأت من جراء غياب الشركاء. كما ضمّن الونشريسي في كتابه «معيار» عدة أمثلة عن شركاء اندفعوا بعيداً وعادوا بمآسيهم أمام المحكمة[58]. أما السقطي فقد وصف العلاقة بين التجار الدوليين ووكلائهم المحليين في ملقا في آخر القرن الثالث عشر، ويقترح الانتباه من الوكلاء، فعلى الرغم من اعتبارهم الشراكة ضرورة لهم إلا أن الخداع أو الاحتيال امر وارد جداً في علاقاتهم مع التجار[59].

وبسبب ضرورة البحث الدقيق والاستيضاح، فإن سجلات المحكمة تقدم غالباً معلومات قيمة عن البنية الواقعية للشراكة والواجبات الملزمة للشركاء، ويوضح لنا مثالان من الجينيزا هذه النقطة. فالأول يقدم حالة معقدة حصلت أمام محكمة يهودية في دينيا سنة 1083 ومضمونها شكوى مقدمة من إسحاق بن إبراهيم ضد المدعو أبو الحسن قاسم حيث أن خادمه . أي الأخير . لم يحسن التصرف لبيع حمولة مرسلة من دينيا إلى المهدية. وكان الخادم وكيلاً متنقلاً، مكلفاً أن يبيع البضاعة بنفسه، ولا أن يسلمها إلى شريك آخر يدعى حسن بن حسن في المهدية. وقد ارتأت المحكمة أنه لا يمكن إثبات الحالة. ولكن يبقى مفيداً أن نعرف مثالاً عن الأساليب التجارية، كما تدل

---

(58) Tenth-century dispute: Ashtor, The Jews of Moslem Spain. I, p. 278. Hebrew text in S. Assaf. Gaonica. Gaonic Responsa and Fragments from Halachic Literature. Jerusalem, 1933, p. 1; Ibn Sahl, Aḥkām al-kubrā. ابن سهل، الأحكام الكبرى General Library, Rabat, ms 838Q fols. 180, 183-6, 189, 190؛ يسجل الونشريسى حالة غياب لأربع سنوات في فاس والأندلس وتلمسان.

Mi'yar, VIII, p. 90-1. (Mi'yar, VIII, p. 204). (Mi'yar, X, p. 443).

والسؤال ماذا يحدث إذا توفي شريك في الخارج في فاس أو الأندلس، ودين بين قرطبي وشريك فاسي.

(59) Saqati, Kitab al-faqih, pp. 391 ff. السقطي، كتاب الفقيه.

الأسماء على وجود شراكة بين يهودي ومسلم[60].

أما الثاني فمثال مؤثر آخر يخص إمرأة من تونس، حيث تتوسل إلى شريك أبيها المتوفى، المدعو مُسافر بن صموئيل (الذي يعيش في مصر) من أجل مالٍ سبق أن وُضع في شراكة مع أبيها، الذي يدعى يافث أبو الرضا، وكان قد توفي إثر غرق مركب في أثناء عودته من الأندلس، وفُقد معه ثلاثمئة دينار من أصل ألف دينار قيمة الشراكة، وتحاول الإبنة مستعينة بزوجها وكيلاً إستعادة ثلاثمئة وخمسين من بقية سبعمئة دينار، احتفظ بها مسافر. ويبدو أن الشريكين قد وضعا، في الأصل خمسمئة دينار، ثم أخذ كل شريك مئة وخمسين ديناراً من ثلاثمئة فُقدت إثر حادث الغرق، ونصف المتبقي وهو سبعمئة. وللأسف ان جواب المحكمة على طلبها لم يبق، بل بقي الطلب الأصلي المكتوب نحو سنة 1085، وسِجلٌ آخر يروي هذه الحالة. من ناحية ثانية، نستطيع أن ندرك تركيب هذه الشراكة، والآمال المتوقفة من المغامرة المالية المشتركة دون إغفال المخاطر الجسدية المترتبة على التجارة البحرية[61].

(60) TS 12.570؛ هذه الوثائق نشرت من قبل: E. Ashtor in "Documentos espanoles de la Genizah," Sefarad 24, 1964, pp. 76-7.

(61) Gointein ENA 4010.31 and TS 20.162. يذكر هذه الحالة في Mediterranean Society, III, p. 280.

الفصل الرابع

التجار وتجارة الأندلس

لقد أُخذتْ معارفنا عن جماعات التجار، سواء أكانت دينية أم غير ذلك، من خلال المعلومات المبعثرة عن التجارة الإفرادية مع الموانئ الأندلسية. وقد تعرفنا إلى بعض هؤلاء الرجال، إثر ظهور أسمائهم في كتب التراجم والحوليات والرسائل بصورة مقتضبة، أو ظهورهم كمساهمين في العقود التجارية. وقد حدث أن هؤلاء الناس قد ظهروا في أكثر من سجل، ولكن في حالات نادرة كما هي الحال في وثائق رجال أعمال الجينيزا الشهيرة أو المستثمرين الجنويين الأثرياء. ومن النادر، إن لم يكن مستحيلاً معرفة المزيد عن حياتهم أو نشاطاتهم أو مغامراتهم التجارية الخاصة من خلال الوثائق.

ومع ذلك فإن المراجع المنعزلة عن التجارة الإفرادية يسرت لنا رسم صورة كبيرة لتجارة الأندلس. فقد كان هؤلاء هم الرجال الذين حملوا البضائع وجابوا الطرقات بين موانئ الأندلس والمناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط. وتكشف تحاليل أنشطتهم التجارية عن نقاط مهمة متعددة. أولاً؛ لقد تعاطى التجار بتجارة الأندلس بصورة دائمة، ولم يكن هناك دور أو زمن وهنت فيه التجارة بصورة ملحوظة. فقد تاجر الناس في العصر الإسلامي المبكر، أي منذ القرن الثامن ومن خلال موانئ الأندلس، واستمر نقل البضائع خلال فترة الانتصارات الاسبانية المسيحية في القرن الثالث عشر. من جهة أخرى، حتى عندما استقرت الأعمال التجارية، فإن

هوية جمهور التجار تبدلت خلال الزمن. ويبدو أن حجم أعمالهم التجارية يتفاوت مع تقلبات النظام السياسي، وسلامة الملاحة البحرية، وتقدم إعادة الفتح المسيحي.

وقد تاجر المسلمون واليهود الأندلسيون خلال البحر الأبيض المتوسط جنوباً، في عهد أنظمة الأمويين ودول الطوائف والمرابطين، في حين جاء تجار من مناطق أخرى من العالم الإسلامي، وبصورة منتظمة بقصد المتاجرة مع الموانئ الأندلسية. وبالمقابل، كان للمسيحيين دور صغير في تجارة الأندلس قبل أواسط القرن الثاني عشر، حيث ان نمو المصالح التجارية البحرية الإيطالية قد أغرى التجار الجنويين والبيزيين والبروفنسال بشبه الجزيرة وتجارتها. وقد ازدهر هؤلاء المشاركون الجدد في تجارة الأندلس وبدلوا بصورة تدريجية ميزان النشاط التجاري لصالح المسيحيين. وقد ساعد على نجاح التجارة المسيحية، بجزء منها الدعم الذي حصلت عليه بعد وصول سلالة المرابطين الجديدة، ومنذ أن منحتْ المعاهدات الموحدية. الإيطالية تخفيضات على التعرفة، وضمنت سلامة وصول المشحونات التجارية الإيطالية إلى موانئ الأندلس والمغرب المخصصة لذلك. وقد بدأ المسيحيون بالتجارة في الأندلس، في الزمن نفسه، الذي أدى فيه التعصب الديني الموحدي إلى تضاؤل النشاط التجاري اليهودي في شبه الجزيرة. وغدت سجلات ووثائق التجار اليهود في الأندلس قليلة بعد سنة 1150 تقريباً، حيث أن كثيراً من اليهود بدلوا اتجاه أعمالهم التجارية إلى الشمال إلى الأسواق المسيحية أو نحو شرق البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي.

وإن هذين العاملين، أي الحضور الجديد للتجار المسيحيين وتقلص النفوذ التجاري اليهودي يتطلبان وضع حد فاصل في بنية التجارة الأندلسية في وسط القرن الثاني عشر. وكان التبدل المهم والثاني في وسط الجمهور التجاري الأندلسي قد جاء بعد قرن آخر من الزمان، عندما قضت الإنتصارات المسيحية فعلاً على الوجود التجاري اليهودي والإسلامي في

الأندلس، تاركة فراغاً، سرعان ما مَلأه التجار الطليان، ومن ثم انضم إليهم التجار القشتاليون أو القتلان/ الكتلان. ومع الابقاء على المسألة التأريخية لتوزع التجار والسلطة، فإن هذا الفصل يعالج أولاً عهد السيادة الإسلامية اليهودية التجارية قبل منتصف القرن الثاني عشر، ثم بلغت إلى عهد تعاظم الهيمنة المسيحية بعد سنة 1150.

التجار وتجارة الأندلس حتى 1150 تقريباً

المسلمون:

لقد قدمت المصادر العربية معلومات متفرقة عن الأفراد المسلمين النشيطين في تجارة الأندلس، وسبق أن دلت هذه المصادر على أن نهاية عصر الريادة الأموية في قرطبة كان عهداً خصيباً للأنشطة التجارية في الأندلس. وإن تمركز السلطة في سلالة عبد الرحمن الثالث (912 - 961) قد اجتمعت مع الاستقرار الاقتصادي وإنتاجية شبه الجزيرة في القرن العاشر، لتؤدي إلى قيام تجارة دولية وأمن تجاري. وقبل هذا الزمن كانت المعلومات منقطعة بحيث تبين مستوى التجارة وفعاليتها.

ولكن تغدو البراهين أكثر متانة في القرن العاشر عندما ذكر الجغرافيون وكتاب آخرون حركة مرور التجار الأندلسيين خلال العالم الإسلامي. ويشير ابن حوقل إلى متاجرة أندلسية في طبرقة Tabarca، وإلى وجود تجمع تجاري أندلسي في طرابلس. وذكر عيسى بن أحمد الرازي رجل أعمال آخر هو محمد بن سليمان الذي استخدم الطريق نفسه بين الأندلس وأفريقيا سنة 972[1]. وربما اشتغل ابن حوقل نفسه تاجراً بين شبه الجزيرة وشمال أفريقيا،

---

(1) Ibn Ḥawqāl, Kitāb surat al-arḍ، ابـن حـوقـل، كـتـاب صـورة الأرض [ed. J. H. Kramers, Leiden, 1938], p.78. See also C. Courtois, "Remarques sur le commerce maritime en Afrique au XIe siècle," Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman: Hommage à Georges Marçais. Algiers, 1957, p.54. Rāzī, Anales palatinos del califa de Córdoba al-Hakam II, por Isa b. Ahmad al-Razi, trans. E. Garcia Gomez, Madrid, 1967, p. 110.

عندما جاء إلى الأندلس ممثلاً أو وكيلاً للفاطميين، كما أن الرازي يتحدر من عائلة تجارية[2]. وفي الزمن نفسه تقريباً، شحن الأندلسيون البضائع إلى شرق المتوسط وما بعد. وقد ذكر ابن حيان أن العالم عبدالله بن مسرَّة Massara اشتغل تاجراً عندما كان شاباً (ولد سنة 88)، متنقلاً مع أخيه من أجل أعمال تجارية في المشرق قبل أن يؤدي إلى العلم[3]. وهناك تاجر عالم آخر هو أبو بكر محمد بن معاوية المرواني (متوفى 968)، وصل إلى أسواق العراق والهند حيث تمكن من جمع، 30,000 دينار من التجار قبل أن يفقد كل شيء إثر غرق سفينة وهي في طريق عودتها إلى بلاد الأندلس. وبخلاف بعض زملائه التجار فالمرواني جدير بالملاحظة، لأن اسمه يعطينا بعض المعلومات عن عائلته وحالتها الاجتماعية. فهو لم يكن مسلماً وعربياً وحسب، بل كان أحد أعضاء العائلة الأموية الحاكمة أيضاً، وعلى الرغم من التركيب المختلط لمجتمع الأندلس في القرن العاشر، فإن هذا النسب يعطي بعض الأهمية[4]. إن جامعي التراجم والسير بما فيهم ابن الفرضي وابن بشكوال وابن عربي قد ذكروا كثيراً من الأندلسيين الذين تنقلوا وتاجروا في سورية ومصر والمشرق عامة خلال أواخر القرن التاسع والقرن العاشر[5]. وكان بعضهم لم يصل قطراً

---

(2) محمد بن موسى الرازي اشتغل كتاجر خلال عهد الأمير محمد الأول (852–886) Ibn. Hayyān, Muqtabis. ed. M. 'A. al-Makkī, Beirut, 1973 II, p. 267. See also A. I. Rozi, "The Social Role of Scholars ('Ulama) in Islamic Spain." Ph.D. Dissertation, Boston University, 1983, p. 358.

(3) Ibn Hayyan, Muqtabas. V. eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subh, Madrid, 1979, p. 35.

(4) ابن الفرضي، كتاب تاريخ علماء الأندلس Ibn al-Faradī, Kitāb ta'rikh 'ulama' al-Andalus. ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1890, p. 363, #1287.

(5) Ibn al-Faradi, Kitāb, pp. 51-2, #181; p. 53, #184; pp. 68-9, #235; pp. 130-1, #453; pp. 179-80, #650. Ibn Bahkuwāl, Kitāb al- Sila fi ta'rīkh al-immat al-Andlus. Cairo, 1955. P.31; p. 456, #1042 (no date). Ahmad al-Dabbī, Bughyat al-multamis fi ta'rikh rijal ahl al-Andalus, ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1885, pp. 186-7, #455.

ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ الامامة الاندلسية، أحمد الضبي، كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس Ibn al-'Abbar, Kitab al-takmila li-Kitab al-sila . ابن =

أبعد من ذلك. فقد رحل صالح بن محمد المرادي (توفي 914)، وهو تاجر من هييوسكا Huesca، إلى مكة حاجاً، عندما سرقت بضائعه في القيروان، فبقي دون مال وكان عليه ان يبدل طريقه ويعود إلى الأندلس[6]. وعلى الرغم من حاله التعيس، كان مصيره أفضل من تاجر مسلم آخر توفي في القيروان عام 862 كما تبين شاهدة قبره[7].

وتابع التجار العلماء ارتحالهم خلال أوائل القرن الحادي عشر، بعد ذروة السيادة الأموية بقليل. وقد ذكر ابن الأبّار قرطبياً توفي في بلنسيا سنة 1028، وسجل ابن بشكوال معلومات عن تاجرين أندلسيين من مدينة إشبيلية، كانا نشيطين في ذلك الزمن. كان أحدهما من أصل عربي (يحمل اسم القيسي)، وذكر أنه «جال خلال زمن ما خلال البلاد الإفريقية والأندلسية باحثاً عن المعرفة والتجارة» قبل وفاته سنة 1033. أما الثاني فلربما كان ذا ثقافة بربرية، وكان هو الآخر قد باع واشترى في أفريقيا[8].

ومقابل تلك الروايات عن الأندلسيين المرتحلين تتضمن التراجم مراجع قليلة عن التجار العلماء المشرقيين الواصلين إلى موانئ الأندلس خلال العهد الأموي. كان ذلك لأن العلماء المشرقيين، وبخلاف الأندلسيين المسافرين نحو المشرق ينقصهم إضافة دافع الحج لإغرائهم للتوجه نحو الغرب. وقد

= العبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1886 I, p. 96, #320 ذكر ابن بشكوال مزيداً من القرطبيين، ربما من هذا الدور، الذين لم أضمهم إلى هؤلاء السبعة حيث أن المؤلف لم يقدم تاريخاً، ويذكر اسمه، وليس بالضرورة مهنته كتاجر (p. 492, #1135).

(6) Ibn al-Faraḍī, Kitāb, pp. 167-8, #600.

(7) B. Roy, P. Poinssot, and O. Poinssot, Inscriptions arabes de Kairouan. Paris, 1950. p. 114.

(8) يذكر ابن العبار خالد القرطبي كتاجر (Takh-mila, I.p.59. #187). أرجع ابن بشكوال إلى نزار بن محمد بن عبدالله القيسي ومروان بن سليمان بن مرقّط الغافقي توفي1027.
Kitāb al-ṣila p. 606, # 1407; P.581, # 1347.

نوه ابن الأبّار إلى تاجر مشرقي هو محمد بن موسى الذي عمل في الأندلس وتوفي سنة 1886. وذكر ابن الفرضي فيما بعد، تاجراً عاش في سبتا Ceuta في القرن العاشر، وهو الذي عاش لفترة على حدود الأندلس بعد رحلات واسعة خلال شمال أفريقيا والمشرق، متكسباً عيشه كتاجر وكجندي[9]. وذكر ابن بشكوال أيضاً، أن بغدادياً تاجراً. عالماً وصل إلى الأندلس سنة 966، ثم ذكر اثنين آخرين (كان أحدهما مشهوراً جداً بفهمه في المسائل التجارية) كانا قدما من مصر والقيروان في بواكير القرن القادم[10].

وقد وصل أناس من غير العلماء من المشرق إلى إسبانيا للمتاجرة في أسواقها الأموية. وقد أطرى هسداي بن شبروت Hasday b. Shaprut على غنى طبيعة الأندلس، عندما كتب خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث، ووضع جدولاً للتجار الذين احتشدوا في شبه الجزيرة من أجل التجارة. وذكر من بينهم، بخاصة، المصريين (الذين حملوا العطور، والحجارة الكريمة، ومواد رفاهية أخرى) «وطرود التجار من خراسان»[11]. وفي خلال الفترة نفسها، جاء أحد الإسماعيليين (وكذلك الجغرافي ابن حوقل المذكور سابقاً) لنشر التشيع، على الرغم من أن القاضي ابن سهل، من القرن الحادي عشر،

---

(9) Ibn al-'Abbar, Takhmila, I, P. 366, #1048; Ibn al-Faradï, Kitāb, p. 61, #1604.
لا يوجد تاريخ لهذا الرجل الثاني يحيى بن خلف الصدفي، من الممكن افتراض أنه عاش خلال القرن العاشر كالذين ذكروا من قبل ابن الفرضي.

(10) الرجال الثلاثة المذكورون من قبل ابن بشكوال هم عبد العزيز بن جعفر البغدادي، كتاب الصلة، وعبد الرحمن بن محمد المصري الذي وصل إلى الأندلس من مصر في 4. 1003، (Kitāb al-ṣila, pp. 356-7, #802).
ومحمد بن القاسم القروي الذي جاء إلى الأندلس في حوالي 1010، (Kitāb al-ṣila, pp.564-5 # 1309).

(11) W. Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen âge. Leipzig, 1885, I, p. 49; D.M. Dunlop, The History of the Jewish Khazars. Princeton, 1954, pp. 134-5.
كان هناك جدل كبير حول مصداقية مراسلات هسداي. واعتبر دنلوب Dunlop أن الرسائل قد كُتبت من قبله وهي أصلية على الرغم من أن الأجوبة ربما وضعت فيما بعد (P. 120 ff).
وليس من المؤكد أن هؤلاء التجار كانوا مسلمين، ولكن بما أن هسداي توجه إلى قراء يهود فهو يشير إلى كونه من دينهم.

قد ذكر أنهما يخفيان أهدافهما الحقيقية بحجة أنشطة قانونية مثل التجارة، أو العلم أو طريق التصوف[12]. وفي حوالي نهاية العهد الأموي، في زمن العاهل المظفر (1002 ـ 1007)، سجل ابن حيان في الأندلس وجود تجار أجانب من مصر والعراق ومناطق أخرى[13].

وقد انخرط عدد من رجال الأعمال الإسبان المسلمين في التجارة مع موانئ المغرب، ولكن المراجع قليلة حول الأندلسيين الذين ذهبوا أبعد من ذلك، وقد كتب الجغرافي البكري ذاكراً ظهور تجار أندلسيين في المهدية سنة 1060 وقدم الطرق والمسالك المتنوعة والمفصلة لعبورهم القناة بين الأندلس وشمال أفريقيا[14]. وقد عثر أيضاً على دلائل عامة أخرى على تجارة الأندلس مع المغرب في الوثائق القانونية، والأعمال الجغرافية من هذا العصر، ونعلم شيئاً من خلال عبور الرحالة التجار، عندما يسبب غيابهم اتخاذ إجراءات قضائية من قبل أفراد العائلة أو المعارف. وقد سجل ابن سهل عدداً من الدعاوى القضائية من هذا النمط، منها واحدة تؤرخ في سنة 1066، أن رجلاً جاء إلى القاضي في قرطبة بعد محاولة يائسة لتحديد مكان الشريك التجاري في فاس[15].

وزيادة على ذلك لا يوجد سوى معلومات قليلة جداً عن مسلمي إسبانيا التجار النشطاء في دول الطوائف وهذا أقل بكثير من نظيرها في العهد الأموي. وربما يعزى هذا التباطؤ الواضح في التجارة المحلية المسلمة إلى

---

(12) Ibn Sahl, Thalath watha'iq fi muḥarabat al-ahwa' wa al-bida' fi al-Andalus. ed. M.A. Khallaf Cairo, 1981, p. 44.

ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس.

(13) Ibn Bassam, Dhakhira fi mahasin ahl al-jazira. ابن بسام، ذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

Cairo, 1358/1939-1364/1945, IV/1. p. 65.

(14) Bakri, Description de l'Afrique septentrionale. ed and trans. M. de Slane, Paris, 1911, p. 67.

(15) Ibn Sahl, Ahkam al-kubra. General Library, Rabat, ms. 838 Q, fols. ابن سهل، الأحكام الكبرى 180-183-6، 189-90.

الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار الأمني في شبه الجزيرة في أوائل القرن الحادي عشر. وهناك نقص ملحوظ في المراجع عن التجار العلماء الأندلسيين يتعلق بهم وحدهم أكثر مما يتعلق بالتجار وغيرهم. وقد أظهرت دراسة حول رحلات العلماء (من أجل الحج او التجارة أو لأسباب أخرى) تفيد أن تحركهم كان قليلاً خلال السنوات 1040 - 1030[16]. ولربما افترضنا أن تبعثر سياسات دول الطوائف، وضرورة دفع الباريا أي الجزية قد أربكت البنية الاقتصادية القديمة، وعطلت الاتصالات، وعرقلت تجارة المسافات الطويلة. وعلى الرغم من أن اقتصاد الطائفة بدا غير مشجع لأنشطة المتعهدين المسلمين المحليين، فقد واصل التجار الأجانب سفرهم إلى موانئ الأندلس خلال القرن الحادي عشر، حتى عندما افرغت صناديق دول الطوائف بسبب دفع الجزية إلى عواهل الشمال الإسباني. فقد ضمنت العائدات التجارية من خارج البلاد ازدهار الأسواق الأندلسية، واستمرت حركة الموانئ. ومقابل ندرة المعلومات عن التجار العلماء المسافرين إلى المشرق، قدم ابن بشكوال معلومات شخصية غزيرة ومفاجئة عن التجار العلماء الواصلين إلى إسبانيا المسلمة بين سنوات 1041 - 1023. وتسجل تراجمه أسماء اثنين وعشرين أجنبياً تاجراً . عالماً على الأقل، ممن كانوا نشطاء خلال هذه الفترة القصيرة. وتتضمن معلوماته اسمين أجنبيين يتاجران في الأندلس في أواخر القرن. إن التجار المسلمين الذين ذكرهم قد قدموا بالترحاب، من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان قليل منهم من أصول بعيدة مثل اليمن والعراق. وقد جاء بعضهم من شمال أفريقيا، في حين أن الغالبية منهم جاؤوا إلى الأندلس من

---

(16) M.L. Avila وقد قدر أفيلا نسبة رحلات العلماء من خلال التراجم فكانت:

961 (29 بالمئة)؛ 970 (34 بالمئة)؛ 980 (38.4 بالمئة)؛ 990 (35.5 بالمئة)؛ 999 (38.4 بالمئة)؛ 1009 (37.6 بالمئة)؛ 1019 (36.5 بالمئة)؛ 1029 (34.6 بالمئة)؛ 1038 (23.4 بالمئة)؛ 1048 (24.1 بالمئة).

La sociedad hispano-musulmana al final del califato, aproximación a un estudio demográfico.

Madrid, 1985, p. 83.

سورية ومصر[17]. إن الزمن المتشكل هنا، مثير للاهتمام، ذلك لأن العشرين سنة المعنية توسع الفجوة بين نهاية سنوات السلالة الأموية وظهور أوائل دول الطوائف، وهو عصر مهيأ للاضطرابات بسبب الحرب الأهلية. وربما يتوقع المرء أن يرى تراجعاً في الأنشطة التجارية خلال هذا الدور كما توحي المعلومات القليلة نسبياً حول التجار الأندلسيي المولد. وقد سبق وأشارت معلومات ابن بشكوال إلى العلماء التجار المسلمين الذين استمروا في الوصول إلى أسواق الأندلس خلال هذا الدور من الاضطراب السياسي، وضعف رقابة الحكومة. هذا ومن المستحيل معرفة أسباب تضمن سجلات ابن بشكوال مثل هذا الكم الكبير من المراجع لهذه السنوات. وربما يعكس هذا تبدلاً في النشاط التجاري أو تنوعاً في مواد مصدر السير أو التراجم فحسب. وربما كانت معلوماته، ولسبب ما، أكثر فهماً لهذا الدور، ومن ثمّ فإن هذه الأعداد هي في الواقع مزيد من التفكير الصحيح حول التوزع السكاني للتجار، ويجب أن تؤخذ كنموذج للسنوات الأخرى.

ويبقى السؤال هو إذا كانت نشاطات التجار العلماء، تُؤخذ كممثل للاتجاهات العامة لجمهور التجار المسلمين. إذ ليس بالضرورة أن تبين مصادرهم الاتجاهات العادية. ففي أواخر القرن الحادي عشر مثلاً تقلصت الأدلة الشخصية عن العلماء، في حين تبين مصادر أخرى استمرار النشاط التجاري بين التجار المسلمين من غير العلماء. فإذا كان تقلص المعلومات يعكس تخفيضاً حقيقياً في رحلات العلماء التجار، فيجب أن يعزى هذا إلى أسباب غير تجارية، ومن الأرجح أن يكون السبب هو وصول سلالة

---

(17) Ibn Bashkuwal, Kitāb al-sila, entries 779, 652, 528, 674, 1314, 1406, 285, 957, 1311, 948, 1313, 1402, 1312, 269, 1366, 654, 960, 1400, 247, 1316, 1338, 1445.

لقد نظم السلم الزمني وفقاً لتاريخ وصول الرحلات إلى الأندلس وثبت الأصل وفق النسبة والعبارة التي يستخدمها ابن بشكوال عادة هي أنه وصل إلى الأندلس كتاجر في سنة. . . Kitāb al-ṣila, p. 602#1399.

ويذكر أيضاً تاجراً وصل من سورية سنة 1073.

المرابطين إلى الأندلس سنة 1086. إن السياسة الدينية والاقتصادية لهذا النظام موضع نقاش. ولكن عداءهم الشديد للنخبة الأندلسية المثقفة، ربما أدى إلى وضع رقابة أو حد لانتقال العلماء خلال الموانئ التي يسيطرون عليها. وربما كان حضورهم يفسر أسباب عدم ذكر ابن بشكوال سوى تاجرين. عالمين نشيطين في عهد المرابطين. أحدهما عراقي، انتقل إلى الأندلس سنة 1090 والآخر أندلسي من الماريا توفي في سنة 1136[18]. ومثل ذلك ابن الأبار الذي لم يذكر سوى عالم مغربي متأخر (توفي سنة 1172) الذي زار الأندلس تاجراً؛ وآخر من دينيا وهو رجل أعمال، توفي سنة 1152[19].

وعلى الرغم من أن وصول المرابطين، ربما قد أثر في حركة التجار العلماء، فإن النظام الجديد، لا يبدو أنه أعان نشاطات التجار المسلمين العاديين. ويبدو من خلال المعلومات المتقطعة، أن الأعمال التجارية العامة قد استمرت دون هوادة في المدن الأندلسية، وتصف كتب دليل الأسواق بصورة واضحة إجراءات السوق الطبيعية في عهد المرابطين. وتشير إلى أن التجار المسلمين قد تابعوا الظهور في مصادر متنوعة. ويخبرنا حكم شرعي صدر عن القاضي مازري Mazari متوفى سنة 1140 يتعلق بمغربي باع بضائعه في الأندلس في بواكير القرن. ورَوَتْ رسائل الجينيزا العائدة للفترة بين 1140 – 1138 أن التجار المسلمين قد وصلوا إلى إسبانيا المسلمة من الإسكندرية وليبيا[20]. وتشير نقوش شواهد قبور ثلاثة من الماريا مؤرخة في 1125 و1133 و1145 إلى وجود محل تجاري في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وتبين العبارات القرآنية على شواهد قبورهم أن المتوفين كانوا جميعهم من المسلمين، وكان واحد منهم من أصل أندلسي كما يدل عليه

(18) Ibn Bashkuwal, Kitab al-sila, p. 599, #1391; p. 410, #927. يسجل هذا المؤلف اثنان غير أندلسيين وصلا إلى اسبانيا .Kitab al-sila, p. 113, #264; p. 409, #924

(19) Ibn al- 'Abbar, Takmila, p. 370, #1054; pp. 193-5, #669. ابن العبار، تكملة.

(20) H.R. Idris, La Bérberie orientale sous les Zirides. Paris, 1962, p. 678. Bodl d74. 41; TS 16.54.

نسبه وهو الشاطبي al-shātibi (من جاتيفا Jativa). وكان هناك تاجر آخر هو ابن حليف Ibn Halif من الإسكندرية، الذي يفترض أنه توفي في أثناء رحلة إلى الأندلس(21).

اليهــود

وبعكس المعلومات المحدودة عن التجار المسلمين في تجارة الأندلس، فإننا نعلم أكثر حول نظرائهم اليهود، ويعود سبب هذه الغزارة النسبية بصورة كبيرة إلى سجلات جينيزا في القاهرة. وكما هو الحال بالنسبة لتجارة المسلمين يوجد اتجاهات واضحة في التأريخ لأنشطة اليهود التجارية. ومما يلفت النظر هو التناقض الظاهر في وجود التجار اليهود في أسواق الأندلس في وسط القرن الحادي عشر. ونعلم كثيراً عن تجار يهود أندلسيين بصورة شخصية، وكذلك نعلم شيئاً عن الشركات العائلية الواسعة، وشبكة التجارة القائمة بين اليهود الإيبريين. وخلافاً لهذه المواد الغنية، فغالباً لا توجد معلومات تتعلق بأعمال اليهود في تجارة الأندلس بعد سنة 1140 تقريباً. ويتصادف هذا التبدل في المعلومات مع وصول المرابطين ونظامهم إلى الأندلس سنة 1147، ومع صعود التجارة الإيطالية (حيث تؤرخ أقدم سجلات العدلية الجنوية في 1150). كما حدث هذا عندما صارت سجلات جينيزا أقل وفرة. ومن ثم، من الصعب معرفة وجود انخفاض في تجارة اليهود أو لا بسبب اضطهاد المرابطين أو المنافسة التجارية الإيطالية، أو بسبب آخر، أو أن هناك نقصاً في المصادر التي توثق حضور اليهود ليس إلا.

وقد سبق أن استقر اليهود استقراراً جيداً في شبه جزيرة إيبريا خلال دور الفيزيجوت، عندما ذكرت حضورهم نصوص عدلية، بصورة خاصة ملاكاً للسفن، ومشتغلين بتجارة الرقيق، وتجاراً بحريين(22).

---

(21) E., Levi-Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne. Paris, 1931, pp. 121-127, 116.

(22) Lex Visigothorum. ed. K. Zeumer, MGH Leges (in quarto) 1. 1, Hanover-Leipzig, 1892, XII, 2, 18, p. 427.

من جهة أخرى، إذا نظرنا إلى وجود تشريعات معادية لليهود في ذلك الزمن، فقد بدا معظم عواهل الفيزيجوت يبحثون عن إمكانية وضع حدود لميدان نشاط رجال الأعمال اليهود، وقد فرض الملك ايجيكا King Egica (687 - 702) حظراً اقتصادياً ثقيلاً على تجارة اليهود. وذلك على الرغم من أن انتشار التعصب الفيزيجوتي ضد يهود إيبريا قد كان مثار نقاش واعتراض، ولعل فَتْحَ المسلمين في سنة 711 قدم إطاراً أفضل لعيش اليهود[23].

ومن المرجح أن الحكم الإسلامي قد هيأ أجواءً مناسبة لنمو تجارة اليهود. وقد وصف ابن الخُرداذبُهْ الراذانيين الذين ينقلون البضائع بين الشرق والغرب، والذين كانوا يتحدثون لغات عدة (من بينها الأندلسية . وهي لهجة «رومانسية» إيبرية) ويحملون البضائع من كل صنف . بمن فيها «البنات الجواري الأندلسيات»[24]. إن أصل الراذانيين غير واضح، وقد اقترحت احتمالات عديدة، على أساس اسمهم الجماعي وتبعاً للطرق التي استخدموها. وهكذا، فنظراً لأن هذه الطرق تبدأ في فرنسا أو في شبه جزيرة إيبريا، ومن ثم تتقدم نحو الجنوب خلال المغرب ثم إلى مصر، فإن بعض العلماء قد خط أصول سكنهم إما في جنوب فرنسا أو في الأندلس[25].

---

(23) للمزيد عن اليهود في هذه الفترة أنظر:
S. Katz, The Jews in the Visigothic and Frankish kingdoms of Spain and Gaul. Cambridge, Mass, 1937, p. 22.

(24) ابن الخرداذبُهُ، كتاب المسالك والممالك Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn, VI, Leiden. 1967, pp. 153-5. R.S. Lopez and I.W. Raymond يقدم ترجمة انجليزية لهذا المقطع حول الراذانيين في:
Medieval Trade in the Mediterranean World. New York, 1955, pp. 30-3.

(25) لقد فضل De Goeje و Ashtor و Cahen الأصل العربي للرذانيين، كما كان حال Lombard الذي اقترح أن اسمهم قد اشتق من نهر الرون Rhone في دراسته:
The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p.209.
ومن جهة أخرى فإن M.Gil قد فضل أن يكون العراق البلد الأصلي لهم. ن:
The Radhanite Merchants and the Land of Radan, (JESHO 17, 1974, pp. 299-328.

وإذا تركنا جانباً طرق الراذانيين هذه، فلا نعرف إلا القليل عن تجار الأندلس اليهود، قبل نهاية القرن العاشر، حيث ترك أحد الرحالة الأندلسيين وهو إبراهيم بن يعقوب الطرُطوشي al- Turtūshi قصة رحلته إلى إيطاليا وشمال أوروبا في حوالي العام 960. ويوحي اسمه، ودربه، ووصفه التفصيلي لتجارة أوروبا والبضائع أنه كان تاجراً يهودياً. ويعتقد العذري (المتوفى في سنة 1085) الذي حفظ اجزاءً من رواية إبراهيم أنه كان يهودياً، ذلك انه أضاف إلى اسمه عبارة الإسرائيلي[26]. وهناك يهود أندلسيون آخرون تاجروا خلال حدود إيبريا خلال الفترة نفسها. فقد طُلبت استشارة حاخام أندلسي، مثلاً، حول تاجر مضى على غيابه أكثر من ست سنوات في البلاد المسيحية، أو في إحدى الممالك الإسبانية على الأغلب[27]. كما سُئل حاخام آخر هو هنوخ بن موسى Hanokh من قرطبة (وتوفي في سنة 1014) حول مصير رجل غاب في «بلاد المسيحيين»[28]. كما عُهد إلى يهودي يدعى يعقوب بن يهواJaul وظيفة جامع الرسوم أو الضرائب من اليهود المنتشرين في أرجاء الإمبراطورية الأموية التي امتدت أقصى الجنوب إلى سجليمازا

---

(26) لقد حفظت بقية أعمال الطرطوشي لدى القزويني الذي أعطى اسمه بالكامل وهو ابراهيم بن أحمد الطرطوشي، وهو اسم مناسب لمسلم أكثر منه ليهودي (ومع ذلك يمكن أن يكون اسماً لمسلم من أصل يهودي). وليس من الواضح تماماً إذا كان اسما ابراهيم للعذري والقزويني هما حقاً للشخص نفسه. وقد بُحثت المسألة من قبل الحجي في مقالته:

A.A. El Hajji "Andalusia e Italia altomedievale", Rivista storica italiana 79, 1967, pp. 158-73. ويقترح الحجي أيضاً أن الطرطوشي ربما كان عبداً وتاجراً، وأيده في ذلك:

H. Mones. "Al Jughrafiya wa al-Jughrafiyun fi al-Andalus

الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس Madrid MDI 7-8 (1959 - 60), P. 220. وهناك مرجع آخر هو: Andre Miquel, "L' Europe occidentale dans la relation arabe d'Ibrahim b. Ya'qub (Xe siècle). "Annales: ESC 21, 1966, pp. 1048-64.

(27) J. Muller, ed., Teshuvot geonei mizrah u- ma'arav (Responsen der Leherer des Osten und Westens. Berlin, 1888, repr. Jerusalem, 1966, no. 192.

كما ذكر Müller ذلك في: Die responsen der Spanischen Lehrer des 10. Jahrhunderts. Berline 1889, p. 37. no57; E. Ashtor, The Jews of Moslem Spain, Philadelphia, 1973-84, IP. 278.

(28) Müller, Teshuvot, #191.

Sijilmasa في زمن حكم هشام الثاني (976-1009). ويصف إبراهيم بن داود الذي روى هذه المعلومات في سفره Sefer ha-Qabbalah يعقوب وأخاه يوسف «تجاراً وصناع حرير»[29]. وربما أن مهمات يعقوب كإداري قد دُعمت من خلال علاقاته التجارية.

وقد أصبحت نشاطات التجار الأندلسيين اليهود أكثر وضوحاً في القرن الحادي عشر، وذلك بسبب المعلومات الواسعة المقدمة من قبل محفوظات جينيزا في القاهرة. ونظراً لطبيعة التفتت السياسي لشبه الجزيرة خلال عصر دول الطوائف، فمن الصعب التعميم فيما يتعلق بوضع عيش يهود الأندلس وشروطه، سواء أكانوا تجاراً أم غير ذلك. ولكن يبدو أن اليهود ازدهروا في النصف الأول من القرن، عندما صعد الوزير اليهودي الشهير صموئيل بن نغريلا (Naghrila المتوفى في سنة 1056) إلى السلطة في بلاط غرناطة، فقد كان ابن نغريلا تاجراً في دور من أدوار حياته ويشتغل بنفسه «بكل تواضع وواقعية تاجر توابل» في مدينة ملقا[30]. وقد هاجر اليهود أيضاً إلى الأندلس في القرن الحادي عشر. ونستخبر عن هؤلاء الناس من خلال أبنائهم مثل يوسف بن الشامي (توفي سنة 1141) وهو ابن مهاجر سوري، ومن خلال رسائل الطلبات المرسلة إلى الطائفة اليهودية في الأندلس[31]. وفي سنة 1066 وبعد عشر سنوات من موت ابن نغريلا حدث شغب دموي ضد يهود غرناطة. وعلى الرغم من أنه لم يحدث مثل ذلك الشغب في بقية دول الطوائف إلا أن أحداث غرناطة قد عكست مزيداً من انتشار الشعور بالعداء لليهود[32].

---

(29) Abraham b. Daud, Sefer ha-qabbalah (The Book of Tradition). trans. G.D. Cohen, Philadelphia, 1967, pp. 68-9.

(30) Abraham b. Daud, Sefer ha-qabbalah, p. 72.

(31) TS 10 J 24.4; see also Ashtor, Jews of Moslem Spain, III, p. 186. مثال على رسائل الطلبات التي نقلت والتي تعود للقرن الحادي عشر إلى طائفة اليهود في الجسيراس (الجزيرة) وهي أقدم المراجع المعروفة عن اليهود في هذه المدينة.
TS 13 J 36.13, "Documentos españoles de la Genizah," Sefarad 24, 1964, pp. 68-71.

(32) N. A. Stillman, "Aspects of Jewish Life in Islamic Spain," Aspects of Jewish Culture in the Middle Ages. ed. P. Szarmach, Albany, 1979, p. 69.

ولقد عثر على أوائل مراجع جينيزا عن تجارة يهودية فردية من الأندلس وإليها في مراسلات القرن الحادي عشر بين التاجر المصري يوسف بن حوقل وشركائه. وقد اختص رجل الأعمال ابن حوقل وشركاؤه بتجارة البحر الأبيض المتوسط على وجه الحصر، بما فيها التجارة مع الأندلس. وقد وظفت الشركة هذه عدداً من الوكلاء الأندلسيين في العقود الأولى من القرن الحادي عشر، بما في ذلك خلف بن يعقوب الأندلسي، الذي يبرز اسمه مراراً في مراسلات ابن حوقل، والذي يبدو أنه اشتغل وسيطاً تجارياً في المهدية. وذكر خلف في فاتوره شحن (كمبيالة) سنة 1015 كمية من الجلود لمصر، وأرسل هذا الأندلسي شحنة أخرى من الجلود في السنوات التالية (اعتبرت زمن تحضير قسم من رزم الحرير)، ويُظن أن صاحب الشحنة هو خلف أيضاً[33]. وقد أرسل، فيما يلي من متأخر الزمن رسائل مطولة وغير تجارية من باليرمو إلى المهدية تُطري على خلف وابنه، اللذين يتمتعان بخبرة هندسية لحصولهما على حقوق مركب غارق بما فيه من محتجزين يهود[34]. وهناك وكيل أو شريك أندلسي آخر لابن حوقل كان يتعامل بالحرير، ذلك لأن مسلمي إسبانيا كانوا المركز الرئيسي لإنتاج الحرير في البحر الأبيض المتوسط . ويرد في رسالة إلى ابن حوقل في مصر كتبت في تونس سنة 1010 : «لقد أرسلت الحرير إلى... أبي إبراهيم الأندلسي... وأبقيناه شراكة بيني وبينه (وآخرين). ورغبتي في هذا الأمر هو من أجل بيع سريع

(33) TS 13 J 16.23 (1015) and TS 10 J 9.26 (1016) عُرف خلف في هذه الوثيقة باسمه وليس بنسبه وعرف اسمه كاملاً لدى ستيلمان N. A. Stillman الذي رأى أن الإسمين لبحار واحد.

("The Eleventh-Century Merchant House of Ibn 'Awkal (A Geniza Study)," JESHO 16, 1973, p. 71).

(34) TS 24.6, نوقشت الرسالة من قبل:

S.D. Goitein in: A Mediterranean Society, Berkeley, 1967-88, II, pp. 60-1.

من المحتمل أن يكون ابناً لخلف. عُدت رسالة يعقوب بن خلف وثيقة في مصر سنة 1040 ؛

(Mosseri L 101 ed. M. Gil, Palestine during the First Muslim Period, 1983, II, pp. 336-9, #193).

ومريح»[35]. من المفترض أن أبا إبراهيم كان مقيماً في مصر، ويتصل بطريقة ما مع شبكة ابن حوقل التجارية. ونعلم من رسالة مرسلة من باليرمو بين سنة 1030 ـ 1020 أن شريكاً أندلسياً آخر، قد كتب إلى ابن حوقل قائلاً: «سأرسل الحرير. بمشيئة الله. في المركب الذي نسافر فيه أنا ومروان الأندلسي إلى المهدية بعد غدٍ. لقد أعجبت بكبر محبتك له، ورغبتك بإقامة علاقة صداقة معه وثقتك الثابتة به»[36]. ربما كان مروان هذا شريكاً شاباً يُعد لمنصب مسؤول في الشركة. ومثلما تاجر ابن حوقل بالبضائع الأندلسية وتعامل مع شركاء أندلسيين فقد أرسل تاجراً غير أندلسي ليتاجر مع إسبانيا المسلمة. وكان من بين هؤلاء أربعة أخوة من عائلة طاهرتي Taherti من القيروان وكان بينهم واحد على الأقل هو الفضل صالح al-Fadl salih الذي تاجر بين مصر والأندلس. وتروي رسالة بُعثت إلى ابن حوقل وهو في القاهرة إما في سنة 1015 أو تعود لعدد من المستثمرين[37]. وفيما يلي من الزمن في سنة 1050، كتب شريك لرجل الأعمال المصري الشهير نهريا بن نسيم Nahray b. Nissim من صقلية ليقول أنه تعاقد مع شريك آخر يدعى أبا الفضل للسفر إلى الأندلس. وإذا كان الافتراض أنه الشخص نفسه في مراسلات ابن حوقل المذكورة آنفاً، فإن ظهوره ثانيةً يوحي أن أعمال الشركات المتمركزة في القاهرة القديمة كانت تتطلب استخدام متخصصين بتجارة الأندلس من أجل مغامرة تجارية في تلك المنطقة. ولكن، بما أن الاسم المقصود ليس نادراً فلا يمكن لهذه المطابقة، أو التعريف، ان تكون مؤكدة[38]. ويجب أن يكون لدى نهريا شركاء مشرقيون يسافرون ويتاجرون

---

(35) TS 12.171.

(36) TS Arabic Box 5.1; trans. N.A. Stillman, "East-West Relations in the Islamic Mediterranean in the Early Eleventh century a study of the Geniza correspandence of the House of Ibn ʻAwkal. دراسة في مراسلات الجينيزا، Ph.D." Dissertation, University of Pennsylvania, 1970, p. 344.

(37) Bodl d65.9; trans. Stillman, East-West Relations, p. 212.

(38) Bodl c28.61؛ يبدو أن الرجل كان يحوز رزماً من الكتان شراكة مع طاهري كان له هو الآخر صلة قوية مع نهريا بن نسيم. ويُعد ذكر العائلة الطاهرية برهاناً على مطابقة أبي الفضل في هذه الرسالة مع أخرى مذكورة في Bodl, d65.9.

من أجله في أسواق غرب البحر الأبيض المتوسط. فهناك رسالة أخرى، كتبت إليه من صقلية بين السنوات 1053 ـ 1057 تذكر تاجراً آخر كان غائباً في الأندلس[39].

وكان كثير من التجار الأندلسيين اليهود نشطاء في المشرق في غضون القرن الحادي عشر، سواء أكان لحساب بيوتات تجارية مشرقية كبيرة أم لحساب شبكة تجارية صغيرة. ويظهر معظم هؤلاء الأفراد بصورة عابرة، مثل ذلك الأندلسي في القاهرة، الذي اتهم بأنه رفع قضية إلى قاضٍ مسلم سنة 1027 بدل أن يكون ذلك في محكمة يهودية. وقد برهن هذا التاجر أن المحكمة اليهودية لم تكن قادرة على معالجة قضيته في ذلك الوقت[40]. عمل تاجر أندلسي آخر في فلسطين، وكان بين هؤلاء، يهودا بن يوسف بن الهاني al-Hani الأندلسي، وقد كتب مراراً من القدس إلى شريك في مصر في سنة 1040 يسأله عن الرصيد بدقة وحساب صفقاتهما التجارية[41]. وذكر تاجر أندلسي آخر من القرن الحادي عشر في رسالة تصف رحلة مروعة من الأسكندرية إلى طرابلس لبنان حيث «تسربت المياه إلى داخل المركب... وكان على كل رجل أن ينزح ما مقداره خمسين دلواً في كل نوبة... وقد أدى أبو الفرج بن يوسف الأندلسي نوبته»[42]. ويمكن للمرء أن يتصور أبا الفرج رجلاً مُقدّراً وربما كان كبير السن لم يساعد أبداً بنزح الماء عندما يتهدد المركب بالغرق.

من الصعب معرفة كيف بقي هؤلاء الأندلسيون العاملون في شرق المتوسط مرتبطين عن كثب بوطنهم. ويبدو الاتصال متواضعاً في بعض الحالات، كما هي الحال بالنسبة لعائلة يعقوب الأندلسي في القرن الحادي

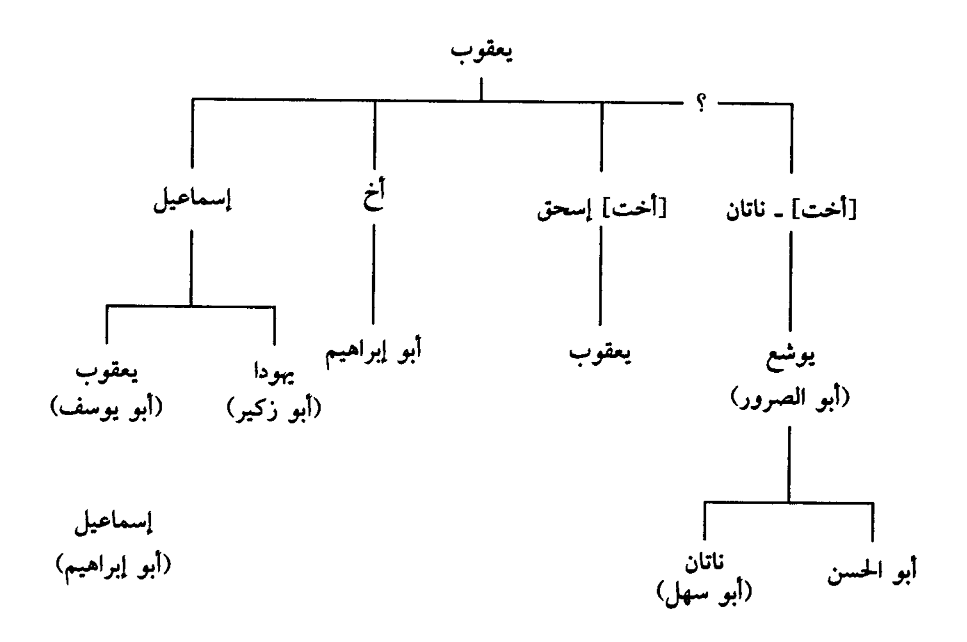
(39) DK 22.

(40) Bodl b13.42.

(41) TS K 6.189; Goitein, Mediterranean Society. I. p. 451.

(42) TS. 12.241; trans. Goitein, Mediterranean Society, I, p. 321.

عشر، كعشيرة بقيت بصورة خاصة خارج سجلات الجينيزا المتعلقة بالأندلسيين البعيدين العاملين في مركز شرق البحر الأبيض المتوسط. وقد بقيت نحو اثنتي عشرة رسالة كتبت من قبل العائلة وإليها أو حول بعض أفرادها، بين 1040 إلى 1060، وسمحت لنا برؤية دقيقة لسلالة من التجار في خضم العمل، وعلى الرغم من أن البطريرك لم يظن بنفسه أبداً في هذه الرسائل إلا أن ابنه وصهره، وحفيده حتى أبو الجد كانوا نشطاء في تجارة المشرق. إن العلاقة العائلية المضبوطة بين أفراد هذه العشيرة الأندلسية ليست دقيقة، ولكن شجرتهم العائلية ربما رُسمت بوضوح كالتالي:



ولم تشكل هذه العائلة بيتاً تجارياً على الإطلاق إلا أن أفرادها تعاونوا مع نهريا بن نسيم وشركته التجارية. ومن الواضح أنه كان لهم علاقات وثيقة مع نهريا (على أنها علاقات صداقة اكثر منها نسبٍ) ذلك لأن كثيراً من الرسائل تذكر مسائل عائلية وتفصيلات شخصية، ومعلومات تجارية. وقد اقترح جوتين أن العديلين وهما إسماعيل وناتان قد تركا الأندلس في باكر

القرن الحادي عشر، مع شخص مقيم في أفريقيا ـ صقلية وآخر في شرق البحر المتوسط[43]. وربما ترك إسماعيل وناتان الأندلس بحثاً عن فرص تجارية موعودة في الشرق، او ربما كان سفرهما بسبب تهديد الحرب الأهلية في شبه الجزيرة خلال آخر العهد الأموي. ومهما كان السبب فقد أسس الاثنان اتصالات دائمة في الخارج ولم يعودا على ما يبدو إلى الأندلس إطلاقاً. وحافظ أبناؤهما يعقوب ويهودا ويوشع على العلاقة العائلية.

عمل يعقوب (الذي نعلم حوله المزيد) في أفريقيا ـ صقلية وتَاجَرَ بمراكب من البضائع الذاهبة إلى مصر والعائدة منها. وتعاقد أخوه يهودا كشريك رحالة وذكر غالباً في رسائل يعقوب مسافراً تواً من مصر وإليها. أما يوشع، ابن العم، فقد عمل في مصر أولاً. وتذكر رسائل عديدة أبا الصوري (كما يسميه أبو يعقوب) في رحلة بين العاصمة وريف مصر ليشرف على محصول الكتان. وإضافة إلى ذلك، فقد عاشت زوجة يوشع وعائلته في القدس في سنة 1046[44]. ولم يكن هؤلاء الثلاثة وحدهم العائلة المشتغلة بالتجارة، بل كان ولدا عمهم يعقوب بن اسحق وأبو إبراهيم قد اشتغلا بالتجارة أيضاً، ولكنْ، ابناهما لم يظهرا إلا في رسائل قليلة. ونظير ذلك الجيل الثالث التالي الذي اشتغل في مهنة العائلة، وابن يوشع، أبو سهل، حيث كان عليه أن يدخل باب العمل التجاري عندما تعاقد كساع أو وكيل لصالح نهريا بين القاهرة ومنطقة زراعة الكتان في بُسِر Busir في آخر سنة 1050[45].

وعلى الرغم من أن أفراد هذه العائلة قد ذكروا مراراً بنسبهم الأندلسي فيبدو أن اتصالهم المبكر مع الأندلس كان ضئيلاً. ولا يوجد في الحقيقة برهان على أن يعقوب بن إسماعيل ويهودا او يوشع قد زاروا شبه الجزيرة اطلاقاً، ويبدو ان أعمالهم قد اقتصرت على شرقي المتوسط. وعلى الرغم

(43) S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. [Princeton, 1973], p. 111.

(44) TS 20.9. see Goitein, Letters, p. 112.

(45) Mosseri L 190.

من نقلهم أنواعاً عديدة من البضائع مثل الحرير والكتان والمجوهرات والزيت والحبوب والتوابل والسكر والقرفة فلا يوجد أي من هذه البضاعة من أصل أندلسي أو أنها أرسلت إليه. وسواء أكانت هذه العائلة قد اندمجت في مجال شرق البحر الأبيض المتوسط بصورة كاملة، أم كان هناك شطر غربي آخر من أعمالهم؛ فإن السجلات المتعلقة بهذا الشطر غير موجودة في القاهرة. ومن المحتمل أنّ ابني العم المحيرين أبا إبراهيم ويعقوب بن إسحق كانا نشيطين في الغرب، ويتاجران بين تونس وموانئ الأندلس وهذا يفسر عدم تكرار ذكرهما.

وقد استمر التجار اليهود بالسفر بين الأندلس والمشرق خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر. وعلى الرغم من وصول المرابطين إلى الأندلس يبدو أن الفرص التجارية المهيأة لليهود قد تقلصت، كما تقلصت الأدلة على التجار اليهود الأندلسيين في آخر القرن الحادي عشر، في زمن لوحظ فيه تزايد التعصب والاضطهاد الدينيين. وجرى في سنة 1090 أعمال اغتيال أخرى في غرناطة (تذكر بأحداث سنة 1066)، وفي حوالي نهاية عهد المرابطين في سنة 1135، نُهبت حارة اليهود في قرطبة وأحرقت[46]. وعلى الرغم من هذه الاضطرابات في حياة يهود الأندلس، إلا أن التجار تابعوا أعمالهم مع موانئ الأندلس وأسواقها في ظل حكم المرابطين. وفي حوالي سنة 1110 وصف رجل أعمال مصري يدعى أبو الخليف صفقات تجارية جديدة عقدت في الأندلس ومراكش[47]. وهناك تاجر آخر. يحمل نحاساً أندلسياً وأقمشة للبيع، ويتطلع لشراء توابل مشرقية ـ وصل إلى الإسكندرية سنة 1140. وفي تشرين الثاني من سنة 1141 ذكر رجل في الإسكندرية أن ابن أخيه وصل من الماريا[48]. ونعلم أيضاً عن وصول ابن لختوج Lukhtuj من جينيا في ذلك الزمن تقريباً إلى الإسكندرية. وكان شخص آخر يدعى

(46) J.O'Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, p. 286.

(47) Bodl d66.52; Goitein, Letters, p. 50.

(48) TS Arabic Box 40.113; TS 10 J 24.4.

صموئيل بن أوهتوش Uhtush وهو أندلسي من دينيا ذو صلة بالتاجر المصري المتنفذ هلفون بن ناتانئيل، ربما كان يتنقل بين الأندلس ومصر بصورة منتظمة[49].

كان هلفون بن ناتانئيل احد الجوالين في العالم في غضون القرن الحادي عشر، ومن خلال مراسلاته الواسعة من الممكن القول إنه وصل برحلاته إلى الأندلس والمغرب سنة 1128 وإلى الهند فيما بين 1132 ـ 1134 وعاد إلى الغرب فيما بين 1138 ـ 1139. وكان معظم رسائله من إسبانيا المسلمة تتعلق بصفقات تجارية بين المشرق والمغرب، والمباحثات مع الشركاء. وكان لاتصالاته المتينة أن دعت أحد الأصدقاء الايبريين والمعجبين أن يصفوه بـ الموحد لوقته الطويل المبدد وكزعيم لطائفته [أي في مصر] وكذلك في طائفته [في الأندلس][50]. وربما كانت علاقاته وطيدة مع الأندلس بصورة خاصة بسبب روابطه العائلية في شبه الجزيرة وصداقته مع الفيلسوف والشاعر يهودا هاليفي. وقد تطلبت رحلاته المضنية مكوساً؛ ونعلم من خلال رسالة إلى يهودي بارز في مدينة لوسينا Lucena أنه يعتذر لأنه لم يتمكن من الكتابة باكراً وشكا من مرض مزمن عاناه كنتيجة لشدة وقعت في البلاد وفي البحر خلال إقامته في الأندلس والمغرب[51].

ولم يكن هلفون التاجر اليهودي الوحيد الذي يسافر بعيداً في القرن الحادي عشر. إذ إن نمو تجارة الهند دفع بالتجار كي يعملوا في عدن لمدة سنة وفي الماريا في السنة التالية. ومثله تاجر آخر مقيم في مصر لإدارة أعماله، ويتاجر فصلياً مع الهند وهو مخلوف بن موسى النفوسي الذي سافر إلى الأندلس في منتصف القرن الحادي عشر، ومن ثم ذُكرت عودته إلى

---

(49) يراجع أيضاً TS 10 J 16.17. See also Goitein, Mediterranean Society, III, p. 439.

(50) ULC Or 1080 J 94; trans. and glosses by Goitein "The Biography of Judah Ha-Levi in the Light of the Cairo Geniza Documents," Proceedings of American Academy for Jewish Research 28, 1959, p. 43.

(51) ENA NS 18.30؛ معلومات غير منشورة في India Book notes.

مصر في رسالة بُعثت من الإسكندرية إلى القاهرة[52]. وقد تاجر قليل من تجار الأندلس في الهند، كما يدل على ذلك بعض المقاطع من رسائل الجينيزا السرية المرسلة (غالباً) من عيذب Aydhab' في شرق شاطئ أفريقيا، سنة 1100 التي أشارت إلى وصول أحد القرطبيين (وهو غالباً تاجر من أصل قرطبي يحمل بضائع تجارية من المهدية)[53].وفي مثال آخر، هناك رسالة كتبت في عدن سنة 1137 ومرسلة إلى هلفون في مصر حيث قدمت حسابات عن شحنات السنة السابقة من الهند، وكان بعضها بالتعاون مع شريك يدعى مبارك من ملقا[54]. وكان يرافق هلفون اثنان من زملائه الغربيين في عيذب نحو سنة 1134[55]. وكان أفضل من عُرف من تجار الهند في القرن الحادي عشر بالتعاون هو الأندلسي دافيد بن ميمون، أخو الميموني الذي توفي غرقاً في أحد المراكب في المحيط الهندي سنة 1168[56].

وبعد رحلات هلفون من شبه الجزيرة وإليها في أواخر سنة 1130، نفقد أثر التجار اليهود الأجانب المتاجرين مع الأندلس. وتتوقف مصادر الجينيزا وكذلك حوليات الأندلس في القرن الثاني عشر، منها، كتب الحسبة، والمراسلات، ووثائق العدلية العربية إذ لا تتضمن ما يكفي من المعلومات حول التجار اليهود لملء هذه الفجوة. وليس واضحاً إذا كان الاختفاء الظاهر للتجار اليهود من تجارة الأندلس في وسط القرن الثاني عشر يُعزى إلى تناقض الوثائق أو انحسار حقيقي في أعمالهم التجارية. وتدعم الأحداث المعاصرة

---

(52) ULC Or 1080 J 178 وفي رسائل أخرى تبيّن أن هذا الرجل قد تاجر مع الهند، يراجع: Ts 24.78.

(53) ENA 2730.7; margin, lines I-2. قراءتي مأخوذة من اعادة كتابة النص من قبل جوتين Goitein.

(54) TS 24.37؛ معلومات من مخطوط غير منشور لجوتين India Book notes.

(55) TS Arabic Box 48.270. هذان التاجران معروفان في رسالة أقدم TS 13 J 17.22, حيث أرسل فيها يهودا هاليفي تحيات إليهما عن طريق هلفون. ويظن جوتين أنهما من المغرب أو الأندلس ولكنهما جاءا إلى الأندلس لتخليص الحسابات مع هاليفي.

(56) L. Rabinowitz, Jewish Merchant Adventurers: A Study of the Radanites. London, 1948, p. 62.

النتيجة الأخيرة، ذلك أن التبدلات في سياسة الأندلس ومركز القوة في تجارة البحر الأبيض المتوسط الغربية بعد وصول الموحدين في شبه الجزيرة كان لهما تأثير مباشر على التجار اليهود العاملين في إسبانيا المسلمة.

وربما تصاعد اضطهاد يهود الأندلس خلال القرن الثاني عشر، ما دعا كثيراً من اليهود للرحيل عن شبه الجزيرة(57). إن الأدلة متناقضة وتختلف الآراء من ناحية ثانية حول ازدياد الاضطهاد الموحدي(58). وربما كانت سياسة الموحدين المبدئية لا تمتد أبعد من أن تكون تدعيماً صارماً للقيود التقليدية المفروضة على الذميين dhimmis، ولكن رسائل الجينيزا تتضمن وصفاً لمذابح اليهود في مراكش سنة 1140. وربما كان الموقف أسوأ في المغرب منه في الأندلس، وقد كتب تاجر يهودي إلى أهله في الماريا وكان

---

(57) Stillman "Aspects." p. 73. Abraham b. Ezra.

الذي ترك في سنة 1137. ويهودا هاليفي الذي ذكر كمسافر مُهم في سنة 1141 وفسر عملهما على أنه طبيعي أكثر من أنه رد فعل سياسي ضروري، لأنه سبق وغادر في زمن الموحدين الذين وصلوا إلى شبه الجزيرة في سنة 1147.

(58) إن الفرضية القائلة باضطهاد اليهود من قبل الموحدين مقبولة بصورة واسعة ومع ذلك فإن أبا العافية D. Corcos-Abulafia قد برهن على أن زمن الموحدين لا يمثل فترة أو مرحلة اضطهاد كامل لليهود. وقد رأى أن زمن التحويل عن الدين الاجباري حدث في ظل حكم أبي يعقوب يوسف (1163 ـ 1184).

Corcos Abulafia, The Attitude of the Almohadic Rulers towards the Jews, Zion, 32, 1967, pp. 137-60.

واعتبر ستيلمان أن هذه المراجعة «غير مقنعة». ولكن روث Roth وصفها بأنها «مرموقة» ن:

Stillman "Aspects," "p. 73; Roth, "Some Aspects of Muslim-Jewish Relations in Spain, "Estudios on homenaje a D. Claudio Sanchez Albornoz, Buenos Aires, 1983, "II, p. 179.

ويعتقد آخرون باستمرار الاضطهاد بعد عام 1184 ومنهم R. Le Tourneau وامتد بعد عهد أبي يوسف يعقوب 1199 - 1184

Le Tourneau, The Almohad Movement in North Africa in the 12th and 13th Centuries, Princeton, 1969 pp.57,77. H.Z Hirshberg.

الذي يعتقد أنه في وسط القرن الثاني عشر أي بعد سنة من حكم الموحدين خفت حدة محنة اليهود A History of the Jews in North Africa, Leiden, 1974,. p. 136.

مسافراً في فاس، قائلاً أن «بُغض (اليهود) منتشر في هذا البلد إلى درجة تبدو فيه الماريا كملجأ آمن[59]». ولكن الواقع أن العائلة الميمونية قد فرت من قرطبة إلى فاس بعد سنوات قليلة في سنة 1159 أو 1160. وهذا يوحي بأن الاضطهاد في شمال أفريقيا والأندلس لم يكن دائماً ولا شاملاً. ورحلت عائلته ثانية إلى مصر سنة 1165. ومن جهة أخرى يمكن أن يدل على شروط أكثر سوءاً. وربما كان الموقف مزدوج الصعوبة بالنسبة لطائفة التجار اليهود، منذ أن قام الحكام الموحدون بوضع المصاعب أمام عيش اليهود وتحركهم في أراضيهم وأجازوا للأجانب المسيحيين التجارة في موانئ الأندلس.

المسيحيون

كان ظهور المنافسة التجارية المسيحية في منتصف القرن الثاني عشر ظاهرة جديدة، منذ أن كان للمسيحيين نفوذ صغير في أسواق الأندلس قبل هذا الدور. وعلى الرغم من أن التجار المسيحيين قد اشتغلوا بالتجارة بصورة مؤكدة خلال أدوار الأمويين ودول الطوائف، فقد كانوا أقل أهمية بكثير من نظرائهم المسلمين واليهود. إن عدم وجود جماعة تجارية مسيحية أهلية في داخل الأندلس يفسر بصورة جزئية، هذا الخلل. ولا يظهر سوى زوج من التجار مُزرب Mozarab في الوثائق. وقد افترض أن الواعظ المسيحي إلوجيوس Eulogius في القرن التاسع كان له أخوان من التجار وانخرط الاثنان في تجارة أوروبا بين سنة 849 و850، وهناك تاجر مسيحي يدعى جوهانس Joannes قد جُلد بالسياط وسجن لأنه تعرض لذكر النبي عندما كان

---

(59) Sassoon 713 قد كتبت من مصر إلى عدن في كانون الأول من سنة 1147 وتتحدث عن اغتيالات واسعة في تلمسان وسيجيلمازا ومراكش وكذلك في مكناس وفاس وفي مراكش ثانية [في الهامش]، «أندلسيون» ذكروا كمتوفين في الهامش الأيمن 1.24.

نشرت هذه الرسالة من قبل: H.Z. Hirschberg in I.F. Baer Jubilee Volume, Jerusalem, 1961 p. 142 عن الضغينة في: TS 12.435, trans Goitein, Letters p. 55. ويؤرخ جوتين الرسالة في سنة 1140.

يبيع بضاعته[60]. إن ما ذكر في الفصل السابق حول ندرة التجار المزرب ربما يُفَسِّرُ بالوضع القانوني للتجار في المجتمع المسيحي الإيبري مقابل النظرة العالية للمهنة بين المسلمين واليهود.

إن المعلومات الباكرة عن التجار المسيحيين الأجانب هي الأخرى قليلة على الرغم من وجود احتكاك دبلوماسي واقتصادي بين الأمويين والكارولنجيين. وكتب بعض المؤلفين اللاتين، بمن فيهم ليتوبران Liutprand صاحب كريمونا Cremona 949 وجون جورز 978 ـ 984 معلقين على تجار سيئي السمعة من فردن Verdun الذين اشتهروا بنقلهم الرقيق الأبيض المسيحي من أوروبا إلى إسبانيا المسلمة[61]. وتروي قصة كتلانية، أقل ثقة ـ لأنها كتبت في القرن الثالث عشر غالباً ـ تروى حدثاً في 986، أن رجلاً يتاجر مع برشلونة المسيحية ومالوركا المسلمة، قد أنقذ كاهناً كان في الأسر لدى المسلمين وخبأه في عربته في رحلة عودته إلى برشلونة[62].

ويظهر التجار المسيحيون الأجانب في قلب المصادر العربية. فقد ذكر ابن حيان معاهدة سلام وأمن تجاري تم التفاوض عليها بين الأمويين وبلاط برشلونة في سنة 939، وتصف زيارة لقرطبة من قبل تجار من أملفا Amalfa سنة 942. وذهب ابن حيان قائلاً أنه، وبعد هذه الزيارة الأملفية الناجحة فإن

---

(60) E. Florez, España sagrada, Madrid, 1753, X P. 416. See also K.. Wolf, Christian Martyrs in Muslim Spain, Cambridge, 1988, p. 12.

(61) Liutprand of Cremona, Antapodosis. in Opera, ed. J. Becker, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915, p. 156; John of Gorze, Vita. ed. Pertz, MGH Scriptores IV (in folio), Hanover, 1841, pp. 370, 375. *Virdunensis negociatores* in the Liber miraculorum S. Bertini Abbatis. Acta Sanctorum.

قد ذكر التجارة مع الأندلس September 5, II, Antwerp, 1748, pp. 597.

(62) مذكور في: M. Coll i Alentorn, "La cronica de Sant Pere de les puelles," II Colloqui d'historia del monaquisme catala. Santas Creus, 1967, II, p. 39.

رويت القصة في A. Yepes, Coronica general de la Orden de San Benito. Valladolid Pamplona, 1609-21 III, pp. 345-8. H. Dillard. Pamplona, 1609-21 III, pp. 345-8

مع الشكر لـ: H. Dillard من أجل هذه الملحوظة.

«خلفاءهم» تابعوا المجيء إلى الأندلس وحققوا فوائد عظيمة(63). وإذا ابتعدنا عن شبه الجزيرة، نجد جغرافياً فارسياً مجهولاً، يشير إلى تجارٍ روميين «تاجروا في إسيجا Ecija وجان Jaen وفي مدن أخرى في الجنوب في القرن العاشر»(64). وتذكر مصادر مجهولة من القرن الرابع عشر (وهنا الشك في موضوع التأريخ) وجود تجار أجانب في الأندلس خلال العهد الأموي الباكر(65). وتطرح مجموعة المعلومات هذا الشك بكتابات ابن خلدون فيما بعد حيث يقول: «ما من مسيحي أبحر على ظهر سفينة في [البحر الأبيض المتوسط]» في القرن العاشر»(66) إلا أنه من الواضح أن قليلاً من التجار المسيحيين وصلوا إلى موانئ الأندلس خلال العهد الأموي مع أن المسيحيين لم يظهروا في الأندلس بأي عدد حتى وسط القرن الثاني عشر، عندما انطلقت الثورة التجارية الأوروبية.

التجارة في شبه الجزيرة بين 1150 – 1250

الفتح المسيحي التجاري

إن ازدياد نفوذ التجار الأوروبيين في أسواق الأندلس يدل على عصر جديد في المجال التجاري المتوسطي، فقد سيطر الجنويون والپيزاويون ومسيحيون آخرون على التجارة وطرقها ونزعوها من مجموعات تجارية أخرى.. فخلال القرن الثاني عشر يمكن ملاحظة هذه الظاهرة في البحر الأبيض المتوسط. كما يجب أن ينظر إلى تطورات أسواق الأندلس كمكمل

---

(63) قرأ Chalmeta هذا المرجع *malfatanin* Ibn Hayyan, Muqtabas, V, pp. 478, 485. and *malfiyyin* as Amalfitans "La Méditerranée occidentale et al-Andalus de 934 à 941: les données d'Ibn Hayyàn," Rivista degli studi orientali 50, 1976, pp. 341-2, 351.

(64) Hudud al-'alam: "The Regions of the World", A Persian Geography. trans. V. Minorsky, London, 1937, reprinted 1970, p. 155.

(65) Ibn Sammāk, "Al-zahrat al-manthura fi nakt al-akhbār al-ma'thura" ed. M.A. Makki. Madrid: MDI 21, 1981-2, p. 55 ابن سماك: الزهرة المنثورة في نكت الأخبار المأثورة،

(66) Ibn Khaldun. The Muqaddimah. trans. F. Rosenthal, New York, 1958, II, p. 42.

لحضور التجارة الأوروبية الجديدة في الإسكندرية وتونس وبوجي وسبتا وأماكن أخرى. وتظهر تحليلات وثائق العدلية الجنوية أن موانئ الأندلس لم تكن قط المحطة الأولية لحركة المرور التجاري الجنوي، هذا على الأقل بالمقارنة مع موانئ شمال أفريقيا والمشرق ولكنها بقيت عاملاً ثابتاً ومنسجماً مع شبكة التجارة الجنوية. فإذا نظرنا إلى السجلات الجنوية من سنة 1191 وسنة 1253 مثلاً، فإننا نجد أنه كتبت في هاتين السنتين 5.3 بالمئة من العقود التجارية الجنوية التي تتعلق برحلات إلى إسبانيا Yspania (أي الأندلس) أو محطات ايبرية أخرى[67].

ومع ذلك فقد ازداد العدد الاجمالي للرحالة الجنويين بين وسط القرن الثاني عشر ووسط القرن الثالث عشر، وهكذا فمن وجهة نظر الايبريين، فقد مَثّل التجار الجنويون (والطليان الآخرون) عنصراً مهماً متزايداً من جمهور التجار. وتعتبر التحليلات التالية مصالح الجنويين لدى الطرفين المسيحيين والمسلمين الإسبان منذ أن خدمت الموانئ الإسبانية المسيحية وخاصة برشلونة كنقاط تصدير للبضائع الأندلسية غالباً. وفي الوقت نفسه، كان هذا الدور الذي تعاظم فيه نشاط التجارة المسيحية في شبه الجزيرة قد بدأ بتعديل كفة الميزان للنقل التجاري لصالح الأسواق المسيحية.

ولم تقدم السجلات العدلية معلومات عن محطات الرحالة التجار الجنويين وحسب، بل أيضاً حول الرجال والنساء الذين انخرطوا في تلك التجارة. فقد سجلت أسماء ما يزيد عن مئتين وخمسين نسمة تعاملوا بالتجارة مع موانئ الأندلس في المرحلة بين 1156 و 1253. ومع ان هؤلاء الناس يمثلون جزءاً من أولئك الذين ذكروا في سجلات جينيزا وحسب فقد ضُخّم ثانية الدور الصغير نسبياً لشبه الجزيرة في مجال التجارة الجنوية إذا ما قورنت مع مناطق البحر الأبيض المتوسط الأخرى.

---

(67) O.R. Constable, "Genoa and Spain in the twelfth and thirteenth centuries," Journal of European Economic History 19, 1990, pp. 643-4.

إن عقود الجنويين من أجل الرحلات الإيبرية توحي أيضاً بأن التجار لم يكونوا متخصصين في هذه المنطقة. وعلى الرغم من أن تاجراً رحالة ربما قام بعدد من الرحلات إلى الموانئ الإيبرية، أو أن مستثمراً ربما خاطر بمبلغ زهيد لمثل تلك الرحلات، فقد استمر كل منهما بالحفاظ على المصالح التجارية في الأماكن الأخرى من البحر الأبيض المتوسط وبصورة أكثر واقعية. وفي القرن الثاني عشر وبالتحديد بعد سنة 1150 لم تظهر أسماء في عقود تجارية لأماكن في إيبريا. وقد عثر على ثمانية عشر اسماً حسب في أكثر من وثيقة. وكان بين هؤلاء ثمانية مستثمرين، وقد عمل جميعهم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر(68). وغامر ثلاثة تجار من الثمانية بالاستثمار في إسبانيا. ولكن واحداً فقط أجرى عقداً من أجل أربع رحلات، وبالعكس لم يجر أي عقد في القرن الثالث عشر من قبل كتاب عدل، يُرينا مستثمرين ارسلوا أكثر من استثماريين إلى أماكن في إيبريا.

وكان بين أكثر المستثمرين شهرة في القرن الحادي عشر في تجارة إيبريا سُلْمان ساليرنو Soloman of Salerno، وهو تاجر جنوي تنقل واستثمر في شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه. ويظهر اسمه في أربعين سجلاً على الأقل كتبت من قبل كاتب العدل جيوفاني سكريبا Giovanni Scriba في سنة 1150 و 1160، وتوحي هذه المصالح المتنوعة ـ على الرغم من أنها جنوية ـ بأنها تنطبق على نمط الركاض rakkād الموصوف في تصنيف التجار للدمشقي(69). وقد استثمر سلمان من خلال ثلاث مغامرات إيبرية بين السنوات 1156 و 1158، كما أرسل 103 ليرات إلى إسبانيا في سنة 1158 على ظهر سفينة هنري نيفيتيلا(70). ولما جرى بعد سنتين نجد سلمان وزوجته إيليادار قد أجريا عقداً

---

(68) ليس جميع التجار الباقين هم وكلاء، فقد ظهرت بعض الأسماء في عقود أخرى.

(69) من أجل نشاط سلمان ن: D. Abulafia, The Two Italies. Cambridge, 1977, pp. 237-54.

(70) Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano and M. Moresco. Rome, 1935, I, pp. 226-7, #176; I,pp. 264-5, #495; I,p.267, #500.

كبيراً للتجارة مع إسبانيا[71]. وعندما كان سلمان يستثمر في شبه الجزيرة وغرب البحر الأبيض المتوسط، أدار أعمالاً تجارية في أسواق المشرق. وكما لاحظ أبو العافية Abulafia، أن سلمان كان قادراً على القيام بمغامرات مزدوجة على طرفي البحر الأبيض المتوسط... يتكلم عن مصالحه التجارية المتنوعة وعن ثروته حتى أنه دُعي «أمير التجار»[72]. ومع ذلك تبدو الشبكة التجارية لسلمان محدودة بالمقارنة مع المصالح التجارية الواسعة التي أمسك بها هلفون بن ناتائيل قبل عقدين سابقين.

وهناك من ادّعى أن عدداً من التجار العاملين في جنوى في القرن الثاني عشر كانوا أجانب ويهوداً أكثر من الجنويين الأصليين، ويُعد سلمان ساليرنو المثال على ذلك. ويعتقد بيرن Byrne وعدد آخر أن سلمان كان يهودياً من جنوب إيطاليا، على الرغم من أن أبا العافية قد برهن أنه كان جنوياً[73]. والواقع فإن اسم مستثمر واحد في تجارة إيبريا هو جوزيف أودو (الذي أجرى عقداً للسفر إلى إسبانيا في سنة 1162)، يوحي أنه لم يكن مسيحياً[74]. ومن ناحية ثانية، هناك عدد من التجار المشتغلين في موانئ إيبريا ومشكوك في أصولهم. مثال ذلك بونوس جوهانس ماليفياستر الذي يظن أنه من أصول إغريقية، واستقر في جنوى منذ منتصف القرن الثاني عشر. ونعلم أنه كان له أربعة استثمارات بين 1156 و 1160. وقد غامر في سنة 1156 بعشرين ليرة ثمن رحلة إلى الماريا، في حين أجرى عقداً في سنة 1159 ظهر فيه أنه أرسل 150 ليرة إلى إسبانيا، وأرسل 40 ليرة إضافية إلى المكان نفسه في السنوات التالية[75]. وكان بونوس جوهانس خلال هذه المرحلة ناشطاً في

(71) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 339, #625.

(72) Abulafia, Two Italies, pp. 244, 254.

(73) Abulafia, Two Italies, p. 237; حول هذه النقطة ن. ملاحظاتي Journal of European Economic History 19 (1990), pp. 648-9. يجب أن يراجع.

(74) Giovanni Scriba, Cartolare, II,p. 104, #1011.

(75) Giovanni Scriba, Cartolare, I,p. 120, #224; p. 295, #550; pp. 338-9, #624; and pp. 73-4, #141. See also E.H. Byrne, "Easterners in Genoa," JAOS 38(1918), pp. 176-87, and as a corrective to Byrne, Abulafia, Two Italies, pp. 236-7.

حلبات أخرى من حلبات تجارة البحر الأبيض المتوسط، ومستثمراً ومغامراً في صقلية والإسكندرية وسردينيا، وسورية، وشمال أفريقيا. وهناك تاجر آخر يدعى بلانكاردوس، من أصول، متنازع على مكانها، تعاقد مع ثلاثة شركاء في تجارة أندلسية خلال وسط القرن الثاني عشر. وقد نفذ أحدها في عام 1162، وينص ائتمان مبلغ 120 ليرة إلى جوهانس بن البيريكوس، الذي كان مسافراً إلى إسبانيا. وبعث 40 ليرة إلى إيبيزا Ibiza في السنة التالية وخمسين ليرة أخرى إلى إشبيلية[76] في سنة 1164.

وسواء أكان سلمون ساليرنو وبونوس جوهانس مالفياستر وبلانكاردوس، «من الداخل» أم من «خارج» المجتمع الجنوي، فإن ثلاثة من أربعة تجار قاموا باستثمارات متكررة من خلال رحلات إلى محطات إسبانية.

أما الرابع فقد كان معروفاً جيداً فهو جنوي مالك لمركب، ويدعى وليم راتالدو William Rataldo. وتوجد ثلاثة عقود تتعلق باستثمارات وليم في إيبريا بين 1191 - 1192، اثنان في كتلونيا وواحد في قشتالة[77]. وكما كانت الحال بالنسبة لسلمان ساليرنو فقد استثمر وليم في مناطق بالتعاون societas مع فولكو دو كاستلو Fulco de Castello (القشتالي) [78]. وقد حسب كروجر

(76) Giovanni Scriba, Cartolare, II, pp. 78-9, #967; II, p. 141, #1084; II, pp. 229-30, #1269. إن أصل بلانكادروس غير واضح. بيرن يعتقد أنه يهودي ولكن نلسون أثار شكاً حول ذلك في مقاله: "Blancard (the Jew?) of Genoa and the Restitution of Usury in Medieval Genoa," Studi in onore di Gino Luzzatto, Milan, 1949, I, pp. 96-116. كما ناقش أبو العافية الأصل اليهودي هذا Two Italies, p. 235.

(77) Guglielmo Cassinese 1190-1192. eds. M. Hall, H.C. Krueger, R. L. Reynolds, Turin, 1938, I, p. 88, #218; II, p. 37, #1199; II, pp. 183-4, #1573. يذكر أن هذه الاستثمارات هي لأسواق إسبانيا المسيحية وليس للأندلس.

(78) H.C. Krueger, Navi e proprietà navale a Genova, seconda meta del secolo XII. Genoa, 1985, p. 80,

إن كثيراً من الناس الذين ظهروا كمشهورين في تجارة جنوى كانوا متنفذين في سياسة جنوى ايضاً. وقد تصرف فولكو وكاستلو كقنصلين للمدينة في 1188 و 1195 1207 و 1215 وتاجر آخرون مشهورون في إسبانيا ومناطق أخرى. وتبعوا هذا الطريق المهني Krueger, Navi e proprietà, p. 148. .

Krueger أن وليم راتالدو قد استثمر من خلال نقل البضائع إلى أولتريمار ومجموع ذلك 3,165 ليرات في السنوات 1179 ـ 1200[79]. وبالمقابل فإن إنفاقه في إيبريا يصل إلى 400 ليرة فقط[80].

إن عدداً من العائلات الجنوية الشهيرة في القرن الثاني عشر من أمثال دو فولتا de Volta، وبورون Burone، ومالون Mallone وعشيرة فنتو Vento clons، قامت بانتهاز فرص وقامت بمغامرات في إيبريا، على الرغم من أنها كانت تهتم بالتجارة مع المشرق أولاً. وفوق ذلك، فإن استثماراتها في غرب البحر الأبيض المتوسط تميل إلى أن تكون أصغر من تلك في الشرق. إن عائلة دو فولتا، مثلاً، قد سُجلت من قبل جيوفاني سكريبا الكاتب على أنها أرسلت ما مجموعه 16,800 ليرة إلى المشرق، و3,800 ليرات إلى المغرب، و 4,800 ليرات. إلى شبه جزيرة إيبريا وفرنسا خلال الفترة بين 1155 ـ 1162[81]. ومثل ذلك فقد دفع وليم فنتو 1,200 ليرة من أجل رحلات مشرقية و 170 ليرة من أجل واحدة غربية، منها مئة وليرتان فقط دفعت من أجل رحلة تجارية إلى إشبيلية في سنة 1161[82]. وكان بعض المستثمرين يوفقون، أحياناً بين مصالحهم الشرقية والغربية، كما كانت حال وليم بورنو في آب من سنة 1160 عندما استثمر 100 ليرة في

(79) Krueger, Navi e proprietà, p. 124.

(80) إن عدداً من المستثمرين الجنويين الآخرين أضافوا أيضاً الإيبريين إلى حقيبة المصالح الواسعة ولكن أسماءهم لم تظهر سوى في عقدين على الأكثر من الاستثمارات وقد ذكر تجار مثل: لوردانو، كريريكو، أوبرتو، نوتاريو، بايامونتي بارليرا، رولاند دو كانيتو.

(81) H.C. Krueger, "Post-war Collapse and Rehabilitation in Genoa (1149-1162)," Studi in onore di Gino Luzzatto. Milan, 1949, pp. 127-8.

الاستثمارات الجنوية في القرن الحادي عشر درست من قبل:

E. Bach, La cité de Gênes au XIIe siècle. Copenhagen, 1955.

كثير من التجار المذكورين هنا، وصفهم، Bach, pp. 103-39.

(82) H.C. Krueger, "Genoese Trade with Northwest Africa in the 12th century," Speculum 8, 1933, pp. 387-8. Giovanni Scriba recorded the 1161 venture, cartolare, II, p. 32, #859.

رحلة إلى القسطنطينية والإسكندرية مع تعليمات إلى المركب أن عليه أن يعود إلى جنوى عن طريق بوجي في إسبانيا. وقبل شهر، تقاسم استثماراً من 200 ليرة مع ايدومالون Ido Mallone وآخرين من أجل رحلة مماثلة متوجهة إلى الإسكندرية أولاً، ومن ثم إلى الأندلس - إسبانيا Yspaniam أو بوجي ultra Barchinoniam[83].

وفي بعض الحالات، كان بعض أفراد عائلات جنوى الشهيرة يستثمرون من خلال رحلاتهم إلى موانئ الأندلس وكانوا يتصرفون أحياناً وفق إمكانات تنقل الشركاء. ففي سنة 1159 اشتغل مارشيو دو فولتا Marchio de Volta ساعياً أو وكيلاً في شركة إسبانيا societas to Yspania، وبعد قرن من الزمان في سنة 1253 طلب commenda ريموند دو فولتا Raymond de Volta أن يسافر إلى مالوركا[84]. وبطريقة مماثلة نعثر على ثلاثة عقود (مؤرخة في 1160 و 1198 و 1237) حيث استثمر أفراد من عائلة مالون في حملة إلى إسبانيا وكتلونيا، وفي عقد آخر من سنة 1162، يذكر فيه أن هنري مالون قبل مبلغ 40 ليرة من أجل رحلة إلى باليريك[85].

وقد اشتغل شباب العائلات وسطاء متنقلين بين الشركاء، بصحبة كبار، غالباً ما كانوا آباءهم. ويبدو أن هذه الطريقة لا تماثل تلك الروابط العائلية في الشراكة التي رأيناها في وثائق جينيزا في القاهرة. ففي سنة 1160 مثلاً، جعل أوتو دو كاسترو Otto de Castro من ابن زوجته جوهانس وسيطاً كي يذهب إلى الإسكندرية وإسبانيا[86]. وفي سنة 1179، وبين الفينة والأخرى، كان فولكو دو كاستلو Fulco de Castello يرتب لابنه فولكينو Fulchino مبلغ 20

(83) Giovanni Scriba, Cartolare, I, pp. 404-5, #752; 1, p. 380, #705.

(84) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 292, #544; ASG Cart. 29, 220r.

(85) (1160) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 380, #705; 1198, Bonvillano 1198. eds. J. E. Eierman, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1939] p. 50, #108; 1237, ASG Cart 56, 168V; 1182, ASG Cart. 2, 17r. ويظهر هنري مالون في الصفحة ذاتها كمستثمر في تجارة مالوركا.

(86) Giovanni Scriba, Cartolare, I, pp. 404-5, #752.

ليرة للاستثمار في مالوركا(87). وكما عرفنا أعلاه، فإن الشاب فولكو الذي سيصبح مستثمراً فيما بعد لحسابه الخاص، قد أرسل مالاً إلى سورية إلى شركة، مع وليم راتالدو بعد اثنتي عشرة سنة. وقَبِلَ وليم دو بيتر في سنة 1203 مالاً من أخيه جوهانس من أجل نقل بضاعة إلى برشلونة(88). ويمكن أن نتوقع أنه كانت توجد ترتيبات شراكة عائلية مشابهة في عمل في سنة 1191 عندما وافق وليم كافارونكو Cavarunco أن يسافر إلى مالوركا مع مالٍ لـ: فيليب كافارونكو، وفي سنة 1252 تعاقد أنسالدو ليتانلو Ansaldo Letanelo مع خمسة مستثمرين مختلفين (منهم هنري ووليم ليتانلو) من أجل السفر إلى إسبانيا(89). وعلى الرغم من ذلك، كان عدد من أفراد العائلات الجنوية المتنفذة، يهتمون بالنقل التجاري مع شرق المتوسط أولاً، وبصورة خاصة مع بيزنطا وقد نقل سيمون بن جوهانس جيرسيو 50 ليرة إلى كتلونيا من أجل إمرأة قريبة تدعى Johanna في سنة 1243(90).

ولم يقتصر الاستثمار والشراكة على العائلة وحدها، فنجد في بعض الحالات أخوة وعمومة جنويين يجمعون أموالاً لتمويل رحلة إلى إسبانيا، كما حصل مع اثنين من أفراد عشيرة ليتانلو في سنة 1252. وقد أودع ماتيرينو دو جيزيلفو Materino de Guisulfo 60 ليرة لدى سيمون سيكادا Cicada، الذي كان مسافراً إلى مالوركا. ومن ثم تعاقد مباشرة ثانية مع سيمون من أجل 60 ليرة أخرى بالنيابة أو بالأصالة عن أخيه جوهانس دو جيزيلفو(91).

---

(87) ASG Diversorum 102, 11r.

في عام 1201 فرد آخر من العائلة Obertus عمل وكيلاً لبيع الثياب في كتالونيا.

Giovanni di Guiberto, 1200-1211. eds. M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1940, p. 210, #442.

(88) Lanfranco , 1206-1226. eds. H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Genoa, 1951, I, p. 151, #375.

(89) 119, Guglielmo Cassinese, II, p. 69, #1287; 1252, ASG Cart. 24, 166r.

(90) Balduinus Guercio كانت زوجة متنفذ يدعى، ASG Cart. 26/11, 92V. Johanna Krueger, Navi e proprieta, pp. 49, 89, 138, 150-2.

(91) ASG Cart. 18/1, 81r-v.

وبطريقة مماثلة أجرى أنجو جاليتا Ingo Galleta عقدين في سنة 1252 للتجارة مع مالوركا. وكان الأول بمبلغ 25 ليرة، حيث أجراه من أمواله الخاصة؛ والثاني بقيمة 41 ليرة، وأجراه بأموال من أخته سيبيليا Sibilia[92].

وكما هي الحال بالنسبة لـ سيمون سيكادا وأنسالدو ليتانلو، فقد كان من المألوف، بالنسبة للوكلاء التجاريين أن يجمعوا أموالاً من مختلف المستثمرين قبل الشروع برحلة إلى شبه جزيرة إيبريا أو إلى أي مكان آخر. ولهذا السبب، يبدو أن قليلاً من الوكلاء قد تخصصوا بالرحلات الغربية، حيث أن أسماءهم ظهرت في عقود رحلات مختلفة، إلى الموانئ الإيبرية المختلفة، في سنوات مختلفة. وكان من هؤلاء التجار فسالوس رافيولو Vassallus Raviolo وفولكو دو بريدي Fulco de Predi اللذان عملا معاً في رحلات إلى الأندلس. فقد سافرا إلى إبيزا وبوجي، ومعهما 40 ليرة للاستثمار من قبل بلانكاردوس Blancardus. ونقلا مبلغاً آخر من أجل بلانكاردوس في السنة التالية، بالاضافة إلى أموال لمستثمرين آخرين إلى مدينة إشبيلية[93]. وكان هذان، على ما يبدو شابين في سنة 1160، وفي بداية عملهما التجاري. وبعد عشرين سنة يظهر اسم فاسلوس رافيولو مسجلاً كمالك لسفينة في عقد منظم في صقلية والمغرب سنة 1182[94].

وهناك شريك رحالة آخر، ومالك لسفينة، ألا وهو هنري نيفيتيلا Henry Nivetella، الذي اشتغل مع سُلْمان ساليرنو في سنة 1158 ونقلا استثماراً يقرب من 350 ليرة إلى إسبانيا وصقلية وبروفانس[95]. وبعد أربع سنوات أشارت عقود أخرى أن هنري ذهب إلى إسبانيا ثانية في سنة

---

(92) ASG Cart. 24, 169v.

(93) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 141, #1084; II, pp. 229-30, #1269.

(94) Krueger, Navi e proprieta, p. 66.

(95) Abulafia, The Two Italies, p. 244؛ سجل العقد في إسبانيا من قبل: Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 267, #500.

(96) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 104, #1011.

1162[96] ولربما تخصص في النقل خلال المتوسط الغربي في هذه المرحلة من عمره المهني، وقد عرفنا أن مركبه نقل البضائع إلى الإسكندرية وسورية والقسطنطينية، بين 1180 و 1190[97].

إن ظهور زوجة سُلْمان ساليرنو، وجوهانا زوجة بالدونيوس جيرسيو Balduinus Cuercio وسيبيليا أخت أنجو جاليتو، في عقود إليادار Eliadar يدل على مجموعة جنوية مستثمرة أخرى في تجارة الأندلس. ويعتبر وجودهن فريداً في تجارة الأندلس، حيث لا توجد سجلات للمستثمرين النساء لدى جماعات التجار المسلمين أو اليهود. وقد تمتعت المرأة الجنوية باستقلال مالي كبير، واستخدمت أموالها غالباً بالفائدة التجارية. وقد وجدنا بضع عشرة امرأة يستثمرن في تجارة إيبريا مثلهن مثل أقربائهن الذكور الذين انخرطوا بصورة اعتيادية في صفقات تجارية في مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. وقد استثمرت إليادار أموالها الخاصة (فقد أرسلت L 18 إلى إسبانيا في سنة 1160) وتصرفت كوكيلة لزوجها عند غيابه وأدارت أعمال سُلْمان التجارية في جنوى أثناء سفره[98]. وهناك نساء أخريات عرفن كزوجات وأرامل وأخوات تجار ظهرن في أماكن أخرى، وفي سجلات عدلية أخرى وقمن بأعمال تجارية في إسبانيا. وقد أرسلت أدالاكسيا Adalaxia زوجة فولكو دو كاستيلو L 50 إلى مالوركا في سنة 1182[99]. وفي شهر آب من سنة 1201، عهدت دروا Drua ومونتانارا Montanara (والاثنتان متزوجتان من عائلة ستريابوركو Streiaporco) بمبلغ زهيد إلى وكلاء مختلفين مسافرين إلى متالونيا على ظهر مركب دُعي ديانا Diana. وهناك امرأة أخرى

(97) Krueger, Navi e proprietà, pp. 72, 86, 90.

(98) On Eliadar, see Abulafia, The Two Italies, pp. 241.

(99) ASG Cart. 2, 6r. هي غالباً زوجة السيد فولكو حيث أن دليلاً في الوثيقة 1213 تحدث عن بائنة أو مهر من يدعى أميليا زوجة فولكو كاستلو وهو فولكو الصغير،

S. Epstein, Wills and Wealth in Medieval Genoa 1150-1250. Cambridge, Mass, 1984, pp. 105-6.

تدعى مابيليا Mabillia، أرسلت L 7 إلى كتلونيا في الشهر نفسه، ولعله مع المركب نفسه(100). وفوق ذلك، إن الاستثمار الافرادي الممارس من قبل النساء في تجارة إسبانيا يميل إلى أن يكون أصغر من استثمارات الرجال الذين يجرون عقوداً من أجل مبالغ ضئيلة..

ولا يوجد سوى معلومات قليلة من المدن الأوروبية الأخرى حول التجار المتعاملين مع شبه الجزيرة، لأن محفوظاتهم تفتقر لغنى المعلومات العدلية الباكرة المحفوظة في جنوى. وإن وجد الحد الأدنى منها، فمصدرها جميعها من شمال غرب إيطاليا وجنوب فرنسا، على الرغم من اتساع شبكتهم التجارية، فإن الفنتيين Venetians لم يظهروا اهتماماً بتجارة الأندلس في هذا الدور. وتشير المعاهدات الدبلوماسية البيزية مع حكام الأندلس إلى وجود نقل تجاري بين بيزا والأندلس في القرنين الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، ولكن لا توجد سجلات منفردة لرجال الأعمال البيزيين المسافرين إلى شبه الجزيرة أو المغادرين منها قبل منتصف القرن الثالث عشر. ولكن في سنة 1245 اجتمع أربعة عشر تاجراً بيزياً في مالوركا مع أموالهم لاستئجار مركب يعود إلى تاجر لومباردي Lombard. وتغدو سجلات بيزا التجارية مع كتلونيا وباليريك غزيرة في نهاية القرن الثالث عشر(101). وهناك وثائق من مدن إيطالية وفرنسية ولكنها هي الأخرى غير واضحة. وتتضمن وثائق من سافونا طلباً من سنة 1183 سُمح فيه للوكيل أن يذهب حيثما يريد باستثناء برفانس وكتلونيا (لعل الرحلات إلى هذين المكانين كانت مألوفة)، كما تدل شحنة من ست قطع من الجلد القرطبي مرسلة من سافونا إلى جنوى قبل

---

(100) Drua and Montanara: Giovanni de Guiberto, p.221, #470; p.230, #494. Mabilia: ASG Cart. 4,110v.

وانظر حول نساء جنوى

G. Pistarino, "Le donne d'affari a Genova nel secolo XIII," Miscellanea di storia italiana e mediterranea per Nino Lamboglia. Genoa, 1978 pp. 157-69.

(101) D. Herlihy, Pisa in the Early Renaissance. New Haven, 1958, pp. 171-3, 177.

ثلاث سنوات على وجود اتصالات تجارية مع شبه الجزيرة[102]. وتتضمن سجلات الحقوقي مارتين من سافونا Savonese في أول القرن الثالث عشر عقوداً قليلة للسفر إلى باليريك، بما في ذلك عقدان إلى إيبيزا في الأعوام 1203 و 1205، ولكن أياً من هذه المراجع لايقول لنا المزيد حول التجار العاملين من مدينة سافون[103]. وهناك عقود من مرسيليا، كتبت في وسط القرن الثالث عشر، تذكر أيضاً بضائع إيبرية (تتضمن رقيقاً أبيض من مسلمين وقرطبيين ومن ألوم (alum) قادمة خلال المدينة، ولكن لا تذكر شيئاً عن التجار الناقلين لهذه البضاعة[104].

ولم يكن التجار الإيطاليون والفرنسيون، المسيحيين الوحيدين في أعمال التجارة في أسواق الأندلس في القرن الحادي عشر والثالث عشر. فقد نقل القشتاليون وتجار آخرون من داخل مملكة إسبانية البضائع إلى الأندلس، على الرغم من أخطار السفر البري خلال حدود إيبريا. وتصف قائمة بورتازجو أو التعرفة في توليدو/ طليطلة مؤرخة في 1137 مكوساً مستحقة من تجار مسافرين من تلك المدينة إلى الأندلس، وقوائم تعرفة أخرى من صكوك مدنية من المرحلة نفسها تدل على مواد، وخاصة الأنسجة المستوردة من أرض العرب «تيرا دي موروس Tiera de moros[105]» إن نفوذ عملة فيوروكيونكا Fuera of Cuenca قد سمح للمدينة في عهد الفونسو الثالث بين 1177 و1189، أن تطرح مشكلة كيفية إثبات أن بعض أنواع البضائع قد

(102) A. Cumano, Il Cartulario di Arnaldo Cumano e Giovanni di Donato, Savona 1178-1188. ed. L. Balletto, Rome, 1978, p. 561, #1118; p. 336, #618.

(103) Martin of Savona, Il Cartulario del notaio Martino, Savona, 1203-1206. ed D. Puncuh, Genoa, 1974, p. 100, #277; p. 122, #365. # 440, 805, 808.

يوجد عقود إلى ميلونيكا (غالباً مالوركا).

(104) L. Blancard, ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884-5, I, pp. 58-9, 63-4, 161-2; II, pp. 268, 313, 317, 326; III, pp. 196-203.

(105) T. Munoz. ed, Colección de fueros municipales. Madrid, 1847, reprint 1971, I, p. 375. for other fueros, see J.L. Martin, "Portazgos de Ocaña y Alarilla," AHDE 329, 1962, p. 525.

ابتيعت من «بلاد مراكش أو العرب in the Land of the Moors»، حيث تخضع لرسوم مختلفة عن البضائع المحلية[106]. وبما أن منشأ البضاعة هو المشكلة وليس صاحبها التاجر، فيبدو أن الأخير كان مسيحياً. وقد طرحت مثل هذه المشكلات في التشريع الاقتصادي في محكمة/كورت طليطلة سنة 1207 الذي دعم رقابة السعر المحلي على التجار المسافرين من طليطلة لشراء البضائع من مناطق أخرى. وحُرّم على تجار طليطلة استيراد الأنسجة من ممالك مسيحية أخرى، ولكن سمح لهم باستيراد هذه البضائع من خلال جبال البيرينيه أو من بلاد العرب/المور[107]. وعلى الرغم من أنشطة المناطق الداخلية، كان التجار القشتاليون يلقون بظلهم على زملائهم الكتلانيين والأراجونيين من خلال مغامراتهم البحرية. وكان تجار كرون (تاج) أراجون قد دُعموا إثر فتح مالوركا 1229 ـ 1230 وبلنسيا سنة 1238 وحصلوا على مراقبة الطريق التجاري للجزر route des îles، ولكن مراكب كتلان تاجرت مع الجنوب سابقاً، كما يظهر في عقد تجاري مؤرخ في 1211 من أجل رحلة بحرية بين برشلونة وإسبانيا[108].

كما ساعدت تشريعات الحماية تجارة كتلان. فعلى سبيل المثال، أصدر جيمس الأول قراراً في سنة 1227، يقضي بأن التجار الأجانب لا يستطيعون شحن البضائع خارج برشلونة، إذا رغب تاجر كتلاني أن يقوم

---

(106) Fuero de Cuenca. ed A. Valmaña Vicente, Cuenca, 1978, pp. 268-9.

وقد أصبحت فيورو Fuero نموذجاً من عقود الامتيازات المتأخرة.

(107) يمكن أن يشير إلى بلاد اسلامية أخرى وأفضل ما يناسب ذلك هو الأندلس.

F.H. Hernández, "Las Cortes de Toledo de 1207," Las Cortes de Castilla y León en la Edad Media. Valladolid, 1988, p. 244.

(108) S. Bensch, "From Prizes of War to Domestic Merchandise: Slaves in the Towns of Eastern Iberia,"

بحث غير منشور مقدم إلى ندوة أكاديمية العصور الوسطى في Princeton, NJ, May, 1991, p. 6.

بالرحلة(109). ويبدو أن بعض التجار كانوا يرغبون بذلك، وقد أبحر مركب تاجر كتلاني نحو إشبيلية في العام نفسه، ولكنه تعرض لهجوم القراصنة من مالوركا وهو في طريق العودة(110) وفي سنة 1231، سمح عقد من فيش لتاجر شريك أن يسافر إلى مورسيا وبالنسيا وسبتا، وعندما منح جيمس الأول لودا Leuda لقرية تماريت Tamarit في سنة 1243 فقد تضمن ذكر المراكب المسافرة إلى الأندلس مع البضائع(111). ويبدو أن توسع التبادل التجاري الكتلاني مع الأندلس قد خلق خلافاً، بعد أن اشتكى البابا جورج 11 في سنة 1237 من أنه على الرغم من تحذيرات ثلاثة ظل التجار الكتلانيون يهربون البضائع إلى ابيزا، ومنها تصل إلى الأندلس(112). وظهر التجار الكتلانيون أيضاً في سجلات عدلية من مدن إيطاليا وجنوب فرنسا وربما قدم هؤلاء التجار قناة لتصدير البضائع الأندلسية إلى أسواق أوروبا. وفي سنة 1248 قبل أرنولد Arnold وهو «كتلاني من تورتوزا» أن ينقل L14 ليرة بالعملة الجنوية إلى كتلونيا، وفي النهاية، فإن ما ينوف على عشرة تجار من تورتوزا قد ظهروا في سجلات جنوى في هذه المرحلة(113). وفي الوقت نفسه، تذكر

(109) G. de Reparez, "L'activité maritime et commerciale du royaume d'Aragon au XIIIe siècle," Bulletin hispanique 49, 1947, pp. 425-6; and A. Capmany y de Monpalau, Memorias historicas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona. new edn, Barcelona, 1961-3, II, pp. 12-13.

(110) A. Schaube, Handelsgeschichte der romanischen volker des Mittelmeergebiets bis zum ende der kreuzzuge. Munich-Berlin, 1906, p. 328.

(111) A. García, "Contractes comercials vigatans de principis del segle XIII," Ausa (Vich) 43, 1963, p. 336; M.D. Sendra Cendra, Aranceles aduaneros de la Corona de Aragon, siglo XIII, Valencia, 1966, p. 36.

(112) R.I. Burns, "Renegades, Adventurers, and Sharp Businessmen: The 13th century Spaniards in the Cause of Islam," Catholic Historical Review 58, 1972, pp. 359-60.

تم ترتيب السلم الزمني لنمو أراجون وكتلونيا تماماً في مكان آخر، انظر:

C.E. Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siecles. Paris, 1966.

وأعمال أخرى للمؤلف ذاته.

(113) ASG 26/11, 140v.

سجلات التعرفة من سنة 1247 رسوماً مخفضة ممنوحة لتجار من كروان أراجون[114]. وتورد سجلات جنوية أيضاً عدداً من التجار الذين يحملون أسماء تبدو إيبرية الأصل (مثل كرتاجينيا Cartagenia أو برشلونيو Barcellonio). وعلى الرغم من ذلك فإن عقودهم لا تخص بالضرورة التجارة مع إسبانيا، فمثلاً ليس من الواضح إذا كان برنارد البرشلوني الذي يظهر اسمه في عقد من سنة 1191 كان قد توقف قليلاً في جنوى أو أنه تركها؟

يظهر شك مماثل حول أوبرتو فراريو Oberto Ferrerio من بلنسيا وابنه وليم، الذي يظهر في عدد من العقود الجنوية من سنة 1213، وحول أوجيرو دو كرتاجينيا Ogerio de Cartagenia، الذي ذكر في وصية من سافونا سنة 1179[115]. ويرينا الفحص الدقيق أن هؤلاء التجار لم يكن لديهم اتصالات مباشرة أو معاصرة مع المناطق الإيبرية، التي يشتق منها اسمهم. وعلى الرغم من أن أبناء عشيرة قرطاجنة من أصول شبه الجزيرة، فقد تاجروا مع جنوى خلال سنوات وربما اعتبروا أنفسهم جنويين[116]. ويظهر مزيد من الصعوبات المعقدة في الاسم: بلنسيا Valencia، حيث أن لوبيز أوضح أنه من المستحيل التفريق باللاتينية بين بلنسيا Valencia الإسبانية الأصل وفلنسيا Valenza في (بيدمولت Piedmont)، وبلنسيا Valence في فرنسا[117].

---

(114) Herlihy, Pisa in the Early Renaissance, p. 202.

(115) Bernard: Guglielmo Cassinese, p. 38, #19. Obertus and William Ferrario: ASG Cart. 7, fols 100-10.

حيثما ذكر هذان الأخيران فهما ذات الشخصيتين الوكيلين في عقد،

Cartagena in 1253 (ASG Cart. 18/11 65v), Ogerius: Cumano, Cartulario, p. 266, #524.

(116) Krueger, "Genoese Trade with Northwest Africa," p. 394. Abulafia,

The Two Italies, p. 200. من جهة أخرى يعتبر قرطاجة اسماً إسبانياً حقيقياً

(117) R.S. Lopez, "Concerning Surnames and Places of Origin," Medievalia et Humanistica 8, 1954, p. 14.

إن ازدياد قوة المسيحيين التجارية بعد وسط القرن الحادي عشر قد تحدى التفوق التجاري الإسلامي واليهودي الأقدم في موانئ الأندلس. ويتضاءل ظهور المسلمين واليهود في الوثائق الاقتصادية بعد منتصف القرن الثاني عشر، على الرغم من استمرار بعض التجار غير المسيحيين بالتجارة مع شبه الجزيرة. وربما تاجر يهود من شمال شبه الجزيرة عبر حدود إيبريا، واستمرت الاشارات عن التجار اليهود بالظهور بانتظام في ال فيوروس Fueros وفي مصادر مسيحية أخرى. وهناك مثلاً وثيقة من مدينة جاليسيا من سيلانوفا تذكر يهوداً يبيعون الحرير ومنسوجات أخرى في سنة 1184[118]. وتوحي هذه الاشارة إلى الحرير أن هؤلاء التجار اليهود كانوا إما أندلسيين أو أنهم على علاقة تجارية مع الجنوب. من جهة أخرى فإن النقص في تنوع الوثائق اللاتينية بين اليهود الأندلسيين وأفراد الطائفة اليهودية المحلية، يجعل تحديد امتداد حضور يهود الأندلس في أسواق الشمال صعباً. وبسبب التضييق على حياة اليهود في الجنوب تحت حكم المرابطين فإن عدداً منهم، من التجار وغيرهم، قد تحركوا باتجاه الشمال بحثاً عن التحرر من الاضطهاد وعن فرص اقتصادية أفضل. ولعل تجار الحرير في سيلانوفا كانوا بين صفوفهم. ومع أفول النشاط التجاري اليهودي في الأندلس، فإن التجار اليهود من أصل أندلسي أو آخر، جاؤوا ليكون لهم دور مهم في أسواق إسبانيا المسيحية خلال آخر العصور الوسطى.

وقد تابع المسلمون العمل في تجارة الأندلس في القرن الثالث عشر على الرغم من ظهور المنافسين المسيحيين، وبعد توقف نشاط مواطنيهم اليهود. وقد ذكر عقد جنوي في سنة 1158 تاجراً يدعى ماراكسي Maraxi تعامل مع دينيا ومالوركا يوحي بأنه ربما كان مسلماً[119]. وكتب الإدريسي في

(118) A. Ballesteros y Baretta, Historia de España y su influencia en historia universal. Barcelona, 1920, II, p. 529; and I.F. Baer, A History of the Jews in Christian Spain, Philadelphia, 1961, I, p. 84.

(119) واعتبر أبو العافية أنهما عرب، Giovanni Scriba, Cartolare, p. 260, #487 "perhaps a Saracen" (The Two Italies, p. 229).

الوقت نفسه أن الأندلسيين كانوا يتاجرون مع ساليه Sale ومع موانئ مراكشية أخرى، وكانوا يوردون الزيت الأندلسي مقابل الحبوب. في حين كان تجار من بلاد الغرب المسلمة، بما فيها الأندلس، قد شوهدوا في أسواق الإسكندرية من قبل الرحالة اليهودي بنجامين الطليطلي في سنة 1165[(120)]. ولعل من هؤلاء الأندلسيين التاجر العالم أحمد بن مروان الذي ـ وفقاً لكاتب سيرته سلافي Silufi ـ رحل إلى الإسكندرية وأصفهان والعراق في هذه الفترة تقريباً[(121)]. وبالمثل فقد قدم ابن الأبّار معلومات عن خمسة تجار علماء آخرين جميعهم من أصول أندلسية عربية، توفوا بين السنوات 1184 و1245[(122)]. وذكر الشقندي Shaqundi الذي كتب بين 1199 و1212 مصادفة وجود شحنة تجارية مسلمة في ملقا[(123)]. ونعلم فيما بعد معلومات عن مرور بعض التجار مثل شقيق العالم أبي العباس من مورسيا الذي سافر إلى الشرق للحج مع عائلته في عام 1242. وقد غرق مركب بون Bone ولم ينج من العائلة إلاّ أبو العباس وشقيقه الأكبر التاجر. وقد ذهب الأخوة إلى تونس،

(120) Idrisi, Opus geographicum. III [Naples-Rome, 1972], p. 239; Benjamin of Tudela, "The Itinerary of Benjamin of Tudela," trans. M.N. Adler Jewish Quarterly Review 18(1906), p. 686.

يتضح من مقطع النص أن بنجامين ليس تاجراً يهودياً.

(121) Silafi, Akhbar wa tarājim andalusiyya, ed. 'Abbas, Beirut, 1963 p. 21, #5. متوفى (1180)

سلافي، أخبار وتراجم أندلسية. من المحتمل أن هذا التاجر عاش في زمن سابق ولكن سلافي لا يذكر تاريخاً لوفاته ويمكن أن يكون معاصراً له.

(122) Ibn al-'Abbar, Takmila ابن الأبّار تكملة.

ثلاثة تجار يحملون اسم الأنصاري، ولكن لا شيء عنهم في أماكن أخرى، فقد جاء واحد منهم إلى إشبيلية، وتوفي في سنة 1184 ن: p. 249, #803 وآخر في بلنسيا وتوفي سنة 1202، p. 274, #864 ؛ وبايزا وجان (وفاة 233) p. 340, #993. ؛ وقد جاء التاجران الاخران من بلنسيا (وفاة 1225) p. 650 #1810، ومن ملقا (وفاة 1245) p. 519, #1456.

(123) Maqqari, Analectes sur l'histoire et la littérature des arabes، هذا المقطع محفوظ في:

d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, II, p.148.

حيث تابع الأكبر منهم العمل في التجارة في حين أن الأصغر فتح مدرسة قرآنية(124).

كانت وثائق التجار الأندلسيين المسلمين نادرة بعد وسط القرن الثالث عشر كما سيتّضح في الفصل الأخير من هذا الكتاب، على الرغم من أن بعض المسلمين قد واصلوا التجارة في موانئ غرناطة الناصرية وبصورة أقل في كرون أراجون. وظهروا من خلال التجارة الدولية للأندلس المسيحية الجديدة. وبخلاف التجار اليهود، إذ يبدو أن المسلمين الأندلسيين وجدوا صعوبة حقيقية في إعادة بناء أعمالهم تحت الحكم المسيحي. وعوضاً عن ذلك، فإن معظم المسلمين قد أوقفوا مصالحهم في مجال التجارة المحلية مثل النقل بين غرناطة وبلنسيا، أو أنهم حولوا نشاطهم التجاري إلى الموانئ الإسلامية في شمال أفريقيا وشرق المتوسط والمحيط الهندي. وقد حدث خروج التجار المسلمين من تجارة إيبريا في الوقت نفسه، مع التطورات التجارية الأخرى في شبه الجزيرة، حيث لم يفرض على المسلمين واليهود مواجهة تعاظم منافسة التجار المسيحيين وحسب بل أخذ الحكام المسيحيون دورهم في النشاط الاقتصادي لممالكهم أكثر مما كان عليه أسلافهم المسلمون. وقد سبق ورأينا كيف أن جيمس الأول صاحب أراجون قد عزز حقوق التجار الكتلانيين في برشلونة. إن هذا النمط من التشريع قد شجع بعض المجموعات من التجار على التوسع على حساب آخرين. وفي جنوب قشتالة (حتى في غرناطة المسلمة)، سيطر التجار الجنويون على النشاط التجاري معظمه بفضل الإمتيازات التجارية الممنوحة لهم من قبل كرون قشتالة. وفي الشمال سيطرت طبقة تجارية قشتالية حديثة الولادة على التجارة خلال موانئ الإطلنطي. في حين كان الكتلانيون في شرق شبه الجزيرة قد بنوا إمبراطورية تجارية منافسة لتلك الإيطالية.

(124) G. Elshayyal, "The Cultural Relations between Alexandria and the Islamic West in al-Andalus and Morocco," Madrid: MDI 16(1971), p. 65.

ومع هذه التبدلات في جمهور التجار الايبريين في القرن الثالث عشر، فقد بدأت التجارة في شبه الجزيرة بالتحول بعيداً عن التوجه المتخصص في البحر الأبيض المتوسط إلى التجارة في مجال أوروبا والأطلنطي. وفي هذه الأثناء، فإن جنوب البحر الأبيض المتوسط وطرق تجارة الشرق والغرب التي كانت بالغة القوة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بدأت بالإنحلال مع إنحسار الشبكة التجارية اليهودية والإسلامية وظهور طرق الشحن البحري المسيحية على طول الشواطئ الشمالية. وقد تضافرت هذه التوجهات لتعلن خلق محاور جديدة، بصورة كاملة للمشاركة الإيبرية في تجارة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا. إن إعادة تنظيم شبكة التجارة الإيبرية في آخر العصور الوسطى، التي أدت إلى سيطرة التجار المسيحيين على تجارة شبه الجزيرة، ستناقش في الفصل التاسع.

الفصل الخامس

أعمال التجار والسلطة الحكومية

اتصف البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط بأنه كان منطقة «تجارة حرة» إذ إنّ معظم التجار الدوليين، كانوا أحراراً في السفر حيثما اعتادوا، أو بدافع رغبتهم الشخصية أو من أجل منفعة تجارية، أو بعهدة كبير الشركاء[1]. من جهة أخرى كان التجار العاملون في الأندلس أو في أي مكان آخر مقيدين بمتطلبات وأنظمة سلطة الحكومة المحلية، ممثلة بالسلطان[2]. فما أن يصل التاجر إلى مرفأ معين، حتى يجد نفسه، محاطاً بشبكة القانون والأنظمة المحلية. فقد يكون هو وحمولته موضع تفتيش وترسيم، ولربما قُيدت حركاته وسكناته وسلوكه. وقد تُراقب صفقاته التجارية في ساحة السوق. سَيَبْحَثُ هذا الفصل في مختلف النقاط التي أثرت فيها السلطة المحلية على أعمال التجار الدوليين وهذا يشمل إدارة الموانئ والشحن، وتحصيل الرسوم والمواد، ونظام الأسعار والسلع.

---

(1) يصف جوتين المتوسط ك «وحدة التجارة الحرة»:

"free-trade community" A Mediterranean Society. Berkeley, 1967-88 I, p. 66.

(2) ربما يدل التعبير سلطان وسلطانية بالعربية إما على مفهوم مجرد للحكومة الدنيوية أو على شخص الحاكم بصورة اعتيادية، وفي دوره كمجسد للسلطان المجرد. وللمزيد حول نظرية السلطان انظر:

B. Lewis, Political Language of Islam. Chicago, 1988, pp. 51-2.

لقد اهتم الحكام المسلمون اهتماماً شديداً بالأعمال التجارية، على الرغم من أنه من غير المحتمل أنهم نظروا إلى التجارة كوجود مجرد كي يراقبوها ويؤثروا فيها. وكان الباعث خلف التدخل في التجارة الدولية قد درس بصورة واسعة.

كان الحكام يهتمون أحياناً بحماية المؤن الغذائية المحلية، وإبقاء العين مفتوحة على الأجانب أو منع تصدير بعض السلع سواء أكانت مواد خاضعة لسيطرة الحكومة أم احتمال كونها مواد حربية خطرة. وكان هدف أعمالهم أحياناً زيادة ثروة الحكومة وثروة صناديقهم الخاصة، سواء عن طريق الرسوم أم المضاربات التجارية.

وقد تأسف ابن خلدون على الطريقة التي يتلاعب فيها الحكام بالتجارة مسببين «الأذى لرعاياهم» الذين يجهدون للربح المشروع[3].

وعلى الرغم من نقد ابن خلدون، فإنه يعترف بالوجه الإيجابي للعلاقة بين الحكومة والتجارة، ملاحظاً أن الحكومة تشكل «العدد الأكبر من الناس الذين ينفقون» وإنفاقهم يقدم المزيد من جوهر التجارة أكثر من أي طرف آخر. وعندما يتوقفون عن الإنفاق تهبط حركة التجارة، وتتقهقر المنافع التجارية... إن [السلالة] الحاكمة هي أعظم الأسواق، والأم، وقاعدة التجارة كلها[4]. لقد اعترف هذا التعليق بواقع أن الحكام وحاشية بلاطهم هم المستهلكون المهمون لسلع الرفاهية الغالية المستوردة من الخارج. ويعني هذا أيضاً مزيداً من الصفقات التجارية المتعددة. لقد سيطر الحكام المحليون،

(3) Ibn Khaldūn, The Muqaddimah. trans, F.Rosenthal, New York, 1958, II, p. 94.

(4) Ibn Khaldūn, Muqaddimah, II, p. 103.

(لقد بدلت النقاط والفواصل بخفة) وعلى الرغم من أن ابن خلدون قد كتب بعد الفترة المعينة فقد لاحظ الدمشقي ذلك قبلاً في كتابه: الإشارة إلى محاسن التجارة؛

Cairo, 1318-1900 p. 41.

وراقبوا بمساعدة حاشيتهم البيروقراطية المسيطرة والقانون الإسلامي (الشريعة) النشاط الاقتصادي داخل ميادينهم. ونظراً لعدم وجود خط واضح بين السلطة الدينية والدنيوية في التركيب الإسلامي، فقد كانت إدارة الأعمال التجارية تتم سوية. وقد أشرفت الإدارات الحكومية على كثير من الهيئات الصناعية والزراعية، ونظّمت التسهيلات في الميناء، من تحميل وشحن ورسوم وتحويل. من جهة أخرى، فإن الشريعة الإسلامية تُملي الإجراءات المناسبة للتجارة، وهي وضع قواعد صحيحة لأساليب التسعير والعقود والتصدير وعقود إيجار المراكب والحيوانات وهكذا، وتتدخل الشريعة أيضاً بين الأشخاص المتنازعين حول القروض التجارية واتفاقات الشراكة. وعند وجود صعوبة تجارية أو ضرر أو خلاف، كان القاضي المسلم مهيأً تهييئاً جيداً لإيجاد مخرج شرعي وكانت كتب التشريع الإسلامي مملوءة بحالات سابقة للعلاقات التجارية (المعاملات).

كانت المصالح الرسمية في تجارة الأندلس واضحة خلال جميع العهود للحكم الإسلامي في إسبانيا، ولكن هناك معلومات أفضل عن بعض الأدوار من بعضها الآخر. فقد اهتم الحكام الأمويون بالتجارة الدولية بصورة متميزة، والأعمال التجارية البحرية، ونعلم شيئاً حول أحواض بناء السفن وإدارة الميناء والرسوم في ظل حكمهم، بالمقابل بدا حكام دول الطوائف مهتمين بأشياء أخرى. ولكن هناك معلومات قليلة عن التجارة أو المصالح التجارية في القرن الحادي عشر، باستثناء وجيه واحد وهو حاكم دينيا، ابن مجاهد (1044 ـ 1075)، وفيما يلي من الزمن كان الحكام المرابطون والموحدون معنيين بالتجارة الدولية ما جعلهم ينظمون معاهدات تجارية مع جنوى وپيزا. ويبدو أن الموحدين، أداروا التجارة الدولية بحرص أشد من السلالات السابقة. وقد كان وصول الأجانب إلى الموانئ الموحدية مراقباً مراقبة دقيقة، كما يظهر في معاهدة بيزية موحدية محررة في سنة 1186، والتي سمحت للتجار الپيزيين بالمتاجرة مع أربعة موانئ إفريقيا، ومنعت النقل البحري خاصة إلى أي مرفأ أندلسي باستثناء الماريا، حيث يمكن

للمراكب البيزية أن تتوقف اضطرارياً للإصلاح وليس للتجارة[5]. ولقد بدا الحكام الموحدون إلى حد ما مشجعين للحركة التجارية الأجنبية ولكنهم زادوا من حدة التوتر بين المسيحيين والمسلمين في شبه الجزيرة، وكان من نتيجة حصار قوى الموحدين تضييق أكثر على أنظمة التجارة في أواخر القرن الثاني عشر.

الموانئ... والمرفأ الرسمي

إن جميع أعمال التاجر الدولية قد تمت في الميناء الأندلسي حيث وصل ومن حيث انطلق. والواقع أن معظم التجار الدوليين لم يغامروا بتجارتهم خلف المدن الساحلية، وعوضاً عن ذلك، كانوا يبيعون حمولاتهم أو يعهدون بها إلى شركاء محليين. ونظراً لتمركز النشاط التجاري في الموانئ، ولكون هذه المدن مناطق حدودية، فقد كانوا عرضة لعقبات بيروقراطية أكثر من الجهات الداخلية. وخلافاً للمدن الداخلية المحكومة بحاكم (والي) بانتظام، فقد كانت مدن الموانئ، تحت إدارة حاكم عسكري (قائد) وكذلك كانت المدن على طول جبهة بلاد الأندلس[6]. وأخيراً، تتطلب الحاجة إلى تنظيم وتجهيز إقامة الأجانب وبضائعهم في ميناء المدينة خلقَ تسهيلات خاصة ووظائف إدارية، مع أن المصادر الأندلسية لم تكشف عن مزيد من التسهيلات مثل المبيت للزبائن ومخازن لمجموعات البضائع ذات المكوس الخاصة وهو ما كان متوافراً في كل مكان من العالم الإسلامي[7]. وكان من المعتاد أن يعلن التجار عن الحمولات في الديوان (وهو مكتب

---

(5) M. Amari, I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino. Florence, 1863, p. 20.

(6) E. Lévi-Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane. Paris, 1950-3, III, p. 57; J. Bosch Vilá "Algunas consideraciones sobre 'al-tagr' en al-Andalus y division politico-administrativa de la Espana musulmana," Etudes d'orientalisme dediées a la memoire de Lévi-Provençal. Paris, 1962, I, p. 30.

(7) حول الموانئ الإسلامية ن:

S. Soucek, "Mina," Encyclopedia of Islam. 2nd edn, Leiden 1960, VII, pp. 66-72.

وحول الموانئ المصرية ن: =

للزبائن ومكوس المجموعات من البضائع)، وربما كان عليهم تخزين البضائع في المخزن، او البقاء في الفندق[8]. وتأتي أفضل المعلومات عن نشاط التاجر الأندلسي من إشبيلية والماريا، لأن إدارة هذه المدن كانت مماثلة لتركيبها في كل مكان من إسبانيا المسلمة. وكان تطبيق الأنظمة التجارية واحداً يسري على أي تاجر قادم من الخارج، على الرغم من أن أنشطة الأندلسي، العائد لميناء سكنه كانت غالباً أقل تقييداً من الزائرين المصريين والجنويين أو الأجانب الآخرين.

وعند الوصول كان التاجر يشكل موضوعاً وتابعاً للسلطة الإدارية المحلية، وأهمها رئيس القضاة أو قاضي القضاة في المدينة. وقد وصف ابن عبدون واجبات قاضي القضاة في إشبيلية، حيث تشمل مسؤولياته الحفاظ «على رصيف النهر [الوادي الكبير] الذي يستخدم كمرفأ للمدينة من أجل المراكب، خشية أن يباع أي شيء فيها أو أن يبنى أي بناء على طولها. وهذا [مهم] لأن هذا المكان هو مصدر [المياه] للبلد، والمكان الذي تنطلق منه البضائع المربحة التي يصدرها التجار، وهي ملاذ للأجانب، وموقع لإصلاح السفن، فهو مكان ليس ملكاً لأحد، وهو يعود للسلطان فقط. فمن الملزم للقاضي أن يسهر على [هذا المكان] بعناية فائقة، لأنه مكان تجمّع التجار والمسافرين وغيرهم. . .»[9].

يوضح هذا النص أن منطقة المرفأ مختلفة عن مرافق المدينة الأخرى.

= C. Cahen, "Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Egypte médiévale d'après le 'Minhadj d'a--Makhzumi," JESHO 7,1964, pp. 217-314.

(8) A.E. Lieber, "Eastern Business Practices and Medieval European Commerce," Economic History Review 21,1968, p. 237.

إن كلمة ديوان: ذات معان مختلفة، ولكنها تعني بصورة عامة نمطاً من المكاتب الحكومية وإن المراجع الأندلسية عن هذه المؤسسات تتعلق بصورة خاصة بوصف الأسواق أو الموانئ أو الخدمات، وربما كان الهدف منها محطات لجمع الضرائب.

(9) Ibn 'Abdun, Risala. ed. E. Lévi-Provençal, Documents arabes sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge: Trois traités hispaniques de hisba. Cairo, 1955, p. 30.

فهي ليست ملكية للسلطان وحسب، كما هو صحيح بالنسبة لمعظم المرافق المدنية مثل الحوانيت والأسواق والفنادق وغيرها، ولكن ابن عبدون يشدد على أن المرفأ هو مجال التجار والأجانب.

وكانت عيون الموظفين مفتوحة على هؤلاء الناس داخل حدود الميناء وينظمون حركاتهم، ولم يكن مسموحاً للمسافرين الاقتراب من الشاطئ إلا بإذن، وعليهم تخزين بضائعهم في بعض الأمكنة، والاستراحة في أماكن أخرى. ولم تكن الأنظمة مجرد قيود، لأنها تفيد في حماية الغرباء في المدينة. فقد كان مرفأ إشبيلية، كما يقول ابن عبدون «ملاذاً» للأجانب، ويصح الشيء ذاته بالنسبة لمدينة الماريا حيث وصف العذري (متوفى 1085) الميناء بأنه منطقة «يشعر فيها التجار بالأمان على بضائعهم، وكذلك الناس القادمون من جميع البلدان»[10].

ومن أجل مساعدة السلطة في أداء واجبها، فقد هيأ قاضي القضاة مجموعة من كبار القضاة، وموظفين مدنيين يساعدون في حفظ النظام العام، ومراقبة التجارة، والتعامل مع التجار الأجانب[11]. وكان أفضل من عُرف من هؤلاء الموظفين هو مراقب السوق (المحتسب أو صاحب السوق)، والذي حفظت نشاطاته في كتب الحسبة وهي (دليل مكتوب باليد لاستخداماته)، ومن الناحية النظرية كانت مهمة المحتسب: «الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(10) 'Udhri, "Nusus 'an al-'Andalus" ed. A.A. al-'Ahwani, Tardi' al-akhbār wa tanwi 'al-athar. Madrid, 1960, p. 86. العذري، نصوص عن الأندلس.

(11) هؤلاء كانوا دائمي الوجود في الموانئ الإسلامية، انظر حول ذلك في مصر:

C. Cahen, "Douanes et commerce," pp. 271-272.

ومع ذلك لم يكن المرفأ الرسمي تجديداً إسلامياً في شبه الجزيرة، حيث دُعي الموظفون *thelonearii*.

وقد نظموا التجارة وساعدوا التجار الأجانب (trans *marini negotiatores*) في زمن الفيزجوت، ن:

H. Pirenne, Mohammed and Charlemagne. London, 1939 reprinted New York, 1980, p. 87.

المنكر»، بين جماعة المسلمين، وتحت هذا العنوان العريض فإن من واجبه أن يراقب ساحة السوق (حيث يحذر من المخادعين، والظالمين، [وشرور أخرى]؛ ويفحص الحمامات والفنادق والشوارع العامة، ويحافظ على الآداب العامة والأخلاق الدينية)[12]. وكان ابن عبدون محتسباً في إشبيلية في القرن الثاني عشر، وكان صارماً في مراقبته التجارة في المدينة، وأكَّدَ على أهمية الحفاظ بعين أخلاقية على المرفأ بهدف منع بعض الحمولات بما في ذلك «أي شيء محرم كالخمر» من أن يُفرغ من المركب[13].

وقد توسعت مسؤوليات المحتسب إلى مظاهر مادية تتعلق بالشحن والتجارة. وقد أشار السقطي وهو محتسب من القرن الثالث عشر، إلى أن

---

(12) أخذ المرجع عن المحتالين من السقطي (وهو محتسب في ملقا في أوائل القرن الثالث عشر) من كتاب الفقيه الأجل العالم العارف الأوحد وهو كتيب إسباني للحسبة:

Un manuel hispanique de hisba, eds. G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Paris 1931, p. 13.

وتتضمن نصوص الحسبة الأندلسية الأخرى رسالة ابن عبدون من إشبيلية (القرن الثاني عشر) ورسالة ابن عبد الرؤوف (القرن العاشر) ورسالة جرسيفي (Jarsifi القرن الثالث عشر). وربما كان الجرسيفي مغربياً ولكن نصه مشابه جداً للنسخ الأندلسية. وقد نشرت النصوص الأخيرة من قبل:

Lévi-Provençal, Documents arabes.

وحول مهنة المحتسب ن:

R.P. Buckley. "The Muhtasib," Arabica 39, 1992, pp. 59-117.

وأخيراً كتب عن المحتسب:

P. Chalmeta, El, señor del zoco en Espana, Madrid, 1973.

هذه الوظيفة مهمة في الوسط الأندلسي لأنها انتقلت إلى إسبانيا المسيحية. وظهرت وظيفة zabazoque وهي مأخوذة من (صاحب السوق sahib al-suq) في ليون 1020؛ ونجد فيما بعد دليلاً على almotacem أي المحتسب قشتالة و mustasf في:

T. Glick "Muhtasib and Mustasaf: A Case Study of Institutional Diffusion," Viator 2 (1971). pp. 59-81.

(13) Ibn 'Abdun, Risala, p. 29. (pp. 56-7).

يحذر المؤلف بالأسلوب الأخلاقي ذاته من أنه يجب حماية الملاحين من الاختلاط «بنساء سيئات السمعة».

واجباته تشمل مراقبة المراكب وتجهيزاتها في ميناء ملقا. وفي نهاية كُتَيِّبِهِ يُفَصِّلُ أنواع المواد مثل الحبال والأشرعة وما شابه مما هو ضروري للحفاظ على المركب نظيفاً، ويضاف إلى ذلك أدوات مثل المسامير والكتان الضروريين لبناء المركب[14]، وكان المحتسب مسؤولاً عن السلامة البحرية، وكان عليه التأكد من أن أصحاب المراكب الجشعين لا يستطيعون إفراغ حمولاتهم وهم يعرّضون حياة ركابهم للخطر، وألا يجعلوا ركابهم يجذفون[15].

وعلى الرغم من هذه الأدلة على دور المحتسب في مراقبة تسهيلات المرفأ وإدارته فهذا الموظف لم يكن مسؤولاً بالدرجة الأولى عن مراقبة التجارة الدولية أو التجار، وبالنتيجة، لم يذكر إلا القليل من البضائع المنقولة لمسافات طويلة أو دولية في كتب حسبة الأسواق. ولهذا فقد انصب اهتمام المحتسب على السكان المحليين، وليس على الأجانب. ولكن أحكامه طالت التجارة الدولية، عندما يتعلق الأمر بمكاسب جماعته.

وبينما كان المحتسب يعرف السكان المحليين فإن موظفين مدنيين آخرين كانوا معنيين بإرشاد التجار والتجارة الأجنبية. وكانت أنشطتهم أقل توثيقاً وبالتالي أكثر غموضاً من نظيرها العائدة للمحتسب. ولعله كان هناك وظيفة مماثلة أو موازية للمحتسب وكانت مسؤوليته تنحصر بالإدارة البحرية والتجارة الأجنبية، ولعل ابن عبدون كان يشير إلى هذا النمط من الموظفين في إشارته إلى «مراقب النهر» (أمين الوادي) الذي كان من واجبه مراقبة المّلاّحين[16]. ولا توجد مراجع أندلسية واضحة لهذه الوظيفة، ولكن ذكرت وثائق متأخرة من أراجون وظيفة مشابهة هي زلمداينوس مارتيموس Zalmadinos maritimos وقد وظّفت برشلونة اثنين هما، مستساف mustasaf وقنصل/ مستشار البحر في القرن الرابع عشر[17]. والقنصل مثل المستساف،

---

(14) Saqati, Kitáb al-faqih, pp. 71-2.

(15) Ibn ‘Abdun, Risala, p. 29.

(16) Ibn ‘Abdun, Risala, p. 57.

(17) Saqati, "El Kitab fi adab al-hisba (Libro de buen gobierno del zoco) de al-Saqati," [trans. P. Chalmeta], Al-Andalus 32,1967, pp. 147-8.

ربما اشتقت من نموذج أصلي أندلسي باكر.

وبقدر ما كان التجار الأجانب معنيين بالأمر، فإن معظم الموظفين الرسميين المحليين كانوا «الممثلين للتجار» (وكيل التجار) الذين يتبوأون مكانة سامية في مكان ما بين تلك الوظائف الحكومية والشراكة الخاصة. لقد كان هؤلاء الأشخاص تجاراً أولاً، ومن ثم عُينوا بفضل زملائهم ليكونوا وكلاءهم وسماسرتهم ورجال ارتباطهم في المشاكل المتعلقة بعلاقاتهم مع الحكومة. وعلى الوكيل التصرف كممثل قانوني وأن يفصل في الخصومات بين التجار، وأن يقدم العون لتخزين بضائعهم. وعلى الرغم من أن «وكيل التجار» لم يظهر في النصوص الإسلامية ـ الإسبانية، فإن مفهوم (الوكالة) كان قد تطور جيداً في القانون الأندلسي[18].

وهناك معلومات أندلسية جانبية أخرى، تفترض وجود أنواع أخرى من الموظفين الرسميين المنخرطين في رقابة التجارة. وقد لاحظ هسداي بن شبروت أنه كموظف حكومي يراقب التجار الأجانب، «الذين لا يستطيعون أن يديروا أعمالهم إلا بإدارتي ومن تحت يدي»[19]. إن مثل هذا التأكيد يفترض مركزية الرقابة في عهد النظام الأموي. ومن ناحية ثانية، وكما هو الحال في مجالات أخرى من الإدارة الإسلامية، فإنه من الصعب تمييز تراتيبه hierarchy في داخل الشبكة البيروقراطية. وهناك وظائف أخرى ذات علاقة بالاعمال التجارية وهي التوكيل والسمسرة والتمثيل التجاري، وكان أصحاب هذه الأعمال متعاقدين مع التجار، وعليهم أن يعملوا كوسطاء بين

(18) حول وكيل التجار ن:

Goitein, Mediterranean Society, 1, pp. 186-92; and A.L. Udovitch, "Merchants and Amirs: Goverment and Trade in eleventh-century Egypt," Asian and African Studies 22 (1988), p. 65.

(19) Y.F. Baer, A History of the Jews in Christian Spain. Philadelphia, 1961, I, pp. 29-382.

يذكر بير Baer أن الرسالة زائفة.

التجار والإدارة، وربما كان السمسار يساعد التاجر الأجنبي في تعامله مع الديوان أو ربما كان يُستخدم لشراء السلع مقابل عمولة[20]. وقد كانت العلاقة بين التجار ووكلائهم موضع مراقبة أيضاً، ووفقاً لما ذكره السقطي فقد كان من واجبات المحتسب «أن يمنع التجار من البقاء مع وسيط (دَلاّل) أو مع مساعد أعمال وجُلاّس Jullas» خشية أن يأخذ هؤلاء الناس منفعة أو أسبقية من ضيوفهم الأجانب[21]. وقد نصح أبو الفضل الدمشقي المؤلف المشرقي باحترازات مماثلة محذراً من أنه «عندما يذهب التاجر المسافر إلى مكان لا يعرفه فعليه التحضير لمكان آمن [للبقاء]، ولأشياء أخرى، خوفاً من أن يؤخذ من قبل المحتالين»[22]. ومن أجل منع هذه الإساءات، فقد صارت إقامة «الفنادق» معلماً مميزاً من معالم المدن عبر العالم الإسلامي[23]. وقد كتب أحد المؤلفين المجهولين أن قرطبة احتوت على نحو ألف وستمئة فندق وخان في أوائل القرن الثالث عشر. وقد كانت الخانات أمكنة صالحة لاستقبال التجار والمسافرين والأفراد الأجانب وغيرهم[24]. وقبل هذا الزمن بقليل أحصى الإدريسي تسعمئة وسبعين فندقاً في الماريا في القرن الثاني عشر، في حين سجل المقري متأخراً ألفاً في المدينة نفسها[25].

---

(20) حول السمسار انظر:
C. Cahen, "Douanes et commerce," p. 239; and A.E. Lieber, "Eastern Business Practices," p. 237. Wansharisi, Mi'yar al-mu'rib. ed.M. Hajji Rabat. 1981.
الذي يذكر عدة مراجع عن السمات انظر مثلاً XIII, p. 122.

(21) Saqati, Kitab al-faqih, p. 60.

(22) الدمشقي كتاب الإشارة. Dimashqi, Kitab al-ashara, p. 52.

(23) حول الفنادق المصرية ن:
C. Cahen, "Douanes et commerce," pp. 237-8.

(24) H. Mones. ed. "Wasf al-'jadid li-Qurtuba al-islamiyya," Madrid: MDI 13,1965-6, p. 170.

(25) Idrisi, Opus geographicum. V, Naples-Rome, 1975 p. 563; Maqqari, Analectes sur l'histoire et la litterature des arabes d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, I, p. 102.

وكان أكثر الفنادق الأندلسية متواضع المساحة، وبُني، تقريباً، من مخزن أو مخزنين مرتفعين. ومخطط الطابق بسيط مؤلف من غرف صغيرة حول الفناء الداخلي الرئيس. ويمكن للتجار أن يقيموا في غرف الضيوف في الأعلى، في حين تبيت الحيوانات والبضائع في الطابق الأرضي بأمان حول الفناء. وأخيراً بقي فندقٌ أندلسيٌّ وحيدٌ حتى اليوم، في غرناطة (كورال دل كربون Corral del Carbón) يعود للقرن الرابع عشر. ويطابق بناؤه للمخطط الأساسي للفنادق الأندلسية المبكرة. ويمكن مقارنته بها على نطاق واسع. ومساحة البناء 30 × 30م^2 تقريباً، مع باحة رئيسية وثلاث طبقات، يحتوي الاثنان الأخيران على نحو عشرين غرفة ضيوف في كل منها، وهي مفتوحة على مَمْشًى مطل على الفناء الرئيس. ويبدو أن بالإمكان إيواء خمسين تاجراً، إن لم يكن أكثر، في هذا الفندق[26]. كانت الفنادق تخضع لفحص دقيق من قبل المحتسب، وتتحدث كُتَيِّباته مطولاً عن إدارتها الخاصة.

لقد كان مهماً، مثلاً، أن يكون القَيِّم على الفندق ذكراً خشية من وجود إمرأة تسبب الزنا، وكان من الضروري منع النساء الخليعات من الكشف عن رؤوسهن عمداً أمام الفندق بغية جذب النزلاء[27].

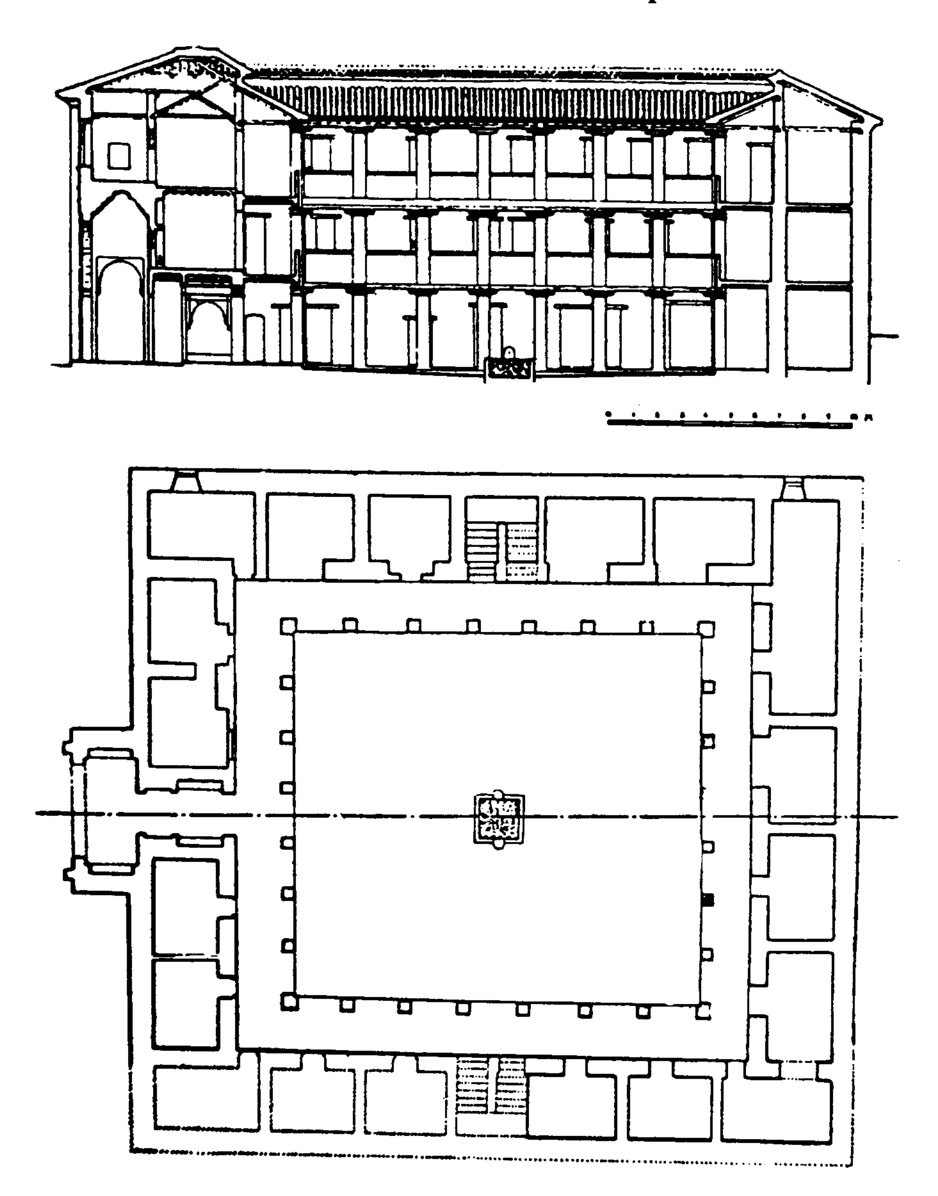
وقد أدت هذه البنية القانونية إلى طرح موضوع قلق محلي حقيقي، فمن المؤكد أن حياة الغانية الممتعة في الفنادق، كانت صورة متكررة في الأدب الشعبي. حتى ابن حزم قص حكاية (حيكت في بغداد) حول رجل وقع في حب جنوني مع وصيفة فقيرة لابنة صاحبة الخان[28]. وكان التاجر الأجنبي عرضة لمنعه من التجول ليلاً، وإذا وجد التجار خارجاً بعد الغياب فإن ابن عبدون يأمر بالعودة إلى «الفندق، حيث يبقون مع أتباعهم حتى

---

(26) حول الفنادق الأندلسية وكورال دل كربون Corral del Carbon: L.Torres Balbas: "Las Alhóndigas hispanomusulmanas y el Corral del Carbón de Granada," Al-Andalus II,1946, pp. 447-81; and "Alcaicerias," Al-Andalus 1,1949, pp. 431-55.

(27) Ibn ʿAbdun, Risala, pp. 49-51.

(28) Ibn Hazm, Tawq al-hamama. Cairo, 1975, p. 138.



5 . مخطط رفعي لفندق غرناطة (Corral del Carbon)
من القرن الرابع عشر.

Granada (L. Torres Balbas Al-Andalus, 1946, facing p. 464)

الصباح»[29]. وهناك واجب ديني آخر للمحتسب ألا وهو أن يدعو نزلاء الفندق المسلمين إلى حضور الصلاة بمواعيدها[30].

الشحن والنقل

لم يكن من واجب السلطان الأندلسي أن يراقب كثيراً الهيئات الإدارية للمرفأ والأسواق وحسب، بل كان وجود الحكومة محسوساً في الشحن التجاري. إذ على الحاكم أن يتصرف كتاجر ومالك لمركب ويؤجر مركبه إلى أفراد التجار أو لمجموعة منهم. وقد أوضح ابن عبدون أنه كان مألوفاً استئجار مركب «من السلطان»[31]. من جهة أخرى يمكن للسلطان أن يتعاقد مع تجار وأصحاب مركب لنقل البضائع لصالح الحكومة، كما هو ظاهر في «فتوى» جمعت من قبل الونشريسي حيث تُعالج وضعَ تجارٍ ينقلون حمولات من المواد الغذائية بموجب عقد حكومي[32]. وكان للسلطان سلطة الحجر على مراكب التجار في مرافئ الأندلس أو منعها من الإبحار.

وقد ظهرت ألقاب الحكام مراراً مرادفة لأسماء مراكب خاصة، وقد امتلأت رسائل الجينيزا بمراجع عن «مركب السلطان» و «مركب القائد» و«مركب الأمير» وهكذا[33]. وقد بيّن جوتين أن المراجع عن مراكب

---

(29) يستخدم ابن عبدون في الرسالة Risala ص18 التعبير: تحت الضمان *tahta daman* "under the care" ولكن له معنى أقوى منه في الانجليزية، حيث يعني أن التجار قد ضمنوا أنفسهم وضمنوا أتباعهم من ارتكاب الأخطاء. وربما كان السكان المحليون ممنوعين من التجول ليلاً:

Ibn Hazm, Tawq al hamāma, p. 185.

(30) Ibn ʻAbd al-Ra'uf, Risala. ed.E.Lévi-Provençal, Documents arabes, p. 76.

(31) Ibn ʻAbdun, Risala, p. 31.

(32) Wansharisi, Mi'yar, VIII, pp. 309-10.

كان شحن الأغذية جزءاً من جهد الإدارة حيث تجمع المواد الغذائية للنجدة في أوقات المجاعات.

(33) إن تعبير مركب السلطان يدل على أن مركباً واحداً كان يحمل هذا الاسم. من جهة أخرى فإن الجملة «مركب من مراكب السلطان» تعني أنه كان يملك أكثر من مركب...

الحكومة، تدل على أن السفر البحري كان مقيداً بالمراكب الرسمية أحياناً، ولكن غزارة المراجع المعاصرة عن ملكية المراكب الخاصة تجعل هذا من غير المحتمل[34]. وعلى كل حال فإن الثروة النسبية للسلطان هي أهلية الحكومة لإدارة المواد المنقولة ومراقبتها مثل الحديد والخشب، كما أن مصالح الحكام في المنافع التجارية، وهذا ما عزز السلطة الرسمية في حركة النقل البحري.

وعلى الرغم من أن اسم الحاكم لم يكن معيناً بمركب خاص، فقد كان ممكناً معرفة هويته بسهولة، ويبدو أن عدداً من الحكام كانوا من الغرب الإسلامي، وهذا ما يدل على أن الأمراء الأندلسيين والولاة يملكون أساطيل تجارية وبحرية[35]. وقد امتلك علي بن مجاهد وهو من دينيا (1044 ـ 1075) مركباً تجارياً واحداً على الأقل، وامتلك والده مجاهد العامري (1012 ـ 1044) مركباً، وصفه ابن حزم في حصار المرفأ في الماريا في أوائل القرن الحادي عشر[36]. وتَذْكُرُ حوليتان أن ابن مجاهد قد أسرع إلى شحن حمولة مواد غذائية إلى مصر خلال مجاعة ألمت بالمشرق، وعاد المركب إلى الأندلس «محملاً بالمجوهرات وأجمل الهدايا»[37]. وعلى الرغم من أن هذا

---

(34) S.D. Goitein, "La Tunisie du Xie siècle à la lumière de documents de la Geniza du Caire," Etudes d'orientalisme dediées a la mémoire de Lévi-Provençal. Paris, 1962, p. 575.

(35) لقد امتلك كثير من الحكام والوزراء السفن. فقد ذكر في رسالة من جينيزا (Bodli 2.20) مركب الأمير ناصر الدولة «الذي حكم مصر من 1062 . 1073 انظر:

S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. Princeton, 1973, p. 139.

وبعد قرن بعث أسامة بن منقذ عائلته من مصر إلى دمياط على ظهر مركب رسمي ن:

Kitāb al-i'tibar. ed. H. Derenbourg, Paris, 1886-93. 1.2, p. 25.

(36) كان مفاجئاً أن يكون للأب والابن في دولة الطوائف مراكب في حصار دينيا وباليريك وانظر: ابن حزم طوق الحمامة ص118.

(37) Ibn al-Khaṭib, Kitāb al-'amal al-'alām. ed.E. Lévi-Provençal, Beirut, 1956, pp. 221-2.

وهناك رواية أخرى عن مصدر هذه الجملة ربما كان في مؤلف مجهول هو:

Hulāl al-mawshī ya. ed.I.S. Allouche, Rabat, 1936, p. 62.

لا يبدو أنه كان رحلة تجارية، فإن الإشارة المتكررة في رسائل الجينيزا إلى «مركب ابن مجاهد» مغامراً في الطريق بين دينيا ومصر خلال (1040 ـ 1060)، تبيّن أن هذا الحاكم كان منخرطاً بالعمل التجاري بالتأكيد/ وعلى سبيل المثال هناك وصف في كتاب نهريا بن نسيم بين (1044 - 1045) حيث يذكر «رزمة من الكتان بما في ذلك جميع النفقات، قد حُملت على مركب ابن مجاهد»[38]. ولكن لم يذكر إلى جانبها الأندلس، ولكن يوجد مرجع متأخر يشير إلى مركب يحمل الاسم ذاته (مركب مجاهد) قد وصل إلى الإسكندرية من دينيا ما يجعل تعريفه أكثر ضماناً[39]. وفي أواخر سنة 1050 وأوائل سنة 1060 يظهر هذا المركب ثانية في رسالة أخرى إلى نهريا حيث ذُكر انه كان مبحراً من صقلية إلى مصر مع عدد من اليهود الأندلسيين على ظهره. وفي الفترة نفسها تقريباً نعثر على مزيد من التنويه إلى هذا المركب مبحراً إلى الإسكندرية مع مركب أندلسي آخر[40].

ويلاحظ الكاتب في الرسالة نفسها التي ذكرت هذين المركبين الأندلسيين الواصلين إلى مصر، أن «مركب [ال] أم [ي] ر [ال] . أن [د] لسي» قد انطلق لتوّه غرباً، مفترضاً أن ولاة آخرين إلى جانب ابن مجاهد قد وجدوا منفعة في النقل التجاري البحري[41]. وفيما يلي من الزمن وفي سنة 1083 تشير رسالة أخرى من جينيزا إلى «مركب الحاجب» الذي عرّفه أشتور

---

(38) Bodl e98.64; trans. Goitein, Letters, p. 283. نظراً للتأريخ قد يكون هذا المركب لابن مجاهد.

(39) TS 8 J 20.2؛ ربما تؤرخ هذه الرسالة في أوائل 1060.

(40) TS 13 J 19.20 and ENA 2805.26.

ذكر المركب في الحالتين كملكية لابن مجاهد، وليس مجاهد وحسب وتعود ملكية المراكب الأندلسية الأخرى المذكورة في الرسالة إلى المدعو أبو عبدالله الأندلسي. وقد ظهر هذا المركب في رسائل أخرى معاصرة من الجينيزا. وتضمن كثير منها نسبة المالك ما يثبت الصلة بالأندلس. ن:

(TS Box 28.37; Bodl c28.61; Bodl d66.15; probably also TS 8 J 20.2; TS 13 J 19.29; TS 13 J 17.3).

(41) ENA 2805.26.

Ashtor بأنه عماد الدولة منذر، والي دينيا من 1081 إلى 1091[42]. ونجد في القرن التالي إشارات متكررة في الجينيزا إلى مركب السلطان، ومركب القائد، وقد ذُكر الاثنان معاً في الرسالة نفسها.

وقد سافر يهودا هاليفي إلى الإسكندرية في سنة 1140 منطلقاً إلى الأندلس على «مركب السلطان الجديد» في حين أن زملاء يهوداً آخرين سافروا على مركب القائد. وفي نحو الفترة نفسها ذكرت رسالة أخرى أنّ تجاراً قد وصلوا مجدداً إلى مصر قادمين من الغرب على ظهر هذين المركبين[43].

وقد عَرَّف جوتين السلطان المعنى هنا كـ يحيى بن العزيز من بوجي (1124 ـ 1152)، والقائد كمحمد بن ميمون من الماريا، قائد الأسطول المرابطي خلال سنة 1130[44]. وقد سافر المركب التابع للوالي الجزائري

---

(42) TS 12.570; ed. E. Ashtor, "Documentos españoles de la Genizah," Sefarad 24,1964, p. 77.

إن إعادة تركيب النص من نسخة غير منشورة لجوتين.

(43) TS 13 J 15.16 and TS 12.290. وذكرت نصوص أخرى وصول يهودا هاليفي على ظهر هذا المركب الخاص ن: TS 10 J 10.23 and Goitein, Mediterranean Society. v, pp. 454-5.

(44) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 310.

يجب التأكد على أن هذه المطابقات تحمل مشكلات، وقد اقترح جوتين في مكان آخر أسماء مختلفة في مقاله:

la Tunisie p. 575:

إن هوية «القائد» مضبوطة أكثر من هوية مركب «السلطان». وقد عثر على مراجع عن «مركب السلطان في عدد من الرسائل من وسط القرن الحادي عشر حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر، من بينها TS12.226 مرسلة من مصر إلى طرابلس في حوالي 1055 والرسالة TS24.77 مؤرخة في 1116، وكتبت في الإسكندرية من قبل مسافر في مركب متوجه إلى الأندلس TS8J18.2 ذات الصلة بـ (TS10J15.3 وهنا ذكر المركب وهو في رحلته نحو الماريا في حوالي عام 1135). ومن الواضح أن هذه الدلائل لا تخص المركب نفسه أو السلطان نفسه، الذي يبدو في هذا السياق حاكماً من نوع خاص. إن ذكر هذه الدلائل سنة 1130 و1140 يشير في الواقع إلى حاكم بوجي ولعل هذا بسبب ذكر يهودا هاليفي كمسافر على مركب السلطان «الجديد».

على الطريق بين الأندلس والمشرق بصورة متكررة ما دفع سجلات جينيزا على وجوب ذكره. من ناحية ثانية إن هذا النقاش حول التجارة الأندلسية أقل أهمية من مركب «القائد» ابن ميمون الذي يظهر مراراً في وثائق جينيزية، بالاضافة إلى ما سبق ذكره، فهناك رسالة من الماريا أرسلت سنة 1138 تقريباً، توثق وصول مركب «القائد ابن ميمون» من الإسكندرية، وهناك مقطع من رسالة كتبت في الإسكندرية سنة 1140، ذكرت المركب نفسه[45]. وتصف وثائق غير جينيزية المأثرة البحرية لهذا الوالي الماري[46]. وتخبرنا الحوليات الإيطالية أن بيزا قد توصلت إلى معاهدة سلام مع ابن ميمون في سنة 1133 «في حين كانت العلاقة بين جنوى والماريا أقل وداً» ووجهت مراكب من اسطول جنوى هجومات متتالية على أربعين مركباً تابعاً لـ: «كيتو ميمونو الماريا caito Maimono Amarie»[47].

وفي أي وقت استأجر تاجر أندلسي مركباً لنقله عن طريق البحر - وسواء كان المركب حكومياً أم خاصاً - فإن صيغة عقد الإيجار إملائية من القانون. وفي عقد للإيجار، فإن المؤجر (مُكْرِ) قد تعهد بنقل المستأجر (مكترِ) وبضائعه/وهمَّ برحلة خاصة محدداً بوضوح الطريق الواجب اتباعه، وتشحن المواد خلال الرحلة ويدفع مبلغ للمؤجر سواء استُؤجر بالكامل أم بجزء منه. إن المؤجر لا يسافر بالضرورة مع الرحلة. إذ يمكن أن يؤجر عدداً من المراكب في وقت واحد. ولهذا كان كل مركب يسير بأمرة القبطان (ربّان السفينة) [48].

---

(45) TS 13 J 14.21 and JTS Geniza Misc. 13.

(46) N. Barbour, "The Influence of Sea Power on the History of Muslim Spain," Madrid: MDI 14,1967, p. 107.

(47) 3: A. Schaube, Handelsgeschichte der romanischen Volker des Mittelmeergebiets bis zum Ende der Kreuzziige. Munich-Berlin, 1906, p. 277. 1137: Caffaro, Annali genovesi di Caffaro e de suoi continuatori. ed. L.T. Belgrano, Genoa, 1890,1, P. 29.

السفن المقصودة هنا هي حربية وليست تجارية.

(48) يمكن العثور على معلومات عن استئجار المراكب في كتب «الفتوى والوثائق» وأفضل =

وكانت كل مرحلة من هذه العلاقة المتقلصة، منذ لحظة الإيجار حتى الوصول وتفريغ الحمولة من المركب في المكان المقصود، منتظمة ومرتبة. وهناك أشياء أخرى: كان للمستأجر خيار بين عقد مُصَنّف تحت اسم «تعيّن» (حيث يجب ذكر أنواع الحمولة مقدماً) أو بصيغة «مضمون» (أي ضمانة للمستأجر حيث لا تحدد كل مادة منقولة) [49]، وفي حال غرق المركب في الطريق، أو أحرقته عاصفة، فإن القضاة جاهزون للحكم وتحديد نتيجة التخاصم.

وتتدخل الحكومة المحلية في نشاط التاجر من خلال سلطة باتّة في موضوع الشحن. إن عقد إيجار المركب يجب أن يُصدق من قبل قيادة السلطان. وطبقاً لأبي الحسن الجزيري (توفي في 1189)، وهو قاضٍ من الجزيرة Algeciras، كان يُلغي عقد إيجار، في حال عاكست الريح المركب، أو في حال خوف من هجوم، عدو، أو «منع السلطان» أي حجز حكومي للمركب في المرفأ «حتى يأتي موسم الإيجار» [50]. وعلى الرغم من عدم

= المصادر عن النقل البحري الأندلسي والمغربي في ابن أبي فراس «اكريات السفن» وابن مغيث، المقنع في علم الشروط:

Ibn Abi Firas, Kitab akriyat al-sufun. ed. M.A. Tahir Cahiers de Tunisie 31,1983, p. 7-52; Ibn Mughith d. 1067, Muqni fi ‘ilm al-shurut. Real Academia de la Historia. Madrid Gayangos ms. 44; Fihri al-Bunti d. 1070.

«وثائق المسائل المجمعة»، الجزيري، مقصود المحمود في تلخيص العقود:

Wathaiq wa al-majmua. [Miguel Asin Intitute, CSIC, Madrid] ms. II; Jaziri (d. 1189), Maqsud al-mahmud fi talkis al-uqud. [Miguel Asin Institute, CSIC, Madris, ms. 5.

ويفترض من خلال دليل من ابن مغيث، (fol. 69v) أن المؤجر ربما كان يملك أكثر من مركب. وحول تأجير المراكب ومناقشة ذلك وفق المذهب المالكي ن:

D. Santillana, Instituzioni di diritto musulmano malichita con riguardo anche al sistema sciafita. Rome, 1938, II, pp. 259-85.

(49) لقد ناقش القضاة لتحديد المعنى الدقيق للتعابير انظر مثلاً: ابن رشد «فتاوى».

Ibn Rushd, Fatawa. ed. al-Talili, Beirut, 1407/1987, pp. 1247-9.

(50) Jaziri, fol. 55r. Ibn Abi Firas Kitab akriyat al-sufun

يتضمن موضوع إلغاء عقد الإيجار في حال الحجز الحكومي (pp. 48-9).

وجود وثائق عن هذه الحوادث الواقعية في الأندلس، فهناك أسئلة مشابهة حول حجز المراكب والبضائع في أماكن أخرى.

ويعرض نص من جينيزا في أوائل القرن الثاني عشر أن مركباً أندلسياً موجوداً في الإسكندرية قد «أفرغت حمولته بالكامل بأمر مكتوب من السلطان»(51). وفيما يلي من الزمن راقب الموحدون رقابة شديدة، حركة النقل البحري من خلال موانئهم. وقد سجل كاتب العدل المدعو أملريك Amalric في مدينة مرسيليا سنة 1248 أن شحنة البضائع المتوجهة إلى مرسيليا قد حجزت في سبتا من قبل الوالي الموحدي بينكالاس Bencalas (أبو علي بن هلس) وهو رجل مولود في بلنسيا أصلاً(52).

وعلى الرغم من سيطرة السلطان على التجارة البحرية، فقد كان وجوده جلياً في التجارة البرية وكانت الحركة وأنشطة عمَّال التجارة الواصلين إلى قرطبة وغرناطة أو أي سوق داخلي منظمة، وذلك ليس بالدرجة نفسها التي أحيطت بها في موانئ المدن. وقد فرضت المكوس على طول الطرق، والجسور وبوابات المدن. وكان يفترض بالتجار أن يسافروا من خلال طرق معروفة، وكانت عقود استئجار حيوانات النقل موضع رقابة قانونية. وقد سلكت معظم التجارة البرية بين مدن ساحل الأندلس والداخل، وبين المدن الداخلية نفسها من خلال طرق مبنية جيداً.

ولم يكن التجار بحاجة لمعرفة أين يتوقعون وجود الخدمات لمبيتهم وحيواناتهم وبضائعهم وحسب، بل كان عليهم وضع شبه برنامج لتحقيق المنفعة لشركائهم وزبائنهم. وتدل صيغة عقود كراء الحيوانات أنه كان يشترط

---

(51) TS 13 J 27.9 (Bodl c50.19 يشير إلى الحالة ذاتها trans. Goitein, Letters, p. 237.

(52) L. Blancard ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884-5, II, pp. 166-7, #729, also p. 169, #732. حول الأصول من بلنسيا انظر:

J. Caille, "Les marseillais à Ceuta au XIIIe siècle," Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman; hommage à Georges Marçais. Algiers, 1957. p. 28.

على المكتري أن يحدد المخطط الدقيق للطريق الذي ينوي اتباعه[53]. ومن وجهة نظر الإدارة، فإن اقامة الخدمات على الطرق يسهّل جمع المكوس. ومن الوجهة التجارية فإن السلامة الأكيدة وتسهيلات الطرق تجعل الحكومة جديرة بالأجور المرتفعة لرقابة الحكومة وصيانتها[54].

الضرائب والمكوس

كانت الضريبة الحكومية مجالاً يدرك من خلاله تجار العصر الوسيط، وكذلك العصر الحالي، وطأة وجود «السلطان». فقد كانت المكوس والتعرفة مقوماً كلي الوجود للتجارة، سواء أكانت محلية أم دولية. فقد طُوق التاجر بالضرائب في أماكن مختلفة، ليس فقط عند دخوله مرفأ أو مروره في منطقة إدارية جديدة، بل أيضاً في ساحة السوق، وفي أية نقطة مناسبة لجمع الضرائب[55].

وعلى الرغم من أن المؤرخين والقانونيين الأندلسيين وصفوا سياسة فرض الضرائب المُحكمة، وخاصة تحت حكم المرابطين والموحدين، إلا أن الجمع الواسع للتعريفات التجارية يبين أن فرض الضرائب كان في الواقع ظاهرة محلية أيضاً. إذ لم تكن الإدارة المركزية وحدها الجهة المهتمة بجمع

(53) كانت حيوانات الجر عاملاً حاسماً في النقل البري كما لاحظ R. Bulliet أن عربات الدولاب كانت نادرة.

The Camel and the Wheel Cambridge, Mass., 1975, pp. 230-1.

(54) مدح النويري أمن الطرق زمن المنصور انظر:

Historia de los musulmanes de España y Africa por en-Nugairí ed. M. Gaspar Remiro, Granada, 1917, p. 60.

(55) وجد في إسبانيا المسيحية تعابير خاصة للضرائب، وقد استخدمت عملياً بالتبادل فمثلاً *Portaticum* دُفعت على بوابة *Pontagium* على جسر ودفعت barcaje على معبر نهر الخ. ن:

L. García de Valdeavellano, El mercado en León y Castilla durante la edad media. 2nd edn, Seville, 1975, p. 151.

إن مجموعة الضرائب المختلفة المذكورة في المصادر الأندلسية تذكره بموقف مشابه، فالواقع أن بعض الضرائب الإسبانية قد أخذت من النمط الأندلسي.

الضريبة، على الرغم من الجهود المبذولة للوصول إلى هذا الامتياز. وكان كل والٍ أو حاكم محلي، وبخاصة على أبواب المدن وعلى طول الثغور، جاهزاً لفرض ضريبة بنسبة مئوية على البضائع العابرة لمنطقة نفوذه القضائي. وربما كان هذا الاتجاه مسيطراً أو متفشياً خلال عهد دول الطوائف، كما كتب ابن حزم سنة 1035 أن أيّاً يحكم مدينة أو طريقاً اعتاد أن يجمع الضرائب والمكوس على البضائع[56]. وربما لاحظ ابن عبدون مثل هذه الظاهرة، عندما طلب أن الرسوم أو «البقشيش» المدفوعة على البضائع على أبواب إشبيلية، يجب أن تحدد من قبل المحتسب خشية جشع الحراس وتحميلهم مبالغ زائدة على البضائع[57]، ولعل نطاق فرض الضرائب المحلية كان مراقباً بدقة أكثر، وخلال أدوار مركزية السلطة وسياستها، وكان حق جمع المكوس موزعاً وفق بعض أشكال الضريبة الزراعية[58].

لقد كانت التعرفة التجارية العنصر الوحيد في نظام واسع للضرائب الأندلسية. إن حجم ثروات خزينة الحكومة قد ازداد، من خلال ضرائب الريف (الخَراج)، ومن الإنتاج والتجارة (العشر)، ومن الضرائب المفروضة على اليهود والمسيحيين (جزية)، وفرائض ضريبية أخرى. ويصرف جزء من النفقات المأخوذة من هذه الأموال على جيش السلطان وأسطوله، وإدارة المكوس، ومشروعات البناء. وأخيراً وفي زمن دول الطوائف، يصرف قسم على دفع الباريا وهي ضريبة للحكام المسيحيين الإسبان[59]. وقد تم تحصيل

---

(56) Ibn Hazm, "Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm", ed. M. Asin Palacios, Al-Andalus 2,1934, p. 38.

(57) Ibn 'Abdun, Risala, p. 33.

(58) لا يوجد دليل على رسوم زراعية في الأندلس. من جهة أخرى تفترض التعليقات التي أوردها كل من ابن عبدون وابن حزم أعلاه والطبيعة القصوى للتوزيع الضريبي أن بعضها قد فرض رسمياً وموجود مقابل رسوم مفروضة.

(59) طبقاً لما ذكره ابن العذاري (بيان المُغرب): فقد قسمت «الجباية» في عهد عبد الرحمن الثالث إلى ثلاثة أقسام حيث كان الثلث لدعم الجيش وثلث آخر للحملات والأخير للخزينة.

Ibn 'Idhari, Bayan al-mughrib. ed. R. Dozy, revised G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Leiden, 1951, II, pp. 231.

نحو 12٪ من مال الخزينة من ضرائب السوق ومكوس أخرى في ظل حكم عبد الرحمن الثالث في العهد الأموي بين 912 . 961، ولكن لا توجد معلومات للمقارنة في العهود التالية. وتقع الضرائب تحت صنفين من الناحية النظرية: قانوني أو شرعي (وهو ما نص عليه الشرع) وغير المنصوص في الشريعة. وكان الصنفان يتعلقان بالتجار. وهنا نستطيع أن نرى الفارق بين الضرائب المفروضة رسمياً وهي لصالح الخزينة العامة وبين المكوس البيروقراطية الاعتباطية، التي تختلف بين العهود والأنظمة[60].

ومن الناحية النظرية، فإن كل تاجر يصل إلى ميناء مسلم، كان عليه أن يدفع ضريبة شرعية تقدر (بالعشر) أي «الجزء العاشر» أو (الخمس) «جزء خامس» على بضائعه. وكما ذكر أحد علماء الشريعة في القرن الثامن وهو أبو يوسف، أن الضرائب تحسب بنسبة مئوية على جميع البضائع المُقَيَّمَة بمئة درهم وما فوق، وتتنوع حسب الديانة، والبلد الأصلي للتاجر الذي يحمل البضاعة. وطبقاً للأحكام، يدفع المسلمون 5.2 بالمائة ويدفع (الذميون) المحليون من غير المسلمين 5 بالمائة، والأجانب من غير المسلمين (حربي harbis 10 بالمائة). وتبين الوثائق المتأخرة أن واقع جمع الضرائب كان متنوعاً كثيراً. فقد كانت تُحسب النسبة وفقاً لقيمة البضائع (مع وبدون القيمة الدنيا)، ولكن النسبة المئوية كانت مرنة وتتقلب وفق

(60) يذكر المقري في (Analectes,I,p.130) أن ابن بشكوال (متوفى سنة 1182) وصلت ثروته في عهد هذا الخليفة إلى 000.480.5 دينار. وقد ذكرت الأرقام ذاتها من قبل العذاري (بيان2 ص2 231 . 2 ويمكن أن تكون ضريبة الدخل أعلى من هذا التقدير. وقد سجل ابن حوقل قيمة الضرائب بـ 000.000.20 دينار حصلت سنة 951، «دون حساب مدخول الخزينة من السلع التجارية والحرف والأدوات البحرية»:

Ibn Hawqal, Kitab surat al-ard. ed. J.H. Kremers, Leiden, 1938, p.112.

لم تكن الضرائب التجارية شيئاً جديداً في شبه الجزيرة، وقد أكد M.Hendy أن الفيزيجوت (مثل الرومان قبلهم) قد فرضوا ضرائب تجارية «على الرغم من أن التفاصيل وآلية التحصيل تبقى صعبة ومجهولة كما هي العادة»:

"From Public to Private: The Western Barbarian Coinages as a Mirror of Disintegration of late Roman State Structures," Viator 19, 1988, p. 51.

طبيعة البضاعة وجنسية التاجر[61]. ومع ذلك فإن العشر كأساس للنسبة المئوية ذكر مرات ومرات في المصادر الوسيطة، وذكر ابن حوقل أن التجار الأندلسيين والأوروبيين الواصلين إلى المغرب في وسط القرن العاشر كان يطلب إليهم دفع العشر عند نزولهم إلى شاطئ شمال إفريقيا[62]. وفي القرن التالي حوالي 1045، كتب الجغرافي الفارسي ناصري بن خسرو أن التجار الأندلسيين والأوروبيين والبيزنطيين والمغاربة عليهم جميعهم دفع 15٪ ضريبة «للسلطان» عند وصولهم إلى طرابلس لبنان[63]. وخلال الفترة نفسها، لاحظ تاجر في رسالة من وثائق جينيزا إلى زميل، وقد أرسل شحنة صوف بقيمة ثلاثين ديناراً من الإسكندرية إلى الماريا، أن أجرة الشحن وصلت إلى ستة دنانير. وقد دفع ثلاثة دنانير (10٪) في مصر، «والباقي ثلاثة [10٪ أيضاً] ستدفع في الماريا بعد الوصول بالسلامة»[64]. وهناك رسالة أخرى من جينيزا كتبت في نحو سنة 1138، ذكرت زبائن

---

(61) وقد ذكر أبو يوسف في «كتاب الخراج»: هذا النظام من الضريبة في الدور البيزنطي السابق p.135.

Abu Yusuf, Kitab al-kharaj. Cairo, 1352/1933-4, pp. 132-3.

ن:

M. Khadduri, War and Peace in the Law of Islam. Baltimore, 1955, p. 226. C.Cahen.

يقدم معلومات عن الضرائب التجارية في مصر ن: "Douanes et commerce," pp. 235, 242-57, 267-71.

(62) ذكر ابن حوقل في كتاب «صورة الأرض» ص97 أن العشر لم يكن ضريبة تجارية. بل مكساً يرفع من إنتاج الزراعة. ومثال ذلك في عهد الخليفة الحكم الأول (796 . 822) دفعت قرطبة عشراً بقيمة 646.7 مد من الشعير و600.4 من الحنطة سنوياً، في القرن العاشر، وساهمت منطقة البيرا بـ 200.1 مكيال gist من الزيت:

J. Vallve, "La agriculturia en al-Andalus" Al-Qantara 3,1982, pp. 282,286.

(63) Nasir-i Khusraw, Naser-e Khosrow's Book of Travels, Safarnama. trans. W. M. Thackston, Albany, 1986, p. 13. ناصري خسرو: كتاب الرحلات.

(64) TS NSJ 197; trans. Goitein, Letters, p. 236.

مدينين بالرسوم على بضائع أرسلت من الماريا إلى فاس[65]. وبصورة مماثلة فقد دفع التجار الإيطاليون العشر في موانئ اسلامية خلال أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر. وكتب شَقُندي بين (1119 و1212) أن العشر قد جُمِعَ من التجار المسيحيين في الماريا، وفي سنة 1161 خفضت معاهدة تجارية جنوية مع الموحدين، بصورة خاصة، المكوس المدفوعة من التجار الجنويين في الموانئ الموحدية إلى 8٪ وهذا ما يمنحهم أفضلية على منافسيهم البيزيين، الذين ظلوا يدفعون 10٪[66].

وكانت المكوس والضرائب، ذات الطبيعة غير المنصوص عنها شرعاً، موجودة مع أنها تنوعت مع الزمن وفي المكان. وتشمل ضرائب العبور transit ما يفرض على طول الطرق في (المراصد) وعند البوابات (قَبالة) وضرائب الصفقات التجارية عندما تباع البضائع أو يتم تحويلها وتدعى (مغارم ورسوم وإتاوة ومكوس... إلخ)[67]. وكان ابن خلدون يعتقد أن الضرائب غير الشرعية كانت ميزة لا مفر منها لتطور الدولة. ويضيف مستنتجاً

(65) Antonin 1105. See also TS 12.435, Goitein, Letters, pp. 51-2.

هذه الرسالة من ذات الفترة حول جمع الضرائب في فاس. يحاول أحد التجار في هذه الرسالة الأخيرة أن يمرر بضائعه كملكية لتاجر محلي ليتجنب التعرفة العالية على الأجانب.

(66) Shaqundi, Risala. in Maqqari. Analectes, II, p. 148 حول التعرفة انظر: H.C. Krueger, "Early Genoese Trade with Atlantic Morocco," Medievalia et Humanistica 3, 1945, p. 5.

وهناك ضرائب على التجار الطليان أكبر قيمة. وقد ذكر Schaube أن البيزيين دفعوا ما يزيد على 25٪ بالمئة إلى 30٪ بالمئة في بلنسيا ودينيا والماريا وملقا

Schaube, Handelsgechichte, pp. 39, 323.

(67) وهناك دراستان مهمتان عن الأندلس والضرائب الإسلامية عامة مع مراجع عن أنواع الضريبة غير الشرعية وهما:

P. Chalmeta, "Facteurs de la formation des prix dans I'Islam médiéval," Actes du premier congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb. Tunis, 1979,I, pp. 111-37; and M. Barceló "Un estudio sobre la estructura fiscal y procedimientos contables del emirato omeya de Córdoba (138-300/755-912) y el califato (300-66/912-76)," Acta Medievalia, 1985, pp. 45-72. also Maqrizi, Khitat, Bulaq, 1270/1853-4, pp. 103-5; and C.Cahen, "Douanes et commerce," pp. 223ff. Also, H. Rabie, The Financial System of Egypt. London, 1972, pp. 80-106.

أنه كلما كبرت السلالات كلما تبنوا أنماطاً جديدة من الرفاهية وتطلبوا المزيد من الثروة. ولذلك فإن الوالي يبتدع أنواعاً جديدة من الضرائب يفرضها على التجارة، ويفرض المكوس على الأسعار المحققة في الأسواق وعلى أنواع البضائع (المستوردة) على أبواب المدينة[68].

ولم يكن مسلمو إسبانيا يُستثنون من هذه الظاهرة. وفي الواقع ذكر ابن خلدون بوضوح أن ممالك الطوائف الأندلسية تمثل هذا النمط. وسبق أن زار ابن حوقل الأندلس في وسط القرن العاشر، ولاحظ وجود مكوس شرعية عالية تدفع في السوق وتفرض «على المراكب الواصلة والمغادرة» للبلاد[69]. ونعثر بعد ذلك بوقت قصير على تاكيدات تعزز هذه المتطلبات الضريبية في رسالة من الخليفة الأندلسي الحكم الثاني، يُفترض أنها كتبت في سنة 972 وحُفظت في كتاب المقتبس لابن حيان حيث تنتقد فرض الضرائب غير الشرعية، وسمح بالضرائب الشرعية فقط وهي الزكاة والجزية والعشر[70]. وقد أصبحت إدانة الضرائب المفروضة سابقاً شعاراً مكرراً من قبل كل سلالة أو حاكم تالٍ. وبعد الأذى الذي سببته رسوم دول الطوائف في القرن الحادي عشر صور ابن خلدون وابن أبي زرع حكم المرابطين (1069 ـ 1147) كعصر ذهبي، حيث أعيدت المكوس والضرائب الابتزازية إلى حدودها الشرعية[71]. ولكن، وبالطريقة نفسها أعلن الموحدون تجديداً

(68) Ibn Khaldun, Muqaddimah, II, p. 92.

(69) Ibn Hawqal, Kitab surat al-ard, p. 108.

(70) Ibn Hayyan, Muqtabis VII, ed. A. A. el-Hajji, Beirut, 1965, pp. 113-14.

من أجل نقاش عن مدخول ضرائب الأسواق الأندلسية في القرن العاشر، ن:

P. Chalmeta of "An Approximate Picture of the Economy of al-Andalus," The Legacy of Muslim Spain. ed. S. K. Jayyusi, Leiden, 1992, pp. 751-2.

(71) Ibn Abi Zar', Rawd al-qirtas. trans. A. Huici Miranda, Valencia, 1964, pp. 326-7; Ibn Khaldun, Muqaddimah, II, p. 92.

مشابهاً (بقلب الإساءة المفترضة من قبل المرابطين) عند وصولهم إلى شبه الجزيرة، ومع ذلك فقد لاحظ ابن غالب ثقل الضرائب في الأندلس في ظل حكمهم(72).

إن الاحتجاج المتكرر ضد الضرائب غير الشرعية للأنظمة قد مهد لإلغائها بعد ظهور مدى تفشيها. ويمكن تلمس الشيء نفسه عند ظهوره في الكتب القانونية على الرغم من أن القضاة لم يدينوا أو يعلنوا بطلان الضرائب المفروضة غير الشرعية. وقد سجل الونشريسي حكماً من القاضي أبي عبدالله السرقستي مفاده أن على جميع المسلمين أن يدفعوا ضريبة المغارم طالما كانوا لا يعيشون في الثغور [ومن ثم كانوا لا يدفعون] بسبب الاعداء. ويدل مضمون المسألة أن هذا المكس الخاص قد فُرض على البضائع في نقطة البيع أو رواج البضاعة(73).

من جهة أخرى، لا توجد لدينا معلومات كافية عن جمع الضرائب وخدمات المرفأ في الأندلس أكثر من المناطق الأخرى في العالم الإسلامي. ففي مصر مثلاً تُظْهِرُ وثائق جينيزا ووثائق المؤلفين المسلمين سلسلة من المكاتب الحكومية المختلفة المقامة في الموانئ المصرية لمعالجة الأعمال التجارية. ففي القاهرة الفاطمية، يشمل ذلك دار المَنَكْ، وهو مركز لجمع المكوس وأنواع «المبادلات». للكتان وبضائع أخرى. حيث يتمركز النشاط التجاري في مناطق مختلفة من المدينة(74). ومع أن هذه المؤسسات المصرية لا تظهر في النقوش الأندلسية، فإن أشكالاً موازية لإدارة المرفأ وجمع

(72) A. Huici Miranda, Historia politica del imperio almohade. Tetuan, 1956-7, p. 215; Ibn Ghalib, "Nass andalusi jadid" ed. L. 'Abd al-Badi, Majalla ma'had al-makhtutat al-arabiya I(1955), p. 281.

(73) Wansharisi, Mi'yar, v, p. 32.

(74) Udovitch, "Merchants and Amirs," p. 59; Cahen, "Douanes et commerce," p. 237.

الضريبة، ربما وُجدت في الماريا وإشبيلية، ومدن أندلسية أخرى. ولم يلمّح سوى قليل من الجغرافيين إلى وجود مثل هذه المؤسسات، على الرغم من أنها لم توصف أو تسمى بصورة خاصة. وابن حوقل هو واحد من الذين ذكروا وجود محطات لرسوم العبور في موانئ الأندلس خلال القرن العاشر، وذكر الإدريسي على ما كان يبدو أنه بيت المكوس أو الجمارك في لوركا بعد قرنين من الزمن(75). كما علق الشقُندي بالطريقة نفسها على وجود ديوان للمسيحيين التجار في الماريا(76).

إن فرض الضرائب على التجار يميل إلى أن يكون أمراً مشتركاً بين الولاة والولايات وطبقاً لما ذكره أبو يوسف مثلاً، فقد فُرضت التعرفة التجارية الإسلامية المبكرة كرد على الابتزاز البيزنطي(77). وكما سبق ورأينا فإن التجار الأندلسيين في المغرب أو المشرق قد طُوقوا بضرائب مماثلة لتلك المفروضة على التجار الواصلين إلى الموانئ الإسبانية المسلمة. وينطبق الشيء نفسه على حركة البضائع الأندلسية مع إسبانيا المسيحية وأوروبا، إلى درجة أن بعض المكوس الأندلسية قد تبناها القشتاليون مباشرة. كما أن «قبالة» وهو اسم الضريبة العربية قد ظهر بشكل القبالة alcabala القشتالية.

وكما كان على التجار المسيحيين الإسبان في الجنوب أن يدفعوا المكوس إلى الحكام الأندلسيين، كذلك الأمر بالنسبة للتجار الأندلسيين في الشمال (على الرغم من أن المكوس الشمالية لم تكن بالضرورة مفروضة كرد

---

(75) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-arḍ, p. 108; Idrisi, Opus, V, p, 560.

الكلمة المعنية هنا هي: *rahadira* التي صنفها R.Dozy; M.J. de Goeje كـ «جمارك» عند ترجمتهم الإدريسي:

Idrisi, Description de l'Afrique et de l'Espagne. Leiden, 1866, pp. 239, 309.

(76) Shaqundi, in Maqqari, Analectes, II, p. 148.

(77) Abu Yusuf, Kitāb al-kharaj, p. 135.

فعل على التعريفات الأندلسية). فقد أمر راميرو (1) Ramiro صاحب أراجون في جاكا (1035 ـ 1063) Jaca أن تُدفع الضرائب من قبل «كل من يأتي ويذهب سواء أكان مسيحياً أم عربياً»[78]. وقد نصت العقود في المدن المسيحية الإسبانية مراراً على الضرائب الخاصة، وتبيّن التعريفات المسجلة طبيعة الانتشار الواسع للضرائب التجارية المفروضة على المسيحيين والمسلمين. ففي مدينة ألاريلا Alarilla في أواخر القرن الثاني عشر كان يجب دفع «مرابطون murabitun» على كل «بهيمة مشحونة قادمة من بلاد مراكش». كما فرض مبلغ على «كل شيء يذهب إلى بلاد مراكش أو يعود منها» وذلك في مدينة أوكانا Ocaña في سنة 1226. وفي ليزدا Lezda من بلنسيا من سنة 1238 أمر جيمس الأول صاحب أراجون أنه يجب دفع بيزانطم bezantem واحد على كل «عربي يأتي [إلى المدينة] بحراً أو براً»[79]. وكما هو الحال بالنسبة لضريبة العشر المختلفة في البلاد الإسلامية، فمن المحتمل أن التجار المسيحيين والمسلمين، لم يكونوا مكلفين بالتساوي في إسبانيا المسيحية. ففي الـ فيورو Fuero لمدينة إيفورا Evora سنة 1166 مثلاً كان على التاجر المسلم المتعامل بفرو الأرانب أن يدفع ضريبة مضاعفة على ما يدفعه التاجر المسيحي في العمل نفسه[80].

---

(78) J.M. Lacarra, "Un arancel de aduanas del siglo XI," Actas del primer congreso international de pireneistas. San Sebastian, 1950, p. 16.

(79) J.L. Martin, "Portazgos de Ocana y Alarilla," AHDE 32(1962), p. 524, 526; Fori Antiqui Valentia. ed. M. Dualde Serrano, Madrid-Valencia, 1950-67, p. 284 [CXLIV, 4]. It is possible that this levy applied to saracen slaves i.e., merchandise, not free Muslim merchants.

(80) Portugaliae monumenta historica: leges et consuetudines. I, Lisbon, 1856, p. 393.
كثير من عقود المدن في آخر القرن الثاني عشر (وكذلك هذه المجموعة) تتضمن أحكاماً مماثلة:

(pp. 419,427,431,488,495,513).

كما أن التجار وأصحاب المراكب الأجنبية الواصلة إلى الموانئ الإيطالية كانوا يدفعون رسماً عند الوصول(81). فقد ورد في سجلات Registrum curiae archiepiscopalis في جنوى سنة 1143 أنه فُرض اثنان وعشرون ونصف سوليدي Solidi (وتدعى عشراً) على المراكب القادمة من المشرق، والإسكندرية، ومختلف موانئ شمال أفريقية، والماريا وبعض المناطق الأخرى. وفيما يلي من الزمن أي نحو سنة 1160 فرضت پيزا مكوساً على المراكب الواصلة من مالقا والماريا ودينيا وبلنسيا وبرشلونة ومالوركا(82). ولم تذكر المصادر إذا كان هذا المبلغ مفروضاً على المراكب الإيطالية أو الأندلسية، ولكن تذكر مراجع من مرسيليا لسنة 1228 إن العشر كان مفروضاً على العرب الواصلين إلى المدينة وهذا بدوره يثبت أن الزوار المسلمين لم يكونوا غير معروفين(83).

الأسعار والبضائع المتيسرة

ومع ذلك يبقى هنا مجال آخر حيث يتوقع المرء وجود تدخل إداري

---

(81) L.T. Belgrano ed "II registro della curia arcivescovile di Genova," ASLSP 2,1862, p.9. رحالة من السنة السابقة 1142 (included in C. Imperiale (ed.), Codice diplomatico della repubblica di Genova. Rome, 1936-42,I, p. 141.

كذلك ذكر فرض ضريبة على المراكب المنطلقة من إسبانيا.

(82) F.Bonaini ed., Statuti inediti della città di Pisa dal XII al XIV secolo. Florence, 4-70,II, pp. 905-6.

(83) L. Méry and F. Guindon (eds.), Historie analytique et chronologique des actes et des délibérations du corps et du conseil la municipalité de Marseille. Marseille, 1841,I, p. 334.

هذا ليس دليلاً على فرض رسوم على الرقيق المسلم الذي كان يشحن عبر مرسيليا.

Benjamin of Tudela, "Itinerary," trans. M.N. Adler, Jewish Quarterly Review 16,1904, p. 468.

وكذلك لاحظ أنه رأى تجاراً من مصر وفلسطين مسلمين أو يهود غالباً في مونبيليه سنة 1160.

في الأعمال التجارية وفي حركة البضائع وتوفرها وسعرها. ويبدو هذا في الواقع أنه كان مجالاً لرقابة رسمية صغيرة أو محدودة منذ أن فرضت الحكومات الأندلسية رقابة ضئيلة على تدفق البضائع بين مسلمي إسبانيا والمناطق الأخرى من البحر الأبيض المتوسط. ولا توجد براهين على تقيدات او خطر على استيراد مواد معينة على الرغم من أن الحكام المحليين والسلطات الدينية قد حاولت أحياناً مراقبة الصادرات. وبخاصة بعد وصول الحكام المرابطين والموحدين إلى الأندلس والمغرب وفرضهم رقابة دقيقة على التجارة الدولية، وتنظيمهم تصدير المواد الحربية. فلم يكن مسموحاً للتجار المسلمين أن يبيعوا أية مادة محظورة مثل الأسلحة إلى المسيحيين، وذهب ابن رشد (توفي 1126) بعيداً ليقضي بأن أي تاجر مسلم يجتاز البلاد الإسلامية عليه أن يكون خاضعاً للتفتيش للتأكد من أنه لا يحمل سلعاً مهربة[84]. إن مثل هذه القيود التجارية كان لها ما يوازيها في أوروبا، وذلك عندما تكرر تحريم البابوات الإتجار بالخشب والأسلحة والمراكب أو أية بضاعة ذات إمكانية للتطبيق الحربي، وتكرر هذا الطرح للخطر منذ المجلس الثالث Third Lateran Council سنة 1179[85]. وزيادة

(84) Ibn Rushd, Kitāb al-muqaddimat al-mumahhidat. Cairo, 1325/1907, II, p. 287.
وقد قال القاضي المغربي ابن جزيّ (Juzary توفي 1340) أن على المسلمين أن لا يدخلوا بلاد المسيحيين إلا من أجل افتداء مسلم. وأن التخوم يجب أن تكون مغلقة، كما أدرج المواد التي لا يجوز للمسلمين بيعها للمسيحيين وهي الخيول والأسلحة والحديد والنحاس:
Qawanin al-aḥkam al-shar'iya., Beirut, 1968, p. 319. See also Wansharisi, Mi'yar, V, pp. 213-14.

(85) وكما هي الحال لدى المسلمين فقد حرم المسيحيون التجارة مع الأعداء حيث كان هذا الأمر ظاهرة موجودة منذ زمن طويل فقد ذكر sawyer أن ذلك قد وجد في أواخر العصور القديمة ن: (Kings and Merchants pp. 142) من جهة أخرى حث على أهمية ذلك أولاً ألكسندر الثالث المجمع المسكوني الثالث ومن ثم دعم البابوات المتأخرون التحريم التجاري وخاصة إينوسانت الثالث الذي فعل نفس الشيء في المجمع الرابع في سنة 1215 وجورج التاسع وكذلك كثير من الحكام المدنيين المسيحيين.

على ذلك، كما سيناقش في الفصل التاسع، فقد بذل الملوك المسيحيون المتأخرون جهوداً كبيرة لمنع حركة مرور البضائع الحربية أكثر مما بذله الحكام الأندلسيون.

وقد أثرت الأسعار على الحركة الدولية لتجارة السلع أكثر من القواعد التشريعية في البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. وقد «ثُبتت الأسعار» هذه ووصلت إلى مستوى مقبول بعد مساومات التجار بعضهم مع بعض في ساحة السوق. وإن قوة العرض والطلب للبضائع جلية واضحة من خلال التعليمات الذرائعية الواقعية المتبادلة بين الشركاء في رسائل جينيزا، وكذلك من خلال الأوامر النظرية الواردة في كتيبات التجار. وكما طرح ابن خلدون، أن التاجر الذي يريد ربحاً عليه أن يحمل بضاعته إلى بلاد أخرى، حيث تكون مطلوبة أكثر من بلده... [لأن] البضاعة القليلة والنادرة، تكون أسعارها مرتفعة. وقد عَرَّفَ طبيعة التجارة بنفسها بأنها «شراء للبضائع والسلع، وتخزينها، والانتظار حتى تحمل تقلبات السوق زيادة في الأسعار»[86].

لقد كان معظم الأسباب الجلية لتقلبات الأسعار الإقليمية هو نقص المؤن بسبب المجاعة والقحط والحرب أو أحداث أخرى. وقد لاحظ الإخباريون من المؤرخين ارتفاع أسعار الحبوب والمنتجات الأخرى في السنين القاحلة، أو لاحظوا الأسعار المنخفضة في أزمان السخاء

---

(86) Ibn Khaldun, Muqaddimah, II, pp. 337-8, 340.

على الرغم من القوة الواضحة للعرض والطلب فمن المفضل مقارنة المفهوم الحديث عن «اقتصاد السوق» بآليتها المعقدة ورقابتها . مع تجارة العصور الوسطى. إن نمط السوق المنظمة ذاتياً من خلال العرض والطلب والتنافس التام بين الموردين أو البالغين . يمكن أن يقارن بصورة غير دقيقة بعالم العصور الوسطى كما لا نملك القدرة على اختبار توسع تطبيقاتها.

والخصب. وقد ذكر النويري على سبيل المثال أنه في سنة 822، كان هناك مجاعة قاسية في الأندلس مما سبب ارتفاع أسعار الحبوب بصورة مؤسفة[87]. وقد ولّدث التجارة الدولية حساب كلفة الأسعار ومجازفاتها. ونظراً للمخاطر غير المتوقعة من جراء السفر بحد ذاته، فإن مخاطر الشحن تزيذ الأسعار إذ إن التاجر يحاول، ولديه الحق، أن يستعيد المزيد من المال من بقايا بضائعه في كل شحنة مفقودة في البحر. وبطريقة مماثلة فإن استئجار المراكب والسفن الخاصة بالشحن ودفع الضرائب والتعريفات على البضائع، ومصاريف العمال، كل هذا يؤثر على السعر النهائي لمادة ما[88].

إن هذه العوامل مجتمعة، بالإضافة إلى توجه المؤرخين لذكر الأسعار المرتفعة، تجعل من الصعب تحليل الأسعار وتحديد المستوى «الطبيعي». حتى قوائم الأسعار التفصيلية المتبادلة بين تجار جينيزا تشير إلى أنهم قد اعتبروا الأسعار متحركة، مع أنهم وعند جمع حساباتهم يمكن للمؤرخين اليوم أن يفهموا شيئاً عن الاتجاهات العامة للتسعير. وكما لاحظ جوتين أن دراسة الأسعار هي كمن يحاول حل معادلة بأربعة مجاهيل هي: الطبيعة الدقيقة، والنمط ونوعية البضائع المتاجر بها، ونوعية الأوزان، والمقاييس أو دلائل أخرى على الكمية التي تشير إلى قيمة العملة المدفوعة، وأخيراً الزمن والمكان والظروف الخاصة للصفقة المعنية[89].

كان تدخل الحكومة عنصراً متقلباً من هذه المعادلة الصعبة فما من شك أن السلطان استطاع أن يؤثر على الأسعار من خلال فرض المحتسب،

(87) Nuwayri, Historia de los musulmanes de España y Africa por en-Nuguarí ed. and trans M. Gaspar Remiro, Granada, 1917, I, p. 42.

(88) Chalmeta, "Facteurs de la formation des prix," p. 111.

(89) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 217.

وليضمن السوق من خلال رفع أو خفض الضرائب التجارية، ومن خلال الاتفاقات الدبلوماسية، والتحكم بالشحن والتحميل أو باحتجاز بعض المراكب. فقد كانت السلطات المحلية واعية لإمكانيات العرض والطلب وقامت بتدعيم بعض التوجيهات. فقد حذر ابن عبدون مثلاً من المشكلات الناتجة عن التخزين وأفتى بأن على المخزنين المعروفين في إشبيلية أن لا يبقوا إلا بعض الكميات من الحبوب دفعة واحدة وعلى أساس كمية المخزون لأن ذلك «يسبب ارتفاع الأسعار والكلف، ويسبب الأذى للمسلمين»[90]. وقد سجلت كتب الحسبة أسعاراً خاصة لغذاء الموظفين، ما يدل على أنه كان هناك مفهوم السعر الخاص أو «الخيري» وأنه كان للسلطان دور في تنظيم كلف البضائع الأساسية. وخلافاً لمعظم بضائع الرفاهية، فإن التّموّن بالحبوب والمواد الغذائية للموظفين مُعَرَّض لتقلبات المناخ على الرغم من أن طلبها يبقى ثابتاً. وقد اهتمت الحكومة بمراقبة التموين بالأغذية بهدف تجنب المجاعات، كما ان تنظيم الأسعار الرسمي للمواد الغذائية ربما يعكس هذا التوجه أكثر مِن العمل على نظرية اقتصادية موحدة. ولم يكن القضاة مجمعين على نظرتهم إلى تنظيم الأسعار. وقد جمع ابن عبد الرؤوف وهو القاضي الأندلسي من منتصف القرن العاشر عدداً من الآراء القانونية حول موضوع تثبيت الأسعار، واستنتج أنه من المسموح تثبيت سعر الحبوب والقمح والعسل واللحم ومواد غذائية أخرى شرط أن تباع من قبل المستوردين، وليس من قبل التجار المحليين. وهكذا كان بعض المؤلفين، بمن فيهم يحيى بن عمر قد حذر من أن المحتسب يجب ألا يجبر التجار على تثبيت أي سعر[91].

(90) Ibn 'Abdun, Risala, p. 42.

(91) Ibn 'Abd al-Ra'uf, Risala, pp. 88-9; Yahya b. 'Umar, Kitāb ahkam al-suq. ed. M.A. Makki Madrid: MDI 4 (1956), pp. 131-2.

إن الأدلة على رقابة أسعار بضائع الرفاهية أقل وضوحاً، مثل التوابل والنسيج والمعادن، وغير ذلك من المواد المهمة من شحنات التجار الدولية. وتتضمن رسائل جينيزا أحياناً مراجع لأسعار «مثبتة» أو «محددة» في الأندلس أو في أماكن أخرى. ولكن ليس من الواضح من كان المسؤول عن التثبيت. وهناك رسالة من الماريا مؤرخة في 1138 تذكر أسعار مواد ذات سعر ثابت بمثقال ونصف مثقال للرطل ولكن ربما كان هذا تثبيتاً خاصاً أكثر منه تثبيتاً رسمياً[92].

وربما أثرت الحكومة المحلية على الأسعار من خلال مراقبتها ضرب العملة وسيولتها، منذ أن لوحظ في كتيب عن سك العملة في القرن الرابع عشر، إن «السعر هو أول عنصر [في أي بيع] والأسعار موضوعة على أساس الذهب والفضة»[93]. وهنا يوجد عاملان مهمان هما: ربط السعر بالكمية المسكوكة من العملة في التداول، وكذلك الانتاج والجودة والتعويم. وللأسف، وعلى الرغم من المعلومات الجيدة والواضحة عن النقود الأندلسية، فإن نقص المعلومات عن الأسعار الأندلسية أو سيولة عملتها في زمن معطى يمنع إقامة أي علاقة بين الاثنين. كذلك من الصعب إقامة الصلة بين إصدارات النقود الخاصة ومستويات الأسعار.

= وقد لاحظ Chalmeta أن على المحتسب أن يراقب الأسعار؛ حول تثبيت الأسعار ن: El señor del zoco, p. 136.

M.A. Khallaf Qurtuba al-islamiyya, Tunis, 1984, pp. 122-7.

(92) Bodl d74.41; tahddada, which Goitein translates as "defined" in Mediterranean Society, pp. 218 and 453, n. 39) but as "you have fixed" in Letters, p. 263.

الفعل المقصود تحدد tahaddada الذي ترجمه جوتين بـ "defined" في. ولكن بـ حَدَدّتَ "you have fixed" في الرسائل.

(93) Abu al-Hasan al-Hakim, "Regimen de la casa de la moneda, al-dawha al-mushtabika fi dawabit dar al-sikka" ed. H. Mones, Madrid: MDI 6, 1958, p. 156.

أبو الحسن الحكيم الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة.

وطبقاً للنظرية الاقتصادية، يمكن توقع أسعار مرتفعة في زمن سيولة العملة وأسعار منخفضة في أوقات ندرتها. ولكن هذا غير مدعوم بالضرورة بمعلومات أندلسية عن الأسعار. وقد جمع أشتور Ashtor أسعاراً أندلسيَة مرتفعة متشابهة مع تلك التي في المشرق، وبكمية كبيرة من الذهب السوداني في إسبانيا المسلمة، ولكن الأسعار لم تكن مرتفعة دائماً أكثر من المناطق الأخرى[94]. ومع التنوع المحتمل، فإن قرب أسواق الأندلس من طريق تجارة الذهب لا يؤثر بصورة آلية على مستوى الأسعار. وفي النصف الثاني من القرن العاشر مثلاً لاحظ ابن حوقل أن البضائع في الأندلس تباع بأسعار رخيصة، وتصف كتاباته الأحداث في عهد الأمويين المزدهر اقتصادياً. وبعد إدخال العملة الذهبية من قبل عبد الرحمن الثالث[95]. كان النقد الذهبي الأندلسي قوياً ومتوافراً، إلا أن الأسعار كانت منخفضة. وبعد زوال الأمويين أدى التضخم في عصر دول الطوائف إلى تعويم العملة وإلى عدم الاستقرار السياسي على الرغم من أن واقع مخزون النقد كان على ما يبدو قد ازداد خلال القرن الحادي عشر[96]. وبالطريقة المتناقضة نفسها، أعلن ابن أبي زرع (من مؤيدي المرابطين) أن الأسعار كانت منخفضة في عهد هذه السلالة، على الرغم من وصول المرابطين إلى الذهب السوداني وتوحيد سلالتهم للنقود الذهبية الشعبية والوافرة مع أنها ليست ذهباً خالصاً[97]. وهناك تفسير

---

(94) E. Ashtor "Prix et salaires dans l'Espagne musulmane aux Xe et XIe siecles," Annales: ESC 20,1965, p. 667.

(95) ابن حوقل قد استشهد به ياقوت في معجم البلدان:
Jacut's Geographisches Worterbuch. ed. F. Wusterfeld, Leipzig, 1873, I, pp. 375-8.

(96) M. Benaboud, "Tendances économiques dans al-Andalus durant la periode des Etats Taifas," Bulletin économique et social du Maroc 151-2 (1983), p. 22.
يرى P. Spuffords أن ظاهرة مماثلة عملت في العجز الأوروبي في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر.
"Le role de la monnaie dans la révolution commerciale du XIIIe siecle," Etudes d'histoire monetaire, XIIe-XIXe siècles. ed.J.Day, Lille, 1984, p. 365.

(97) Ibn Abi Zar', Rawd al-qirtas. trans. A. Huici Miranda, Valencia, 1964, pp. 326-7.
ابن أبي زرع، روض القرطاس.

واحد للمشكلات ذات العلاقة، بما يكمن في واقع أن الحكام يقيدون أحياناً تداول العملة الأجنبية داخل أراضيهم، وهكذا يحدّون من تقلبات السعر.

وعلى الرغم من تدخل الحكومة في التجارة الدولية في كثير من المناطق، فليس من المحتمل أن الحكام الأندلسيين قد نظروا إلى التجارة كوجود نظري أو مجرد يخدم مقاصدهم، بل كانوا مهتمين بالعناصر المكونة للتجارة من موانئ، وتجار، وأسواق، وفنادق، ومراكب، وبضائع، والضرائب بخاصة. وبطريقة مماثلة فإن التاجر في العصر الوسيط وفي إسبانيا المسلمة قد جرب سلطة الحكومة من خلال أعماله اليومية ومن خلال هذه المظاهر المنفردة، وليس كرقيب على أعماله، حتى داخل شبكة السلطة الحكومية الأندلسية كان التاجر الدولي حراً بطريقة متفقة مع القواعد وأن يتاجر حيث شاء ومتى شاء، وبأي شيء، ومع من يريد.

الفصل السادس

السلع والشركاء
في عالم البحر الأبيض المتوسط
في العصور الوسطى

«شركاء الإنتاج السلعي ومشكلات التفسير»

كانت السلع والبضائع هي القوة الموجهة خلف التجارة أكثر مما كان عليه التجار. إن تحليل البضائع والسلع التي كان يُتاجر بها في الأندلس، يبيّن لنا دور أسواق الأندلس في الاستيراد والتصدير، وتبادل السلع في البحر الأبيض المتوسط. وسنناقش في الفصول الثلاثة التالية السلع في تجارة إيبريا الدولية، فاحصين أولاً التركيب ثم التوازن، ومحور التجارة واتجاهها في عالم البحر الأبيض المتوسط، وثانياً: فحص صادرات الأندلس خلال العهود الإسلامية، وأخيراً فحص الاستمرارية والمتبادلات في ضوء الصادرات الإيبرية بعد أوائل القرن الثالث عشر.

ولم نعثر على المعلومات عن البضائع في مصادر انموذجية اقتصادية مثل كتب الجغرافيا وقوائم التعريفات الجمركية، ورسائل الجينيزا والسجلات العدلية وحسب، بل في عدد أكثر من الأعمال المتخصصة في الزراعة والصناعة والطب والصيدلة.

كما تلقي الدلائل الأثرية الضوء على المواد المحولة من منطقة إلى أخرى، وعلى الرغم من أن هذه المعلومات لا تستطيع تحديد كمية البضائع المتداولة في موانئ الأندلس، فإنها تكشف عن أصناف البضائع، وتوضح أكثر، مظاهر النوعيات التجارية كما توحي كيف أن التبدلات السياسية والاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط الواسع قد أجبرت على حدوث التغييرات في الإنتاج والمبادلات التجارية في شبه الجزيرة.

وقد ألقت التحاليل السلعية في تجارة الأندلس الضوء على أسئلة واضحة، وغالباً ما اضطرب المؤرخون الاقتصاديون أمام عدم التوازن في تجارة العصور الوسطى بين العالم الإسلامي والغرب اللاتيني، بسبب وجود دليل أفضل عن السلع (مثل المنسوجات والتوابل والفخار والفلفل والمجوهرات والذهب) الداخلة إلى أوروبا المسيحية من دار الإسلام من حركة نقل البضائع في الاتجاه المعاكس. وعلى الرغم من أنه سبق واقترح أن أوروبا قد صدرت الدقيق والفراء والمعادن الخام إلى المشرق الإسلامي، فهناك القليل من الأمثلة الموثقة على نقل مباشر بين الغرب والشرق. وعندما أضيفت شبه جزيرة إيبريا إلى هذه المعادلة، وتم فحص مبادلاتها التجارية لزمن طويل، أضحت مشكلة التوازن أقل إرباكاً. ذلك أن الأندلس، كان مخزناً للتجارة، وموزعاً للسلع نحو الشمال في بلاد المسيحيين، ونحو الشرق في البحر الأبيض المتوسط الإسلامي، وخدمت شبه الجزيرة كنقطة ارتكاز للتجارة، وعدلت الميزان بين الشرق والغرب.

كانت التجارة الدولية الإسلامية في واقع الأمر تجارة بين البلدان الإسلامية في العصور الوسطى الباكرة، حتى القرن الثاني عشر على الأقل، وكانت تشمل المشرق والمغرب وإسبانيا المسلمة. ولم يكن التوازن التجاري يمثل إلا مشكلة ضئيلة في هذا المجال، حيث كان الأندلس يستورد السلع من المشرق الإسلامي، ولم يعوزه تصدير ما عنده. من جهة أخرى، كانت التجارة الأوروبية اكثر محدودية، وكانت بعض السلع تأتي إلى أسواق الشمال من العالم الإسلامي عن طريق إسبانيا المسلمة. ودخلت السلع

الأوروبية، بالاتجاه المعاكس، إلى المجال التجاري الإسلامي عبر القنوات الأندلسية. وهكذا فقد قدمت أسواق الأندلس صلة الوصل بين أوروبا ونظام البحر الأبيض المتوسط. وقد سُجلت هذه الشراكة من قبل عدد من المؤلفين في القرن التاسع والعاشر، بمن فيهم ابن خُرداذْبَهْ وابن حوقل وليوتبيراند صاحب كريمونا Liutprand of Cremona، وقد لاحظوا جميعهم حركة النقل للرقيق الشمالي نحو المغرب وشرق المتوسط، انطلاقاً من الأندلس[1]. وإلى جانب ذكر ابن حوقل لتجارة الرقيق فقد ذكر تجارة العنبر والحرير والزئبق (عُطارد) مؤكداً واقع أن الأندلس قد كان له سلعه التي يصدرها إلى أوروبا والعالم الإسلامي. وعندما استقر محور التجارة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، كان التصدير من أسواق الأندلس (سواء من أصل شبه الجزيرة أم من أوروبا) كافياً ليحفظ استمرار التجارة بين الشرق والغرب.

وغدت تجارة المتوسط أكثر تنوعاً في آخر العصر الوسيط عندما تبدل الشركاء التجاريون. وفي أواخر القرن الثالث عشر، عندما كان المتوسط تحت سيطرة الشحن البحري المسيحي، فإنّ أي خلل في الميزان التجاري كان ينعكس لصالح أوروبا. ولم يكن هناك تبدل في البضائع نفسها، بل تبدلت طرق حركة المرور نحو الشمال عندما أخذت مجموعات التجار الجديدة على عاتقها نقلها الخاص. وقد اتجه النشاط التجاري الإيطالي والفرنسي إلى المنتجات المتنوعة في موانئ الأندلس. تلك البضائع التي نقلت بكثافة من مشرق المتوسط إلى غربه عن طريق المدن الإيطالية والبروفنسالية، كانت تنقل خلال الماريا وإشبيلية منذ وقت قصير. وبطريقة مماثلة، التوسع السكاني والمدني الأوروبيين، وكذلك النمو الصناعي قد زاد القوة الشرائية الأوروبية، وتبدلت الأذواق. وقد لاحظ لوبيز، ما لا يمكن تفاديه قائلاً «إن

(1) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard ed. J.H. Kramers, Leiden, 1938, p. 97; Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn, VI, Leiden, 1967, pp. 153-5; Liutprand, Antapodosis. in Opera, ed. J. Becker, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915, VI, 6, p. 156.

مواد الرفاهية في الأمس تصبح متعة اليوم وضرورة في الغد»[2]. ومع ازدياد الطلب في الداخل، توقف التجار الإيطاليون عن جلب التوابل من أسواق الغرب الإسلامية في الأندلس وشمال أفريقيا، وذهبوا مباشرة إلى الإسكندرية عوضاً عن ذلك.

إن التبدلات السكانية والسياسية داخل شبه جزيرة إيبريا قد أثرت على نماذج المبادلات وأنماطها. وفي آخر القرن الثالث عشر تبدلت أنواع البضائع في تجارة إيبريا وإنتاج المناطق، وتعدلت اتجاهات طرق التجارة عما كانت عليه في العهد الباكر. وبعد فتح إشبيلية، وبلنسيا وقرطبة والمدن الأندلسية الأخرى، صار للسكان المسيحيين الجدد في الجنوب مؤسسات اقتصادية ومهارات آلية ـ تكتيكية، واهتمامات بالإنتاج، مختلفة عن تلك التي لدى السكان المسلمين. وقد بقي بعضُ صُنَّاعِ الجرار الصلصالية في بعض المناطق المفتوحة، للحفاظ على بعض الصناعات، وانتقال المعارف التقنية ـ التكنولوجية، ولكن خروج المسلمين هدم الأشكال الإنتاجية القديمة في كل مكان، وفي الوقت نفسه لم يكن الأمر يتعلق بالإسلام في المناطق الشمالية، فقد تطورت صناعات جديدة لم يكن لها نظير في الأندلس. وفي غرناطة أيضاً، تأثرت التجارة والصناعة بالأحداث الخارجية رغم استمرار الحكم الإسلامي. وبالنتيجة، لعبت الأسواق الإيبرية دوراً حقيقياً ومختلفاً في توزيع البضائع في آخر العصر الوسيط. كانت شبه الجزيرة مخزناً لتوزيع البضائع الإسلامية إلى أوروبا أو البضائع الأوروبية إلى المغرب والمشرق منذ أمد قريب. وعوضاً عن ذلك، فإن كثيراً من الصناعات والبضائع الجديدة قد تطورت في قشتالة وأراجون استجابة للتبدلات داخل شبه الجزيرة والطلب الجديد في شمال أوروبا وفي عالم البحر الأبيض المتوسط المسيحي.

وكان من نتيجة التقلبات السياسية أن ظلت جغرافية الأندلس ومناخه

(2) R.S. Lopez, The Commercial Revolution of the Middle Ages. New York, 1971, p. 91.

مؤثّرين على الدوام في حالة أو مظهر الدور التجاري في المناطق. وكان الأندلس أكثر حرارة وجفافاً من معظم أوروبا، وبارداً وماطراً أكثر من معظم العالم الإسلامي.

وكانت مميزات مناخه قد عُرفت واستغلت في العصور الوسطى. ولوحظت من قبل الجغرافيين المسلمين المعاصرين. وأصبحت في الواقع، مادة مشتركة لبعض الجغرافيين العرب للإطراء السخي على طبيعة الأندلس الإنتاجية ووصف شبه الجزيرة بالجنة[3]. وذهب ابن غالب بعيداً عندما قارن البلد بـ «الصين وجواهرها ومناجمها [و] بالهند وعطورها وعبيرها»[4]. وعندما تهددت غرناطة بخطر الهجوم في سنة 1125، علل مؤرخ بمغالات أقل، أن الغزاة قد انجذبوا إلى المنطقة بسبب «مميزاتها وخصوبتها من أجل الشعير والقمح والقنب وغناه بدودة الحرير والخمور والزيتون والثمار...»[5]. وقد تعزز إنتاج الأندلس المتنوع بواقع أن جنوب شبه الجزيرة كان محاطاً بعدة مناطق خضراء متميزة. وقد تسلسلت الأراضي من حول غرناطة، من القمم المغطاة بالثلوج في سيبيريا ونيفادا إلى السهول الساحلية الجافة، وساعدت على إنتاج زراعي واسع غير مألوف يبدأ من الحرير وينتهي بالسكر. وكانت البلاد (في شرق الأندلس) وعلى طول الساحل الشرقي مهيأة للري الواسع لحقول الزراعة في قشتالة huerte، جاعلة المنطقة شهيرة بثمارها وخضارها وأرزها. وتناسب منطقة الوادي الكبير في الجنوب الغربي الزراعة الريفية الأقل سقاية، والمعروفة بزيتونها وزيت زيتونها. وقد لاحظ الأدريسي هذا

---

(3) لقد ناقش جليك هذه الظاهرة في إسبانيا المسلمة والمسيحية ن:
Princeton, 1979, pp. 53-6.

(4) Ibn Ghālib, "Nass andalusi jadid qat'ia min kitab farha al-anfūs li-Ibn Ghalib," ed.L. 'Abd al-Badi, Majalla ma'had al-makhtutat al-arabiyya 1,1955,p.281. Himyari cited a similar passage La Peninsule ibérique au moyen âge. ed.E.Lévi-Provençal, Leiden, 1938. Arabic text,p.3; as did Maqqari (E. Lévi-Provençal, "La vie économique de l'Espagne musulmane au Xe siècle," Revue historique 167, 1931, p.306.

(5) Hulal al-mawshiya ed. I.S. Allouche, Rabat, 1936, p. 76.

قرب إشبيلية أن على المرء أن يمشي أربعين ميلاً «في ظل شجر الزيتون والتين»[6]. وكانت هذه المناطق الثلاث (غرناطة وشرق الأندلس والوادي الكبير) الأكثر ذكراً من قبل الجغرافيين بسبب إنتاجها الاقتصادي. وهناك مناطق أخرى، تظهر في حساب امتيازات طبيعة الأندلس ألا وهي أدوية الأنهار الخصبة وإنتاج أخشاب غابات الهضاب، والعروق الفنية بالزئبق والنحاس.

من جهة أخرى يجب أن نحذر من أن الجهد الزراعي المتساوي مع التجارة الدولية، كان لا يمنع الأندلس المنتج من أن يستورد بانتظام السلع الزراعية وخاصة الحبوب. ولم تكن المحاصيل المثمرة كافية دائماً في شبه الجزيرة للاحتياجات المحلية وخاصة في السنوات العجاف، هذا إذا تركنا جانباً تجميع الثروة من أجل التجارة الدولية. وقد كان هذا صحيحاً في العهد الناصري، عندما عولت مملكة غرناطة على الأغذية المستوردة على نطاق واسع. إن عزلة غرناطة في آخر العصر الوسيط قد كثفت هذه المشكلات التجارية، ولكن الاستيراد إلى شبه الجزيرة لم يكن شيئاً جديداً. فقد لاحظ الإدريسي في 1150 أن المراكب تأتي «من الأندلس إلى المنطقة جنوبي صالح sale (في مراكش) لشراء الأغذية [بما في ذلك] الحنطة والشعير والفاصولياء والحمص»[7] وفي نهاية القرن نفسه، وصف كتاب الاستبصار طنجة منطقة إنتاج الحبوب والأغذية للتصدير إلى إسبانيا المسلمة وإلى أجزاء أخرى من المغرب[8].

ولم يكن جميع الإنتاج الذي جذب انتباه الجغرافيين ناجحاً تجارياً للتصدير. ويقدم القطن مثالاً على الحاجة إلى الانتباه من التعارض بين

---

(6) Idrisi, Opus geographicum. V. Naples-Rome, 1975, p. 541.

(7) Idrisi, Opus geographicum. III Naples-Rome, 1972, pp. 239-40.

(8) E.Fagnan ed., L'Afrique septentrionale au XIIe siècle de notre ère; description extraite de 'Kitāb al-istibsar'. Constantine, 1900, p. 40.

المراجع، والحذر عند تحليل الإنتاج وحركة النقل. فقد ذكر الجغرافيون العرب نجاح زراعة القطن، وأشاروا إلى تجارة دولية للإنتاج، ولكن أخبارهم يمكن أن تكون ذا شأن في حال نقص المراجع عن حركة نقل القطن الأندلسي في المصادر الأخرى. ولكن الرازي يروي أن منطقة إشبيلية قد أنتجت «كمية كبيرة من القطن، حيث صُدّر إلى جميع البلدان وخلال البحر»[9]. وقد ردد جغرافيون متأخرون على وتيرة واحدة عبارات الرازي. فقد ادعى العذري أن «أرض إشبيلية فريدة ولها مواصفات خاصة . لا تجاريها بذلك أية منطقة . لنمو قطن مدهش... [وهو] متيسر في جميع أنحاء الأندلس، وأخذ كبضاعة إلى أفريقيا». وذهب ابن غالب بعيداً، وقال إن القطن الإشبيلي في نهاية القرن الثاني عشر «قد صدر إلى جميع أنحاء العالم»[10]. ومع ذلك فإن القطن الأندلسي لم يظهر في رسائل الجينيزا بوضوح، ولا في عقود العدلية اللاتينية. كما لا يوجد كثير من الأمثلة من المنسوجات القطنية الأندلسية. وعلى الرغم من أن إجماع الجغرافيين يوحي بأن الأندلس قد أنتج وصدر بعض القطن، إلا أن نقص البرهان المؤيد يطرح صعوبة تحديد أهمية حركة نقل القطن والتشويه أو التحريف في أي من المراجع[11].

---

(9) Razi, "La description de I'Espagne d'Ahmad al-Razi" ed.E.Lévi-Provençal, Al-Andalus 18,1953,p.93.

(10) 'Udhri, "Nusus' can al-Andalus," Tardi al-akhbar wa tanwi' al-'athar. ed.A.A.al-Ahwani, Madrid, 1960. p. 96; Ibn Ghalib, "Nass andalusi" p. 293.

وجدت الاستشهادات الأخيرة في «معجم البلدان» لياقوت.

Jacut's Geographisches Worterbuch. ed.F.Wustenfeld, Leipzig, 1873,I,p. 275; and Himyari, Peninsule, p. 21.

(11) من أجل المزيد عن القطن الأندلسي ن:

J.M. Millas Vallicrosa, "El cultivo del algodon en la Espana arabe," BRAH 139,1956,pp. 463-72; and L. Bolens; "The Use of Plants for Dyeing and Clothing: Cotton and Woad in al-Andalus," The Legacy of Muslim Spain. ed. S.K. Jayyusi, Leiden, 1992, pp. 1004-7.

وحول تجارة القطن في العصور الوسطى انظر:

= A. Watson, "The Rise and Spread of Old World Cotton," Studied in Textile

وتنشأ مشكلات أخرى عند تحليل بضائع التجارة الدولية الأندلسية. فمثلاً، وفي كثير من الحالات، ليس من الممكن، ومن خلال الشواهد المادية أو الكتابة تحديد ما إذا كانت السلع تنقل من مكان إلى آخر بالوسائط التجارية. ويمكن للباحث ان يفترض وجود وساطة تجارية، عندما تذكر الشواهد وجود تبادل تجاري، أو عندما تشير براهين خارجية إلى الطرق والتجار أو إلى بضائع تدعم احتمال وجود العمل التجاري. إن مصادر العصر الوسيط (ومن ثم المؤرخون الاقتصاديون المعاصرون) يتجهون إلى التركيز على بضائع الرفاهية أكثر من المواد المعيشية، إلا أن تقدير قيمة مواد الرفاهية يفتح الباب أمام إمكانيات وجود السرقة والضرائب، والهدايا وغير ذلك من القنوات غير التجارية. وفي واقع الأمر إن البضائع ذات القيمة المتدنية مثل الفخار والمواد الغذائية أو المنسوجات العادية تثبت أنها أدلة أفضل على العمل التجاري. وقد كانت الأنماط المختلفة وأنواع البضائع العادية قد أُنتجت في مختلف المناطق، ومن ثم ولّدت الحركة والطلب، ولكن ثمنها المتواضع واستعمالها اليومي يجعلانها أكثر قابلية لنصدق أنها نُقلت من قبل تجار وليس من قبل السفراء أو اللصوص.

وقد حدد لوبيز طريقاً آخر، يمكن فيه للمعلومات أن تؤدي إلى الضلال، ومن بين الأشراك التي تنتظر مؤرخ الاقتصاد: «يجب أن نبقى محترسين خشية الإشارة المتكررة للبضائع المشرقية في الغرب، والبضائع

= History in Memory of Harold B. Burnham. ed.V. Gervers, Toronto, 1977, p.360; and the chapter on cotton in Agricultural Innovation in the Early Islamic World. Cambridge, 1983, pp. 31-41. Also C.J. Lamm, Cotton in Medieval Textiles of the Near East. Paris, 1937.

وحول الإنتاج المسيحي:

M.Mazzaoui, The Cotton Industry of Medieval Italy. Cambridge, 1981; D. Abulafia, "Catalan merchants and the Western Mediterranean, 1236-1300," Viator 16(1985),pp. 215-17; S.Epstein, An Island for itself, Economic development and social change in late medieval Sicily. Cambridge, 1992, pp. 185-6.

الغربية في الشرق مما يغرينا بالمبالغة بكثافة العلاقات التجارية»[12]. إن الإشارة إلى مادة ما قد يدل على ندرتها أكثر من كثرتها، ومن الصعوبة الاعتماد على تقديرات رقمية أو كمية للمعلومات التجارية من العصر الوسيط فقط، وفي بعض الظروف، مثلما ذكرت سجلات جينيزا مئات من الرزم، البالة من القنب المرسل من مصر إلى الغرب سنوياً، إذ يمكن لنا أن نستنتج، بالمنطق، أن مادة ما قد اِتُّجِرَ بها بكميات حقيقية. وفي ذلك فإن دليلاً قوياً واحداً يثبت أن البضاعة متداولة تجارياً، حتى إذا بقي الطلب والكمية مجهولين. وعلى الرغم من أن تكرار الشاهد لا يستخدم لإثبات الكمية إلا أن ذلك ربما يخدم في توصيف الإجراءات التجارية. ولربما دَلّ ذلك، مثلاً، على أن بضاعة ما أو أن بعض الأنواع البلدية، قد اعتبرت أكثر أهمية أو رغبة من أخرى. وبصورة موازية، فإن ظهور اسم مادة في تركيب أو مصادر مختلفة (ترينا مَنْ نقلها، ومن باعها، وكم دفع من أجلها وأين، ومتى، وكيف انتقلت) وبالتالي يتبين لنا مكان المتاجرة بها ضمن اقتصاد واسع.

كذلك فإن أسماء البضائع في العصور الوسطى تستحق الانتباه والشك. فقد اشتق كثير من المواد أسماءها من أسماء مناطق إنتاجها، ويمكن لهذه الأسماء أن تقدم مفاتيح عملية لتعقب حركة السلع. ومع ذلك فإن الاتجاه إلى تعميم الأسماء الأقليمية خلال الزمن يمثل بدوره شركاً آخر لغير الحذرين. ويبدو بعيد الاحتمال مثلاً أن «الفاصولياء المراكشية» Pisos Mouriscos المزروعة في حقول كارولنجية، كانت في أي حال إنتاجاً مستورداً أكثر من الفاصولياء الفرنسية أو الشمندر السويسري أو الكرنب الصيني الذي نزرعه في حقولنا اليوم[13].

---

(12) R.S. Lopez, "East and West in the Early Middle Ages: Economic Relations," Relazioni del X Congresso internazonale di scienze storiche. Rome, 1955, III, p. 128.

(13) Capitularia regum francorum, ed.A. Boretius, MGH, Leges II.1, Hanover, 1883, p. 90.

وقد بدت سلع الجلود والنسيج الأندلسي أنها كانت تميل إلى أن تكون ذات نوعية شمولية. والمثال الأول هو القرطبي وهو الاسم الذي يطلق على الجلود المزينة والمذهبة، وكانت تنتج أصلاً في مدينة قرطبة ثم صنعت في أماكن أخرى من شبه الجزيرة أو خارجها. وهكذا أصبحت صناعة قرطبة شهيرة في أوروبا، حيث إن الإشارات إلى هذا النمط من الجلود في العصر الوسيط، يمكن أن نجده بعيداً في والس .Wales وإن استخدامه الواسع في معامل الأحذية قد ظهر لغوياً في التعبير الفرنسي cordounier (صانع الأحذية) وفي معادلها الانجليزي Cordwainer. وإن غزارة الإشارات إلى القرطبيين في سياق تجاري واضح غالباً، يحثنا على تصنيفهم بين المصدرين البارزين في الأندلس. ومع ذلك فإن ملاحظة لـ: جون صاحب جارلاند John of Garland كُتبت في باريس في سنة 1220، تؤكد الحاجة إلى الحذر في عزو هذه الصفات. فقد شعر جون بضرورة شرح أن كلمة cordevan تأتي من «قرطبة، وهي مدينة في إسبانيا، حيث إن [هذا النوع من الجلود] كان صناعة ممتازة»[14]. ويفترض تعليقه أن صانعي الجلود الفرنسيين كانوا ينتجون الجلود القرطبية في أوائل القرن الثالث عشر. وبصورة أصح، نعلم أنه في أواخر القرن الثاني عشر، فإن فريقاً من صانعي الجلود في پيزا قد كرسوا أنفسهم إلى: ars pellariorum vel cordovaneriorum[15].

وإضافة إلى ذلك، تابع القرطبيون إنتاج الجلود التي تحمل إسمهم في شبه جزيرة إيبريا كما أشارت إلى ذلك المراجع، وإلى جلود من فالدوليد Valladolid وبلنسيا في سنة 1230 و1240، وبقيت صادرات إيبرية خلال القرن الثالث عشر[16].

---

(14) John's commentary reads *cordevan, alio modo cordubanum, a Corduba, civitate Hispaniae, ubi fiebat primo*. See A. Scheler ed., "Trois traités de lexicographie latine du XIIe au XIIIe siècle," Jahrbuch für romanische und englische Literatur 6(1865),p. 296.

(15) D. Herlihy, Pisa in the Early Renaissance. New Haven, 1958, p. 138.

(16) Valladolid: Documentos de la Iglesia de Santa Maria la Mayor de Valladolid =

وتطرح مجموعة مصطلحات النسيج الأندلسي مشكلة من نوع آخر. ذلك أن الأندلسية حملت أسماء أجنبية، وكانت اتجاهات خلق مصنوعات مقلدة، أي حياكة المنسوجات في منطقة ما، على نمط تلك من بلاد أخرى، قد كان مألوفاً خلال عالم البحر الأبيض المتوسط. فقد ذكر الإدريسي دون تعليق آخر أن تقليد المنسوجات الحريرية من الجرجاني إلى الأصفهاني قد أنتج في الماريا(17). ثم إن الحرائر الجرجانية التي طلبت من أب في عدن في القرن الحادي عشر من القاهرة من أجل جهاز عرس ابنته قد جاءت بسهولة من الأندلس أو من جرجان نفسها في جنوب شرق بحر قزوين(18). وهناك تقليد آخر يدعى عتابي وهو حرير التفتة السميك، الذي وصفه جغرافي من القرن الثاني عشر بأنه مقلم بالأسود والأبيض مثل العتابي وهو حمار الزرد أو الوحش المخطط، قد كان أنتج أصلاً في بغداد ومن ثم صنع في مدن

= (siglo XIII, 1201-1280). ed.M. Mañueco Villalobos, Valladolid, 1920, p. 198. Valencia: A. Garcia, "Contractes comercials vigatans de principis del segle XIII," Ausa Vich 43,1963,p. 329.

(17) Idrisi, Opus, V,p,562. حول التقليد انظر: see C. Partearroyo, "Almoravid and Almohad Textiles," Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. ed.J. Dodds, New York, 1992, p.105-6.

استمر تقليد التقليد للحرير في مجموعة مصطلحات النسيج الإيبري كما ذكر من قبل:

J.Alfau de Solalinde, Nomenclatura de los tejidos españoles del siglo XIII. Madrid, 1969, pp. 14-15. انظر أنماط المصنوعات الأجنبية المذكورة من قبل:

M. Martinez, Los nombres de tejidos en castellano medieval. Granada, 1989, pp. 251,294,306,450.

(18) West. College Frag. Cair. 9. See also, S.D.Goitein, A Mediterranean Society. [Berkeley, 1967-88] IV,p. 169.

ربما يُعزى تقليد الجرجاني إلى المنسوجات المحاكة بقصد تقليد مصنوعات من دشت Dasht وهي قرية قريبة جداً من جرجان. وقد اقترح أن *dulceriac/duxerias/doxtouies* الذي ظهر في وثائق القرن الحادي عشر من ليون Leon قد اشتق اسمه من أنسجة دشتي dashti وصنعت غالباً في إسبانيا المسلمة.

C. Sanchez-Albornoz, Estampas de la vida en Leon durante el siglo X. Madrid, 1934 ,p. 18.

أخرى، بما فيها الماريا[19].

وقد ذكرت رسائل الجينيزا العتابي من الأندلس، فقد روى ابن سعيد أنه كان قد صدر من مينوركا، وأنه ربما كانت الثياب البغدادية المذكورة من قبل ابن غالب بعلاقة مع الماريا، كانت أيضاً من هذا النمط من المواد[20]. وهناك سلع أندلسية أخرى، بما فيها أنماط من الفخار والسجاد قد قلدت بالطريقة نفسها التصاميم الفنية الأجنبية[21].

ليس التقليد مهماً بحد ذاته بل بما يكشف عن تجار البحر المتوسط. فقد كانت أصفهان وبلاد أخرى شرقية قد اشتهرت بمنسوجاتها، كما أن هذه المصنوعات الشرقية قد عُرفت وقدرت في العالم الإسلامي الغربي (حيث تم تبني الأسماء مثل أصفهاني. وخلال القرن الثاني عشر على الأقل، كان الحائكون الأندلسيون ينتجون نسخهم الخاصة من طراز أصفهان، من أجل البيع محلياً والتصدير. وقد سمحت الإنتاجية العالية لصناعة الحرير الأندلسي لهذا التقليد أن يُصنع بسعر ومواصفات تجعل منه سلعة شعبية في مصر حيث تدخل في تنافس مباشر مع النوع الأصلي. ومن جهة أخرى ليس واضحاً، إلى أي مدى كانت هذه المنسوجات مهيأة لتخييب آمال المستهلكين اعتقاداً منهم أنهم كانوا يشترون صناعة أخرى، أو إلى أي مدى صارت أسماؤها مفهومة على أنها أنماط أو نوع عام مألوف. إن عدم إطراء الإدريسي على جرجاني الماريا يفترض الخيار الأخير لكونه أكثر قابلية للتصديق. ومن

---

(19) Abu Ḥamīd al-Gharnati, "Le 'Tuhfat al-albab' de Abu Ḥamīd al-Andalusi al-Gharnati" [ed. and trans. G. Ferrand], Journal Asiatique 207,1925,p. 110.

يصف المؤلف حيواناً كان يعيش في أفريقيا وكان له «خطوط سوداء وبيضاء مثل ثياب عتابي».

(20) TS 13J 21.12; Ibn Sa'id in E. Fagnan ed, Extraits inédits relatifs au Magreb. Paris, 1924,p. 24; Ibn Ghalib, "Nass andalusi," pp. 283-4.

(21) لقد قلت أشكال وتصاميم الفخار بصورة واسعة في عالم البحر الأبيض المتوسط وما بعده. انظر حول هذه الظاهرة:

G.T. Scanlon, "Egypt and China: Trade and Imitation," Islam and the Trade of Asia. ed. D.S. Richards, Philadelphia, 1970, pp. 81-95.

الصعب اليوم التحديد بدقة أين حيكت المصنوعات الخاصة من العصر الوسيط، لأن التجار المعاصرين وزبائنهم عالمياً كانوا يعلمون غالباً ما إذا كانوا يتعاملون مع جرجاني من جرجان أو من الماريا.

وهناك عاملان آخران هما التحريم والسيطرة أو الاحتكار، يمكن أن يضيفا تعقيدات لتتبع حركة البضائع. فقد كان نقل بعض السلع في بعض الأوقات موضوعاً لعقوبات شرعية دينية أو حكومية قانونية. ولم تظهر البضائع ذات الطابع الحربي في الوثائق إلا نادراً بسبب تحريم نقلها، حتى إن الإشارات القليلة إلى انتقال أسلحة بين الأندلس والمناطق المسيحية هي خيالية. ففي سنة 974 مثلاً، ذكر الرازي أن جيش الخليفة الأموي قد استحوذ على «رماح حديدية إفرنجية» ولكن من المستحيل معرفة ما إذا كانت الرماح من طراز إفرنجي أو رماحاً من حديد إفرنجي أو رماحاً صنعت من قبل الإفرنج، أو كيف وصلت إلى الأندلس أولاً[22]. ومن جهة أخرى فإن الواقع الإقتصادي، وشهرة السلاح الايبري في العصور الوسطى (حتى اليوم لا تزال تعرف التعبير «نصال أو سلاح طليطلة»)، والتحريم المتكرر من البابوات والقضاة، يفترض أنه كان هناك المزيد من تجارة السلاح، وأكثر مما تلقاه عيون البحاثة في المصادر المكتوبة.

وقد كان لاحتكار الحكومة دور في تحديد المنافذ التجارية إلى السلع وتقرير حركة البضائع. وزيادة على ذلك فإن اتجاه الحكومات إلى إدارة الإنتاج ورقابته واستعمال بعض السلع يبدو أنه كان مألوفاً أكثر في العالم الإسلامي ولدى الإغريق الشرقيين أكثر مما هو عليه في الغرب اللاتيني. وقد نوقش، وبصورة خاصة من قبل لوبيز فيما إذا كان احتكار الدولة الإسلامية للمنسوجات الثمينة والذهب وورق البردى، يمكن ان يفسر الانقطاعات في تجارة البحر الأبيض المتوسط التي لاحظها بيرين Pirenne إثر الفتوح

(22) Razī, Anales palatinos del califa de Cordoba al-Ḥakam II. trans. E. Garcia Gomez, Madrid, 1967, p. 240.

الإسلامية في القرن السابع[23]. وفيما يلي من متأخر الزمن فإن فرض احتكار الدولة، لدى مماليك مصر، قد دَمَّر، بصورة حقيقية الشبكة التجارية للتجار الكريمي Karimi، وحولت حركة تجارة التوابل لصالح الخزينة الحكومية. ومع ذلك فإن الاحتكار وكذلك التحريمات لم تكن دائماً واقعية، كما هي الحال في المحاولات البيزنطية الفاشلة للحد من تصدير الحرير.

وقد ظهرت السيطرة أو الاحتكار الأندلسي في العصر الأموي أولاً، عندما نسبت التقاليد إلى عبد الرحمن الثاني (822 - 852) بدء احتكار «الطراز Tiraz والنقد، ومواد أخرى»[24]. ولعل الحبوب خضعت لبعض درجات الإدارة الرسمية بهدف تأمين التمون بها بانتظام. ومن خلال الرقابة والاحتكار، فقد أمكن للوالي مصادرة أو تأمين جميع المواد اللازمة لإنتاج مادة ما، ومراقبة تصنيفها وتوزيعها. وقد ذكر في لوائح أو تقويم قرطبة في القرن العاشر مثلاً مصادرات حكومية سنوية للمواد الصباغية والحرير من أجل صنع الطراز، وهو من خيوط مطرزة باسم الوالي وعهده وتاريخ الصنع ومكانه، وكتابات قرآنية[25]. وفي الزمن نفسه تقريباً وصف ابن حوقل نوعاً من اللباد الذي صنع في إسبانيا المسلمة من أجل السلطان خاصة[26]. وعلى اعتبار أنه استخدم كشعار لقوة الدولة فقد كان إنتاج الطراز وتصديره منتظماً أو مقيداً بدقة. ولم تكن الخيوط والأصباغ المستخدمة في صناعته موضوع فروض ضريبية حكومية وحسب، بل راقبت نوعية الإنتاج من قبل موظف حكومي مكلف يدعى صاحب الطراز[27]. ولم يكن الطراز بضاعة مثل أي

---

(23) R.S. Lopez. "Mohammed and Charlemagne: A Revision," Speculum 18,1943, pp. 14-38.

(24) F. Léve-Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane. Paris, 1950-3, I, pp.256-7.

(25) Le Calendrier de Cordoue. ed. R. Dozy new edn. C. Pellat, Leiden, 1961,pp. 90,132.

(26) Ibn Hawqal, Kitāb surat al-ard, p. 114.

(27) M. Lombard, The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p. 82. See also A. Grohmann "Tiraz," Encyclopedia of Islam. 1st edn., Leiden, 1913-42, IV.2, pp. 785-93.
من أجل تاريخ ومواصفات أنماط هذا النسيج.

بضاعة (أي لا يمكن بيعها رسمياً)، ومن ثم فإنها لم تذكر أبداً بين المواد المتاجر بها مع بقية بلاد العالم الإسلامي، على الرغم من أن الولاة الأندلسيين قد أرسلوا قطعاً إلى الخارج هدايا دبلوماسية. وفي سنة 993 مثلاً، أرسل الخليفة هشام الثاني هدايا من الطراز إلى شمال أفريقيا، وبعد أربع سنوات، وزع حاجبه المنصور 285.2 قطعة قماش إلى حلفاء في شمال إسبانيا[28]. ولا توجد براهين موثقة تبين كيف أن هذا الاحتكار قد طبق بإحكام في عهد الولاة المتاخرين، مع أن إنتاج الطراز استمر بالتأكيد حتى أوائل القرن الثالث عشر.

وعلى الرغم من تنظيم الطراز الرسمي، فإن المصادر المسيحية الإسبانية ذكرت مراراً هذا النسيج وضمته قوائم التعرفة، وهو امر يفترض أن الطراز قد تاجروا به مثل أي نسيج مترف. وتشير هذه المراجع عن الطراز إلى الحاجة إلى الحذر من تقويم التنويهات المتناثرة وشرحها لما يبدو بضائع أندلسية في المصادر الشمالية. فهي ولا شك مواد منقولة، ولكن ليس بقصد التبادل التجاري غالباً، وخاصة في المرحلة الأولى من النقل. فعندما تذكر وثيقة بيع من كويمبرا Coimbra نظمت سنة 1090 إلى «قطع ممتازة من طراز قرطبي» tiraces bonos cordouses فقد كانت ولا شك صناعة جنوبية، ولكنها وصلت إلى الشمال هدايا أوغنائم أو ضريبة الباريا ولكن ليس بضائع تجارية[29]. وكانت قد بيعت في المرحلة الثانية فيما بعد فقط. ويبدو من المرجح فعلاً أن «طراز»، لدى اللاتين، يطابق أي شكل من أشكال النسيج الحريري في المعامل الإسلامية ولم يكن يحمل المعاني الرسمية كطراز

(28) Razi, Anales palatinos, p. 138; Maqqari, Analectes sur l'histoire et la litterature des arabes d'Espagne. ed.R.Dozy, Leiden, 1855-60. I, p. 271. من أجل المزيد عن طراز وأقمشة أخرى تحدث عنها الرازي في تاريخه E. Garcia Gomez, "Tejidos, ropas y tapiceria en los Anales de al-Ḥakam II por 'Isa Razi," Boletin de la Real Academia de Historia 156(1970), pp. 43-53.

(29) Portugaliae monumenta historica: diplomata et chartae. I, Lisbon, 1867, p. 443, #744.

العربي. ثم إن pannos tirazes المهداة إلى الكنيسة البرتغالية في 994، الـ almandra tiraze وذكرت في صك فباريز Charter of Viariz سنة 1053، وتضمن طراز tiraz sin oro أو con oro في سنة 1207 قائمة تعريف من طليطلة، كانت جميعها مطرزة بالحرير، ولكن ليس بالضرورة طرازاً خالصاً[30]. ربما كان بعضها قد حيك في شمال شبه الجزيرة كما دل على ذلك منحة قدمت من قبل الفونسو الخامس صاحب أوستورباس ت ليون Asturias-Leon 1028- 999 إلى ثلاثة مزراب عاملين في صناعة الحرير Tiraceros[31].

بضائع البحر الأبيض المتوسط والمستوردات الأندلسية

لقد أكد أبو الفضل الدمشقي في كتيبه عن التجار الحكمة في أن أي «تاجر يسافر، عليه أولاً وقبل كل شيء الانتباه إلى البضاعة التي يبيع» وعليه أن يطلع شخصياً على التدرج الدقيق في المواصفات، الطازجة، الخالصة، التنوع والسعر والوضع القانوني والمواصفات الأخرى لهذه البضاعة. وعليه أن يدرس الطبيعة العامة للأسواق، وأن يهتم بالبضائع التي ستؤدي إلى الربح. وقبل كل شيء عليه «ألاّ يضع ماله في بضاعة لا يستعملها الناس، لأن الطلب قليل على هذه [السلع]، ويبيعون ببطء»[32]. كانت تلك نصائح رائعة فقد كان التاجر يحتاج إلى فطنة في أعماله ومعرفة وذاكرة ممتازة كي ينال النجاح في العالم التجاري في العصر الوسيط.

لقد عمل بعض تجار العصر الوسيط في مختلف أنواع البضاعة:

---

(30) Portugaliae monumenta historica, p. 104, #168 and p. 234, #384. F. Hernandez, "Las Cortes de Toledo de 1207," Las Cortes de Castilla y Leon en la edad media. Valladolid, 1988, p. 241.

هذه عينة بسيطة من المراجع اللاتينية عن الطراز من أجل المزيد انظر:

F.May, Silk Textiles of Spain. New York, 1957, p.4.

(31) May, Silk Textiles, p. 5.

(32) Dimashqi, Kitāb al-'ashara ila mahasin al-tijara. Cairo, 1318/1900, pp. 51,58.

المرتفع الثمن، والرخيص حاجة كل يوم من الخام والمصنع، والمعبأ الموضب والمدمج المختلط. ولم يبيعوا إنتاج الصنف الأولي في كل نوع وحسب، بل الأصناف الأرخص من المادة نفسها. وكان نادراً أن يتخصص التجار، أو يحددوا تجارتهم في نطاق بضائع معينة. فقد تضمنت مراسلات ابن حوقل الغنية في القرن الحادي عشر مراجع عن ثلاثة وثمانين نمطاً مختلفاً وصنفاً من المنتجات. ووصف الدمشقي ستين مادة في التجارة، وضمن فرانسيسكو دي بلدوتشيو بجلوتي مؤخراً مئتين وثمان وثمانين بضاعةً في قائمته عن السلع المتيسرة في أوائل القرن الرابع عشر في فلورنسا(33).



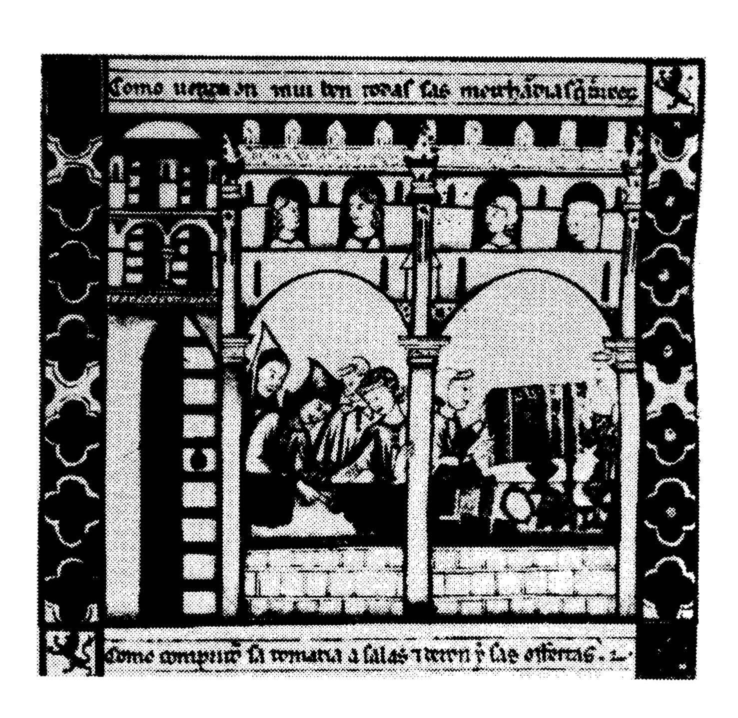
تاجر يزن التوابل. رسم صغير قشتالي من القرن الثالث عشر من:

Cantigas de Santa Maria, CV (courtesy of the Patrimonio Nacional, Madrid)

(33) N.A. Stillman, "The Eleventh-Century Merchant House of Ibn 'Awkal," JESHO 16,1973, p.27; Dimashqi, Kitab al-ashara, pp. 12-34; Pegolotti, La pratica della mercatura. ed.A.Evans, Cambridge, Mass., 1936, pp. 293-7.

إن قوائم البضائع لم تكن جديرة بالملاحظة في تنظيمها الدقيق، ولكن الدمشقي صنف المواد في قائمته وفقاً للنمط أو النوع الأساسي (مجوهرات وتوابل وأغذية وهكذا). وكان لهذا النظام ميزة حسنة في إجلاء الأمر. ولهذا فقد تبنيت مبادئه هنا. ولكن ليس نظامه أو تصنيفه بدقة لتوصيف أنواع البضائع المتَّجر بها في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. وباستثناء حالات خاصة، فقد انتقلت البضائع بِحُرِّيَة، ولا توجد براهين على تقييدات حركتها أكثر مما هو مفروض على السوق الاقتصادية.

وتغطي النقاشات التالية أصناف السلع العامة المستوردة إلى الأندلس؛ أما صادراته فستناقش في الفصل السابع.



تجار يتعاملون بالنسيج وسلع أخرى:

(Cantigas de Santa Maria, CLXXII, courtesy of the Patrimonio Nacional, Madrid).

التوابل

إن الدعامة الأساسية المشهورة في تجارة العصور الوسطى هي التوابل، وتتضمن أصنافاً عامة وعديدة، فهي تشمل العقاقير، والمنكّهات والعطريات، والأصبغة، واللواذع الكاوية. لقد غدت بعض المواد حقيقة بدهية في التجارة الدولية في العصر الوسيط، ذلك أنها تتطابق مع جميع متطلبات التاجر للبضاعة المثالية: وهي أن تكون خفيفة الوزن وصغيرة الحجم، وطلبها عالياً، وإمكانية الحصول عليها محدودة جغرافياً. إن القيمة الناتجة عن الفلفل والقرنفل والنيلة أو العنبر يجعل منها جديرة بمغامرة نقلها بعيداً وخلال مسافات طويلة. فالقرفة مثلاً انتقلت بانتظام من جنوب شرق آسيا، حيث تنمو، إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط الغربية[34]. يضاف إلى ذلك إمكانية استخدام التوابل لأغراض عديدة، أو لأنها أصلاً متعددة الاستخدامات فقد استخدمت لتزكية الأطعمة، وتقدير بعض المواد الغذائية وحفظها، بما في ذلك وجع الأسنان والاكتئاب! . ولتعطير الجو والنفس والثياب. وكان الزعفران تابلاً للطبخ ومعطراً للأغذية على نطاق واسع. وينطبق الشيء نفسه على القرفة ولونها فقد استخدمت للعلاج المعوي الغذائي وكمنكّه ممتاز، وكذلك المر أو الصبغ الراتنجي الذي استخدم للتطبيب والطب، وهناك مواد أخرى عديدة...

(34) تشير المصادر العربية إلى عدة أنماط مختلفة من القرفة وألوانها بما في ذلك القرفة العادية والقرفة الصينية. انظر على سبيل المثال الأقرباذين للكندي:

Kindi, The Medical Formulary or Aqrabadhin of al-Kindi. trans. M. Levy, Madison, 1966, pp. 122,206,218 et al.

وكما ذكر P.Crone في مقاله:

Meccan Trade and the Rise of Islam. Princeton, 1987, pp. 253-63.

فقد كان يوجد نوعان من قرفة العصور الوسطى واحدة مثل ما نعرفه اليوم الهندية أو الصينية كنوع آخر، وبهار آخر يحمل الاسم ذاته من شرق أفريقيا. ن أيضاً:

N. Groom, Frankincense and Myrrh, London, 1981 chapter 5.



تجار يبيعون الفخار أو بضاعة في جرار فخارية:

(Cantigas de Santa Maria CVIII, courtesy of the Patrimonio Nacional, Madrid)

كانت معظم التوابل تستورد إلى الأندلس، حيث تجد سوقاً جاهزة ومستقرة. وفي بعض الحالات، مثل البخور من جنوب شبه الجزيرة العربية، فهو مادة من داخل دار الإسلام. إن كثيراً من التوابل يتاجر بها دولياً وتأتي من الهند أو الشرق الأقصى. وتشير المصادر إلى أن التوابل ومن مختلف الأنواع كانت تباع وتشرى في أسواق الأندلس.

وقد ضَمّن السقطي في كتابه عن الحسبة في أوائل القرن الثالث عشر قسماً مطولاً عن التوابل، ولكنه أشار إلى أنه من المستحيل تقديم لائحة كاملة بالمواد، فقد كان يوجد ما يزيد على ثلاثة آلاف نوع(35). وتقدم كتب فن الطبخ الأندلسية معلومات عن استخدام التوابل في الطبخ، في حين تشرح

(35) Saqati, Kitab al-faqih al-ajall al-'alim al-'arif al-awḥad. Un manuel hispanique de hisba. eds. G.S. Colin and E.Lévi-Provençal, Paris, 1931, p.43.

الكتب الطبية الخواص العلاجية[36]. وبينت رسائل الجينيزا أن التوابل قد نُقلت إلى الأندلس، كما هي الحال عندما وصل مركب إلى الماريا في سنة 1138، حاملاً شحنة من الفلفل وشجر الصباغ أو العَنْدَمْ وصمغ اللّك واللبان أو البخور وغير ذلك من المستوردات الغريبة[37]. وفي رسالة أخرى، ومن الفترة نفسها تقريباً، نعلم أن التاجر المصري هلفون بن نتانئيل، قد أرسل هدايا، تتضمن رزمة من كبش القرنفل إلى أصدقاء في لوسينا Lucena[38]. وتفترض هذه الهدية أن كبش القرنفل كان مرتفع الثمن في إسبانيا المسلمة أكثر من مصر، وربما كان العثور عليه صعباً. ومع ذلك، تشير مصادر أخرى إلى أن شراء هذه المادة (القرنفل) لم يكن مستحيلاً على أصدقاء ابن هلفون بسعر بلادهم. وكانت العقاقير الطبية المستخرجة من نباتات شبه جزيرة إيبريا قليلة، ولكن بعض المواد النادرة التي كان يصفها أطباء العصور الوسطى مثل البخور والقرفة وغيرها كانت مستوردة من المشرق، وفي كثير من الحالات، كان أصلها الأجنبي مذكوراً بصورة واضحة في الوصفات العلاجية، وهناك براهين نباتية تدعم تقريباً منشأها المذكور. وقد طلب الطبيب الأندلسي اليهودي ابن عزرا Ezra (توفي سنة 1167) مثلاً علاجاً موضعياً من شجر أو

---

(36) See Traduccion española de un manuscrito anonimo del siglo XIII sobre la cocina hispano-magribi. trans. A. Huici Miranda, Madrid, 1966; L. Bolens, La cuisine andalouse, un art de vivre: XIe-XIIIe siècle. Paris, 1990.

بين البحوث الطبية المراجعة من أجل هذه الدراسة هي:

S.K. Hamarneh and G. Sonnedecker, A Pharmaceutical View of Abulcasis Alzahrawi in Moorish Spain. Leiden, 1963; Ibn Ezra, Sefer Hanisyonot:

كتاب التجارب الطبية المنسوب إلى Abraham b. Ezra. ed. and trans. J.O. Leibowitz and S. Marcus, Jerusalem, 1984; Ibn Buklarish, El prologo de al-Kitāb al-musta'ini de Ibn Buklarish," ed. A. Labarta, in Estudios sobre historia de la ciencia arabe. ed. J. Vernet, Barcelona, 1980, pp. 183-316; Hindi, The Medical Formulary or Aqrabadhun of al-Kindi. trans. M. Levy, Madison, 1966; Moses b. Maimon, Glossary of Drug Names. trans. F. Rosner, Philadelphia, 1979; Ibn al-Baytar, Traite des simples. trans. L. LeClerc Notices et extraits des manuscrits de la Bibliotheque Nationale 26 (1883).

(37) TS 12.285.

(38) TS 8 J 18.2.

ثمر الأملج myrobalan الهندي أو الأفغاني في حالات تطلبت مطهراً أو مسهلاً[39]. وقد وصف أطباء آخرون القرفة الصينية. وهناك كثير من العقاقير بدون أسماء أجنبية - وهذه مشكلة عظيمة - مثل البخور أو اللبان Frankincense المأخوذ من قبل العالم الأندلسي ابن حزم في القرن الحادي عشر وكان مستورداً[40]. وظهرت دلائل على المستوردات في سياق آخر، عندما كتب تاجر من القرن الثاني عشر من فاس إلى الماريا يستعلم عن سعر السقمونيا Scammony أو نبات المحمودية وهو نبات من أسيا الصغرى ويُنتج الراتنج الصمغي، ويُباع هناك[41]. وذكر الزهري بعد ذلك أن الزرنيخ الذي استخدم دواءً وسماً «جُلب إلى بلاد الأندلس» من أفريقيا[42].

---

(39) Ibn Ezra, Sefer Hanisyonot, p. 147.

(40) Ibn Hazm, Tawq al-ḥamama. ed. T.A. Makki, Cairo, 1975, p. 32.

لم يذكر المعجم الطبي أدوية علاج خفقان القلب «كما وصف ابن حزم. وحول البخور انظر:

Groom, Frankincense and myrrh; and G.W. van Beek, "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia," JAOS 78,1958, pp. 141-51.

(41) TS 12.435.

وصف الكندي السقمونيا لعلاج الحمى واليرقان؛

The Medical Formulary, y, p. 126.

(42) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya" ed. M. Hadj-Sadok, Bulletin des etudes orientales, 21,1968, p. 199.

ويذكر الكندي الزرنيخ لعلاج القرحات والآكلات.

Medical Formulary, pp. 50,90,98.

وصنفه روسنر كمطهر قوي في ملاحظاته إلى موسى بن ميمون في مسرده.

Moses b. Maimon's Glossary, p. 188.





تجار يبيعون رزم الصوف ويحملونها على ظهر المركب:

(Cantigas de Maria, XXV, courtesy of the Patrimonio Nacional, Madrid)

وتُبَيِّنُ الوصفات الطبية ورسائل التجار أن البهارات مثلها مثل الأدوية العشبية كانت في الواقع تستورد أكثر مما كانت مزروعة محلياً. وقد ذكر كتاب طبخ موحدي من القرن الثالث عشر، وصفات عدد من ألوان الطعام، وقد تضمن كثير منها عناصر تابلية أجنبية مثل القرفة والفلفل والكافور[43]. وكان الفلفل من أشهر المنكهات المُتاجر بها في السوق الدولية خلال العصور الوسطى.

إنَّ صنف العطور المطلوبة من قبل العطارين الأندلسيين شملت مواد من أصول شرقية وغربية على حد سواء. وقد صُنف المسك والكافور والصبر والعنبر والزعفران كأول خمس مواد عطرية قد عُدت من قبل جغرافيي العصور الوسطى وتاجر بها تجار تلك العصور. وهناك عطور أخرى في المنتجات الشرقية مثل ماء الورد وخشب الصندل ونبات السنبل الهندي (أو ناردين أو سنبلة الطيب) والمر والبخور كان يتاجر بها على نطاق واسع ولكنها لم تحرز أبداً شهرة المواد الخمس وتفوقها. وعدا المسعودي في القرن العاشر إلى المقري في القرن السادس عشر، روى المؤرخون والكتاب أن أفضل المسك والكافور والصبار يأتي من الهند، في حين أن أفضل العنبر والزعفران قد صُدر من الأندلس[44].

وقد تناقش بعض المؤلفين حول أفضلية مواصفات الصبار الهندي (عود الند)، معلنين أنه يوجد صبار بلدي في مرسية Murcia «وهو يفوق الصبار الهندي في عبيره، وعطره وصفة شمه»[45]. وقد قارن كثير من الجغرافيين

---

(43) Tradiccion española de un manuscrito anonimo, p. and passim.

(44) Mas'ud, Murūj al-dhahab, Les praires d'or, ed. C. Barbier de Meynard, Paris, 1861, p. 367; Maqqari, Analectes, I, p. 92.

حول العطور ومستحضرات التجميل ن المسعودي، مروج الذهب.

L. Bolens, "Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale, XIè-XIIIè siècle," in Les soins de beauté. Actes du IIIe colloque international, Grasse, Avril, 1985, Nice, 1987, pp. 145-69.

(45) L. Molina, ed., Descripcion anonima de al-Andalus. Madrid, 1983, I, p. 12; = Qazwīni, Athar al-bilād wa akhbar al-'ibār. Beirut, 1380/1960, p. 503.

بمن فيهم الرازي والحميري الأندلسي بين هذه المعطرات فكانوا محابين الأندلس على الهند بإنتاجها[46]. حتى أن يهودا هاليفي أشار باهتمام إلى تجارة عطور الأندلس في أشعاره عن شبه الجزيرة، «نسيم شاطئك الغربي عبير... ورائحة الناردين على جناحيه... جذورك من خزائن التجار، وليس من ريح أقبية البيوت»[47]. وتؤكد مصادر أخرى وفرة المعطرات المحلية والمستوردة في الأندلس. وخلال القرن العاشر مثلاً، أوردت قائمة جرد لعبد الرحمن الثالث المواد الثمينة التالية وهي عشرة أرطال (إنجليزية) من الصبار الهندي ومئتا رطل من منوعات أخرى، ومئتان وإحدى عشرة أوقية (28,35غ) من المسك وثلاثمئة اوقية من الكافور وخمسمئة أوقية من العنبر[48].

وكان للصباغين الأندلسيين منفعة حقيقية في تجارة التوابل والأصباغ الدولية. كان يمكن لهم اختيار الألوان من أصناف واسعة، ومشتقة من مصادر مختلفة محلية وأجنبية. لقد استخرج الأحمر القاني والأرجواني من وسيط نباتي مثل الفُوّة (العروق الحمر) والعصفر وشجر الصباغ أو من المحار (حيوان رخوي) من أجل الارجواني الامبريالي، ومن الخنفساء من أجل صباغ قرمزي. وبصورة موازية يأتي الأصفر من الزعفران وجذر الكركم (زعفران هندي) والمُغْرة المعدنية؛ أما الأزرق فيأتي من النيلة والوسمة (نبات عشبي أوروبي)؛ أما الأسود والبني والأسمر فيأتي من الجوزة الصفراء المرة ومن جوز شجر الجوز. وقد اشتهر الأندلس بإنتاج بعض هذه المواد وتصديرها وخاصة الزعفران والقرمزي (qirmiz)، ولكنّ الصباغين الأندلسيين توجهوا إلى التجارة الدولية من أجل الأحمر والأزرق باستيراد اللّك وشجر الصباغ (العندم أو البقّم) والنيلة.

= ذكر معلومات مماثلة عن نبات الصبار. وهو نوع من الشجر العطري، وليس الصبار المر الذي استخدم لاغراض طبية. من أجل مزيد من النقاش .See Crone, Meccan Trade, pp. 74-76, 267-9.

(46) Razi "Description de l'Espagne," p. 59; Himyari, Peninsule, p. 3.

(47) Jewish Poets of Spain, 900-1250. trans. D. Goldstein, London, 1965, p. 144.

(48) Maqqari, Analectes, I, pp. 299-30.

وعلى الرغم من توكيد المقري أن القرمز الإشبيلي كان «أعلى من اللّك الهندي» lakk[49]، فهذه المادة الأخيرة هي صمغ راتنجي يستخرج من شجر في الهند والشرق الأقصى وكانت تصدّر إلى الغرب لتنافس القرمز في أسواق الأندلس. وقد دلت رسائل الجينيزا أن اللّك كان مادة خام رئيسة من صادرات مصر إلى غرب البحر الأبيض المتوسط. وقد ذكر ميموس وهو من البيت التجاري المصري لابن حوقل صفقات تجارية من اللّك خلال أوائل القرن الحادي عشر كما ذُكر بيع اللّك[50] في رسالتين كتبتا في القرن التالي بين شركاء يهود في الماريا وشمال أفريقيا. كما شحنت كميات كبيرة من شجر الصباغ baqam (بقم) نحو الغرب من قبل مؤسسة ابن حوقل. وقد وصفت رسالة كتبت في مصر نحو سنة 1000 خلافاً حول شحنة من البقم إلى الأندلس. وأجاب الكاتب الموجود في القيروان ساخطاً على الاتهام بأنه أرسل بعض شجر الصباغ المخزن إلى الأندلس بقصد تحقيق ربح شخصي. وقد أنكر الحمولة ولكن السياق يُري أنه كان يمكن أن يكسب كسباً مرتفعاً من خلال شحن البقم إلى الأندلس. وذكر التاجر في آخر الرسالة نفسها أنه كان يريد ارسال قسم آخر من الصباغ «إلى الأندلسي بوكالة، ولكن بشرط أن أتحمل المسؤولية (لفقدانه)»[51]. ولاحظت رسالة خطية أخرى كتبت في 1060 من تونس إلى مصر ثانية، أن «شجر الصباغ يباع بالتدريج حتى يأتي أندلسي» تاجر فيشتريه[52]. لقد كان هؤلاء الأندلسيون يعتبرون أن تلهفهم لسوق بلدهم يبرر هذا الإنفاق.

لقد كان الصباغون في العصور الوسطى مدينين لنبتة النيلة لجمال وبريق لون صباغها الأزرق، في حين أن الرّسامين المعاصرين والفخاريين

---

(49) Maqqari, Analectes, 1, p. 128. استخدم الك في الطب وليس في الصباغ وحسب.

(50) Stillman,"The Eleventh-century Merchant House,"p.42; twelfth-century letters: TS12.435 and TS 13 - 14.21.

(51) DK 13؛ الترجمة من جوتين Letters, pp. 29-33.

(52) TS 16.163. See Goitein, Letters, p. 133. TS, 20.162, ca. 1080, ذكرت هذه الرسالة شحنة من شجر الصباغ إلى الأندلس.

والمزججين عليهم أن يلجأوا إلى المعادن. مثل حجر اللازورد لتنويع ذوقهم، بينما كان الصباغون تابعين للنيلة بصورة رئيسة وعلى (نيل البستاني) كبديل فقير أو على الوسمة. وكانت النيلة تصدّر إلى إسبانيا المسلمة، في حين أن الوسمة الأوروبية تنمو محلياً[53]. وقد عَدت مراسلات ابن حوقل ثلاثة أنواع من النيلة: الفارسية والفلسطينية والهندية[54]. وكَتَبَ أحد التجار المصريين عام 1050 عن إرساله نصف رزمة من الصباغ إلى الغرب «وصلت إلى الأندلس» ولكنه لم يذكر حتى النوع، «وقد تم تفتيشه هناك ولم يعثر على عفن أو نخر»[55]. وكتب تاجر آخر من فاس إلى الماريا في القرن الثاني عشر سائلاً شريكه «أرجو أن تعلم أن النيلة مطلوبة كثيراً هنا» ويمكن أن

---

(53) وكما ذكر المهندس الزراعي ابن العوام في (القرن الحادي عشر كانت الوسمة «نيل البستان» تنبت في مناطق كثيرة من الأندلس وقد سببت روايته انطباعاً خاطئاً أن النيلة «الهندية» كانت تنبت في الأندلس). «لابن العوام كتاب الزراعة».

d'Ibn Awam. trans.J.J. Clement-Mollet, Paris, 1866, 11,1, p. 125; W. Heyd.

وذكر «هيد» هذا المرجع كأساس ليؤكد أن الأندلس قد أنتج النيلة.

Histoire du commerce du Levant au moyen âge. Leipzig, 1885, 11, p. 628.

ولكن، بينت مصادر زراعية أخرى أن الوسمة وليس النيلة تنبت في الأندلس. كما أن: اللون الأزرق السماوي» المذكور في: Calendrier de Cordoue p. 132 كان غالباً وسمة، انظر:

Bolens, "Use of Plants for Dyeing and Clothing," pp. 1009-1010.

وانتجت الوسمة وصدرت من أوروبا وعرفت في جنوب فرنسا خاصة تحت اسم Pastel.

F. Borlandi, "Note per la storia della produzione e del commercio di una materia prima: il guado nel medio evo," Studi in onore di Gino Luzzatto. Milan 1950, I, pp. 297-326.

كانت هناك مصادر أخرى للأزرق في الأندلس وهناك مقطع من نص لمؤرخ مصري هو العيني توفي 1451 أنه كان يوجد منجم قرب إشبيلية حيث استخرج منه «مسحوق الكوبالت» الذي استخدم مكان النيلة كصباغ احتمالاً، ولم يعثر عليه سوى في هذا المكان من الأندلس حيث صُدر لاستخدامات الأصباغ.

See A. Zeki, "Memoire sur les relations entre l'Egypte et l'Espagne," Homenaje a Don Francisco Codera. Zaragoza, 1904, p. 464.

(54) Stillman, "The Eleventh-century Merchant House," p. 38.

(55) TS 12.226.

نفهم من ذلك أنه إذا لم تُبَعْ النيلة جيداً في الأندلس، على المتسلم أن يرسل كمية إلى فاس مباشرة.

ومن الناحية العملية لم يكن أي عامل صباغ يعمل لحسابه. فمن أجل تثبيت ألوانهم كان يجب استخدام الألوان مع مادة لاذعة أي مادة كيميائية تساعد على تثبيت لون الثياب. وقد استخدم كثير من المثبتات، وكان بعضها نادراً وغالياً، وبعضها (مثل البول) رخيصاً وجاهزاً إن المثبت البارز في العصور الوسطى كان الشب (ألمنيوم، بوتاسيوم، سلفات)، وكان لا يستغنى عنه كعنصر من عناصر تجارة الأصباغ في العصر الوسيط. وكان من أكثر المواد قيمة في الصناعة. وكان يُعثر على الشب في بعض المناطق، ومن ثم تبدأ أسواق دولية مهمة من أجل المعادن. وكان أفضل الشب المشهور يأتي من مصر وتشاد وغرب الأناضول، ولكن الطلب الدائم عليه يؤدي أحياناً إلى البحث عن مناجم أخرى وتصدير أنواع أدنى من صقلية وإسبانيا وشمال غرب أفريقيا[56]. وكانت جميع هذه المصادر معروفة في العالم الروماني، وسجلت من قبل بليني Pliny، ولكن يبدو أن إنتاج مناجم غرب المتوسط قد تضاءل خلال العصر الإسلامي. ولم يذكر الجغرافيون العرب الشب بين المنتجات أو الصادرات الأندلسية، ولم تذكر رسائل الجينيزا مصادر غربية له، بل كتبوا عن شحنات الشب المتوجهة إلى الغرب.

النسيج

لقد شكلت المنسوجات والخيوط الصرفة أصنافاً رئيسة من بضائع تجارة البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى. «إنَّ أفضل التجارة هي بالنسيج» كما كتب المشبه بالجاحظ في القرن التاسع، وبقي تعليقه صحيحاً في تجارة الأندلس حتى أواخر القرن الحادي عشر[57]. لقد صنفت

(56) TS 12.435.

(57) Jahiz, Tabassur al-tijara. ed H.H. ‘Abd al-Wahhab, Damascus, 1351/1932, p. 7.
«تبصر التجارة» للجاحظ...

المنسوجات بين أفضل الصناعات المنتجة المنظمة في العصر الوسيط في الأندلس وفي أماكن أخرى. وجُهّزت الصادرات الرئيسة من هذه المواد لجميع المناطق[58]. الآلاف من رزم الحرير والصوف والكتان والقطن سُجّلتْ وشحنت خلال البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى. وقد شكلت خيوط الحرير والحرير المصنع القسم الأعظم من النسيج المُصدر في الأندلس، يلي ذلك وبصورة متسلسلة الأنسجة الكتانية والقطنية والصوفية، ونوع خاص من النسيج المعروف بصوف البحر، كما أتجر بالسجاد والبسط الأندلسية على نطاق واسع.

وبين مستوردات النسيج، تلقت ورشات النسيج الأندلسية الكتان أو القنب من مصر والصوف الخام من المغرب. وكان للحرير قيمة عالية، وأتجر به وبالكتان وخيوط القنب بكميات كبيرة. وأتجر تجار الجينيزا بالحرير والكتان غالباً، ناقلين الحرير من الأندلس نحو الشرق إلى صقلية، والكتان من مصر نحو الأندلس غرباً. وتدل رسائلهم على أن المئات ـ حتى الآلاف ـ من رزم الكتان المصري قد شحنت نحو الغرب في كل عام، وكانت كل رزمة تزن ما يقرب من ستمئة رطل[59]. وذات يوم صار الأندلس يحوّل

(58) وقد عاين M. Lombard صناعة النسيج الإسلامية بما في ذلك الإنتاج في الأندلس في:

Les textiles dans le monde musulman. Paris, 1978. R.B. Serjeant's article, "Material for a History of Islamic Textiles" Ars Islamica 15,1951, pp. 29-61.

لوائح مصادر النسيج العربي. وتساعد بعض المسارد على التعريف بالنسيج في عالم الغرب الإسلامي وإسبانيا:

R. Dozy, Dictionnaire détaillé des vêtements chez les arabes. Amsterdam, 1845; M. Gual Camarena, Vocabulario del comercio medieval. Tarragona, 1968; J. Alfau de Solalinde, Nomenclatura de los tejidos españoles del siglo XIII. Madrid, 1969; M. Martinez, Los nombres de tejidos en castellano medieval. Granada, 1989.

(59) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 226.

القنب المصري إلى نسيج كتاني، واكتملت الحلقة التجارية عندما أعادته معامل الكتان في بيتشينا Pechina ومناطق أخرى للتصدير، «إلى مصر ومكة واليمن ومناطق أخرى» كما ذكر ابن حوقل في القرن الحادي عشر[60]. لقد دامت هذه الشراكة خلال القرن الثاني عشر، عندما تعاقد تاجر جنوي لشحن أربعة وتسعين رطلاً من الحرير الخام وعشرة أثواب من الكتان الإسباني إلى شمال أفريقيا في 1161[61].

واستورد مسلمو إسبانيا الصوف الخام، وذلك بخلاف إسبانيا في العصر الروماني أو في العصر المسيحي فيما بعد، فالاقتصاد الأندلسي لم يكن ليركز على انتاج الصوف. وقد لاحظ الزهري أن الأندلس قد حصل على الأصواف من تلمسان، وتدل رسائل الجينيزا على شحن الصوف من مصر إلى الأندلس. وقد ألمح أحد التجار في رسالة من القرن الحادي عشر إلى شحنة صوف تزن خمسمئة رطل وثمنها ثلاثون ديناراً (مقارنة بالحرير الذي كان يباع بثلاثين ديناراً لعشرة أرطال في سنة 1050)، وكان ينوي إرسالها من الإسكندرية إلى إسبانيا المسلمة. فأجابه شريكه مباشرة ناصحاً إياه ألا يرسل «أي سلعة لأن صباغ [الصوف] الأرجواني لا قيمة له في الأندلس»[62].

(60) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 114.

ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، لقد ذكر الجغرافيون العرب المتأخرون بما فيهم الزهري «كتاب الجغرافيا» وياقوت «معجم البلدان، ذكروا صادرات الأندلس من الكتان إلى الأقطار الإسلامية الأخرى:

Yaqut, Mu'jam al-buldan, 1, p. 227. و "Kitab al-dja'rafiyya," pp. 188-9

(61) Giovanni Scriba, Il Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano and M. Moresco, Rome, 1935, II, p. 4, #812.

(62) TS NSJ 197; TS Arabic Box 30.255. الرسالتان ترجمة جوتين Letters, pp. 233-6. من أجل أسعار الحرير see TS 13 J 25.14 and Mediterranean Society, I, pp. 222-4.

كانت المنسوجات الأجنبية، وكذلك الخيوط الخام متوافرة في الأندلس، إلا أن الشواهد التجارية قليلة. لقد ذكر ابن عبد الرؤوف «ثياباً من مجاس» (مراكش) في كتابه عن الحسبة في القرن العاشر، وكتب تاجر يهودي في تونس إلى شريكه في مصر في سنة 1020 ليقول له إنه أرسل «المنسوجات إلى الأندلس من بضاعة الأمانات [التي جاءت من مصر]»[63] وكان من المألوف أن بعض أقمشة الجرجاني والأصفهاني وغيرها التي تحمل أسماء أجنبية تكون أصلية مستوردة أكثر منها تقليداً أندلسياً».

الأغذيـة

نادراً ما ظهرت الأغذية بضاعة مهمة في التجارة لمسافات طويلة، وهذا بعكس التوابل والمنسوجات. وكما لاحظ ابن خلدون، «إن أسعار المواد الغذائية الضرورية... منخفضة، وأسعار مواد الترف مثل التوابل... هي مرتفعة» ولكن كان هناك واقع مهم ألا وهو أنه لا يمكن نقل المواد الغذائية قبل فصل البرودة[64]. وقد أشارت كتب الحسبة إلى أنه، حتى المواد المباعة محلياً، كانت عرضة للتلف نتيجة التعفن أو ضرر الحشرات أو الرطوبة أو التجفف. وتصبح هذه المشاكل أسوأ في زمن الشحن لمسافات طويلة. من جهة أخرى كان البقال أو التاجر يلجأ إلى عدة تقنيات من تجفيف وتمليح وتدخين وتحلية بالسكر أو العسل، والتخليل والتتبيل لإطالة زمن استعمال المواد الغذائية التجارية، ما يجعل بالإمكان إرسال بعض الأطعمة في طول البحر الأبيض المتوسط وعرضه دون أثر ضار بالصحة[65].

---

(63) Ibn ’Abd al-Ra’uf, Risala in Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge: Trois traités hispaniques de hisba. ed. E. Lévi-Provençal Cairo, 1955, p. 114; TS 8.12.

(64) Ibn Khaldun, The Muqaddimah. trans. F. Rosenthal, New York, 1958, II, p. 276.

(65) زادت أسعار السكر والتوابل والملح بسبب استخدامها في حفظ المواد الغذائية.

وقد اهتم قضاة الأندلس بالمشكلات الناشئة عن نقل الغذاء، وتُظهر أحكامهم فرقاً واضحاً بين الأطعمة الفاسدة أو السليمة. وقد أورد قاضي الجسيراس (الجزيرة) أبو الحسن الجزيري (توفي 1189) رأي العالم ابن حبيب من القرن التاسع، مسلسلاً تلك المواد الغذائية التي كان يمكن أن تنقل بأجرة (ضمان) المركب (أي أجهزة حمولة لم ينصب عليها العقد). ومن بين المواد الحلال كان القمح والشعير وحبة الدخن وحبوب أخرى: فاصولياء وحمص وعدس وخضار مجففة أخرى كالتمر والزبيب والزيتون وزيت الزيتون والعسل والسمنة، والخل والملح. وقد أُستبعدت الأغذية القابلة للفساد مثل الفواكه العصارة والجبنة والحليب وأنواع اللحوم والزبدة والفواكه الطازجة[66]. وعندما تذكر المصادر مركباً أو تاجراً ينقل الغذاء دون أن يحدد أي نوع معين فإن الإملاءات القانونية والحس التجاري المألوفين يدلان على أن الشحنة تتضمن غالباً أغذية غير قابلة للفساد[67]. ومن المؤكد أنه عندما تُعرِّفُ المصادر بالحمولة، فإن السلع المنقولة لمسافات بعيدة تتطابق غالباً مع إرشادات ابن حبيب.

وقد وصف برودل «ثالوثاً أبدياً» من الأغذية وهو «الحنطة والزيتون والنبيذ» كمميز أساسي لتجارة البحر الأبيض ومناخه. ولكن هذا الثالوث لم يكن مركزياً في تجارة الأندلس[68]. وقد صنف زيت الزيتون فقط من

(66) Jaziri, Maqsud al-mahmud fi talkhis al-'uqud. Miguel Asin Institute, CSIC, Madrid ms. 5, fol. 55v.

(67) لقد استشير القاضي أبو عمران الفاسي (توفي 1038) من القيروان بأجرة مركب ينقل (الطعام) إلى الأندلس:

Ibn Abi Firas, Kitāb akriyat al-sufun. ed. M.A. Tahir, Cahiers de Tunisie 31, 1983, p. 50.

(68) F. Braudel, The Mediterranean and Mediterranean World in the Age of Philip II. New York, 1966, I, p. 236.

الصادرات الأساسية الدولية، وستناقش تجارته في الفصل القادم. وقد صُدّر الزبيب، أما النبيذ فلم ينقل في واقع الأمر وكانت المعلومات عن الحبوب أكثر تعقيداً.

وكان القمح والشعير وحبة الدخن الانتاج الرئيس لغذاء عالم البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. وهناك أدلة على حركة نقل من مستوى منخفض للحبوب، من جهة أخرى، إن معظم وثائق شحن الحبوب تخص أوقات الأزمات، ومن الصعب الحصول على نظرة عامة عن هذه التجارة عملياً. وبالتأكيد إن الحبوب كانت تزرع في شبه جزيرة إيبريا، وخاصة القمح (بالعربية قمح أو درمك؛ بالقشتالية أدرجما adargama) والسّرْغوم (نبات كالذرة . المترجم) (بالعربية ذرة وبالقشتالية الدورا aldora)، ولكن ليس واضحاً إلى أي مدى كان الأندلس مكتفياً بإنتاجه من الحبوب[69]. وطبقاً لـ: ليفي بروفنسال، فإن الأندلس قد أنتج كفاية من الحبوب حتى غَطّى احتياجاته الخاصة، باستثناء السنوات العجاف، ولكن لم يكن ذلك كافياً للتصدير. بالمقابل اقترح فرنيت أن يكون هناك استيراد

(69) إن انتقال التعابير العربية الزراعية والنباتية والتقنية إلى القشتالية كان مألوفاً جداً. وقد أنجز ر. دوزي R.Dozy قاموساً كاملاً لهذه الاستعارات اللغوية في مسرده عن الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية.

Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe. Leiden, 1869.

ومن أجل المزيد عن القمح الأندلسي ن.

T. Glick, Islamic and Christian Spain, pp. 80-3; J. Vallve "La agricultura en al-Andalus," Al-Qantara 3,1982, pp. 275-81; and A. Watson, Agricultural Innovation, pp. 9-23.

وحول الاستهلاك والأسواق في الأندلس ن:

J.D. Latham, "Some Observations on the Bread Trade in Muslim Malaga, ca. AD 1200," Journal of Semitic Studies 29,1984, pp. 111-22.

مستمر للحبوب من شمال أفريقيا إلى الأندلس اعتباراً من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر(70). وأخيراً كتب ابن حوقل في أوائل القرن العاشر أن تبرقا Tabarca، قرب وهران، Oran كانت «ميناءً تجارياً» ينقل الأندلس من خلاله السلع ومنه تُؤخذ (الغلال ghalal(71))، وفي القرن الثاني عشر أكد الإدريسي وآخرون على هذا الاستيراد المنتظم للأندلس من الحبوب المغربية، وكتب المحتسب ابن عبدون عن مراكب ترسو في ميناء إشبيلية حاملة شحنات من القمح(72).

من جهة أخرى هناك بعض الدلائل على تصدير الأندلس للقمح في بعض المناسبات، وخاصة في القرن العاشر والحادي عشر. وفي سنة 936، وطبقاً لابن حيان، أرسل عبد الرحمن الثاني ألف مد mudis من القمح والشعير إلى حليف في شمال أفريقيا. فإذا كانت أرقام ابن حيان صحيحة، فقد كانت شحنة ضخمة تقدر حالياً بثلاثة أطنان(73). وفي القرن التالي، أرسل علي بن مجاهد وهو والي دينيا حمولة من «الأطعمة» غالباً القمح،

(70) E. Lévi-Provençal, L'Espagne musulmane au Xème siècle: Institutions et vie sociale. Paris, 1932, p. 162; R. Vernet, "Les relations cerealieres entre le Maghreb et la peninsule ibérique," Anuario de estudios medievales 10,1980, p. 325.

(71) Ibn Hawqal, Kitab surat al-ard, p. 78.

إن كلمة «غلال» ghalal تعني حبوباً أو قمحاً. ولكن يمكن أن تشمل محاصيل أخرى من الفاكهة أو إنتاجاً عاماً.

(72) Ibn 'Abdun, Risala in Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge. ed. e. Levi-Provençal, Cairo, 1955, p. 47.

(73) Ibn Ḥayyan, Muqtabas. V, eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subh, Madrid-Rabat, 1979, p. 389.

المد mudi كان مكيالاً كبيراً ويزن حوالي 750 رطلاً.

J. Vallve, "Notas de metrologia hispano-arabe II," Al-Andalus 42,1977, pp. 61-122 and "Notas de metrologia hispano-arabe III," Al-Qantara 5,1984, pp. 162-67.

إلى مصر إثر مجاعة ألمت بها. ولم يكن هذا فعلاً خيرياً غير ذي قيمة، إذ نقرأ فيما بعد أن مركب ابن مجاهد عاد إلى دينيا محملاً بالمال[74]. وتذكر رسالتان من جينيزا قمح الأندلس. واحدة كتبت في سنة 1050، تذكر أن تاجراً باع الصباغ في الأندلس واشترى «قمحاً أندلسياً»، في حين تذكر الرسالة الأخرى، وهي بعد نحو تسعين سنة، شحنة من القمح نقلت من إشبيلية إلى طرابلس[75].

هناك نقطتان يجب الأخذ بهما تتعلقان باستيراد وتصدير الحبوب الأندلسية. فلربما كان الأرخص نقل الحبوب بحراً من شمال أفريقيا إلى مدن الساحل الأندلسي، من نقله براً من الداخل. ثم إن التجارة لم تكن نافعة أمام قدرة إيبريا على إنتاج الحبوب. من جهة أخرى، تشير النقطة الثانية إلى استيراد الحبوب بكثرة في القرن الثاني عشر. ولعل هذا التحول يعود إلى وضع حكام المرابطين والموحدين في شبه الجزيرة والمغرب وتشجيعهم تجارة حبوب موحدة، وإلى التقدم الحربي المسيحي نحو الجنوب واستيلائهم على مناطق إنتاج الحبوب الأندلسية في وادي دورا Duero من يد المسلمين. ومن المؤكد أنه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أجبر الواقع السياسي الناصريين في غرناطة على أن يرتبطوا بشمال أفريقيا بتموينهم بالحبوب، وقد نوه ابن سعيد الغرناطي (توفي 1286) بوصول مراكب إلى الأندلس محملة بالقمح التونسي[76].

(74) ابن الخطيب، كتاب العمال العلام Ibn al-Khatib, Kitāb al-'amal al-'alam. ed. E. Levi-Provencal, Beirut, 1956, pp. 221-2.

(75) TS 12.226 and TS 16.54.
لم أر الرسالة الوثيقة ولكن جوتين يشير إلى محتواها في حاشيته.
Geniza Laboratory, Princeton University, microfilm cards 007744 and 00765.

(76) ابن سعيد، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض Ibn Sa'id, Kitāb bast al-arḍ fi al-tul wa al-'arḍ. ed. J. Vernet Gides Tetuan, 1958, p. 76.

وهناك مواد غذائية أخرى مسموحة ثبتت من قبل أبي الحسن الجزيري وظهرت بصورة متقطعة في مصادر عن التجارة الدولية. وتذكر السجلات الملح والسكر والعسل والجوز، ولكن يبدو أن التجارة في هذه المواد كانت ضئيلة، وتحددت في غرب البحر الأبيض المتوسط. وقد نقل الملح من إسبانيا المسلمة (خاصة من إيبزا (Ibiza) والمغرب إلى الجنوب لمقايضته بذهب غرب أفريقيا، لأنه كان يحلو للمغاربة والغرناطيين التنافس على التجارة الأجنبية[77]. وكان اللوز والفستق والجوز ينقل إلى أسواق الأندلس من شمال أفريقيا. وفي القرن الحادي عشر، يخبرنا البكري أن منطقة القيروان قد أنتجت فستقاً رائعاً، حيث وزعته خلال المغرب وإلى مصر وسجليمازا Sijilmasa والأندلس. وتظهر هذه المعلومة ثانية بعد قرن من الزمان في «كتاب الاستبصار» لمؤلف مجهول. ويذكر الزهري من جانبه تصدير الجوز من مراكش إلى المغرب والأندلس وإلى الروم Rum[78]. وتبين رسالة من جينيزا، كتبت سنة 1040 أن تاجراً أندلسياً قد نقل لوزاً مقشراً من صقلية إلى مصر، ولكن هذا اللوز ربما كان مزروعاً في شمال أفريقيا أكثر من أن يكون مزروعاً في بلاد هذا التاجر[79].

المعادن والجواهر

تشكل المعادن والجواهر صنفاً آخر من البضائع التي أتجر بها حول

(77) تبين المصادر العربية أن العسل المراكشي استورد إلى الأندلس في القرن الثاني عشر.
Zuhri, "Kitab al-dja 'rafiyya," p. 190 and Fagnan ed., Kitāb al-istibsar, p. 183.
على الرغم من أن السقطي قد لاحظ أن العسل المغربي أغلى في الأندلس من الأنواع المحلية.

Saqati, Kitāb al-faqih, p. 13.

(78) Bakri, Description de l'Afrique septentrionale. ed. M. de Slane, Paris, reprint 1965, p. 47; Fagnan ed., Kitab al-istibsar, p. 74; Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," pp. 188-9.

(79) TS Box 28.37.

البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى. وهذا كان انتاجاً طبيعياً، متيسراً غالباً، ويتم الحصول عليه تقليدياً من المناجم (باستثناء المواد العضوية مثل المرجان واللؤلؤ والعاج). وكانت تجارة الأحجار الكريمة مثل الألماس والياقوت والزفير وما إلى ذلك سهلة نسبياً، وتتبع الطريق الموازية للبضائع ذات القيمة العالية والنادرة والخفيفة الوزن. ومثل قطع النقود، فقد وصلت بعض الجواهر الثمينة إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط من الهند أو من الشرق الأقصى. وقد صنف أبو الفضل الدمشقي الجواهر بين تلك البضائع البطيئة الحركة «التي يجب ألاّ يستخدمها الناس [العاديون]»، ورغم الطلب المحدود للأغنياء فقد كان لها قيمة عالية لأن التاجر كان ينقل القليل منها في حمولته[80]. بخلاف الأحجار والمعادن مثل الرخام أو المعادن والأحجار غير الثمينة مثل الحديد والرصاص والقصدير فإنها كانت ذات حجم وثقل ولكنها كانت أكثر طلباً من الجواهر. كان بعض تلك المواد متوافراً في مناجم البحر الأبيض المتوسط. والحاجة العملية لهذه البضائع، في البناء والعمارة وشواهد القبور وصناعة الأسلحة والأدوات وغير ذلك، أدّت إلى دعم التجارة لها. وكان نقل المعادن الثمينة وخاصة الذهب والفضة من الأمور الأكثر تعقيداً، ذلك أن المعدن كان ينقل كمادة خام أو رمل أو غبار الذهب أو سبيكة أو كنقود.

ولأن مصادر هذه المعادن والجواهر تكاد تكون محدودة جغرافياً، لذا فإن تجارتها قد تبعت طرقاً لم تتبدل خلال الزمن إلا قليلاً. وكما هي الحركة العامة للتجارة، فقد انتقلت المواد المعدنية غير الثمينة من الغرب إلى الشرق في حين أن الجواهر انتقلت من الشرق إلى الغرب. وفي القرن الحادي عشر

(80) Dimashqi, Kitāb al-'ashara, p. 58.

مثلاً، تبين وثائق الجينيزا أن النحاس والحديد والرصاص والزئبق والقصدير قد نقل شرقاً، في حين أن الألماس والياقوت يأتيان من الغرب[81]. إن الجواهر ذات الأصل الحيواني، باستثناء بعضها، كان من الممكن تتبع آثارها. فالمرجان كان متيسراً في صخور سواحل شبه جزيرة إيبريا الشرقية وشمال أفريقيا، ولكن اللؤلؤ و cowries والعاج نقلا من الشرق إلى الغرب. وعلى الرغم من أن بعض اللؤلؤ المتدني كان يلتقط من طول الشواطئ الكتالونية، فقد كان التجار الأندلسيون يفضلون الأنواع الشرقية، سواء كانت كبيرة أم صغيرة[82]. وفي أوائل 1040 مثلاً، كتب شريك تونسي إلى نهريا بن نسيم في مصر آمراً: «إذا صدف وكنت في بازار الجواهر وهناك لؤلؤ صغير ورخيص... اشتر ما تعتقده أفضل، لأن [التجار] الأندلسيين جميعهم يبحثون عن ذلك الصنف». وبعد عشر سنين تقول رسالة مجهولة الكاتب أرسلت من الإسكندرية إلى القاهرة القديمة تطلب إناء لحفظ العين من «لؤلؤ عالية مواصفاته ورائج في الأندلس»[83]. وبعكس اللؤلؤ فإن الدلائل على تجارة cowries والعاج متفرقة. وهناك رسالة من تاجر في الهند في عيذب إلى ابنه في الإسكندرية مؤرخة في 1141 تتابع ذكر قائمة وتعليمات تتعلق بحمولته من البضائع الشرقية مرسلة إلى مصر وقد أضاف «بالنسبة لـ cowrie shells، إذا كنت تعتقد أنه أفضل أرسله [للبيع] في الأندلس»[84]. وقبل ذلك بسنة أو سنتين أي في سنة 1138، تلقى هلفون بن نتانئيل رسالة من زميل في إسبانيا المسلمة، يذكر فيها وفي الهامش أن بعضهم قد «باع العاج بخمسة دراهم [للأونصة/ وقية؟]» [85]. وقد دخلت تجارة العاج مجال البحر الأبيض

---

(81) Goitein, Mediterranean Society, I, p. 154.

(82) حول اللؤلؤ، ن: Bakri, Description, p. 129.

(83) Bodl b3.20 and TS 12.373.

(84) BM Or5566 D6. Also, Goitein, Letters, pp. 197-201.

(85) TS 13 J 18.19.

المتوسط من شرق أفريقيا عن طريق البحر الأحمر على الأغلب(86). وما من شك أن هذه المادة كانت متوافرة في الأندلس، تدل على ذلك الصناديق العاجية المحفورة وغير ذلك من القطع المحفوظة في المتاحف المعاصرة.

لقد انعكست كثافة استخدام الذهب والفضة في أماكن رئيسة، ولكن الطلب العالي أدى إلى إنتاج ونقل ذي المواصفات المتدنية، وإلى تعدد طرق التجارة. وقد وصل الذهب إلى عالم البحر الأبيض المتوسط من عدة أقطار، ولكن مناجم غرب السودان (وهي الآن السنغال وبركينا وفاسو جنوب مالي وغرب نيجيريا) قدمت أشهر المناجم المنتجة. وقد تنشطت صادرات أفريقيا الغربية شمالاً وغرباً، حيث تدفق الذهب إلى المغرب ثم إلى شبه جزيرة إيبريا وأوروبا وشرق المتوسط. وفي القرن الحادي عشر خاصة، وعندما تمت السيطرة على طرق تجارة الذهب بصورة قانونية من قبل سلالات المرابطين والموحدين، كان لموانئ الأندلس دور مهم في توزيع الذهب الخام والنقود الذهبية إلى المناطق الأخرى من حوض البحر الأبيض المتوسط. ومقابل ندرة الذهب المنتج محلياً، كانت الفضة أكثر وفرة، وخاصة في شرق المتوسط. وقد استخدمت مناطق أصل المناجم لتتبع تدفق الذهب والفضة في تجارة المتوسط في العصر الوسيط، على اعتبار أن المعادن الثمينة (مثل السلع الأخرى) تتحرك من منطقة إلى أخرى حسب قيمة السعر. وقد نُقل الذهب شرقاً خلال طريق ينتهي في غرب المتوسط في حين تعلق الفضة باتجاه الشرق(87).

---

(86) M. Horton, "The Swaḥili Corridor," Scientific American, Sept. 1987, pp. 86-7; and A. Cutler, The Craft of Ivory: Sources, Techniques, and Uses in the Mediterranean World, AD 200-1400. Washington, DC, 1985, pp. 30-5.

(87) A. Watson, "Back to Gold - and Silver," Economic History Review 20,1967, pp. 1-34.

الفخاريات

إن الدلائل على انتشار فخاريات العصور الوسطى، سواء عن طريق التجارة أم عن طرق أخرى، قد لوحظ من خلال بضائع أخرى بداعي الدور المهم الذي كان لعلم الآثار وتاريخ الفن بتحليلها. ولأن الفخاريات قد انتجت على نطاق واسع فإن مؤرخي الفن وعلماء الآثار خاصة، كانوا نشطاء في تحديد تطورات الطرز والأنماط الفردية، للعمل على وضع سلم زمني وقائمة مرسومة بأنماط فخاريات البحر الأبيض المتوسط. وبكثير من الانتباه والتعاون، وصلوا إلى هذا المستوى من البحث إذ يمكن أولاً: تمييز أنماط الفخار حسب المناطق؛ ثانياً إن التحديد الجغرافي القائم على أساس النمط يمكن تحليله كيميائياً[88]. وثالثاً، يبقى الفخار سليماً خلال الزمن. وبقاء الأواني الفخارية سليمة يجعلها سهلة التأريخ أو أن الآنية هي نفسها مؤرخة، ما يجعل تأريخ الوسط الذي وجدت فيه سهلاً. يضاف إلى ما تقدم من أسس أن الفخار قد انتقل بعيداً وفي كل الاتجاهات مع التجارة. ومع أن قطعاً من الفخاريات قد انتقلت هدايا أو بوسائط أخرى، فإن اتساع نطاق انتشار الفخار يدل على حركة التجارة. وكانت الجرار منتشرة في كل مكان، وهي أنيقة ورخيصة وعملية وتنكسر بسرعة. وقد تكون ذات قيمة كأتاوة أو غنيمة أو لدفع أي شيء آخر. وإذا انتقلت، فهي تنتقل من أجل التجارة أولاً.

لقد أنتج الأندلس الفخار وصدّره. وكما سيناقش في الفصل القادم، فإن الفخار المستورد قد جاء من مناطق أخرى من العالم الإسلامي وما بعده. إن

---

(88) ذكر هورست J. Hurst أن عالماً ايطالياً هو T. Mannoni قد صنف عدداً من مصادر الفخار المميز في غرب المتوسط ويمكن معرفته بالميكرو سكوب وحتى بالعين المجردة.

"Spanish Pottery Imported into Medieval England," Medieval Archeology 21,1977, p. 72.

قطع السيراميك أو الفخار التي تعود إلى القرن العاشر وصولاً إلى الصين في عهد (سلالة سونغ 960 ـ 1279) قد عثر عليها إثر حفائر قرطبة والماريا الأثرية. وسواء أكان هذا الفخار قادماً من الصين أم أنه تقليد فارسي كما سبق وذُكر، فإنه قد سافر وانتقل بعيداً عن أفرانه[89]. ومن خلال انتقال أقل استعراضاً، فهناك كثير من الدلائل الأثرية التي تبين أن الفخاريات الفاطمية المصرية والمغربية كانت متيسرة في الأندلس[90] كما أن انتقال الفخار إلى الغرب موثق أيضاً كما هو الحال في رسالة من جينيزا التي تشير إلى شحنة من الفخار [مخفيات mukhfiyat] من أصول مغربية غالباً، والتي باعها تاجر مصري في الأندلس سنة 1137[91].

إن الأصناف الستة التي بُحثت أعلاه وهي التوابل والنسيج والأغذية والمعادن والجواهر والفخار، لا تستطيع أن تكون حكماً في منزلة البضائع

---

(89) J. Zozaya, "El comercio de al-Andalus con el Oriente: nuevos datos," Boletín de la asociación española de orientalistas, 5,1969, pp. 197-9; J. Zozaya, "Cerámicas islámicas del Museo de Soria," Boletín de la asociación española de orientalistas 11,1975,pp. 143-4; D. Whitehouse, "Chinese Porcelain in Medieval Europe," Medieval Archeology 16,1972,p. 69.

(90) J. Zozaya, "Aperçu général sur la ceramique espagnole" La céramique médiévale en Mediterranee occidentale. Paris, 1980, pp. 273-4; M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics. A Reappraisal of the Pottery Production of the Western Regions of the Muslim world." Ph.D. Dissertation, New York University, 1978, p. 130; G. Rossello Bordoy, "Un ataifor norteafricano: un ensayo de interpretacion iconografica," Sharq al-Andalus 2,1985,p. 194.

(91) TS 13 J 27.17.

هذه الرسالة كتبت من الأندلس إلى شريك في مصر وقد ذكر الكاتب أنه أرسل «سعر المخفيات» mukhfiyat أفهم أن معنى هذا أن هذه المواد قد نقلت إلى الأندلس وبيعت. وهذا الفخار جاء من أفريقيا غالباً، لأن دوزي ذكر أمثلة مغربية على كلمة مخفية.

Supplément aux dictionaires arabes. Leiden, 1881, 1,p. 387.

وفسر جوتين انتقال الفخار إلى جهات أخرى، وذكر أن «مخفية» كانت إنتاجاً غربياً، .Mediterranean Society, 1, p. 111

التي أتجر بها في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. ولكنها تعطي فكرة عن أنواع السلع المتيسرة للتجار الأندلسيين. وقد تعامل التجار ونقلوا أنواعاً أخرى من البضائع، بما في ذلك الفراء والجلود والحيوانات والرقيق والخشب. وهذا ما سيناقش في الفصل السابع مع صادرات أندلسية رئيسة أخرى، وفي الفصل الثامن الذي يفحص التبدلات والاستمرارية في تجارة إيبريا بعد سنة 1212.

الفصل السابع

الصادرات الأندلسية قبل سنة 1212

تماماً، وكما استقبل الأندلس السلع من جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط وما بعده، كذلك فإن صادرات الأندلس قد انتشرت بعيداً. فقد كتب شعراء بغداد أبياتاً يطرون فيها على التين الملقي الطيب، في حين أن التروبادور والفرنسيين قد حاكوا إشاراتهم إلى حرائر الماريا الثمينة والغالية في أغانيهم. إن أطياف أو آثار الصادرات الأندلسية قد شملت أنواعاً كثيرة من البضائع، بعضها كان مواد ترف مثل العنبر وبعضها كان مألوفاً وعملياً مثل زيت الزيتون والكمون؛ وبعضها كان مادة خام مثل مشاقة الحرير والجلد والنحاس، وبعضها صنع من قبل مهنيين ذوي مهارة عالية مثل نسيج الحرير والجلد القرطبي والأواني النحاسية؛ وبعضها أنتج في شبه الجزيرة مثل الأخشاب والتين، في حين أن بعضها الآخر قد انتقل من مكان إلى آخر من خلال متاجر الأندلس مثل الفراء والذهب والرقيق.

بقيت طبيعة الصادرات الأندلسية وتنوعها مستقرة خلال عصر الولاة المسلمين. واستمر تصدير السلع خلال الدور الأموي وكذلك في عصر دول الطوائف والحكام البربر، مما يدل على أن السياسة الداخلية أثرت قليلاً على الإنتاج الأندلسي. وكانت بعض الصادرات ذات شهرة، من قبل العهد الأموي، ومن جهة أخرى تنوعت الأنماط خلال الزمن. ومقابل هذه القرون ذات الاستمرار النسبي في الإنتاج، فإن دور الفتوحات الأندلسية من سنة 1212 إلى 1248 كان نقطة تحول مأساوية بالنسبة لتجارة إيبريا.

سيبحث هذا الفصل الصادرات الأندلسية الرئيسة قبل هذا الحد الفاصل السياسي والاقتصادي وسننظر أولاً إلى الصادرات الأندلسية البلدية ثم إلى السلع التي تمر من خلال أسواق الأندلس والعابرة أماكن أبعد.

بضائع الإنتاج الأندلسي والتصدير

التوابل

على الرغم من الدلائل على الكمون والكراوية الأندلسيين، فإن شبه الجزيرة لم تصدر توابل مطبخية أكثر قيمة أو حجماً من المستوردات الشرقية مثل الفلفل أو القرفة، ويصح الشيء نفسه بالنسبة للمعطرات باستثناء العنبر والعصارة الشمعية الرمادية من السائل المنوي للحوت الذي استخدم في الطبخ والعطر. وكان معظم الجغرافيين الذين وصفوا الأندلس في العصر الوسيط قد أعجبوا بالعنبر الذي وجد على طول ساحل شبه الجزيرة الغربي الأطلنطي، معلنين أن مواصفات هذه المادة كانت «لا مثيل لها في أي مكان في العالم المسكون». وكانت سانتاريم Santarem مصدراً «لأفضل أنواع العنبر وبكثرة» وكان ساحل لشبونة غنياً «بالعنبر الرائع نفسه، كنظيره الهندي»[1]. علماً بأنه، ليس مقبولاً مثل هذا الرأي والمقارنة دائماً. فقد كان العنبر الأندلسي سائداً في أسواق البحر الأبيض المتوسط، ويتطلب سعراً مرتفعاً ومتنامياً كلما نقلت المادة نحو الشرق. وفي القرن العاشر لاحظ المسعودي أن أونصة أو أوقية من العنبر العربي تعود على صاحبها بثمن ثلث دينار في قرطبة، ولكن أونصة من الشيء نفسه «في بغداد وكذلك في مصر

(1) L. Molina, ed. and trans., Una Descripcion anónima de al-Andalus. Madrid, 1983, I, p. 13; Ḥudud al-alam: "The Regions of the World", A Persian Geography. ed. V. Minorsky, London 1970, p. 156; Yaqut, Mu'jam al-buldan. Jacut's Geographisches Worterbuch. ed. F. Wüstenfeld, Leipzig, 1873, I, pp. 274, 343. تجد التعليق ذاته في الإصطخري Istakhri, Kitab al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J.de Goeje, BGA, 2nd, I, Leiden, 1967, p. 42, and Rāzi, "La 'Description de l'Espagne' d'Ahmad al-Razī" ed. E. Lèvi-Provençal, Al-Andalus 18,1953,p. 91.

[تصل] إلى عشرة دنانير [ومع ذلك] فإن هذا العنبر من صنف أقل»[2].

وأعلن البكري دفاعه عن العنبر الغربي قائلاً بأن عنبر سيدونيا Sidonia كان الأفضل في العالم، وأن ما تكون قيمته درهماً واحداً يعادل مرات من كمية الأنواع المستوردة[3].

ولم يظهر العنبر في مجموعة وثائق الجينيزا إلا أن رسالة ذكرت تحويل جزء من هذا العطر من فاس ومصر حوالي سنة 1110[4].

وقد ساد موقف تنافسي مماثل بين منتجات الشرق والغرب في صناعة الأصبغة في البحر الأبيض المتوسط، حيث كان يمكن للصبّاغين اختيار النيلة والبقم (شجر الصباغ) المشرقي أو القرمز والزعفران الغربي. وكان القرمزي من الأصباغ الأولية المنتجة والمصدرة من إسبانيا المسلمة، وقد ادعى العذري أن «اللون القرمزي لإشبيلية أفضل من الأنواع الهندية»[5]. ويأتي اللون القرمزي من خنفساء coccum ilicis مصدرها شبه الجزيرة الإيبرية، وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا وبلاد الإغريق حيث تجفف وتسحق ومن ثم تخلط بالماء لاستخلاص لونها. وكان هذا الصباغ يدعى granum باللاتينية لأن المادة المجففة تأتي على شكل حبيبات. وتكون قيمة القرمزي في قابليته لإنتاج أنواع من الألوان طبقاً للمثبت المستعمل معه، ويتدرج لونه بين القرمزي اللامع إلى البنفسجي أو الأصفر. هذه الجوانب المتعددة جعلت منه صباغاً شعبياً إلا أن شهرته كانت تستند إلى اللون القرمزي «الذي لا يضاهيه

(2) Mas'udi, Muruj al-dhahab, Les praires d'or. ed. C. Barbier de Meynard, Paris, 1861, p. 366.

(3) Bakri, Masalik wa al-mamalik. ed. A.A. al-Hajji, Beirut, 1968, pp. 125,127; also Molina, Descripcion anonima, I, p. 13.

(4) Bodl d66.52.

(5) 'Udhri, "Nuṣûṣ 'an al-Andalus," Tardi 'al-akhbar wa tanwi' al-athãr. ed. A.A. al-Ahwãni, Madrid, 1960, p. 96.

صدّرت شبه جزيرة إيبريا القرمزي قبل العهد العربي وعلق بليني على إنتاجه قرب مريدا Merida

[أي] أحمر»[6]. ويثبت اللون بصورة أفضل عندما يستعمل لصبغ نسيج من منشأ حيواني، مثل الحرير والصوف لأن ابن البيطار كان قد لاحظ أن الكتان والقطن وغيرها من الخيوط النباتية لا تثبت اللون جيداً[7].

وطبقاً لما ذكره البكري فإن «أفضل القرمزي هو القرمزي الأندلسي ويأتي معظمه من مناطق إشبيلية ونيبلا Niebla وسيدونيا وبلنسيا، من جميع أنحاء الأندلس، وقد صُدِّرَ إلى البلاد البعيدة»[8]. وقد وثقت تجارته في غرب المتوسط من خلال رسائل جينيزا كما في رسالة من القرن الحادي عشر حيث تطلب شحنة من القرمز من الأندلس إلى تونس، ومنها ربما نقلت إلى مصر. وقد وصل القرمزي الأندلسي إلى شرق المتوسط بالتأكيد، كما ورد في رسائل اخرى كُتبت إلى مصر من قبل امرأة في القدس في سنة 1050، تطلب فيها خمسة أرطال من شذونا Shadhuna قرمزي (من سيدونيا) [9]. وقد أتجر بالقرمزي الأندلسي في أوروبا، حتى قبل العصر الكارولنجي عندما ذكر نوتكر Notker «الصباغ الأرجواني من إسبانيا»[10]. وكان القرمزي متيسراً في بلنسيا ومورسيا Murcia بصورة رئيسة من بلاد إسبانيا المسيحية في القرن الثاني عشر، عندما ظهر في لوائح التعرفة في منطقة إبرو Ebro[11]. ويبين

= Natural History. ed. H. Rackham, Cambridge, Mass., 1983. Book IX IXV, p. 258.

(6) Maqqari, Andecles sur L'histoire et la littèrature des arabes d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, I, p. 123.

(7) M. Lombard, Les textiles dans le monde musulman du VIIe au XIIe siecle. Paris, 1978, p. 119; Ibn al-Baytar, "Traitè des simples" trans. L. LeClerc, Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale 26,1883, p. 74.

(8) Bakri, Masalik, p. 127.

(9) ULC Or1080 J 77; TS 13 J 6.22.

(10) Notker the Stammerer, De Carlo Magno. ed. p. Jaffe, Monumenta carolina, IV Bibliotheca rerum germanicarum, Berlin, 1867, p. 677. Notker's reference to *ferrugine Hibera* may have been loosely borrowed from Virgil, in which case it bears no relation to ninth-century trade, see L. Thorpe, Two Lives of Charlemagne. London, 1969, p. 196, n. 89.

(11) M. Gual Camarena, "Peaje fluvial del Ebro, siglo XII," Estudios de edad media de la Corona de Aragón 8,1967, p. 184.

دليل على «زفري دي غرانا» Zafri de grana في قائمة تعريف من سنة 1207 من طليطلة أن الأصباغ استخدمت في قشتاليا من أجل الأصفر وكذلك الأحمر الملّون[12]. وقد دونت عقود جنوى القرمزي الأندلسي. وذكر كاتب عدل شحنة من grane de Ispania، «حبة إسبانيا» مرسلة للبيع في لوكا Lucca في سنة 1192 وجزءاً آخر من القرمز غير المُعرّف في السنة نفسها[13].

وكان الزعفران من الصادرات الشهيرة للأندلس، على الرغم من أن بعض المؤلفين قد اعتبروه أدنى من الأصناف الشرقية. وخلافاً للقرمز فقد كان الزعفران لا ينتج في شبه الجزيرة الإيبرية على نطاق واسع، قبل العصر العربي، ولكن الجغرافيين والمهندسين الزراعيين الأندلسيين يشيرون إلى زراعته وتصديره الواسعين في القرن العاشر. والرازي هو أحد من ادعى أن بلنسيا «أنتجت ما يكفي لتموين الأندلس كله، ونقله التجار إلى مناطق أخرى من العالم»[14]. وفي القرن التالي، كان الزعفران الطليطلي «موجوداً في جميع البلاد وصُدِّر إلى الخارج» كما كان الحال في إشبيلية وجواد الجارا Guadalajara وادي الجرة.

بينما ذكر الشقندي وياقوت وغيرهما من المؤلفين المتأخرين أن زعفران بايزا Baeza كان قد «صدر من خلال البر والبحر» كما أن الأنواع الفضلى،

---

(12) F.J. Hernández, "Las Cortes de Toledo de 1207," Las Cortes de Castilla y Leon en la edad media. Valladolid, 1988, pp. 240,254.

(13) Guglielmo Cassinese, 1190-1192. eds, M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1938, 11, p. 235, #1700. D. Abulafia يقترح أن الإشارة الثانية إلى *carrico* .*grani,* II, p. 223, #1668

تشير أيضاً إلى: to Spanish crimson, D. Abulafia, The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes. Cambridge, 1977, p. 200.

(14) Razī, "Description," p. 72. Also, Le Calendrier de Cordoue. ed. R. Dozy, new edn. C. Pellat, Leiden, 1961, pp. 172-3.

كانت معروفة ومرغوب فيها في بلاد المغرب[15]. ووجد الزعفران الأندلسي طريقه إلى أسواق أوروبا بفضل الجنويين غالباً، فقد كتب «جيوفاني الكاتب Giovani Scriba» عقداً من أجل نقل الزعفران والمرجان. (والمرجح أن الاثنين من أصل أندلسي) من جنوى إلى الإسكندرية في سنة 1156[16].

النسيج

وعلى الرغم من أن التوابل كانت العماد الأمثل لتجارة المتوسط عامة، فإن الأقمشة والخيوط كانت أكثر أهمية بالنسبة للاقتصاد الأندلسي. فقد ساد الحرير على الرغم من أن الكتان والصوف والقطن أخذ قسطاً صغيراً من التجارة. وكانت دودة القز، والعناية بها، قد وصلت إلى شبه الجزيرة في القرن الثامن غالباً، ووصلت إلى عالم البحر الأبيض المتوسط من الصين عن طريق الفرس والبيزنطيين. ويمكن تحديد مناطق تربية دود الحرير في البحر الأبيض المتوسط شمال خط العرض °04 وأدنى من ذلك بصورة تقريبية أي جنوب نابولي ومدريد وإستانبول وخاصة في المناطق الجبلية، بما فيها سييرا ونيفادا في الأندلس حيث تنمو شجرة التوت[17].

وكان من الضروري توفر ثلاثة عوامل من أجل نجاح صناعة الحرير. أولاً، أشجار التوت من أجل غذاء اليرقات؛ ثانياً، المهارة التقنية الإنسانية من أجل معامل الحرير؛ وثالثاً، توافر عدد كاف من العمال للحفاظ على مستويات مقبولة من الإنتاج. وقد حَدّت هذه المتطلبات من صناعة الحرير

(15) Bakri, Masalik, p. 88; 'Udhri, "Nusus," p. 96; Idrisi, Opus geographicum. V, Naples-Rome, 1975, p. 553; Shaqundī, in Maqqarī, Analectes, 11, p. 146; Yaqut, Mu'jam, I, p. 773.

(16) Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano, M. Moresco, Rome, 1935, I, p. 56, 105.

من أجل نقاش حول مقتضب تجارة الزعفران في العصر الوسيط المتاخر في أوروبا انظر:

L. Bardenhewer, Der Safranhandel im Mitelalter. Bonn, 1914.

(17) Lombard, Textiles, p. 79; ربما نمت بعض أشجار التوت ويرقات الحرير شمالاً ولكنها لم تؤد إلى أكثر من ذلك.

جغرافياً وجعلتها عرضة للتأثر بالمناخ والتبدلات السكانية ولكنها ازدهرت في الأندلس خلال معظم الأدوار الإسلامية. وقد سبق وأنتج الحرير في شبه الجزيرة خلال القرنين الثامن والتاسع، إلا أن صناعته بلغت قمتها في عهد حكام دول الطوائف والمرابطين والموحدين[18]. وتابع الإدريسي أكثر من ثلاثة آلاف مزرعة لتربية دودة القز في الجبال حول جان Jaen في وسط القرن الحادي عشر، وقد ميّز الشقندي هذه الرقعة من المنطقة مسمياً إياها «جان الحرير» لأن كثيراً من الناس في الريف والمدينة قد استغرقوا في تجارة الحرير[19]. ونعلم معلومات أكثر حول صناعة الحرير في الماريا، حيث روى الإدريسي وجود ثمانمئة مشغل مكرس لإنتاج الحرير والمنسوجات المقصبة المزينة بالأقلام وأشكال أخرى[20]. وأطرى الزهري بسخاء على صناعة المنسوجات في هذه المدينة مُسجلاً: «لا شيء يخفى على هؤلاء الصناع المهرة.. في الماريا، فقد صنعوا كل نمط من المفروشات الأنيقة وصنعوا كل شيء على أكمل وجه. وجميع الناس هنا، رجالاً ونساء، يعملون بأيديهم؛ وأفضل مهنة مطروقة للنساء هي مهنة الغزل التي تؤدي إلى رفع أسعار الحرير، وأفضل مهنة يمارسها الرجال بكثرة هي الحياكة». وقد ردد المؤلفون المتأخرون هذا التقرير[21]. وإن العدد المرتفع المذكور من قبل الإدريسي يوحي بأنّ إنتاج الحرير كان بيتاً صناعياً على مستوى جني الحرير أو تصنيع

---

(18) E. Morral i Romeu and A. Segura i Mas, Seda en España: Leyenda, poder, y realidad. Barcelona, 1991, p. 62.

وانظر من أجل صناعة النسيج الأندلسية في:

Vallvè, "La industria en al-Andalus," Al-Qantara 1,1980, pp. 225-36.

(19) Idrisi, Opus, V, p. 568; Shaqundi, in Maqqari, Analectes, II, p. 146.

(20) Idrisi, Opus, V, p, 562.

(21) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya" ed. M. Hadj-Sadok, Bulletin des etudes orientales 21,1968, pp. 205-6. See also Yaqut, Mu'jam, IV, p. 517; and later citations in Ḥimyari, La Peninsule iberique au moyen age d'apres le "Kitāb ar-rawḍ al-mitar fi habar al-akhtar. ed. and trans. E. Lèvi-Provençal, Leiden, 1938, p. 184, and Maqqari, Analectes, I, p. 102.

النسيج[22]. واشتغل كثير من الناس فيه، حتى الأطفال كانوا مرغوبين بسبب صغر أناملهم لالتقاط أو فك الخيط الدقيق من شرنقة الحرير. وبما أن شجر التوت ينمو أفضل في المرتفعات العالية حيث يسد الثلج الممرات الجبلية خلال الشتاء، فإن تجارة الحرير كانت فصلية. وكان بعض إنتاج الحرير يأتي إلى موانئ المدن بين حزيران وأيلول، متصادفاً مع شحنات الصيف المجدولة[23]. وبهدف تنظيم التبادلات وتسهيلها كان التجار يتعاقدون سلفاً على الحرير كما يبدو ذلك في عينة عقد مقدم من القاضي الفهري من أجل سلفة على حرير مغزول[24].

وقد أشار المؤلفون العرب إلى عدد من أنواع الحرير الخام أو خيوط الحرير، بتدرجات تتعلق بالمواصفات الأصلية للحرير ومدى العناية التي عوملت بها الألياف الدقيقة. وكان من بين أشهر أصناف الحرير الخام التجارية المألوفة «ابريسم» ibresim (حرير خام صنف عالٍ)، حرير harir (خيوط الحرير الخام)، خزّ khazz (حرير خام أو مشقة حرير صنف أدنى)، لسين lasin (حرير فاسد)، التقاط iltiqāṭ (خيوط محاكة من حرير سيء، حرفياً التقاط أو نفاية). وكانت سمة النسيج المحاك تُمَيز بالأسماء مثل ديباج dibaj وسقلطون siqlatun و وشي washi وعتابي attabi[25].

إن محفوظات الجينيزا غنية بالوثائق التي تتحدث عن بيع الحرير الخام الأندلسي في مركز المتوسط وشرقه خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر.

---

(22) من أجل الحصول على ألياف الحرير، تغمر الشرانق في ماء مغلي وذلك لفك الخيوط الصغيرة ومن ثم يحل كل خيط بلطف لإنتاج الحرير من الصنف العالي وإذا كانت الشرنقة معطوبة أو أن الألياف متشابكة، فيجب غزل الخيوط المخربة مع بعضها، مما ينتج عنه خيوط من مواصفات متدنية.

(23) R. Ariè, La Espana musulmana. Barcelona, 1982, p. 250.

(24) Fihri, Wathaiq wa al-masail al-majmua min kutub al-fuqaha. Miguel Asin Institute, CSIC, Madrid, ms. II. fol. 18v.

(25) من أجل المزيد عن أنواع الحرير، ن. S.D. Goitein, A Mediterranean Society. Berkeley, 1967-88, IV, pp. 167-69.

وكان أحد التوجيهات التجارية قد أرسل من مصر إلى تونس في وسط القرن الحادي عشر يأمر أن يشتري المستقبل «حرير لسين lasin من إسماعيل الأندلسي أو لقاطاً أندلسياً رفيعاً». وقدّم عامل نهريا بن نسيم طلباً مماثلاً في سنة 1040 حين قال له شريك في أفريقيا أن يعتمد «جزءاً يشمل... [من بين الأشياء الأخرى] اثني عشر رطلاً، مطروحاً الثلث، من لقاط الحرير الأندلسي»[26]. وكانت الرسائل المتأخرة من 1060 ـ 1070، تذكر مراكب أندلسية، وتجاراً واصلين إلى الإسكندرية مع حرير قادم مباشرة من الأندلس من دون وساطة تاجر تونسي[27]. وقد استمرت هذه المسألة في القرن الثاني عشر عندما أؤتمن وكيل مصري على ذهب لأمر عاجل هو شراء حرير أندلسي (سنة 1110). وهناك رسالة أخرى، كتبت في سنة 1138، تتعلق بتجار مشرقيين وصلوا إلى الماريا محملين بـ «اللّك» والبخور وشجر الصباغ للمتاجرة بالحرير الأندلسي[28]. ونجد في النهاية تجاراً محليين مغتاظين من الأسعار وتوفر الحرير الأندلسي. وقد كتب تاجر جنيزي من الأندلس سنة 1119 شاكياً ما يأتي:

«بالنسبة للحرير، عندما وصل المركب الأندلسي، صارت جميع الأعمال في ركود؛ لا أحد يبيع ولا أحد يشتري وبعد ذلك ساموا كميات صغيرة بأسعار 21 ـ 22 (ديناراً) لكل عشرة (أرطال). وفيما بعد، وعندما لم يصل أي مركب، كان هناك طلب على الحرير، ولكن أصحابه أمسكوا به عن البيع... ولم يصل أي مركب من الغرب، ولا أخبار عن مراكب في الطريق؛ أضف إلى ذلك، أن الريح غير مؤاتية، فهي لا شرقية ولا غربية. وفي هذا اليوم دفع الناس 23 ديناراً لـ [عشرة أرطال من] الحرير الخشن، ولكن ما من أحد أراد البيع. الجميع ممتنعون عن البيع حتى ينجلي الموقف»[29].

(26) TS 12.389; Bodl b3.19.

(27) ENA NS 2.13; TS 10 J 16.17.

(28) Bodl d66.52; TS 12.285.

(29) TS 13 J 22.30؛ مترجمة بتعديل بسيط من Goitein, Mediterranean Society.I, P. 303.

ربما قورنت هذه الرسالة مع عدد من الوثائق المشابهة التي تخبرنا عن تقلبات سوق الحرير، والأسعار قليلة نسبياً. وبالمقارنة، هناك رسالة مصرية أخرى، ربما تعود لسنة 1060، تنص على أن عشرة أرطال من حرير «الخزّ الأندلسي khazz قد بيع بـ 6 - 25 ديناراً، في حين أن قائمة أسعار من سنة 1140 من الإسكندرية تسعر الخزّ بـ 9 - 36 ديناراً من أجل عشرة أرطال غالباً[30]. وقد عثر على الحرير الخام الأندلسي في أسواق البلاد المسيحية، كما تبين الفيرو Fuero لمدينة كيونكا Cuenca مثلاً، التي تذكر رسوماً تدفع على libra serici (المستوردة غالباً من الأندلس) [31]. وقد بينت وثائق من أوائل القرن الثالث عشر من مونبلييه Montpellier ضرائب أخرى على كل libra seda Yspenia يدخل إلى المدينة في حين أن عقداً جنوياً معاصراً (مؤرخاً في 1225) يشير إلى مئة وثمانين رطلاً ونصف رطل من الحرير الإسباني (sete de Yspania)[32].

وقد انتشرت الأقمشة ومواد الألبسة الأندلسية بعيداً في العالم الإسلامي منذ أوائل القرن التاسع، عندما نقل التجار الراذانيون Radhanite اليهود القماش المقصب الغربي إلى مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط[33]. وبعد قرن من الزمان مدح ابن حوقل «الأثواب الثمينة من الكتان والقطن والحرير» التي كانت متيسرة في قرطبة الأموية وذكر أن الحرائر الأندلسية قد أرسلت إلى مصر حتى إلى خراسان[34]. ونوه المقدسي، معاصره، أن كثيراً من معامل الحياكة المتخصصة والمدهشة هي في الأندلس، في حين أن الرازي (الذي كتب في الزمن نفسه تقريباً) ادعى أن زراكوزا قد أنتجت أقمشة

---

(30) ENA NS 2.13; TS 10 J 10.23.

(31) Hernandez, "Cortes de Toledo," p. 250.

(32) A. Germain, ed., Liber instrumentorum. Cartulaire des Guillems de Montpellier. Montpellier, 1884-6, p. 438; ASG, Cart. 16/11, fol. 23v.

(33) Ibn Khurradadhbih, Kitāb al-masalik wa al-mamalik. ed. M.J.de Goeje, BGA, 2nd edn, VI, Leiden, 1967, p. 153.

(34) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard. ed.J.H. Kramers, Leiden, 1938, pp. 110,113,114.

ثمينة بحيث نالت شهرتها العالم(35). وفي منتصف القرن التالي، أُرسل طلب تجاري من تونس إلى الأندلس في سنة 1050 (من بين الأشياء الأخرى) المطلوبة خمسون عباءة ورداء وعشرة أزواج من الجوارب و «غطاءان من قماش صوف البحر... مقابل حرير أخضر وأحمر»(36). وهناك قائمة مماثلة كتبت بعد نحو عشر سنين، تذكر شراء خمس وثمانين «عباءة أندلسية»(37). وبعد ذلك، وفي القرن نفسه سجل أن نحاساً في مصر كان يملك «ثوباً إسبانياً جديداً وثوباً إسبانياً [غير فضفاض] وخاماً وعشرة أثواب خام إسبانية وهي إما لاستعماله الشخصي أو للبيع(38). وذكرت رسالة أخرى من مصر، ومن الزمن نفسه تقريباً شراء أثواب من مالوركا(39). وقدم الإدريسي لائحة طويلة من الحرائر النفيسة والمقصبة المصدرة إلى الماريا في القرن

---

(35) Muqaddasi, Description de l'occident musulman. ed.C. Pellat, Paris, 1950, p. 48; Razi, "Description," p. 78.

حول المزيد عن الحرير المنسوج الأندلسي ن:

F. May, Silk Textiles of Spain. New York, 1957, pp. 1-55, and the text and bibliography in C. Partearroyo, "Almoravid and Almohad Textiles," Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. ed. J.D.Dodds, New York, 1992, pp. 105-13.

(36) ULC Or1080 J.77; also Goitein, Mediterranean Society, IV, pp. 18-2.

ظهر صوف البحر أحياناً في سجلات التجار ورسائلهم وكان من النوع الرفيع واللين الخيوط وينتج بواسطة رخويات بحرية. على الرغم من أن جغرافيّي العصور الوسطى قد كانوا محتارين في معرفة مصدره تماماً. وكان هناك خطأ يتعلق بالسمور وعجل البحر وفرائهما وكان بعضهم يصف الفراء على أنه يأتي من حيوان بحري مجهول فقد كتب الإصطخري مثلاً حول مخلوق بحري يظهر مرة في السنة من البحر قرب سانتارم Santarem وكان يفرك جسمه بالصخور تاركاً خلفه ذهباً خالصاً وحريراً يمكن حياكته بالثياب. ويضيف أن هذه الثياب كانت تصدر بكميات قليلة إذ إن إنتاجها كان تحت سيطرة الحاكم، وكان سعرها ينوف على ألف دينار. كما ذكر الإصطخري في الممالك والمسالك ص42. وقد ذكر الإنتاج الأندلسي من خلال ولي العهد المنصور الذي أرسل إحدى وعشرين قطعة من صوف الحرير كهدايا سياسية في أواخر القرن العاشر (Maqqari, Analecte,1,p. 271).

(37) TS 24.40.

(38) ENA 1822.46; trans. Goitein, Mediterranean Society, IV, p. 339 . استخدم جوتين التعبير إسبانيا ليقول أندلس.

(39) TS 13 J 19.1.

الثاني عشر، وروى الشقندي (كتب نحو 1199 ـ 1212) أن الحرير الموشى البلنسي صُدّر إلى جميع المناطق في المغرب[40]. ولعل الحرير الأندلسي قد توغل في أسواق الشرق البعيد في القرن الثاني عشر، فقد ادعى الزهري أن الهند استوردت «أثواباً كاملة من الحرير الموشى» من بلاد الأندلس[41]. ولتأكيد هذا الادعاء ذكرت رسالتان من جينيزا من الفترة الزمنية نفسها أنسجة صنعت على هيئة المنارة Manara (قرب إشبيلية). اتجر بها بين عدن والهند[42].

وقد شقت المصنوعات الأندلسية النسيجية طريقها إلى عالم المسيحيين من خلال التجارة ووسائط أخرى. وهناك أدلة على النسيج «الإسباني» (وهو أندلسي الصناعة غالباً، ذلك أن إسبانيا المسيحية لم تنتج المنسوجات الثمينة في هذه الفترة) الذي ظهر في أوروبا من خلال مصادر لاتينية خلال اوائل القرن التاسع عندما قدم لويس بيو Louis the Pious منسوجات ثمينة بما فيها غطاء سرير إسباني Stragulum hispaniuem إلى الكاهن «أبيبه سنت فندريل Abbey, St. Wandrille» نحو 823. وكان ابنه شارل بالد Charles Bald قد تلقى أنسجة متنوعة diversi generis pannis هدية من قرطبة في 865[43]. وبالمثل فقد ذُكرت أربعون قطعة من الألبسة الإسبانية المحاكة من خيوط الفضة Vela cum argento spanisca من بين الهبات الدينية للبابا جورج الرابع (827 ـ 844)، في حين أن عدداً من Vela de spanisco قد قُدِّمَ لكنائس مختلفة خلال عهد ليو الرابع (847 ـ 855)[44].

إن الأدلة على وجود المنسوجات الأندلسية في البلاد المسيحية نادرة

---

(40) Maqqari, Analectes, II, p. 149.

(41) Zuhri, "Kitab al-dja'rafiyya," p. 276.

(42) ULC Or1080 J 95; TS 24.66. ربما كان هذا الـ Fawat manari قماشاً مقلداً للأندلسي.

(43) Gesta sanctorum patrum Fontanellis coenobii XIII.4. eds. F. Lohier and J. Laporte, Rouen-Paris, 1936, p. 102. Annales Bertiniani. ed. G. Waitz, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover, 1883, p. 80.

(44) Liber pontificalis. II. ed. L. Duchesne, Paris, 1955, pp. 75,107,122,128.

في نصوص القرنين العاشر والحادي عشر. ولعل سبب ذلك أن الورشات الأندلسية في هذه الفترة كانت مكرسة لإنتاج الطراز tiraz الملكي ومنسوجات مهيأة للتصدير إلى دار الإسلام. ومع ذلك فإن قليلاً من المنسوجات الأندلسية قد ظهر في عقود من أمالفي Amalfi ونابولي مؤرخة في أول القرن الحادي عشر، كما عثر عليها في السجلات الإسبانية المسيحية من هذه الفترة، بما في ذلك أدلة على genabes mauriscos في وثائق من ليون Leon[45]. وفي نهاية هذا القرن، فإن سكان شمال شبه الجزيرة قد حازوا على الأنسجة الإسلامية من الأندلس ومن المعامل الشرقية، إذ إنّ أسواق الأندلس قدمت قنوات مناسبة للوصول إلى السلع من جميع أنحاء العالم الإسلامي. ومن ثم «فإن الورشات العظيمة الحقيقية لإنتاج الحرير مع الذهب» muy ricos pannos de seda labrados en oro الذي زُيّن وذَهَّب الـ: (سِد Cid) في آخر القرن الحادي عشر قد كان إنتاجاً أندلسياً، إلا أن buenos cendales d'Andria (Alexandria) الذي لبسه في احتفال التنصيب كان مستورداً من الشرق غالباً ووصل إلى قشتالة من خلال القنوات التجارية الأندلسية[46].

وبعكس هذه القلة أو الندرة في الدلائل المؤرخة في ما قبل القرن الحادي عشر، فإن المصادر المسيحية توثق تفجراً في الحاجة إلى

(45) وهناك ثوبان إسبانيان ظهرا في لائحة مواد تعود إلى دير (غالباً في أمالفي) في سنة 1019.

L.A. Muratori, Antiquitates italicae medii aevi sive dissertationes. Rome, 1741, p. 770.

وبعد سنتين ذكرا أيضاً في عقد من نابولي ed. B. Capasso, Monumenta ad neapolitani ducatus historiam pertinentia. Naples, 1881-92, II.1, p. 252, #402. من أجل أمثلة ليونية.

C. Sanchez-Albornoz, Estampas de la vida en Leon durante el siglo X. Madrid, 1934, p. 19; also "El precio de la vida en el reino de Astur-Leones hace mil años," Logos 3,1944,p. 232.

(46) Alfonso X, Primera crónica general de España. ed. R. Menéndez Pidal, Madrid, 1906, reprint, 1977, p. 616; Canter de mio Cid. ed R. Menendez Pidal, trans. W.S. Merwin, New York, 1975, pp. 180-1.

المنسوجات الأندلسية بعد 1100 تقريباً. ويعكس هذا الغنى في المعلومات تعاظم ثروة المعامل الأندلسية في عهد المرابطين والموحدين، وكذلك التوسع التجاري الأوروبي المعاصر والاستهلاك الجديد للسلع الفاخرة. وقد غصت الروايات الأدبية الفرنسية في هذه الفترة بالإشارات إلى الأنسجة الأندلسية الثمينة مثل: pailes d'Aumarie, cendals d'Aumarie, mantel d'Aumarie, soie d'Aumarie مع أنواع أخرى مثل drap du Mulce Siglatons d'Espagne[47]. وقد دُعمت هذه الإشارات الأدبية من خلال مصادر أخرى، مبينة أن المستهلكين أي الأفراد المسيحيين كانوا معتادين تماماً على المنسوجات الأندلسية. وفي سنة 1190 مثلاً، ذكر الرحالة الانجليزي روجيه هوفدن Roger of Hoveden، الـ pannos de serice من الماريا، وكان قد أرسل إلى كروان أراجون من باليريك، ذكر أنه مَرَّ في الماريا وهي مدينة «النبلاء والحرير الثمين المسمى sericum de Almaria»[48]. وهناك براهين حسية على وجود منسوجات الماريا في أوروبا

(47) من أجل الروايات الفرنسية التي تذكر منسوجات الأندلس أنظر:

Richard the Pilgrim, Chanson d'Antioche, composee au XIIe siecle par Richard le pelerin. ed. L. Sainte-Aulaire, Paris, 1862, "etoffes d'Almerie" p. 16; Aye d'Avignon. Chanson de Geste. late twelfth century eds. F. Guessard and P. Meyer, Paris, 1861, "paile vermeill d'amoravine" p. 7, "porpre d'Aumarie" p.29; Bertrand de Bar-sur-Aube fi. ca. 1220, Girart de Vienne. ed. W. van Emden, Paris, 1977. "tirez et pailes et soie d'Aumarie" p.113, "soie d'Aumarie" p. 200, "paile d'Aumarie" p. 207, "soie d'Amarie" p. 273; Lambert Li Tort, Romans d'Alixandre. ed. H. Michelant, Stuttgart, 1846. "siglatons d'Espagne... pales d'Aumarie" p. 4, "soie d'Aumarie" p.119, "pale de soie d'Aumarie" p. 532; Raoul. Chanson de Geste. eds. P. Meyer and A. Longnon, Paris, 1882. "mantel d'Aumarie" and "soie d'Aumarie" p. 277.

جمعت مراجع مشابهة من عدد من المخطوطات غير المنشورة من قبل:

F.X. Michel, Recherches sur le commerce, la fabrication et l'usage des étoffes de soie, d'or et d'argent, et autres tissus précieux en occident, principalement en France, pendant le moyen âge. Paris, 1852-4, I, pp. 232-3, 258, 285-6, 294-5.

(48) Roger of Hoveden, Chronica. ed.W. Stubbs, London, 1868-71, III, pp. 48,51.

يذكر ستبس Stubbs أن روجيه قد أخذ المرجع عن pannos de serico من عمل بندكت بيتر بوروج وأضاف الماريا.

في القرن الحادي عشر منذ أن ترافق رداء الكاهن في أثناء القداس مع توماس بيكيت Thomas Becket المحفوظ حالياً في كاندرال فرمو Fermo حاملاً كتابة عربية تدل على أنه قد حيك في الماريا في AH/1116 510 AD[49]. وقد بينت العقود العدلية الجنوية أن نسيج الأندلس كان متيسراً في أسواق إيطاليا. وكتب جيوفاني سكريبا عقداً من أجل شحنة من عشر قطع bolts ثياب «إسبانية» tela Yspania. في 1161. وهناك عقد تالٍ، كتب من قبل أوبرتو سكريبا في 1186، ذكر فيه ستة أثواب من قماش غرناطي Panni de Granada، أربعة خضر واثنان بُنيّان[50]. وهناك عقود أخرى من 1200 و1224 و1238 ذكرت cendates أو cendal وهي نوع رفيع من ثياب الحرير[51].

وبينما كانت مناطق أوروبية تكتشف بهجة المصنوعات الأندلسية، تابع المسيحيون الإسبان استيراد المنسوجات الثمينة والعادية من الجنوب المسلم خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد جمعت المكوس على طول نهر Ebro على عدد من المواد القادمة من الجنوب على ما يبدو، بما في ذلك alquiceles (برنس أو عباءة) أو قبعة للرأس[52]. وقد فرض الـ fuero لمدينة Mos سنة 1162 مكساً على «أثواب قادمة من بلاد العرب»[53]. وهناك المزيد من الأمثلة الأهلية، فقد ذكرت وصايا الموزاراب من القرن الثاني عشر في

---

(49) F. Gabrieli and U. Scerrato, eds. Gli arabi in Italia, Cultura contatti e tradizioni, Milan, 1979, facing p. 481.

Scerrato لم يتعاون مع Becket ولم يذكر كيف وصل النسيج إلى Fermo ولعل هذا الرداء وصل إلى Becket بين الهدايا الملكية pannos serico المذكورة في رسالة من سنة 1170 إلى المطران (رئيس الأساقفة) من الكاردينال ثيويودوين Cardinal Theodwin.

Recueil des historiens des Gaules et de France. xvi Paris, 1878, p. 445E.

(50) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 4, #812; Oberto Scriba de Mercato 1186. ed. M. Chaiudano, Genoa, 1940, p. 98, #263.

(51) ASG Cart.4, fol. 171r; Cart. 16/11, fol. 14v; Cart. 11,fols. 185r-186v.

(52) Gual Camarena, "Peaje," p. 167.

(53) Portugaliae monumenta historica: leges et consuetudines. Lisbon, 1856, I, p. 391.

طليطلة مواد ثياب أندلسية، ويظهر سعاة بلنسيون في قائمة الموجودات المنزلية من سراكوزا في وسط القرن الثاني عشر[54]. وفي سنة 1207 وضع كورت (بلاط) طليطلة تعرفة على الـ cendal المستورد من مورسيا Murcia[55] وبالإضافة إلى هذه المراجع الموثقة، توجد أمثلة على منسوجات باقية، عثر عليها في المقابر الملكية في دير سانتا ماريا لاريل دو لاس هلجاس في برجوس Santa Maria la Real de las Huelgas in Burgos وفي أماكن أخرى من إسبانيا المسيحية تشهد على انتشار المنسوجات المرابطية والموحدية والناصرية في شمالي شبه الجزيرة[56].

وقد شكلت مجموعة بُسط من الحرير والصوف أهمية أخرى للنسيج الأندلسي المُصَدَّر. وكما هي الحال بالنسبة للسيراميك - الفخار فإن هذه المواد كانت تنتج في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، وهي، لجمالها، وشعبيتها وتنوعها من خلال نمطها الاقليمي، أضيفت إلى التجارة الدولية. وقد أطرى ابن حوقل على البسط الصوفية المصنوعة في الأندلس في القرن العاشر، ويضم جدول إحصاء لسلع تعود لعبد الرحمن الثالث سجاداً حريرياً و «ثلاثين بساطاً bisat من الصوف الخالص؛ من مختلف الألوان والأشكال، وكان طول الواحد منها عشرين ذراعاً dhira'[57]. ولعل البُسط الأندلسية صدرت قبل التعليق الهجائي الذي ذكره المؤلف البغدادي الأزدي في القرن

---

(54) A. Gonzalez Palencia, Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII. Madrid, 1926-8,111,pp. 381, 391-2; J.M. Lacarra, Documentos para el estudio de la reconquista y repoblacion del Valle del Ebro. Zaragoza, 1946-52, p. 651, #280.

من المحتمل أن هذه المنسوجات كانت من Flemish وهو مركز بلنسي أكثر من بلنسيا.

(55) Hernandez, "Cortes de Toledo," p. 241.

(56) M. Gomez-Moreno, El Panteon real de las Huelgas de Burgos. Madrid, 1946; C. Herrero Carretero, Museo de telas medievales: Monasterio de Santa Maria la Real de Huelgas. Madrid, 1988; J. Dodds ed., Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. pp. 105-13,224-30,318-41.

(57) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 114; Maqqari, Analectes, I, p. 230.

التاسع ويسخر من نقص (البسط من الأندلس وقرطبة) وكان في أصفهان[58]. وفي القرن التالي، لاحظ «الورشات الممتازة لصنع البطانيات والبسط» الواقعة في تدمر Tudmir[59]. ويصل ذكر البسط الأندلسية إلى وثائق جينيزا لتؤكد الإطراء السخي للجغرافيين. ففي رسالة كتبت في سنة 1050 ذكرت سجاداً أندلسياً شحن من تونس إلى مصر، وطلباً تجارياً من الفترة نفسها (وتتضمن طلباً لأثواب وجوارب وعباءات من صوف البحر السابق ذكره) وهنا يطلب الآمر: «مدادتين رفيعتين، صناعة جديدة طول الواحدة أربعة وعشرون ذراعاً، وأربعة بسط بيضاء ممتازة، اثنين زرقاوين واثنين خضراوين واثنين حمر» يجب أن ترسل من الأندلس إلى... وهناك طلب مماثل أرسل من مصر سنة 1143، لإرسال «مَدَّة أندلسية... ومَدّة صغيرة، وبساط صلاة وقطعة مَدّ»[60]. وقد ذكر تصدير السجاد الأندلسي إلى مصر في القرن الحادي عشر من قبل المقريزي، الذي وصف البسط الأندلسية في البلاط الفاطمي في سنة 1124[61]. وقد نُقل السجاد الأندلسي إلى الشمال، إلى إسبانيا المسيحية كما تُبين وصية الموزاراب في آخر القرن الثاني عشر من طليطلة، حيث يرد ذكر السجاد الحريري والصوفي من بين أملاك المتوفى[62].

الأغذيـة

لقد اشتهر الأندلس بصادراته وإنتاجه للمواد الغذائية وبخاصة زيت

---

(58) Abu al-Mutahhar al-Azdi, Abulkasim ein bagdader Sittenbild. ed. A. Mez, Heidelberg, 1902, p. 36.

(59) 'Udhri, "Nusus," p. 9.

(60) See Goitein, حول الثلاثة ن، TS NS J 128; ULC Or1080 J 77; TS NS J 27. Mediterranean Society, IV, p. 126.
وقد صدرت الحصر والبسط وكذلك السجاد من الأندلس وطلبات تجارية أخرى أرسلت من فاس إلى الماريا في عام 1141 تطلب شحنة من الحصر من الأندلس. TS 13 J 21.12

(61) Maqrizi, Mawa'iz wa al-i'tibar bi-dhikr al-khitat wa al-athar. Bulaq, 1270/1853-4, 1, p. 474. مقطع مؤرخ في 518 AH/1124-25AD on p. 472.

(62) A. Gonzàlez Palencia, Los mozárabes de Toledo, III, pp. 449-50.

الزيتون والفواكه المجففة، ما جعل الرحالة ابن جبير الأندلسي في آخر القرن الثاني عشر يقول: «فيما يخص الأغذية، والفواكه، والأطايب الأخرى... كان الأندلس مفضلاً من بين جميع البلدان باستثناء الحجاز فقط»[63]. ولم يكن ابن جبير هو الوحيد المعجب، ذلك أن مصادر أخرى لاحظت أيضاً وفرة الزيتون وأشجار الفواكه الأندلسية.

كان زيت الزيتون الصادرة الرئيسية من شبه الجزيرة الإيبرية تحت حكم الرومان والمسلمين والمسيحيين ولا يزال يصدر في الوقت الحاضر. إن الأهمية الاقتصادية للمحصول وتطور زراعة الزيتون المكثفة في الأندلس، قد تبينت من خلال واقع أن اللغة القشتالية والبرتغالية خلاف اللغات الأوروبية الأخرى قد اشتقت كلمة زيت الزيتون aceite/azeite من اللغة العربية «زيت» في حين أن الفرنسية والإيطالية الكتلانية والانجليزية حتى الألمانية قد استخدمت اشتقاق اللاتينية oleum.

لقد كان الجغرافيون والمؤرخون العرب مجمعين على مدحهم زيت زيتون الأندلس، وبخاصة الزيت المصدر من إشبيلية، وكان المحصول في هذه المنطقة غزيراً حتى أن الرازي ادعى أنه «إذا لم تصدر إشبيلية زيت الزيتون، فسيكون هناك فائض يستحيل تخزينه وبالتالي سيتلف»[64]. وظل الإنتاج والتصدير عاليين خلال عهد الطوائف عندما وصف العذري المنطقة حول إشبيلية بأنها «مزروعة بشجر الزيتون القديم... وقد بوركت المدينة بإنتاجها، وشروطها الثابتة التي لا تشوبها شائبة. وقد صدر الزيت من خلال البلاد، بعيداً وبعيداً... وأرسل النوع الممتاز المعصور إلى معظم المناطق البعيدة، ونقل بحراً إلى الشرق»[65]. وفي الزمن نفسه تقريباً هناك رسالة كتبها تجار ذوو علاقة مع المؤسسة التجارية لابن حوقل تبين أيضاً بيوع الزيت

(63) Ibn Jubayr, The Travels of Ibn Jubair. trans. R.J.C. Broadhurst, London, 1952, p. 117.

(64) Razi, "Description," p. 93.

(65) ‘Udhri, "Nuṣuṣ," p. 95.

الغربي من الأندلس أو من أفريقيا في مصر[66]. وتدحض هذه الدلائل فكرة نقل الزيت الأندلسي إلى شرق المتوسط تدحضُ الفكرة التي يتمسك بها بعضهم من أن زيت الأندلس أتجر به في مراكش فقط، كأبعد مسافة في زمن الأمويين أو عهد الطوائف[67].

وقد ازدادت البراهين على انتشار تجارة الزيت في القرن الحادي عشر، عندما أكد الإدريسي أن «الناس في [إشبيلية] ميسورون، وأن معظم تجارتهم هي في زيت الزيتون، الذي صدر من هناك، إلى أبعد مكان في الشرق والغرب بحراً وبراً، وأن الزيت كله يأتي من [منطقة] شرف sharaf وشرف هذه تبعد أربعين ميلاً [عن إشبيلية]». وذكر الإدريسي أيضاً أن الإشبيليين التجار نقلوا الزيت إلى صالح على الشاطئ الغربي لمراكش لمقايضته بالحبوب[68]. وطبقاً لمعلومات الإدريسي، وصف الزهري إنتاجية شرف في آخر القرن الحادي عشر وثبّت في كتابه أن «بلاد الروم والمغرب وأفريقيا ومصر والإسكندرية» كانت من بين الأماكن التي تتلقى الزيت الإشبيلي ويضيف إنه من الممكن أن تكون كمية ضئيلة وصلت إلى اليمن[69]. وروى الشَقُندي (كتب بين 1199 ـ 1212) أيضاً أن إشبيلية قد صدرت زيتها إلى الإسكندرية، وقد أيدت هذه المعلومات رواية الميموني (توفي 1204) أن المراكب المحملة بالزيت قد أمخرت من الوادي الكبير في إشبيلية إلى البحر، ومن هناك ذهب مراراً إلى الإسكندرية»[70]. وقد تلقى مسيحيو إسبانيا الزيت الأندلسي، وتضم قوائم حركة المرور القشتالية بورتازجو Portazgo من أوكانا Ocana من أوائل القرن الثالث عشر حيث

(66) N. Stillman, "The Eleventh-Century Merchant House of Ibn ’Awkal, A Geniza Study," JESHO 16,1973, p. 66.

(67) See, for example, the maps provided by M. Lombard, The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p. 166.

(68) Idrisi, Opus, v,p, 541, and Opus, III, Naples-Rome, 1972, p. 239.

(69) Zuhri, "Kitāb al-dja’rafiyya," p. 218.

(70) Shaqundi, in Maqqari, Analectes, II, p. 143; Moses b. Maimon, Responsa. ed. J. Blau, Jerusalem, 1957-61, II, p. 576.

تذكر الضرائب «الزيت القادم من بلاد مراكش»[71].

وكما هي الحال بالنسبة إلى الزيتون الذي كان يحفظ من خلال عصره أو كبسه بالملح وينقل إلى مسافات بعيدة، كذلك فإن الفواكه قد أمكن حفظها بالتجفيف والتحلية والتعقيد. وكان التين أفضل فاكهة أندلسية معروفة للتصدير، وخاصة خلال عهد الناصريين، عندما وصف ابن بطوطة تين ملقا Malaga قال: «كان مجففاً بالشمس ومصفوفاً في سلال حمر» من أجل النقل[72]. وعلى الرغم من أن أشجار الحمضيات قد زرعت في شبه جزيرة إيبريا في العصور الوسطى، إلا أنها لم تصل إلى مستوى دولي كالمستوى الذي أحرزه برتقال بلنسيا اليوم[73]. وكما هي الحال بالنسبة للزيتون فقد كرر الجغرافيون ذكر فواكه الأندلس الممتازة وإنتاجها. ووصف ابن حوقل إشبيلية قال: «فيها كثير من الموجودات وبخاصة ثمارها، ونبيذها وتينها» كما صارت سراكوز فيما بعد «معروفة في أرجاء المعمورة الأربع» بـ «غناها بالثمار الممتازة»[74].

واستناداً إلى كلام أحد المهندسين الزراعيين، وهو أبو الخير الإشبيلي، فإن تين دونج كان يأتي إلى شبه الجزيرة من بيزنطا في القرن التاسع[75]. ولعل شبه الجزيرة قد أنتجت التين قبل ذلك، حيث أن جزءاً من رهبانية

(71) J.L. Martin, "Portazgos de Ocaña y Alarilla" AHDE 32,1962, p. 523.

(72) Ibn Battuta, The Travels of Ibn Battuta, A.D. 1325-1354. III, trans. H.A.R. Gibb, Cambridge, 1971, p. 547.

(73) شملت حمضيات العصور الوسطى اليوسفي والليمون بنوعيه والكباد والنارنج وحامض «إشبيلية» أو البرتقال ولكنها لم تصل إلى مرحلة التصدير للتجارة الدولية.

See A. Watson, Agricultural Innovation in the Early Islamic World. Cambridge, 1983, pp. 42-50.

(74) Ibn Ḥawqal, Kitab Surat al - ard, p. 115; Ibn Shabbat "Un fragmento de la obra de Ibn al-Shabbat s. XIII sobre al-Andalus" trans. E. de Santiago Simon, Cuadernos de historia del Islam 1973, p. 62.

(75) D. Wasserstein, "Byzantium and al-Andalus," Mediterranean Historical Journal 2,1987, p. 85.

كوربي Corbie الفرنسية مؤرخاً في 716، يذكر مئة رطل من التين إلى جانب صادرتين إيبريتين غالباً هما الجلد والكمون القرطبيان[76]. ومن المؤكد أن التين قد ازدهرت زراعته في زمن عبد الرحمن الثالث، الذي قيل إنه أمر بإرسال شحنة من ثلاثمئة قفيز qafiz من التين إلى شمال أفريقيا في سنة 636[77]. وفي القرن التالي ذكر فيرو Fuero سبولفيدا Sepulveda سنة 1076 ضريبة فرضت على Figos troxiere de tierre de moros (ضريبة على تين من بلاد مراكش)[78]. ومن ثم صارت معارفنا عن تجارة التين وتصديره أفضل منذ القرن الحادي عشر وما بعد، عندما جددت ملقا وإشبيلية إنتاجهما من التين. وقد ثمّن الإدريسي وغيره من المؤلفين تين ملقا، في حين أن السقطي، مراقب السوق في هذه المدينة في أوائل القرن الثالث عشر، وصف الصفقات التجارية من تين إشبيلية وقال إنه كان «من حجم كبير ولون أسود داكن»[79]. وفي الوقت نفسه، روى الشقندي أن تين ملقا كان «يباع بعيداً في بغداد كأي شيء ثمين ونادر»[80]. وناقش القاضي ابن سلمون فيما بعد تأجير مركب لنقل مئة بوش bushels (مكيال انجليزي للحبوب 36,35 لتراً) من التين من مدينة إشبيلية وسبتا، وكذلك المشكلات القانونية التي نشأت بعد أن عصفت به الريح إلى ميناء صالح .Sale وعلى الرغم من أن ابن

(76) L. Levillain, Examen critique des chartes merovingiennes et carolingiennes de l'abbaye de Corbie. من المحتمل أن التين كان ينمو في جنوب فرنسا. Paris, 1902, PP. 235 - 6.

(77) Ibn Ḥayyan, Muqtabas, v, eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subḥ, Madrid-Rabat, 1979, p. 389. "Notas de metrologia hispano-arabe, II: Medidas de capacidad," Al-Andalus,42,1977, pp. 89-94; "Notas de metrologia hispano-arabe, III: Pesos y monedas," Al-Qantara 5,1984, p. 167.

إذا كان J. Vallve مصيباً في تقديره أن قفيظ (64 - 54) qafiz رطل فقد كان هذا حمولة كبيرة.

(78) Los Fueros de Sepulveda. ed.E. Saez, Segovia, 1953, p. 138.

(79) Idrisi, Opus, v,p. 570; Saqati, Kitāb al-faqih al-ajall al-alim al-arif al-awhad, Un manuel hispanique de hisba. eds. G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Paris, 1931, p. 17.

(80) Maqqari, Analectes, II, p. 148.

سلمون كتب في القرن الرابع عشر، فإن هذه الحالة تؤرخ اعتباراً من مرحلة فتح إشبيلية من المسيحيين. وفي ضوء أهميته للقاضي المسلم، فإن التين يعود لتجار مسلمين ينقلون بين الأندلس والمغرب(81).

وقد أنتج الأندلس العنب والزبيب والنبيذ على الرغم من أن التصدير الدّولي لهذه المواد لم يُوثق جيداً قبل القرن الثالث عشر. ونظراً لتحريم شرب الكحول في الإسلام، فإن ندرة الدلائل على التصدير أو الاستهلاك العلني للنبيذ الأندلسي غير مفاجئة، على الرغم من أن وجوده غير واضح أيضاً. وخلال القرن الحادي عشر، كتب صموئيل بن نغريلا وهو الشاعر والسياسي اليهودي مادحاً الخمر: «أحمر ظاهره لذيذٌ طعمه، خمر إسبانيا في الشرق ذاعت شهرته» مما يدل على أن نبيذ ملقا وجرز Jerez وغيرهما من مناطق الأندلس كان مفضلاً حتى في هذه الفترة، من قبل غير المسلمين على الأقل(82). ولربما كان استهلاك النبيذ مقيداً في إسبانيا المسلمة أكثر من الشرق حسب جوتين(83). وقد كرر القضاة والمحتسبون مراراً تحريم شرب الكحول على الرغم من أن عددهم يوحي أن أحكام المنع قد نُقضت، ولعل القيود زادت تحت حكم المرابطين والموحدين. وفي القرن الحادي عشر، حذر ابن عبدون وبصورة خاصة أنه يجب عدم السماح للبحارة أن يشتروا النبيذ من التجار المسيحيين في ميناء إشبيلية وإذا وصل ذلك إلى أسماع «الأمين» عليه أن يؤدب البحّارة(84). وإذا كان النبيذ سلعة تجارية دولية فقد قُدم الشراب للبحارة

(81) Ibn Salmun, Kitāb al-aqd al-munazzam bi al-hukkam. Escorial, ms. 1077, fol. 120r.

(82) The Jewish Poets of Spain. trans. D. Goldstein, London, 1965, p. 47.

حول صناعة اليهود للخمر في الأندلس، ن،

N. Roth, "Some aspects of Muslim-Jewish Relations in Spain," Estudios en homenaje a D. Claudio Sanchez-Albornoz. Buenos Aires, 1983, II, pp. 206-12.

(83) Goitein, Mediterranean Society, I,p. 122.

(84) Ibn 'Abdun, Risala, in Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge: Trois traités hispaniques de hisba. ed. E. Lévi-Provençal, Cairo, 1955, p. 57.

وغيرهم على ظهر المراكب غالباً. ومن المؤكد أن عدة أعمال للشعراء تصف مجالس الشراب، منهم ابن سفر من الماريا الذي كان معاصراً لابن عبدون تقريباً يصف شنشنة (الكؤوس) في حفلات الشرب على ظهر المراكب[85].

الفلزات والمعادن

كانت شبه جزيرة إيبريا غنية بالفلزات وقد ذكر الجغرافيون مراراً توافر الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والزئبق والزنك ومواد أخرى في أرض الأندلس[86].

ولم تكن هذه المواد متوافرة كفاية ليسمح بالتصدير، على الرغم من أن عدداً من المواد والمعادن الأندلسية وبخاصة النحاس والزئبق والقصدير والرخام قد وجدت طريقها إلى مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. واستناداً لكلام المؤلف المشرقي أبي الفضل الدمشقي فقد كانت أفضل أنواع النحاس «تلك التي استخرجت من الأندلس بسبب قابليتها للمعالجة»[87]. وقد أظهرت وثائق الجينيزا أنواعاً كثيرة من النحاس المُصَدَّر من الأندلس بما في ذلك النحاس الملمع الصقيل والمطروق والمسبوك والمسحوق والمرن[88]. ولعل هذه الأنواع الأخيرة هي التي ذكرتها إحدى الرسائل على أنها أرسلت من الماريا إلى فاس في أوائل القرن الحادي

(85) Ibn Said al-Gharnati, Rayat al-mubarrizin wa ghayab al-mumayyizin. ed. A.M. al-Qadi, Cairo, 1393/1973, p. 107. Also on wine, see L. Bolens, "La viticulture d'apres les traites d'agronomie andalous XIe-XIIe siecles," L'Andalousie du quotidien au sacre, XIe-XIIIe siecles. Aldershot, 1991, article V, pp. 1-7.

(86) من بين الجغرافيين الذين ذكروا معادن الأندلس Razi, "Description," p. 62; Hudud al-alam, p. 154; and Ibn Ḥawqal, Kitâb surat al-ard, p. 114.

(87) Dimashqi, Kitāb al-ashara ila mahasin al - tijara. Cairo, 1318/1900, p. 28.

(88) S.D. Goitein, "Judeo-Arabic Letters from Spain, early 12th century," Orientalia Hispanica; Studies in Honor of F.M. Pareja. Leiden, 1974, p. 349. الترجمة لجوتين.

وتأتي الإشارة إلى النحاس «المرن» من: TS 12.435. J. Vallve قد اقترح أن بعض الأدلة على النحاس تعني البرونز "La industria en al-Andalus," p. 216.

عشر والتي أثارت اهتمام الدمشقي. وأشار كتّاب آخرون لرسائل الجينيزا ومن الفترة نفسها إلى النحاس حيث ذكرت واحدة منها شحنة أرسلت من الماريا إلى تلمسان نحو 1140، وفي كتاب آخر من الإسكندرية إلى القاهرة القديمة في سنة 1140 يقول: «أريد أن أعرف سعر سبائك النحاس الأندلسي، لأنه لديَّ بعضها، فإذا كان لها سوق، فأرغب بإرسالها»[89]. وكان بعض النحاس الأندلسي على شكل مادة خام في حين كان بعضه الآخر مشغولاً. وقد ثمن الإدريسي، خاصة، الآلات والأدوات النحاسية المصنوعة في الماريا، وقد صدق رأيه من خلال كثرة الأدلة في رسائل الجينيزا على الأواني النحاسية الأندلسية[90]. وقد ذكرت قوائم جهاز العروس مثلاً بعض المصابيح الأندلسية وطسوت نحاسية أندلسية من بين ممتلكات العروس الجديدة[91]. وقد نُقل النحاس الأندلسي إلى شمال إسبانيا المسيحي أيضاً، وذكرت قوائم التعرفة في إيبرو Ebro في القرن الثاني عشر رسوماً مفروضة على شحنات النحاس القادمة من مناطق ريوتينو Riotinto والجسترل Aljustrel، الباقية تحت سيطرة المسلمين[92].

وبعد النحاس فإن الزئبق ومشتقاته أي كبريت الزئبق (زِنْجَفرِ، سلقون) كان أكثر المواد المعدنية الأندلسية المصدرة. وبين الاستخدامات الأخرى كان الزئبق مهماً لتنقية الذهب في حين أن كبريت الزئبق ينتج اللون القرمزي وخضاب صبغ يستعمل في الأصبغة والحبر والتلوين. وإن الإشارات أو الأدلة على تصدير الزئبق الأندلسي هي أقدم من تلك الأدلة على تصدير النحاس وهذا وفق وصف المسعودي للزئبق الأندلسي الذي «صُدر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي» في وسط القرن الثاني عشر[93]. وكان أحد

---

(89) Bodl d74.41; TS Arabic Box 40.113.

(90) Idrisi, Opus, v, p. 562.

(91) TSJ 1.29; Firkovitch II, 1700.

(92) Gual Camarena, "Peaje," p. 182.

(93) Mas'udi, Muruj, p. 367.

المناجم الأندلسية شمال قرطبة في مكان Almaden (وهي من العربية المعدن) بمعنى المنجم أو مكان التعدين مشهوراً بزئبقه وكبريتات الزئبق، وكانت فتحة المنجم تزيد على مئة وخمسين قامة qama، طبقاً للإدريسي، حيث اشتغل بذلك ألف عامل منجم. وكان إنتاج هذا المنجم يصدر إلى «جميع أنحاء العالم»[94]. ولعل الإدريسي قد بالغ بهذه الأرقام، ولكن أهمية المعدن Almaden في هذه الفترة قد برز من خلال سيطرة المسيحيين عليه واستثماره ومن استعادته من قبل الموحدين، حتى القرن الثاني[95]. وقد ذكرت وثائق جينيزا الزئبق وكبريتاته من بين الصادرات الأندلسية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. ومن خلال مثال واحد، فإن سجلاً قصيراً من دينيا نحو سنة 1083، يصف تسوية خلاف كبريت الزئبق المرسل من الأندلس إلى أفريقيا بفضل أحد الوكلاء. وبعد قرن من الزمان، وفي مكان بعيد وجدت لائحة أسعار من عدن عرضت أسعار الزئبق وكبريته إلى جانب أسعار سلع أندلسية أخرى[96].

«وربما» كما كتب تاجر من مصر إلى صقلية في وسط القرن الحادي عشر: «كان يمكنك شراء بعض القصدير لي» حيث أن القصدير كان من

---

(94) Idrisi, Opus, v, p. 581.

كان الإدريسي يشير إلى الطول وليس العمق وذكرت مناجم تعدينية أخرى لتصدير الزئبق والكبريت الزئبقي من قبل الدمشقي في كتاب الإشارة...

Dimahqi, Kitāb al-'ashara, p. 29; Ibn Ghalib, "Nass andalusi jadid qatia min kitāb farha al-anfus li-Ibn Ghalib" ed. L. 'Abd al-Badi, Majalla ma'had al-makhtutat al-'arabiya 1,1955,p. 289; Zuhri, "Kitāb al-dj'arafiyya," p. 220; and Yaqut, Mu'jam, I, p. 733.

(95) J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, p. 299.

(96) TS 12.570; Mosseri L12.

في هذه الرسالة اللائحة المؤرخة في سنة 1198 لم يحدد إذا كان الزئبق وكبريت الزئبق أندلسيين بل ذكرا بعد سلع من مدريد وشلوذ shalwadh

S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. Princeton, 1973, p. 215, notes 14-17.

الصادرات الأندلسية الأخرى، ومن المحتمل أن هذا الطلب يدل على إنتاج إسبانيا المسلمة، وبصورة خاصة منذ أن حدد الكاتب أن المواد المشتراة من تاجر أندلسي، واستمر مع تعليمات لشراء الحرير الأندلسي[97]. وقد ربط جوتين إشارة إلى القصدير في حسابات نهريا بن نسيم من سنة 1060 مع حركة نقل القصدير الأندلسي إلى مصر[98].

وهناك مواد معدنية أخرى بما فيها الزنك والكبريتات وحجر الكحل قد صُدّرت من الأندلس ولكن على نطاق ضيق لا يمكن تقويمها بسبب قلة المراجع. وقد اتجه الجغرافيون إلى تسجيل المواد التي تذكر في قوائم كبيرة من إنتاج الأندلس، على الرغم من أن الزهري قد أضاف الكبريتات/ السلفات الحمر التي استخرجت قرب مورسيا Murcia، وصدرت بعيداً إلى العراق واليمن وسورية والهند[99]. ويكون حجر الكحل على شكلين: كحل (Kohl) وإثمُدْ (ithmid) وكان الأول أكثر صلاحية للتجارة. وقد استعمل الاثنان كمادة تجميلية للوجه والشعر ولأغراض طبية وكذلك لتركيب مواد كيميائية أخرى[100]. وكتب البكري أن الكحل نقل من ترتوزا/ أو طرطوشة Tortosa إلى «جميع البلاد» في القرن الحادي عشر، في حين أن الزهري كتب متأخراً عن تصديره من قرطاجنة إلى المشرق ونقل الإثمد من منطقة غرناطة إلى شمال أفريقيا[101]. وبعد قليل من تقرير الزهري ذكرت لائحة أسعار من آخر القرن الحادي عشر من عدن البعيدة كحولاً قادمة من قرية أندلسية تدعى شلوذا shalwadh وبيع بـ «17 [ديناراً] للكيس أو (غراره)»[102]. وقبل ذلك بقليل أي في نحو سنة 1137، كتب تاجر في الأندلس يخبر زوجته أنه أرسل

(97) TS 12.389.

(98) TS Arabic Box 30.215; Goitein, Letters, pp. 290-5.

(99) Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," pp. 208,276.

(100) L. Bolens, "Henné et Kohl: Le corps peint du rituel nuptial chez les hispano-arabes du moyen âge," Razo 7,1987, pp. 63-79.

(101) Bakri, Masalik, pp. 129-30; Zuhri, "Kitāb al-dja'rafiyya," p. 211.

«ست سلال من الكحل» إليها. وكان بعضها لاستعمالها الخاص، إلا أن الكمية توحي بهدف تجاري[103].

وقد أتجر بالرخام الأندلسي خارجاً، وكان المقري أحد الذين سجلوا مواصفاته وإعجابه، فكان مرغوباً في المشرق[104] إذ كانت له ألوان مميزة ومواصفات تتعلق بمقلعه، وتطور تجارته دولياً في الحجم وثقل المادة، وقد عُرفت الماريا برخامها الأبيض وكذلك بطراز قطعها له، وقد عثر على أربعة تماثيل في غرب أفريقيا في قرية جاو Gao ونسبت إلى ورشات نحت الماريا. وتؤرخ جميعها في العقود الأولى من القرن الحادي عشر عندما حكم المرابطون شبه جزيرة إيبريا وشمال أفريقيا، وكانت جاو محطة مهمة على طريق الذهب الذي يبدأ في السودان. وإذا كان الرخام قد نقل إلى الجنوب من أجل التجارة، بصورة أكثر من الفترة التي كان فيها النقل التجاري سهلاً من خلال حكم توسعي لسلالة واحدة. فلعله صار مادة تبادلية للذهب[105].

وكان المرجان الملتقط من شواطئ المغرب والأندلس مصدراً للثروة في غرب المتوسط، على الرغم من أن بعض الموانئ بدت مبالغة في تجارتها. وقد ذكر الخُرداذبَهْ المرجان من بين البضائع التي نقلت إلى المشرق

---

(102) Mosseri L12. See also Goitein, Letters, pp. 212-16.

يؤكد ياقوت أن shalwadh قد أنتجت الكحل. Mu'jam, 111, p. 316 .

(103) TS 13 J 27.17. ترجم جوتين الكحل بـ collyrium انظر:

"S.D. Goitein Glimpses from the Cairo Geniza on Naval Warfare," Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida. Rome, 1956, I, pp. 404-5.

(104) Maqqari, Nafh al-tib min ghusn al-Andalus al-ratib. Cairo, 1949, I, pp. 187-8.

(105) حول أنصبة جاو انظر: see J. Sauvaget, "Les épitaphes royales de Gao," Al-Andalus 14,1949, pp. 123-41; M. Vire, "Notes sur trois épitaphes royales de Gao," Bulletin de l'Institut français d'Afrique du Nord 20,1958, pp. 368-76; R. Mauny, "Decouverte a Gao," pp. 514-6.

وحول نمط الماريا: L.Torres Balbás, "Cementerios hispanomuslmanes," Al-Andalus 22,1957, pp. 180-1.

من قبل التجار الراذانيين. وروى البكري (كتب في سنة 1060) إن المرجان كان «يستخرج من البحر حول الأندلس» ومن المدهش أنه «التقط قنطار تقريباً [أي نحو 8.000 رطل] في أقل من شهر من منطقة الماريا [وحدها]». وهناك معلومات غير مقنعة من أواخر القرن الثاني عشر في كتاب «الاستبصار» تقول إن المرجان «بيع بسعر مرتفع في الهند والصين»، ولعل الصحيح هو أن إنتاج البلدين كان منافساً لإنتاج الأندلس من الأنواع المحلية(106).

الفخاريات

إن المراجع عن تجارة الفخاريات متوافرة من خلال النماذج الفخارية الموجودة ومن الوثائق الكتابية، على الرغم من ذلك فالأمر ليس سهلاً دائماً(107). فالإدريسي على سبيل المثال، يروى أن مناطق كلاتايود Calatayud صنعت الأواني الفخارية المُذهبة التي «صدرت إلى جميع المناطق» كما أنّ وثيقتين من وسط القرن الحادي عشر تصفان عقوداً لبيع فخاريات مذهبة. وتوحي هذه التقارير أن صناع الفخار المسلمين في شبه الجزيرة، كانوا ينتجون بعض الأنماط البهيجة والجميلة خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر ولكن لم يبق أي نموذج الآن. وقد أطلق هذا النقص شرارة شر عنيف حول المواقع والتأريخ للإنتاج الأندلسي من الأواني الفاخرة(108).

---

(106) Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik, p. 92; Bakri, Masalik, p. 129; E. Fagnan ed., Kitāb al-istibsar, Constantine, 1900, p. 29.

(107) G. Rossello Bordoy قدم روسيللو بوردوي تحليلاً مختصراً ومراجع حديثة عن فخاريات الأندلس:

"The Ceramics of al-Andalus," in Al-Andalus: The Art of Islamic Spain. ed. J. Dodds, pp. 97-103. See also J. Zozaya's overview of Andalusi ceramic types in "Aperçu général sur la céramique éspagnole," in La céramique médiévale en Méditerranée occidentale. Paris, 1980, pp. 265-96; M. Gonzalez Marti, Céramica del levante espanol, siglos medievales. Barcelona, 1944; and F.C. Lister and R.H. Lister, Andalusian Ceramics in Spain and New Spain. Tucson, 1987.

(108) Idrisi, Opus, v, p. 554; the term in question is al-ghaddarr al-mudhahhab. R. =

وفي سياق آخر، فإن الملقيات الأثرية وانتشار الخزف، يضيفان معلومات مفصلة ومدعمةً صورة الوثائق المنوعة لتجارة خزف الأندلس. وقد عثر على ثلاثة مراكب عربية غارقة في شاطئ البرفانس، حيث قدمت كسراً خزفية من أنماط مشابهة لخزف الأندلس في القرن العاشر[109]. وكذلك فإن الخزف المزجج كان نمطاً مميزاً في القرن الحادي عشر في دولة الطوائف في دينيا Denia، وتم تحصيل كميات من شرق إسبانيا توحي بدورها بتوزيع

= Dozy and M.J. de Goije translate ghaddar as "poterie" Idrisi, Description de l'Afrique et de l'Espagne. Leiden, 1866, p. 354. See also Goitein, Mediterranean Society, I, p. 111.

إن التعبير المقصود هنا هو الغضار al-ghaddarr المذهب التي ترجمها دوزي وبـ فخار أو خزف، ويدلّ في الواقع على خزف من نوع رفيع. إن تهجئة وترجمة مُذّهب، قد أثارت النقاش فهو يعني بالانجليزية gilded وُشي بالذهب أو يعني مجرد مبني للمجهول «مذهب» من ذهب انظر:

see Ibn al-Khatib, "El 'Parangon entre Malaga y Salé de Ibn al-Khatib' trans. E. Garcia Gómez, Al-Andalus 2,1934, p. 187. A. Lane "is doubtful whether El-Edrisi's statement should be trusted" "Hispano-Moresque Pottery: A Reconsidereration," Burlington Magazine 88,1946, p. 246.

مراجع الوثائق هي: ابن مغيث المغني في علم الشروط:

Real Academia de la Historia, Madrid, Gayangos, ms. 44, 36ff.

(لم أتمكن من فحص هذا المرجع كمخطوط).

Fihri, Wathaiq wa al-masa'il. Miguel Asin Institute, CSIC. Madrid, ms. II, fol. 24r.

إن ذكر الخزف المذهب من قبل هؤلاء المؤلفين قد لوحظ من قبل:

M. Gomez Moreno, "La loza dorada primitiva de Málaga," Al-Andalus 5,1940, p. 385.

ثم كُررت المعلومة من قبل Gomez Moreno كلمة فكلمة من قبل مؤرخي الفن المتأخرين انظر مثلاً:

A.W. Frothingham, Lustreware of Spain. New York, 1951, p. 12; L.M. Llubia Munne, Ceramica medieval española. Barcelona, 1967, p. 56; M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics" Ph.D. Dissertation, New York University, 1978, p. 185.

(109) G. Vindry, "Prèsentation de l'èpave arabe de Batèguier. Baie de Cannes, Provence orientale," La cèramique mèdièvale en Mèditerranèe occidentale. Paris, 1980, p. 225.

تجاري[110]. كما عثر على كسر خزفية أندلسية ضئيلة في أماكن أبعد أي في حفائر في القاهرة، تعود للعصر الفاطمي، كما عثر على كسر قرطبية من القرن الثاني عشر لخزف مطلي بالمينا، في منطقة جاو في غرب أفريقيا[111]. وترينا أدلة من إيطاليا جراراً فخارية وآنية طاولة تؤرخ في القرن الثاني عشر حتى القرن الثالث عشر، وكانت استوردت على نطاق مهم[112].

إن معظم أمثلة الأشياء والأدوات الملفتة للنظر والمنتشرة في العصور الوسطى، تأتي من پيزا ومدن إيطالية اخرى، حيث استعملت قطعاً صغيرة فخارية مزججة أو صحوناً كاملة، في العمارة أو الزينة بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر، وقد دعي هذا الخزف بصورة عامة بتشيني bacini الذي يعطي انطباعاً كأنه جوهرة من خلال انعكاس ألوانه الفنية، عندما يثبت في الجدران الخارجية للكنائس أو الأبنية الأخرى. وقد أمكن إحصاء 1700 بتشيني من الخزف على أبنية في شمال إيطاليا من أصول مصرية ومن شمال أفريقية وصقيلية وإيطاليا وبيزنطا وإسبانيا. وقد أجاز لنا الخزف وطراز العمارة في پيزا خاصة، بتحديد تأريخ لقطع بتشيني إفرادية. وقدمت تحاليل علمية جديدة لهذه المواد المهمة معلومات وافرة عن حركة الخزف وانتقاله بين إيطاليا ومناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط[113].

---

(110) J.A. Gisbert, "La ciudad de Denia y la produccion de ceramicas vidriadas con decoracion estampillada," Sharq al-Andalus 2,1985, pp. 161,166.

(111) A. Lane, Early Islamic Pottery. London, 1947, pp. 20-1; R. Mauny, "Decouverte a Gao d'un fragment de poterie emaillee du moyen age musulman," Hespèris, 39,1952, pp. 514-16.

(112) D. Whitethouse, "Medieval pottery in Italy: The present state of research," La cèramique medièvale en Mèditerranèe occidentale, p. 72. See also I. Cabona et al., "Contributi dell'archeologia medievale ligure alle conoscenze dei prodotti ceramici nel Mediterraneo occidentale," La ceramique medievale en Mèditèrranee occidentale, pp. 117-18.

(113) يوجد في پيزا ثمانية وثمانين بناء أو أبنية مزينة بالبتشيني انظر:

= See H. Blake, "The Bacini of North Italy," La céramique medievale en

وهناك قرابة عشر كنائس، بنيت بين 1063 و 1175 تتضمن قطع بتشيني من أصل أندلسي كما يُظن، كما أن أبنية متأخرة ضمت عدداً كبيراً من الخزف الإسباني. وإن كثيراً من البتشيني مزين ومزجج وفق تقنية أندلسية مميزة تدعى cuerda seca وتؤلف تصميمات مستخدمة قطعاً مزججة تثبت بفضل خطوط غير مزججة. وعلى الرغم من أن مؤرخي الفن يختلفون حول المنشأ الأصلي لهذه الأنماط الخزفية، وبصورة خاصة، الحالات التي يتم فيها تبني بعض الأنماط من منطقة أو أخرى، إلا أن التحاليل المعدنية أثبتت أن بعض البتشيني كان قد صُنع من صلصال إيبري مستخرج من منطقة ملقا غالباً[114]. ونظراً لذكر الجغرافيين الخزف المزين أو المذهب: الملقي، ولأن كسراً مزينة عثر عليها في ملقا نفسها، فمن المؤكد أن هذه المدينة كانت دعامة في تجارة الخزفيات المزخرفة في القرن الثاني عشر، وكان بعضها قد وجد طريقه إلى مدينة پيزا في إيطاليا[115].

Méditerranée occidentale, p. 93.

ومقالات أخرى حول البيتشيني في المجموعة ذاتها حيث كرس عالمان ج.برتي ول.تونجيورجي لدراسة بتشيني لـ بيزا ووصلا إلى دراسة واسعة ومحددة عن الصحون. وقد جمعت دراستهما في كتابهما G. Berti, L. Tongiorgi.

I bacini ceramici medievali delle chiese di Pisa. Rome, 1981,

وكذلك عدد من كتابات الأسماء بحروفها الأولى والمقالات، وانظر من بينها:

Ceramiche importate dalla Spagna nell'area pisana dal XII al XV secolo. Florence, 1985, and Arte islamica in Italia: i bacini delle chiese pisane. Rome, 1983.

إن أهمية البيتشيني في تجارة البحر الأبيض المتوسط قد درست من قبل:

D. Abulafia, "The Pisan Bacini and the Medieval Mediterranean Economy: A Historian's Viewpoint," Papers in Italian Archeology 5,1985, pp. 287-302.

(114) Cabona, "Contributi," p. 120.

(115) اقترحت هذه النظرية من قبل: Gomez Moreno in 1940 "La loza dorada," p. 394.

ورغم النقاشات فقد قام علماء بنقد النتائج التي توصل إليها Gomez Moreno وهناك بعض البراهين التي تدعم النظرية العامة بتصدير ملقا. انظر أيضاً:

Lane "Early Hispano-Moresque Pottery," p. 249; Frothingham, Lustreware, p. 11; M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics," pp. 178-9; D. Whitehouse, "La =

الجلد والورق

إن شهرة إيبريا العالية في الصناعات الجلدية قد توطدت منذ القرن الثامن واستمرّت حتى العصر الحديث وقد اشتهر جلد قرطبة بصفة الليونة، ما جعله مثالياً لصناعة الأحذية والكراسي والحقائب وأطقم الفرس، الخ. وقد صنعت الجلود من جلد الماعز عادة، وتصنع باللون الأحمر (بعد معالجتها بالشب والقرمز)، ومن ثم يقطع ويصنع ويزين بالذهب أحياناً مع أشكال على وجهه. وعلى الرغم من التحذيرات الواردة في الفصل السابق والمتعلقة بالتسميات والأصول الصحيحة للجلد القرطبي Cordoban، فمن الواضح أن كميات كبيرة من الجلد قد أنتجت وصدرت من شبه الجزيرة. من جهة أخرى، ومع انتشار الجلد القرطبي في أوروبا، فليس هناك برهان على توزيعه داخل دار الإسلام[116].

إن مسألة مركزية التوزيع في أوروبا أقل صحة بالنسبة لأنماط أخرى من الجلد المصنع ومثل Guadameci الذي ذكر مراراً في المصادر الغربية. من جهة أخرى، كان هذا الجلد مشابهاً للقرطبي، بحيث اختلط الاثنان غالباً، ولكن اسمه بقي ثابتاً. وعلى الرغم من أن اسمه مشتق من اسم المدينة المغربية غدم Ghadames، فقد كان ينسب إلى الأندلس إلى جانب شمال أفريقيا. وخلافاً للقرطبي فإنه يصنع من جلد البقر ويذهّب ويلون مما يجعله مناسباً لأغراض الزينة[117]. ويبدو محتملاً أن رأي ابن سهل المتعلق بشراء

= collezione pisana e la produzioni ceramiche dei paesi circummediterranei nei secoli XI-XV," Bollettino storico pisano. Collana storica, 25,Pisa, 1983, p. 34.

(116) لعل القرطبي صدر إلى العالم الإسلامي ولكن ليس بهذا الأسم على الرغم من أن الجغرافيين لم يذكروا جلداً مصنعاً بين الصادرات الأندلسية. وتتضمن رسالة من جنيزا من سنة 1050 (ULC Or 1080 J 77) أمراً تجارياً لبضائع أندلسية بما فيها شيء يدعى قرطبي Qurtubi وقد فسر جوتين (Mediterranean Society, IV, P. 169) هذا كنمط من نسيج الحرير حيث أن المواد التي تسبقه هي مصنوعات، ومن جهة أخرى، ربما أن المواد التالية هي أحذية فمن الممكن أن ذكر قرطبي يقصد فعلاً الجلد القرطبي.

(117) من أجل المزيد عن هذين المنتجين J. Ferrandis Torres, Cordobanes y guadamecies; Catálogo ilustrado de la exposicion. Sociedad de amigos de arte. Madrid, 1955 =

«جلد مزين بخيوط ذهبية» قرطبي، يدل على Guadamece (أو قرطبي احتمالاً) [118].

وقد عثر على مراجع لاتينية عن القرطبي منذ أول القرن الثامن عندما منح الملك المرقنجي تشيلبيريك الثاني أسقف كوربي سنة 716 شهادة ذكر فيها «عشرة جلود قرطبية»[119] ومنذ ذلك الزمن يبدو على وجه الاحتمال أن صناعة الجلود القرطبية قد استقرت وأسست سوقاً دولية خلال خمس سنوات بعد الفتح العربي لشبه الجزيرة في سنة 711، ويجب افتراض أن قرطبة (ومناطق أخرى غالباً) كانت قد صنعت هذا المنتج في زمن القزجوت. وفي نهاية القرن الثامن أو بداية التاسع ذكر الشاعر ثيودولفوس Theodulfus نقل «جلد يحمل اسم قرطبة» إلى أرلس Arles، وكان بعض منها أبيض وآخر أحمر[120]. وبعد ذلك بقليل أي في سنة 833 تشير احدى الوثائق العائدة لأسقف سنت فاندريل St.Wandrile إلى نفقة سنوية بشراء جلد قرطبي Cordebisos[121].

ومن الواضح أن القرطبي كان متيسراً في فرنسا الكرولنجية على الرغم من قلة الأدلة على التجارة وتدهورها في القرن العاشر.

وكان الجلد القرطبي مع مواد أخرى من الصادرات الأندلسية ربما فيها الـ Guadameci قد ظهرت مراراً في النصوص المسيحية باللغات المحلية

= and C. Davillier, Notes sur les cuirs de Cordoue, Guadamaciles d'Espagne, etc Paris 1878.

(118) Ibn Sahl, Aḥkam al - Kubra. General Library, ms. 838Q, fol. 138.

(119) Levillain, Examen critique, pp. 235-6 يذكر Pirenne هذه الهدية في مؤلفه كمثال على ازدهار التجارة المروفنجية Mohammed and Charlemagne. London, 1939, P. 90.

(120) Theodulfus, Versus contra iudices. ed. E. Dummler, MGH Poetae latini medii aevi 1.2, Berlin 1881, PP.500.

(121) Gesta abbatum fontanellensium. ed. G.H. Pertz, MGH Scriptores II, in folio, Hanover, 1829, P.300. هذا المرجع ملحق بالنص الرئيس. وغير مذكور في الطبعات الحديثة.

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. فقد ضم الـ Cantar de mio cid على سبيل المثال مقاطع تبين هذه الجلود الأندلسية كمستوردات إلى قشتالة في القرن الحادي عشر. وعندما رحل الـ سِد Cid إلى الجنوب منفياً، طلب منه اليهوديان اللذان أقرضاه المال أن يجلب لهما «جلداً قرمزياً ومراكشياً وغنيمة أو جائزة كبيرة»[122]. وربما طلبا هذا أملاً بأن لا يدفعا ضريبة كتجار ينقلون هذه المواد من الجنوب بأنفسهم. فقد ذكرت وثائق البورتازجو من المدن القشتالية الأرجوانية بصورة دائمة المنتجات الجلدية بين المواد التي تفرض عليها الضرائب. وقد فرض الفيرو Fuero مدينة Sepulveda (1076) ضريبة Dinero دينار على اثني عشر جلداً قرطبياً نُقلت إلى المدينة ودينارين على الكمية نفسها من نوع الـ guadamecis[123]. وفي أواسط القرن التالي فرض فيورو مولينا Molina ضريبة Maravedi على كل قطعة جلد قرطبي أو Guadameci، بينما فرضت وثيقة من استلا Estella مؤرخة في 1164 ديناريين Denariés عن كل اثني عشر Cordoanorum وGodmecinorum. وكذلك في سنة 1207 عشر على ضريبة من Morabedi (دينار مرابطي) على: Cuero de Godameci القادم من طليطلة[124]. وفي الزمن نفسه تقريباً، ذكرت لوائح التعرفة من نربون Narbonne ومرسيليا ومدن فرنسية جنوبية أخرى القرطبي بين البضائع المكوسة، كما ذكر عدد من السجلات العدلية الطليانية بيوع هذا الجلد[125]. وذكر عقد من سافونا مؤرخ في سنة 1180، شحنة من ست

---

(122) Cantar de mio Cid, PP. 50-1.

(123) Los Fueros de Sepúlveda. ed E. Saez, Segovia, 1953, PP. 137 - 142.

(124) Fuero de Molina de Aragon. ed. M. Sancho Izquierdo, Madrid, 1916, PP. 66-7 هذه النسخة الثالثة عشرة من الأصل اللاتيني للرواية مؤرخة في 1152 . Fuero de 1156 Estella. ed. J.M. Lacarra AHDE 4 - 1927, P. 439; Hernandez, "Cortes de Toledo," P. 241.

(125) Narbonne 1153: G.Mouvnes, ed. Inventaire des archives communales. Ville de Narbonne. Narbonne 1871, P. 4; Marseille 1228: L. Méry and F. Guindon, eds, Histoire analytique et chronologique des actes et des délibérations du corps et du =

قطع قرطبي إلى جنوى بينما يعرفنا عقد جنوى مؤرخ في آب 1197 بإستلام عشر قطع من الجلد القرطبي، مقدرة بقيمة .L 11.10d وعرفتنا وثيقة جنوية من سنة 1213 بدين بقيمة L13.12d مقابل جلد Corduanum[(126)]. بينما يُشك في أن تكون المراجع العدلية أو التاريخية تتعلق أو تشير إلى جلد قرطبي إيبري أصلي، ويمكن افتراض أن شعبية الجلد القرطبي لم تهبط سواء أكان بالإنتاج في شبه الجزيرة أم بقيمته كصادر.

ولم يستخدم الجلد الأندلسي فقط لصنع الأحذية والثياب وتجهيز الفَرَس والمفروشات، فالجلود الذهبية والمزركشة قد صنعت من أجل تجليد الكتب. ونجد بين هذه المواد، الورق كبضاعة أندلسية مهمة. فقد ذكرت الكتب والورق من بين الصادرات الأندلسية مع أن تجارة الورق وثقت توثيقاً حسناً بعد ازدياد الطلب عليه. وكانت الكتب مطلوبة في أسواق محددة، وقد حذر أبو الفضل الدمشقي التجار الذين يستثمرون في «كتب

= conseil de la municipalité de Marseille depuis le Xe siecle jusqu'au nos jours. Marseille, 1841, I, PP.347-8؛ مراجع أخرى القرن الثالث عشر من بروفنسال B. Guérard, ed, Cartulaire de l'Abbaye de Saint- Victor de Marseilles. Paris, 1857, PP. LXXIII-C, LXXVI.

(126) Savona: Cumano, Cartulario di Arnaldo Cumano e Giovanni di Donato, Savona, 1178-1188. ed. L. Balletto, Rome, 1978, P. 336. Genoa, 1197: ASG Cart. 56, fol. r84v. 1213: Lanfranco, 1206 - 1226. eds. H.C. Krueger and R.L. Reynolds, Genoa, 1952, II, P. 59.

مراجع عدلية أخرى عن القرطبي Lanfranco, I, P. 396, 1210, II, PP. 147-8, 1216, II, P. 349, 1226; ASG Cart 5, IIor, 1213, 232r, 1216, ASG Cart 26/11, 88r, 1248; ASG Cart 29, 2r, r253, 15V, 1253. 1213, 232r. ASG Cart 26/11, 88r, 1248; ASG Cart 29, 2r, r253, 15V, 1253 وسجلت الوثائق العدلية في مرسيليا صفقات من القرطبي تؤرخ في 33 . 1248 L. Blancard, ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884- 5, I. 43, 47, 100; II, #14, 117, 129, 149, 788, 791, 796, 800-4.

الفلسفة [لأنها] لا تُشرى إلا من قبل الحكماء والعلماء، ومعظمهم فقراء وعددهم قليل»[127]. من جهة أخرى، استخدم الورق على نطاق واسع ليس في الكتب فحسب بل في آلاف الاستخدامات والمقاصد. ولعل محفوظات الجينيزا وغناها بالكتب والرسائل ووثائق العدلية وعقود الزواج ولوائح الملابس وقوائم الأسعار ومواد أخرى، ومعظمها كُتب على الورق، تبين بوضوح هذه النقطة.

وكان أفضل أنواع الورق الأندلسي المعروف مصنوعاً في مدينة ياتيفا Jativa ومن ثم دعي شتيبي Shatibi في المصادر العربية، ولكن مناطق أخرى أنتجت الورق الصقيل والناعم والصقيل الذي كان يتميز به الأندلس[128]. وكان الورق يصنع من الكتان والأسمال البالية، وكان من بين واجبات المحتسب التأكد من نظافة صناعة الورق. فقد نبه ابن عبدون مثلاً أن صناع الورق «يصقلون الورق قليلاً»، بينما نصح الجرسيفي Jarsifi أن الورق، يجب أن يكون ناعماً دون أسنان ونظيفاً ومصقولاً وموحد القياس[129]. وقد وصف

---

(127) Dimashqi, Kitāb al-'ashara, P.58.

(128) E.Lévi-Provençal, L'Espagne musulmane au Xème siècle. Paris, 1932, P.185; R.Arié, España musulmana, P. 250.

(129) Ibn 'Abdun, Risala, P.48; Jarsifi, Risala, Also in Documents arabes. ed. Lévi-Provençal, P. 124 هناك نقاش مهم حول ما إذا كان ورق الأندلس يحضر في معمل أو معصرة فإذا كان صحيحاً كما هو مستنتج أن أراجون استخدمت المعمل قبل 1193 فهذا أقدم مرجع عن هذه العملية. حول إنتاج الورق ومعالجته انظر: O. Valls i Subira, "El paper al al-Andalus i a la Corona d'arago. Second International Congress of Studies on Cultures of the Westem Mediterranean, Barcelona, 1978, PP. 441-8; and criticism of Valls by R.I. Burns, "The Paper Revolution in Europe: Crusader Valencia's Paper Industry," Pacific History Review 50 - 1981, PP. 1-30, and Society and Documentation in Crusader Valencia.Princeton, 1985, PP.151-5. وعلى مستوى عام G. Schaefer "The Development of Paper Making", Ciba Review 6, 1947-9, PP. 2641-49; and A.Y. Al-Hassan and D.R. Hill, Islamic Technology. Cambridge, 1986, PP. 190-6.

المقدسي صناع الورق في الأندلس في القرن العاشر، كما ذكر بيتر فينيرابل Peter the Venerable كتب اليهود المصنوعة من ورق الأسمال في مؤلفه Tractatus contra Jodaeos. وربما لاحظ بيتر هذا الورق خلال انتقاله في شبه الجزيرة في سنة 1412 قبل سنوات قليلة من كتابته مؤلفه(130). حتى الوقت الحاضر، فإن تفوق الورق الأندلسي الوسيط يبقى واضحاً، ما دعا جوتين لملاحظة أن رسالة من غرناطة مؤرخة في 1130 وكتبت على أفضل الورق «حتى عند رؤيتي لها في جينيزا. فهي بيضاء بمعظمها، وقوية وناعمة وصافية»(131) ودون شك كان هذا الورق الأندلسي المصدّر مطلوباً بكثرة.

ولم يكتب التجار الجنزيون على الورق الأندلسي وعنه وعن تجارته وحسب، بل قدموه هدايا. فقد ذكرت رسائلهم كميات صغيرة من الورق الأندلسي مرسلة إلى الشركاء، مهيأة في دستات من ألواح الورق(132). ونعلم من خلال مثال واحد من سنة 1125 أن يهودا هاليفي قد أرسل خمسمئة صحيفة أو لوح من ورق طليطلة إلى صديقهِ هلفون بن ناتانئيل في مصر. وكانت مقاييس الرزم ومحتوى غلاف رسالة هاليف قد دفعت جوتين إلى أن يستنتج أن هذه الشحنة تمثل مشروعاً تجارياً وليست هدية صداقة(133). كما أن لوائح التعريفات تذكر المكوس المجموعة عن الورق المغربي والأندلسي

(130) Muqaddasi, Ahsan al-taqasim fi ma'rifat al-aqalim. ed. M.J. de Goeje, BGA, Leiden. 2nd edn, III, Leiden, 1967, P. 239, Peter the Venerable, Adversus iudeorum inveteratam duritiem. ed. Y. Friedman, Corpus Christianorum: Continuatio Medievalis, 58, Turnhout, 1985, P. 130.

(131) ULC Add. 3340. هذا مرجع إلى Goitein, Mediterrancan Society. V.P. 288.

(132) Goitein, Mediterranean Society, V, P. 457.

(133) ENA 40, Goitein, Letters, P. 20 and Mediterranean Society, V. P. 457, X, D, N. 187.

في مدن نهر إيبرو Ebro في أواخر القرن الثاني عشر، مبينة أن الورق كان ينقل من المناطق الإسلامية إلى المسيحية في ذلك الدور(134). ومن المحتمل أيضاً، أن خطوطاً مماثلة لنقل الورق قد وثقت في جنوى سنة 1163 قادمة من الأندلس(135).

الأخشاب

اشتهر الأندلس بغابات الصنوبر وأخشابها وبخاصة تلك الموجودة في الساحل الشرقي في باليريك وفي الجرف Algarve. وكان خشب غابات الأندلس قد صُدر على نطاق واسع كأفضل بضاعة مهمة مقدمة من الأندلس إلى المناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط الإسلامي. وقد استخدم الخشب للبناء، وللطاقة والحصول على السَنْط أو الفحم الخشبي والمهن اليدوية، وفوق كل هذا كان يستخدم لبناء السفن.

وقد كتب الإدريسي سنة 1150 عن طرطوشة Tortosa: هناك أسواق، وبناء ومحترفات وصناعة لتعمير سفن كبيرة من خشب الهضاب [المحيطة]. هذا الخشب الصنوبري، لا نظير له، بطوله وبصلابته ويؤخذ لعمل الصواري وأعواد الشراع [للمراكب]... خشب الصنوبر هذا لا نظير له في المعمورة لشهرته العالية وقساوته وطوله. وقد نقل إلى جميع بلدان العالم البعيدة والقريبة(136).

---

(134) Burns, "Paper Revolution", P.24.

(135) Giovanni Scriba, Historia patria monumenta VI; Chartae. Turin, 1853. II, P.900, #1345. كتب العدليون الجنويون عن الورق وسط القرن الثاني عشر.

(136) Idrisi, Opus, V.P.555, and Opus VII, Naples - Rome, 1977, P.734.

وقد انتجت منطقة جنوب طرطوشة، والجبال المحيطة بـ كيونكا Cuenca «كثيراً من أشجار الصنوبر [التحيلا] تقطع أخشابها وتلقى في ماء [نهر جوكار Jucar الذي] يحمله إلى دينيا وبلنسيا إلى البحر». وبما أن نهر جوكار يجري حالياً في موضع إلى الجنوب من بلنسيا، فقد أحس الإدريسي بالحاجة إلى التفسير، بأن الخشب كان يُحمل في مصب النهر «على المراكب ويؤخذ إلى دينيا (دانية) حيث يستعمل لبناء مراكب كبيرة وصغيرة»(137).

وكانت سلفس Silves في جنوب غرب الأندلس، مطوقة بالغابات وتنتج «كميات كبيرة من الخشب الذي يصدر في جميع الاتجاهات»، و «جميع البلاد من حول [الكَسرْ/ القصر دو سَل Alca cer do Sal] مغطاة بأشجار الصنوبر، الذي يصنعون منه سفناً كثيرة»(138).

وكان قليل من مناطق البحر الأبيض المتوسط القادرة على تقديم مرتكز من الغابات ومن هذا النوع، كما أن ندرة الخشب تعطي المنطقة إمكانية «السيطرة على طرق التجارة»(139) حتى عندما كان المناخ مناسباً لنمو الغابات، فإن أشجار المتوسط ضعيفة بسبب شروط الجفاف التي تبطئ نموها، وكثير من مناطق البحر الأبيض المتوسط وبخاصة المناطق الإسلامية كانت فقيرة بالغابات أصلاً، أو أنها اقتطعت قبل العصور الوسطى. ولم يكن هناك سوى بعض الهضاب الرطبة في الأندلس ومراكش وشمال سورية ولبنان وكريت وصقلية قادرة على إنتاج الخشب لأحواض بناء السفن

---

(137) Idrisi, Opus, V.P.560.

(138) Idrisi, Opus, V.P.543.

(139) T. Glick, Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages. Princeton, 1979. P.107.

الإسلامية وغير ذلك من المشاغل[140]. وقد نقل الخشب الأندلسي إلى الخارج على هيئة رزم أو قطع معدة للصناعة، ولكن كان يُصدّر مراكب جاهزة الصنع كما ورد في رسالة من جينيزا مكتوبة في تونس في سنة 1040 وفيها أن «المراكب الأندلسية الجديدة.. قد اشتراها التجار وحُملت» كي تذهب إلى مصر[141]. وكما سنعرض في الفصل القادم، فإن ندرة خشب البحر الأبيض المتوسط، وضرورته لبناء المراكب جعل غابات المنطقة من أهداف الفتح الاستراتيجية. ولقد ساعد احتلال المسيحيين لمصادر خشب إيبريا في القرن الحادي عشر والثالث عشر على قلب توازن قوى الأساطيل البحرية في المتوسط. كما أن السلع الأندلسية الموزعة في أسواق الأندلس ربما اعتبرت، إلى حد ما، كصادرات أندلسية. إن واقع المواد الثلاث المدروسة هنا وهي، الفراء والذهب والفضة لم تكن من إسبانيا المسلمة أصلاً، فقد كان لتجار شبه الجزيرة دور مهم في تيسير هذه البضائع للبيع في أماكن أخرى. وقد كانت تجارة المرور أكثر عرضة للتقلبات السياسية والحربية من بضائع الإنتاج المحلي. كان نقل الفراء والذهب والفضة مربحاً، ولكن التجارة بها تبدو أقل ثباتاً خلال الزمن

---

(140) حول غابات المتوسط وتجارة الخشب انظر R. Meiggs, Trees and Timber in the Ancient Mediterranean World. Oxford, 1982; C. Higounet, "Les Forets de L'Europe occidentale du Ve au Xle Siecles", Settimane di studio del Centro italiano di studi sull' alto medioevo. XIII Spoleto, 1966, PP. 343-98; M. Lombard, "Un probleme de cartographié: le bois dans la Méditerranée musulmane (VIIe-Xle siecles)", Annales: ESC, 14, 1959, PP.234-54; هذا المقال مهم وبصورة خاصة خرائطه M. Lombard, "Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane, (VIIE- XLE Siècle)", Le navire et l'économie du moyen âge au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée. ed. M. Mollat, Paris, 1958, PP. 53-106.

(141) Bodl a 2. 17.

مقارنة مع تجارة التين والنسيج وزيت الزيتون أو غير ذلك من الصادرات الأندلسية الاعتيادية.

الفــراء

كان الفراء الممتاز يأتي إلى مناطق البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى من الأندلس وشمال أوروبا وإسكندينافيا وروسيا وآسيا الوسطى. وكان الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الثالث مثلاً، يمتلك جلود حيوان السَّمُور الأسود المستورد من خراسان(142). ولكن الجغرافيون العرب قد ضمّنوا في مراجعهم الإشارة إلى الفراء الإسباني المسلم، وقد عزا ليفي بروفانسيال هذا الأمر إلى أن شبه الجزيرة الإيبرية غنية به أكثر من بقية المناطق في العالم الإسلامي(143). وذكر الإصطخري والمقدسي وفي «حدود العالم» أن جلود السمور قد صُدرت من الأندلس في القرن العاشر، وكتب الخُرداذبُهْ عن فراء حيوان السَنْسَار أو (دَلَقٌ) وفراء آخر كان ينقل من الغرب إلى الشرق(144). وسواء أكان هذا الفراء من حيوان محلي إيبري، أم كما يبدو محتملاً، في حالة السمور الذي كان يستورد إلى الأندلس من الشمال الأبعد، فقد كان يصدر إلى المناطق الإسلامية الأخرى. وقد سبق أن حاول المسعودي في القرن العاشر أن يبين هذا الأمر شارحاً أن فراء شمال أوروبا

(142) Maqqari, Analectes, I, 230. حول تجارة الفراء في العصر الوسيط الباكر P.H. Sawyer, "Kings and Merchants", In Early Medieval Kingship. eds. P.H. Sawyer and I.N. Wood, Leeds 1977, P. 149.

(143) Lévi-Provençal, L'Espagne musulmane au Xème siècle, P.184.

(144) Istakhri. Masalik, P.45, Muqaddasi, Aḥsan al-taqasim, P. 50; Hudud al-alam, P.520-3.

ويرد في هذه الدراسة جلود السِخْليَّة (أو العظاية) كصادرة أندلسية.

P. 155; Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik, P. 153.

تأتي «إلى المغرب [من الشمال]، وهذا ما يدعو للاعتقاد أنها كانت تأتي من الأندلس وتخوم الفرنج والسلاف»[145].

ويبدو أن دور الأندلس كمنطقة عبور لفراء الشمال قد تقلص في العصر الوسيط المبكر، ومن ثم تختفي الإشارات إلى هذه التجارة بعد القرن العاشر، وربما انحسرت الاتصالات مع مناطق إنتاج الفراء في شمال أوروبا بعد العهد الأموي والكارولنجي. وبدل تجارة المرور هذه، بدأ الأندلس بتصدير الفراء المحلي وبخاصة جلود أو فرو الأرانب. وقد كتب المقري عن هذه التجارة يصف «حيواناً أصغر من الأرنب» (لعله الأرنب البري أو خُزَزْ ودعي قناليا Qunaliya (من أصل إيطالي Coniglio) وكان «فروه يلبس ويستعمل من قبل الأندلسيين المسلمين والمسيحيين، ولا يوجد مثله في بلاد البربر عدا ما كان يصدر من الأندلس إلى سبتا»[146]. وعلى الرغم من أن المقري كان قد كتب في آخر هذا الدور، فإن المصادر تُبين أن حركة تجارة جلود الأرانب قد سبق وكانت قائمة سنة 1100. وقد ذكر الزهري أن جلود الأرانب (جلود القنليات) قد أرسلت من الأندلس إلى الديلم (جنوب بحر قزوين) في أواخر القرن الثاني عشر، كما أشارت المصادر اللاتينية المعاصرة إلى تصديرها إلى بلاد المسيحيين. ومثال ذلك، أن فيورد سنتوسلاس Centocellas المؤرخة في 1194 فرضت مكساً من خمس سوليدي Solidi على مسيحي [ينقل] شحنة من جلود الأرانب، و"مرابطي» واحد وعلى مسلم يحمل الشحنة ذاتها[147]. وذكرت لوائح التعرفة القشتالية الأخرى من

---

(145) Masudi, Kitāb al- tanbih wa al-ishraf, ed. M.J. de Goeje. BGA 2nd edn, VIII, Leiden, 1967, P.63.

(146) Maqqari, Analectes, I,P. 122, 1949 edition, I. . 184.

(147) L.Garcia de Valdeavellano, El mercado en Leon y Castilla durante la edad media. 2nd edn, Seville, 1975, P. 162.

فترة 1166 ـ 1200 ذكرت رسوماً مماثلة[148]. وقد أخذت جلود أرانب الأندلس طريقها بعيداً كما تبين العقود التي تسجل Cuniailorum de Spania في جنوى سنة 1206[149].

الذهب

لقد أصبحت موانئ الأندلس وغرب المغرب مركزاً لانتشار الذهب في مناطق البحر الأبيض المتوسط الأخرى وبخاصة أوروبا خلال القرن الحادي عشر.

وكان معظم الذهب يأتي إلى الأندلس على شكل رمل أو سبائك من غرب السودان عن طريق شمال أفريقيا. وما أن يصل الذهب إلى إسبانيا المسلمة حتى يعالج في المسابك الأندلسية، ويمكن تتبع حركته فيما بعد مادياً وكتابياً.

ولقد اختلف العلماء حول أصول الذهب المتاجر به بين السودان وعالم البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من أن أسواق الأندلس لم تدخل في الصورة قبل أواسط العصور الوسطى، فإن معظم المصادر توحي بأن الذهب السوداني قد استقر جيداً في غضون القرن السادس. وبالفعل فإن ملامح ازدياد المرور على طريق الذهب المغربي كانت هي الباعث على توسع العرب نحو الغرب في القرن التالي[150]. وقد ذكر كثير من كتاب العصور

(148) M.Gual Camarena, "Tarifas hispano- lusas de portazgo, peaje, lezda, y hospedaje, siglos XI y XII", Anuario de estudios medievales 9, 1974-9. PP. 370-1.

(149) Giovanni de Guiberto, eds. M.Hall, H.C. Kruéger, R.L. Reynolds, Turin, 1940, II, p.389.

(150) T.F. Garrard. "Myth and, Metrology: The Early Trans-Saharan Gold Trade", Journal of African History 23, 1982, P. 450.

يبدو هذا الحافز أقل احتمالاً إذا قبلنا نظرية Lombard المتعلقة بإطلاق المدخرات=

الوسطى حركة انتقال الذهب السوداني. وتتضمن جميع الأعمال الجغرافية العربية مقاطع تذكر مملكة غانا (وهي السنغال ومالي وبوركينا وفاسو ونيجيريا) مصدراً للذهب[151] وكان الذهب المستخلص هنا خالصاً جداً ونسبته، 92٪، وكان إنتاجه كبيراً[152]. وفي كتاب الهمداني «الجوهرتين» عن المعادن والجواهر في القرن العاشر أعلن أن «أفضل مناجم إنتاج الذهب في العالم هي مناجم غانا في بلاد المغرب»[153].

= الذهبية في السوق بعد الفتوح العربية مما كوم ثروة ذهبية مولت الاقتصاد الإسلامي في البداية أنظر Lombard, Les Métaux dans L'ancien monde du Ve au XIe Siècle. Paris, 1974, PP. 195-201. ومقابل الذهب، كان الملح أول سلعة أتجر بها جنوباً من البحر الأبيض المتوسط إلى غرب إفريقيا. وحول تبادل الملح انظر

M.Malowist, "Quelques observations sur le commerce de l'or dans le Soudan occidental au moyen âge", Annales: ESC, 5-6, 1970, P.1636; J. Devisse, "La question d'Awdaghust", Tegdaoust I; Recherches sur Aoudaghost. Paris, 1970, P.141, J.Devisse, "Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée: Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au XVIe Siècle", Revue d'histoire économique et sociale 50, 1972, P.51.

(151) وقد قدمت اقتراحاً لضم شرق أفريقيا إلى التعبير العام «السودان». وقد عَلل M.Horton أن نقاء الدنانير الفاطمية (96 بالمئة) يقود إلى استنتاج أن الذهب لم يستخرج من غرب أفريقيا بل من ساحل المحيط الهندي Horton, "The Swaḥili Corridor", Scientific American. Sept. 1987, P. 86. وقد أرجع آخرون تلك النقاوة إلى التنقية والسبك.

(152) لقد سمح النقاء الطبيعي لذهب السودان بسكه بقليل أو دون تنقية، ولكن الذهب المنقّى من المصادر الأخرى أمكن له إنتاج عملة بنقاوة عالية انموذجية (أعلى من 99 بالمئة). وعلى الرغم من شهرة الذهب السوداني العالية A.Ehrenkreutz فقد أنتج نقوداً أقل نوعاً. وقد أجريت تحاليل على النقود الأندلسية والمغربية من قبل لقياس الكثافة الخاصة بأنواع النقود انظر مقاله: "Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages", JESHO, 6, 1963, PP. 243-77, and R.A. Messier, واستخدم النترون المشع لقياس الاشعاعات للعناصر الافرادية في النقود: "The Almoravids: West African Gold and the Gold Currency of the Mediterranean Basin", JESHO 17, 1974, PP. 31 - 47.

(153) D.M. Dunlop, "Sources of Gold and Silver in Islam according to al-Hamdani," Studia Islamica 8,1957, p. 39. Other Arab authors mentioning Sudanese gold include Yaqut, Bakri, Ibn Ḥawqal, Masudi, et al.

وقد وصف الإدريسي خلال القرن الثاني عشر تركيب تجارة الذهب السوداني في آخر محطاته من الشمال الأفريقي حيث «أن معظم الذهب المباع من قبل سكان أورغلا Ouargla ومقاربة الغرب يسلم إلى بيوت السك في بلادهم حيث يضرب ديناراً ويقايض بالبضائع»[154]. ولكن لم يُضرب جميع الذهب مباشرة كما نرى ذلك في رسالة من جينيزا معاصرة تقريباً حيث يذكر الكاتب أن شريكا قد أرسل له «سبيكة ذهب من فاس.. [مع تعليمات] لبيع الذهب في الماريا»[155]. وقد ذكرت رسائل الجينيزا مراراً مبالغ من الذهب التي أرسلت من الغرب إلى الشرق مقابل سلع شرقية تشحن إلى الغرب. وعندما يذكر أن كيساً ـ أو محفظة ـ يحوي مبلغاً محدداً فهذا يعني أن المال قد أرسل نقداً[156]. من جهة أخرى، إن عادة إرسال النقود في أكياس مختومة، ومُعلَّمة طبقاً للوزن أكثر من عدد النقود التي تحويها، يدل على أن وزن المعدن، كان أكثر أهمية من القيمة الشكلية.

إن تجارة العبور، والسيطرة على الطرق الواصلة بين موانئ شمال أفريقيا مع حقول الذهب في الجنوب، كانت بيد السماسرة البربر بصورة عامة. ولم تحدث صفقات تجارية مباشرة بين السودان وتجار البحر الأبيض المتوسط حتى أواخر العصور الوسطى. وكان الذهب ينقل شمالاً من خلال عدة طرق مختلفة: أولها من أورغلا إلى القيروان ثم إلى المشرق. بينما يذهب طريق الغرب من خلال أوداغوست Awdaghost إلى سجلمازا إلى طهرة Tahert وتلمسان ثم إلى الأندلس. وهناك طريق ثالث أكثر تطرفاً إلى

(154) Idrisi, Opus, I, Naples-Rome, 1970, pp. 24-5.

(155) Bodl d66.52; trans. Goitein, Letters, p. 50.

(156) (Letters. p. 83) حدد جوتين هذا خارجاً مع إشارة إلى TS 8.12 المكتوبة من تونس إلى مصر ولكن الممارسة كانت منتشرة.

الغرب، يأتي من أغمات Aghmat وينتهي في فاس، وكان قد تطور في القرن الحادي عشر[157]. إن أكياس الذهب المذكورة أعلاه، والتي أتجر بها من فاس إلى الأندلس من قبل التجار اليهود في حوالي 1110، قد انتقلت شمالاً من خلال الطريق الأخير غالباً.

وباعتبار أن الطرق الثلاثة، كانت تحت سيطرة قبائل مختلفة وأزمان مختلفة، فقد كان وصول الذهب إلى البحر الأبيض المتوسط تابعاً لتبدل شبكة التحالف بين قبائل البربر ودول الشمال. ومن ثم، فليس مفاجئاً إيجاد طريق غربي جديد يحول مجرى الذهب نحو غرب المغرب وإسبانيا المسلمة في عهد المرابطين والموحدين، عندما حكمت هاتان السلالتان المتتاليتان معظم بلاد الغرب الإسلامي. وخلال سيطرة المرابطين والموحدين على طرق تجارة ذهب شمال أفريقيا وصل المزيد منه إلى أسواق الأندلس وبيوت السك. وقد ميز ابن رشد بين «الذهب المرابطي» و"الذهب المشرقي» مشيراً إلى توافر النوعين في شبه الجزيرة[158]. وهناك المزيد من البراهين الملفتة للنظر حول أهمية الذهب السوداني في الأندلس خلال عهد المرابطين تأتي من خلال تأثير لا سابقة له للدينار المرابطي Murabitun. وعلى الرغم من أن حكام الأندلس قد سكوا العملة الذهبية منذ النصف الأول من القرن العاشر، فقد سرى تقليد عملة المرابطية في الغرب الإسلامي والمسيحي الإسباني وجنوب أوروبا. وقدّر لهذه العملة المرابطية أن تصبح واحدة من أهم العملات المستعملة والمقلدة في غرب المتوسط في العصر الوسيط.

---

(157) Both M. Brett, "Ifriqiya as a Marker for Saharan Trade from the 10th to the 12th C. AD," Journal of African History 10,1969, p. 350 and T. Lèwicki, "L'etat nordafricain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental a la fin du VIIIe et au IXe siècle." Cahiers d'ètudes africaines 8,1962, p. 519 حيث يقدم خرائط لهذه الطرق.

(158) Ibn Rushd, Fatawa Ibn Rushd. ed. al-Talili, Beirut, 1407/1987, p. 571.

وكانت الدنانير المرابطية في المغرب منذ 1068. وتلك التي عرفت في الأندلس أولاً قد ضُربت في إشبيلية (عاصمة المرابطين) في سنة 1096. وأقيم عدد آخر من بيوت الضرب الأندلسية، وكثير منها في مدن الجهة الشرقية ولعل ذلك كان جواباً على زيادة الاتصالات التجارية الإيطالية مع الماريا ودانيا وبلنسيا(159). إن العدد الكبير نسبياً من دور الضرب المرابطية، وخاصة مقابل ما كان يوجد تحت حكم الموحديين، يوحي بالكمية الكبيرة للنقود المضروبة، ولكن الدنانير الأندلسية المرابطية تميل إلى أن تكون أقل وزناً (4,50غ أو أقل) وأقل نقاوة أنموذجية (5.91 بالمئة) من النقود المعاصرة في أماكن أخرى(160). وبما أن أنموذج كثير من النقود المرابطية كان متطابقاً مع نوع الذهب السوداني (ومن أجل سبعين مرابطياً أندلسياً فُحص من قبل ميسير Messier كان النصف على الأقل يحتوي على نسبة النحاس نفسها الموجود في الذهب السوداني)، فقد استخرج المرابطون كميات كبيرة من ذهب نقودهم من غرب أفريقيا على ما يبدو(161).

---

(159) قدر Devisse أن 57 بالمائة من الدنانير الأندلسية المرابطية ضُربت بين 1097 و 1136 في شرق الأندلس. وقد أكد أنه في السنوات الأولى من حكم المرابطين للأندلس، تركزت جهود السلالة على النُميّات أو فن المسكوكات والمعادن في شبه الجزيرة: فقد كان 63 بالمئة من النقود الذهبية الموجودة قد ضربت بين 1097 ـ 1106 في دور السك الأندلسية، و 60 بالمئة من الفترة بين 1107 و 1126. حيث تقلص إنتاج السك الأندلسي بعد هذا التاريخ سواء بالعدد أو الكمية. وضربت النقود الأندلسية بعد ذلك في أربع دور، مَثلت 30 بالمائة من ثروة المرابطين المعروفة، ومع ذلك فإن الإنتاج قد ازداد خلال هذه السنوات:

Devisse, "Routes de commerce," pp. 65-6.

(160) R.A. Messier, "Muslim Exploitation of West African Gold during the Period of the Fatimid Caliphate," Ph.D. Dissertation, University of Michigan, 1972, pp. 107-9.

يتنوع سك الذهب الإفرادي المرابطي من حيث نسبة نقائه بين 2.76 بالمائة و 2.96 بالمائة مم يتطلب مراقبة عملية السك للحفاظ على حد أدنى من الأنموذجي.

(161) Merrier, "Muslim Exploitation," pp. 117-18.

تم فحص ربع كمية هذه النقود فكانت عالية النقاوة مما دفع Messier للتسليم بإستعمال مناجم ايبريا كمصدر ثانوي لذهب النقد المرابطي.

وعلى الرغم من النسبة المنخفضة للذهب المرابطي (أو لأنه كان كذلك) فقد حقق الدينار المرابطي انتشاراً واسعاً. وكما هي العادة، فإن النقود ذات المواصفات المتدنية تحاول استبعاد النقود ذات المواصفات العالية من السوق، ولكن هذا ليس كافياً لتسويغ شهرة النقد المرابطي. بالتأكيد إنها قد ضربت بأعداد كبيرة ومن الممكن أن المرابطين قد دعموا استخدام عملتهم في إمبراطوريتهم. ومن المحتمل أيضاً أن عملة المرابطين قد وصلت إلى عالم البحر الأبيض المتوسط تماماً في لحظة بدء مصالح «الثورة التجارية» في أوروبا، عندما أصبح الحكام والتجار الأوروبيون أكثر توقاً وتلهفاً للذهب من أي وقت مضى. وبدأت الدلائل على نقد المرابطين بالظهور في الوثائق الإيطالية في وسط القرن الحادي عشر، مشيرة إلى الاعتياد الشائع على هذه العملة سواء أوصلت الأمثلة الحقيقية إلى أسواق إيطاليا أم لا. وتحت نفوذ هذا Pax Morabetina قد تستقر الطرق المباشرة بين أوروبا والمغرب. وقدمت أسواق الأندلس مرتكزاً مناسباً لتوزيع الدينار المرابطي الأندلسي الشعبي[162]. وقريباً، وكما سبق وأشرت في الفصل الثاني ان الأسواق الإسبانية المسيحية لم تستخدم النقد المرابطي المحلي وحسب، بل بدأ الحكام المسيحيون بضرب عملتهم المقلدة (وربما باعادة استخدام الذهب بعد إذابة النقد الأصلي).

الرقيق

كان الرقيق ثالث سلعة رئيسة توزع في أسواق الأندلس، فمنذ القرن التاسع كان التجار المسلمون واليهود ينقلون الرقيق إلى الأندلس من شرق

(162) هذا التعبير pax morabetina من D. Abulafia, "Asia, and the Trade of Medieval Europe," Cambridge Economic History of Europe. 2nd edn, Cambridge, 1987, p. 467.

أوروبا وإسبانيا المسيحية، ومن ثم يعيدون تصديره إلى المناطق الإسلامية الأخرى. وقد أشار ابن الخُردادْبهْ إلى أن التجار الراذانيين قد باعوا بنات رقيقات أندلسيات وذكر معاصره ابن الفقيه بنات رقيقات من بين صادرات إلى المغرب(163). ولعل هؤلاء النسوة كن من مواليد شمال شبه الجزيرة كالحالة التي سجلت من قبل القاضي ابن سعيد في القرن التاسع، حيث باع لتجار يهود عدداً من النساء الغاليات Galician في مريدا Merida(164). وكان يوجد رقيق ذكور من الموسيقيين الباسك في بلاط عبد الرحمن الثاني 822 ـ 852، نقلوا إلى الأندلس من شمال إسبانيا(165).

وقد كتب الأسقف أجوبارد صاحب ليون Lyons نحو سنة 826 تقريباً حول شابين خُطفا من آرل وليون من قبل تاجر رقيق يهودي، وأن واحداً منهما على الأقل أُرسل رقيقاً إلى قرطبة. وقد تابع أجوبارد ادعاءاته بأن هذه الشواهد عن تجارة الرقيق اليهودية كانت مألوفة، وكرر أنه «ليس مسموحاً لليهود أن يبيعوا مسيحيين إلى إسبانيا». وبصورة خاصة منذ أن راح اليهود «يفعلون أشياء مروعة»(166) إن موضوع شكوى أجوربارد يصعب الفصل في صحة معلوماته. فمن المهم أنه الوحيد بين كتاب القرن التاسع الذين اعترضوا على أسر المسيحيين في المملكة الكارولنجية. وتشير مصادر معاصرة أخرى إلى يهود عملوا تجاراً للرقيق في فرنسا، ولكن هذا لا

---

(163) Ibn Khurradadhbih, Kitāb al-masalik, pp. 153-5; Ibn al-Faqih, Kitāb al-buldan. ed M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn., v, Leiden, 1967, p. 252.

(164) J. Ribera y Tarrago, Disertaciones y opusculos. Madrid, 1928, I, pp. 24-5.

(165) J. Vernet, "El Valle del Ebro como nexo entre orient y occidente," BRABLB 23,1950, p. 258.

(166) Agobard, Epistolae. ed. E. Dummler, MGH, Epistolae v, Berlin, 1899, pp. 183, 185.

بعض القراء اتخذ من هذا الفعل المروع ليعنوا به الإخصاء، ولكن من المحتمل أن التجار اليهود كانوا يستعملون ختان أو تطهير العبيد وليس إخصاءهم.

يوحي أن هؤلاء التجار يستعبدون مسيحيين محليين[167]. ولأن أجوربارد كان هو نفسه موزاراب فلربما تحسس من وجود عبودية مسيحية في الأندلس. ولعل شكواه تعكس ظاهرة ايبرية هي أن استعباد الباسك والغاليين كان متمركزاً في فرنسا[168].

ولكن هناك معلومات من القرن العاشر، تضفي مزيداً من الصدق على توكيدات أجوربارد. فقد ذكر ابن حوقل (كتب سنة 970) أن «بين معظم الصادرات الشهيرة [من الأندلس إلى البلاد الإسلامية الأخرى] عبيداً جميلين، ذكوراً وإناثاً من مناطق فرنجا وغاليا»[169] وطبقاً للاصطخري فالعبيد البيض والعبدات الغاليات «يأتون من الأندلس إلى البلاد الأخرى من دار الإسلام، ولكنه كان مبالغاً في أسعارهم عندما أضاف أن العبدة أو العبد صاحب المظهر الجميل قد يصل سعره إلى ألف دينار وأكثر حتى لو لم يكن ماهراً[1]. وقد وصف ليوتيبراند صاحب كريمونا تجارة الخصيان بين فردن وإسبانيا المسلمة في العصر نفسه، مؤكداً الهيكل العام للتجارة عبر مخازن الأندلس[170].

---

(167) منحت براءة (840–814) Louis Pious يهودياً إيبرياً هو إبراهيم زاركوزا سمحت له بنقل الرقيق الأجنبي *(mancipia peregrina)* في مملكته.

وهناك وثيقة أخرى تتعلق بيهوديين هما دافيد وجوزيف من Lyons وتؤرخ في 825، سمحت بحقوق مماثلة في تجارة الرقيق الأجنبي:

Formulae merowingici et karolini aevi. ed. C. Zeumer, MGH Leges v, in quarto, Hanover, 1886, p. 325, #52; p. 310, #31.

وفي الوقت ذاته يذكر مصدر راباني وصول يهود ينقلون معهم «عبيداً وشباناً مخصيين».

S. Assaf, Gaonic Responsa from Geniza mss. 1928, p. 38-9.

(168) أقدم شكري إلى David Nirenbery من أجل أفكاره حول هذا الموضوع.

(169) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 110.

بالعربية ربما طابق Galicia ذلك على مجهول من شمال غرب شبه الجزيرة وكذلك فعل:

Leon, Galicia, Asturias, Portugal.

(170) Istakri, Masalik, p. 45.

(171) Liutprand, Antapodosis. in Opera, ed.J.Becker, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915, p. 156. =

وقد ذكر ابن حوقل أنماطاً أخرى من العبيد الصقالبة (التي تترجم عامة بالسلاف المخصيين)، الذين جاؤوا إلى أسواق الأندلس لنقلهم إلى الخارج وطبقاً لما ذكر «فإن كل صقلبي على الأرض يجيء الأندلس، لأنهم يخصون في ذلك البلد، وتتم العملية من قبل التجار اليهود»[171]. وقد كتب المقدسي في الزمن نفسه تقريباً مقدماً معلومات مماثلة تؤكد أن

= لا توجد مصادر عربية تذكر أن فردن Verdun مصدر للخصيان الوافدين إلى الأندلس. وقد أخذ بعض العلماء هذه المعلومات كتأكيد لرواية أجوبارد الأولى، ولكن يبدو من غير المحتمل أن هؤلاء الخصيان من أصل محلي أو مسيحيين. حيث أن مثل هذه العوامل قد ذكرها Liutprand وهناك خلاف حول إمكانية جلب الخصيان من فردن إلى الأندلس. وقد اختار A. Lewis طريقاً برية في حين اقترح C. Verlimden طريقاً بحرية من أرلس ن:

Lewis, Naval Power and Trade. Princeton, 1951, p. 180; Verlinden, L'esclavage dans l'Europe medievale. Bruges, 1955, 1, p. 223-4.

ومن أجل تجارة الرقيق المبكرة و فردن انظر:

Verlinden, "Les Radaniya et Verdun," Estudios en homenaje a D. Claudio Sanchez Albornoz. Buenos Aires, 1983, II, pp. 105-32.

(172) Ibn Ḥawqal, Kitāb surat al-ard, p. 110. The saqaliba.

كان الصقالبة أفضل السكان المعروفين في الأندلس وكانت هويتهم مثار نقاش، وعلى الرغم من أن كثيراً من العلماء قد افترضوا أن هذا التعبير نوعي أو جنسي، وقد رأى D. Ayalons أن الصقالبة كانوا سلافاً نقلوا إلى إسبانيا المسلمة وإلى المشرق الإسلامي انظر:

D. Ayalon, "On the Eunuchs in Islam," Jerusalem Studies in Arabic and Islam. Jerusalem, 1979, I, pp. 67-124.

إن الصلة بين الصقالبة والسلاف (هي أدبية ربما من esclave إلخ..) وقد قبل بهذا معظم العلماء المعاصرين انظر:

Verlinden, "L'origine de sclavus-esclave," Bulletin Du Cange: Archivum latinitatis medii aevi 17,1942, pp. 97-128; and R. Kahane and H. Kahane, "Notes on the linguistie history of Sclavus," Studi in onore di Ettore Lo Gatto e Giovanni Maver. Rome, 1962, pp. 345-60.

وحول العبيد أو الرقيق خلال القرن العاشر انظر:

Verlinden, "La traite des esclaves. Un grand commerce international au Xe siecle," Etudes de civilisation medievale. Melanges offerts a E.R. Labande. Poiters, 1974, pp. 721-30; and A.M. 'Abbadi, Los esclavos en España. Al-Saqaliba fi Isbaniya. Madrid, 1953. من أجل الخرائط عن نقل العبيد انظر:
Lombard, The Golden Age, p. 197.

اليهود في «مدينة وراء بتشينا Pechina» تحضر الصقالبة لإرسالهم من الأندلس إلى مصر[172]. من جهة أخرى لم يكن كل أسير من الشمال يباع من اليهود إذ إن مؤلفاً مسلماً من القرن الحادي عشر ذكر أن المسلمين واليهود يتاجرون بالرقيق في البلاد على طول ثغور الأندلس ويخصون الرقيق لتصديرهم للخارج[173].

وقد أشار المؤرخون إلى وجود آلاف العبيد السلاف في البلاط الأموي في القرنين التاسع والعاشر، عندما اشتدّ التوتر على الحدود الشرقية للإمبراطورية الكارولنجية حينها تدفق الصقالبة إلى أوروبا وإسبانيا المسلمة[174]. ولعل شهرة الصقالبة الكبيرة في الأندلس والأماكن الأخرى من العالم الإسلامي قد تأسست على واقع الأصول البعيدة لهؤلاء العبيد ما دفعهم للإخلاص في واجباتهم المنزلية والحربية. وبالعكس فقد اختفت المراجع عن العبيد السلاف بصورة حقيقية في القرن الحادي عشر. ففي هذا الدور تحرّر كثير من العبيد السابقين ووصلوا إلى النخبة الحاكمة في دول الطوائف، وهناك تفسيرات كثيرة لهذا التبدل. فربما يعود انحسار استعباد الصقالبة في القرن الحادي عشر إلى توسع أوروبا نحو الشرق وازدياد عدد الداخلين في المسيحية في بلاد السلاف أو بسبب انهيار الدولة الأموية المركزية، التي استخدم فيها الحكام آلاف الصقالبة، ما خفف الطلب على

(173) Muqaddasi, Description, pp. 242-3.

(174) Maqqari, Analectes, I, p. 92.

ينسب المقري هذه المعلومات إلى ابراهيم بن القاسم القروي (أو القيرواني) المتوفى في 1026 ن:

C. Brockelmann, Geschichte der arabischen Litteratur. Supplement I, Leiden, -42, p. 252.

(175) ذكر Lévi-Provençal أرقاماً بين 3,750 إلى 13,750 صقلبياً في قرطبة في القرن العاشر ن (Histoire, II.p. 26). وقد أخذت هذه المعلومات من أكثر من مؤلف متأخر، ابن عُذاري (توفي 1320).

حاشية ضخمة من السلاف العبيد. وفي الوقت نفسه بدأ حكام المشرق المسلمون يتحولون إلى مصادر للعبيد من خلال حدودهم الشرقية والشمالية. وأخيراً وضع بريت Brett في المقدمة إمكانية أن وصول المرابطين والموحدين قد خلق أسواقاً جديدة من أجل قنوات جديدة للوصول إلى رقيق أسود في الأندلس وشمال أفريقيا، معوضين عن الطلب على البيض(175).

وقد تابعت الأسواق الإسبانية المسلمة والتجار التعامل بتجارة الرقيق خلال القرن الثاني عشر، عندما وصل العبيد إلى أسواق الأندلس بكثرة من الأراضي المسيحية في الشمال الإسباني، حيث الحرب والغزوات الحدودية قدمت مورداً ثابتاً للأسر. ونظراً للتنوع العرقي بين سكان الأندلس فقد يؤدي هذا إلى بعض الارتباكات أو الفوضى كما هو مبين في رواية مضحكة للقاضي السقطي في القرن الثالث عشر. يروي السقطي كيف أن مشترياً من خارج المدينة وصل إلى قرطبة واشترى أمة مسيحية، حيث تأكد له أنها أخذت تواً من المناطق الحدودية. والبرهان على ذلك أنها لم تكن تتكلم سوى لغة شمالية، ذلك لأنها نقلت توا من هناك، فدفع مقابلها سعراً باهظاً، وبعد ذلك اشترى لها ثياباً جميلة وأحضرها لأصحابه إلى المنزل. وبعد ذلك، يتكشف أنها تتكلم العربية بطلاقة، وأنها امرأة مسلمة حرة، وهددته بأن تذهب إلى القاضي إلا إذا فعل ما تأمره به «إذا كنت تخاف [فقدان] مالِك» ونصحته قائلة: «خذني إلى الماريا حيث يمكن أن تربح زيادة على ما دفعته أصلاً [لأن] الماريا هي محطة للمراكب ومركز للتجار والرحالة». إن الورطة هنا، أنه كان على التجار الأجانب أن يدفعوا سعراً باهظاً لشراء رقيق لتصديره إلى البلاد الأخرى من العالم الإسلامي وعندما حاول المشتري

(176) M. Brett, 'Ifriqiya as Market for Saharan Trade, p. 360.

المغفل أن يشتكي على البائع الأصلي، ادعى هذا الأخير أنه ترك العمل. وعندما وجد نفسه واقعاً في الشرك أذعن إلى نصيحة الأمة، تاركاً لها الاحتفاظ بالملابس ومصطحباً إياها إلى الماريا حيث باعها بربح، ومن المفترض أنه يترك لها بعض المال[176].

وطالما بقي المشترون عرضة للابتزاز، فإن خدعة من هذا النوع قد تتكرّر حتى تتوقف من قبل مراقب السوق، أو تصبح المنطقة بأيدي المسيحيين. والواقع أن رواية السقطي لم تكن قد كتبت متأخرة كثيراً منذ أن وصلت القوات المسيحية قرطبة في سنة 1236 وأنهت حركة النقل الإسلامي للرقيق في المدينة. وعوضاً عن حركة التجارة السابقة عبر أسواق قرطبة والمدن الأندلسية المستولى عليها، فقد تطورت التجارة إلى بيع الرقيق المسلم إلى مشترين مسيحيين. ويمثل هذا التبدل مظهراً واحداً من إعادة تنظيم الأسواق الأندلسية في القرن الثالث عشر. وبقدر ما أصبحت الأراضي الإسلامية في أيدي المسيحيين كابد الاقتصاد المحلي والصناعات والصادرات تبدلاً عميقاً فقضت الضرورة التماس حاجات وظروف جديدة. هذه التبدلات، والاستمرارية، ستناقش في الفصل الآتي.

(177) Saqati, Kitāb al-faqih, pp. 54-5. هذه الرواية هي خليط لروايتين للسقطي.

الفصل الثامن

الاستمرارية والتبدل في الصادرات الإيبرية بعد سنة 1212

لقد ورد في أشعار «تشهير السياسة الانجليزية Libelle of Englyshe Polycye»[1] لائحة ببضائع إسبانيا (أي قشتالة) من خلال الأبيات الآتية:

ليعلم الناس جيداً أن الربح الأكيد في
السلع الآتية من خارج إسبانيا
والبضائع الطازجة هي...
التين والطيب والنبيذ والزبيب...
وعرق السوس، وزيت إشبيلية والحبوب...
وغميس خبز قشتالي أبيض والشمع المتين،
والصوف والحديد...
الزعفران والزئبق الذي أبحر به التجار الإسبان
ببراعة إلى فلندر...
وإلى بروجس وسوق معرضها الكبير..

---

(1) The Libelle of Englyshe Polycye. شعر يستخدم في القوى البحرية 1436 ed. G. Warner Oxford, 1926, p.4. exported from Portugal appears on.

وتبدو لائحة صغيرة مماثلة من البضائع المصدرة من البرتغال في ص 7.

لم تكن هذه القائمة الشعرية مجرد تمرين أدبي خيالي، إذ إن هذه المواد ظهرت مراراً في وثائق أخرى من العصر الوسيط من إنجلترا وفرنسا والبلدان المنخفضة. وقد أدرجت لوائح التعرفة الفلامندية والمحاكم الإنجليزية ذكر الصوف الإسباني (القشتالي عادة)، وتين غرناطة وزيت إشبيلية بينما روى الحجاج أو الرحالة التشوسر Chaucer حكايات أشاروا من خلالها إلى النبيذ الايبري والقرمز.

وهنالك المزيد من الإشارات، وهو ما كان عادياً في كتيبات الصادرات الإيبرية، في القرن الخامس عشر، حتى الوثائق البسيطة، تكشف عن التبدلات المهمة في الدور الإسلامي والدور المسيحي وذلك من خلال طبيعة المنتجات الإيبرية ونوعها. وليس من الممكن تفحص تفاصيل المتاجرة بين شبه جزيرة إيبريا والبحر الأبيض المتوسط وأوروبا في أواخر العصور الوسطى، ولا يدّعي هذا الفصل أنه سيغطي الكميات الواسعة من المصادر والأعمال الثانوية وثيقة الصلة بالموضوع. إنه يطمح إلى أمثلة جلية عن الاستمرارية والتبدل في ملامح الصادرات الإيبرية من 1250 حتى 1500 بهدف عرض آثار الفتح المسيحي، مع نتيجة التبدلات في الصناعة والبنية الاقتصادية، في التجارة الدولية خلال شبه الجزيرة.

لم يعد فك رموز السلم الزمني للتبدل مربكاً أو محيراً إذ إن الحس العام والوثائق يحددان الفترة بين 1212 و1248 كحد فاصل. فقد كان لاكتساب المسيحيين لأراضي المسلمين أثر عميق واضح في إنتاج السلع المحلية المعدة للتصدير. بينما كان التبدل في الإنتاج والطلب في الأماكن الأخرى في غرب المتوسط وشمال أوروبا قد سيطر على التنظيمات التجارية وثروتها. كما أثرت العلاقات السياسية القشتالية والأراجونية الخارجية على المشكلات التجارية، كذلك فعلت الأحداث خارج شبه الجزيرة. فكانت حرب المئة سنة والنزاع التجاري بين إنجلترا وفرنسا وفلندر، وتطورت صناعات النسيج الشمالية، كل ذلك أدى إلى تشعيب بيوع البضائع الإسبانية في الخارج. ودون أن نمضي بعيداً في تعقيدات السياسة والدبلوماسية الأوروبية، فإن الواقع الحقيقي الذي

أثرت فيه يرينا إلى أي درجة تبدلت فيه التجارة الإيبرية من التوجه الإسلامي إلى المسيحي في أواسط القرن الثالث عشر.

كما مثلت الانقسامات اللغوية والسياسية بين الممالك الإيبرية المسيحية وداخلها تبدلاً في أولويات المسائل والمشكلات بالنسبة للحكام الأندلسيين. ولأنه من الخطأ رؤية الأندلس مجتمعاً متجانساً، فقد سبق ووُحِّدْ سياسياً في عهد الأمويين والمرابطين والموحدين (رغم تمزقات الحروب الأهلية، والانشقاقات العرقية والدينية). وبالعكس، فقد كانت شبه الجزيرة مقسمة في القرن الثالث عشر بين الممالك الكبيرة، لقشتالة ـ ليون وآرجوان. كتلونيا، وكذلك ممالك صغيرة: نافار وبرتغال ـ دون الإشارة إلى غرناطة الناصرية. وعلى الرغم من ارتكاب الأفعال المشتركة لتنصير شبه الجزيرة لم يكن هناك ما يجمع الحكام المسيحيين، إذ كانوا مختلفين اختلافاً شديداً من خلال طموحاتهم ومصالحهم السياسية وتحالفاتهم الدبلوماسية.

وقد أدت التبدلات السياسية والانقسامات في داخل شبه الجزيرة إلى التبدلات الاقتصادية في يقظتهم. ولم يكن على السكان والتجار الإيبريين أن يتبدلوا في أوائل القرن 1200، بل كان الاقتصاد المحلي مجبراً على تعديل بنية السوق الزراعية والصناعية والتكيف مع شروط سياسية وسكانية جديدة. وفي النهاية، فإن الطبيعة الأساسية للبلاد لم تتغير، وبقيت قدرتها الإنتاجية نفسها، طالما أن تقنية المؤسسات، والمحاصيل والري قد أمكن الحفاظ عليها. ومن ثم، ففي بعض المناطق، بقيت الصادرات الأندلسية على حالها لم تتبدل، رغم انتقال البلاد من الحكم الإسلامي إلى المسيحي. ومن جهة أخرى، فإن المشكلات الزراعية والتصنيعية والتجارة المتفسخة بعد وصول المسيحيين قد شقت طريقاً للصادرات الجديدة القشتالية والأراجونية لمقابلة طلب الأسواق الأوروبية الناشئة. حتى في شمال شبه الجزيرة، نشأت صناعات جديدة في مناطق لم يطلها الحكم الإسلامي.

وفي غرناطة الناصرية، تلك الزاوية الأندلسية التي بقيت تحت سيطرة المسلمين حتى سنة 1492، فإن أحداث القرن الثالث عشر قد عدلت وبدلت

من مشكلات التجارة الدولية. وعلى الرغم من أن المنطقة ظلت تصدر كثيراً من المنتجات نفسها التي كانت تصنع في الماريا وملقا ومدن أخرى في الجنوب والتي اشتُهِرتْ في القرن الحادي عشر والثاني عشر، فإن إنتاج الصناعات الأجنبية الجديدة بدأ بمنافسة سلع غرناطة. هذه المنافسة وضعت غرناطة في ظروف صعبة ومزدوجة، فمنذ وقت قريب استفادت المنطقة من الاقتصاد الأندلسي الواسع الذي سمح لها بتصدير مواد الرفاهية إلى الخارج وتحصيل كثير من القواعد الإنتاجية من خلال التجارة مع المناطق الأخرى في إسبانيا المسلمة. وعوضاً عن ذلك، أجبرت غرناطة من جديد على التوجه إلى شمال أفريقيا وأماكن أخرى من أجل القمح والضروريات اللازمة، والوصول إلى التكيف مع الجيران المسيحيين الشماليين. وعلى الرغم من أن غرناطة قد تمكنت من إنتاج الغذاء، كما أكد ابن خلدون، إلا أن المجهود كان مكلفاً[2]. ومن ثم، حتى في مواجهة المنافسة الخارجية ظلت المملكة الناصرية تنتج الحرير والفواكه التي كانت ملائمة جداً لمناخها، واتكلت على المنتجات الرئيسة المستوردة من الخارج.

واستمرت غرناطة في تصدير كثير من المواد الغذائية (وخاصة الزيت والتين) من المناطق الجنوبية والشرقية نفسها، والتي كانت تنتجها سابقاً سواء في المناطق التي أصبحت مسيحية أم التي ظلت مسلمة. ومن خلال أمثلة أخرى، فإن منطقة المصنوعات الواسعة الانتشار كما هي الحال بالنسبة للجلود القرطبية، استمرت ـ وهو ما يلفت النظر ـ بإنتاج تلك المواد خلال القرن الثالث عشر، وبيعت إلى الأسواق نفسها التي كانت قد تلقتها من قبل. وبصورة عامة، فإن جميع الباعة المسلمين في المشرق وشمال أفريقيا قد توجهوا إلى مصادر أخرى تاركين معظم الصادرات الإيبرية تذهب في البلاد المسيحية وتباع. وقد تلاشت المراجع عن المنتجات الإيبرية (أو تضاءلت) في النصوص العربية لتظهر في السجلات

---

(2) Ibn Khaldūn, The Muqaddimah, trans F. Rosenthal, New York, 1958, II, pp. 278-9.

الأوروبية فقط. ومن ثم، وخلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، فإن تين ملقا الذي كان مرغوباً في بغداد صار ممتعاً في بروجس، وصار القرمز يباع في إنجلترا أكثر من مصر.

وبالإضافة إلى هذه الاستمرارية، بدأت الممالك الإسبانية المسيحية تُصَدِّرُ عدداً من السلع التي لم تعد تستورد (على الرغم من عدم معرفتها) عن طريق تجارة الأندلس الدولية. وقد شملت هذه الصادرات الجديدة الشب والحديد والنبيذ والرقيق المسلم وصوف المرينوس الناعم الشهير. وكان معظم هذه المواد ينتج في قشتالة الشمالية ويصدر من خلال الشبكة الجديدة المتطورة من الموانىء مثل ستاندر وكاسترو وأوردياليس وغيرها على شاطىء باي بزكاي. وكان معظم هذه الصادرات الجديدة من المواد الخام التي تنقل إلى الخارج لتزود الصناعات الأوروبية بمواد الصناعة. وعلى الرغم من أن شبه الجزيرة قد تابعت تصدير عدد من السلع المصنعة مثل الخزف والورق والنسيج إلا أن ميزان الإنتاج قد تبدل لصالح المواد الخام.

وبالإضافة إلى هذه الاستمرارية في التصدير الجديد، يوجد صنف ثالث من البضائع، أعني تلك الصادرات الأندلسية السالفة الذكر التي اختفت من السجلات في أول القرن الثالث عشر. وسواء أكان إنتاجها وتصديرها قد توقفا، ونقلها قد تقهقر إلى درجة لم تعد تسجل، أم أن منعها من التداول قد أجبر التجار على استبعاد توثيق تجارة رائجة، ولأسباب مختلفة، صارت هذه المواد المختفية سلعة تجارية متطورة، وتحولت طرقها أو أنها لم تكن لتلقى المنافسة في عالم التجارة المسيحية، حيث صارت شبه الجزيرة مساعداً جنوبياً مرغوباً فيه. وكمثال على هذه الاختيارات الثلاثة كان الرقيق المسيحي لوقت قريب صادرة مسموحة من المنطقة المسيحية الجديدة، وكان الذهب السوداني إلى وقت قريب، يأتي خلال شبه الجزيرة، ولكن بعد انهيار سلطة الموحدين تمكن تجار البحر الأبيض المتوسط من الحصول عليه مباشرة من موانىء شمال أفريقيا، وصار خشب إيبريا غير ذي قيمة في أسواق أوروبا مثلما كان عليه في مناطق المشرق وشمال أفريقيا الفقيرة بالأخشاب (حيث

تردد المسيحيون بمنع بيعه). إن التقطع في تجارة الرقيق والذهب والخشب، سيناقش في نهاية الفصل لتبيان كيف أن الحظر على التجارة والسياسة الحكومية والتوجه الشمالي الجديد لشبه الجزيرة في العصور الوسطى قد دمر الدور الأندلسي القديم كمنطقة عبور غربية بين عوالم التجارة المسيحية والإسلامية. وعوضاً عن هذا الدور، فقد خدمت الموانىء في الأندلس وغرناطة حالياً كمحطات للتمون للعابرين مضائق جبل طارق بين مناطق التجارة المسيحية في البحر الأبيض المتوسط والأطلنطي.

الاستمرار في التصدير

زيت الزيتون

إن ذكر زيت إشبيلية في أشعار «تشهير السياسة الإنجليزية» السالفة الذكر، يرينا أن زيت الزيتون ظل صادرة إشبيلية مهمة لزمن طويل بعد السيطرة المسيحية على المدينة من قبل فرديناند الثالث صاحب قشتالة في سنة 1248. والواقع، يبدو أن Primera crónica general وهي أول حولية عامة لاقت صدى اطراء المؤرخين العرب الأوائل في وصف الزيت الممتاز وتوزيعه من منطقة شرف Sharaf[3]. حتى قبل سيطرة القشتاليين على المدينة كانت تجارة الزيت قد تحولت إلى أيد الجنويين بصورة واسعة كما هو مبين في امتياز ممنوح إلى جنوى من قبل فرديناد الثالث حيث سمح فيه للتجار الجنويين أن يستمروا في نقل زيت إشبيلية «إلى مناطق أخرى من العالم»، وكما كانت عادتهم «خلال الزمن الذي كانت فيه المدينة تحت سيطرة العرب»[4]، فمن غير الواضح متى بدأت تجارة الجنويين، خاصة وأنه لا

(3) Alfonso X, Primera crónica general de España. ed. R. Menéndez-Pidal , Madrid, 1906, reprint 1977, II, p.769.

(4) Caffaro, Annali genovesi di Caffaro e de suoi continuatori. ed. L.T. Belgrano, Genoa, 1890 m, pp. 183-84. وقد تجدد هذا الامتياز في 1251 C.Verlinden, "Italian Influence in Iberian Colonization," Hispanic American Historical Review 33, 1953, p.201.

توجد عقود عدلية مبكرة تذكر زيت الزيتون الإشبيلي. من جهة أخرى، ربما نُقل بعض الزيت من قبل الطليان في أوائل سنة 1160 حيث حافظت جنوا وپيزا على بيوت تجارية في إشبيلية. وتبين السجلات المتأخرة أنه على الرغم من أن الجنويين (أو أن المراكب الجنوية على الأقل) قد استمرت في دورها في السيطرة على نقل الزيت الأندلسي إلى البحر الأبيض المتوسط وشمال أوروبا، فقد تعامل التجار الطليان الآخرون والأراجونيون ببعض من هذه التجارة[5].

وفي القرن الرابع عشر مدح الحميدي الجغرافي المسلم زيت إشبيلية، قائلاً أن «صنف زيت الزيتون هذا، من أفضل الأصناف، [فالزيتون] يعصر جيداً، ولايزنخ، حتى بعد زمن طويل، وهو يصدر من [شبه الجزيرة] براً وبحراً إلى البلاد البعيدة»[6]. إن تعليق الحميدي هذا، يدل على استمرار توافر زيت الزيتون الإيبري في بلاد دار الإسلام، على الرغم من أنه كان يصل على ظهر المراكب المسيحية. وقد نقل التجار الجنويون والبندقيون زيت الزيتون من الأندلس إلى مصر في القرن الخامس عشر[7]. كما بيع زيت الزيتون الإشبيلي في أسواق البحر الأبيض المتوسط المسيحية في النصف الأول من القرن الرابع عشر عندما سجل بيجولوتي Pegolotti تفاصيل مكاييله

---

(5) J.A. Sesma Muñoz, "El comercio de exportación de trigo, aceite y lana desde Zaragoza a mediados del siglo xv," Aragón en la edad media, Zaragoza, 1977, pp.209-18.

(6) Ḥimyari, La Péninsule ibérique au moyen âge. ed. E. Lévi-Provençal, Leiden, 1938, p.101.

قدم القزويني معلومات مماثلة في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد .Beirut, 1380/1960, p.497 كان العمري وبدر الدين الإيني وابن بطوطة من بين مؤلفين آخرين ذكروا تصدير الزيت الأندلسي إلى المغرب ومصر في أواخر العصور الوسطى. حول معلوماتهم ن، Arié, España musulmana. Barcelona, 1982, p.223; and A. Zeki, "Mémoire sur les relations entre l'Egypte et l'Espagne pendant l'occupation musulman," Homenaje a Don Francisco Codera. Zaragoza, 1904, p.464.

(7) E. Ashtor, The Levant Trade in the Later Middle Ages. Princeton, 1973, pp. 230, 267.

وسعره مقارنة مع أنواع أخرى من الزيت. وبالمثل فقد زود التجار الجنويون المعاصرون شيوس Chios بالزيت الاشبيلي[8].

وكما هي الحال بالنسبة لمنتجات إيبريا الأخرى، وبالرغم من مواصفات زيت إسبانيا العالية فقد واجه منافسة في عالم البحر الأبيض المتوسط. وكان هذا أقل أثراً في الواقع، في أسواق أوروبا الشمالية، حيث كان الزيت مطلوباً لصناعة النسيج والأصبغة كما أنه المادة الأولية في صناعة الصابون (كذلك غمس الزيت بالخبز، وهي العادة الجديدة الشعبية لاستهلاك الزيت القشتالي Whyte Castell sope). وقد أدرجت قوائم تعرفة بروجس Bruges في النصف الثاني من القرن الثالث عشر زيت الزيتون بين الصادرات من منطقة إشبيلية، وظهر الزيت ثانية في قائمة من سنة 1355 لمستوردات إسبانيا إلى بروجس[9]. وبالمثل فقد بينت سجلات من الموانیء الإنجليزية حركة نقل كبيرة لزيت إشبيلية والبرتغال خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ففي سنة 1309 مثلاً، وصل مركبان برتغاليان حاملان الزيت إلى ساوث أمبتون Southampton، وصُدرت وثيقة وصول بالسلامة لمركب إسباني في بريستول كان حاملاً الزيت والنبيذ والحديد في سنة 1434[10]، وفي أواخر القرن الخامس عشر (1475 ـ 1480) اشتكى تاجر جنوي في لندن أنه نقل شحنة من الزيت وسلع أخرى من إسبانيا ليبيعها في لندن أو في ساوث

---

(8) Francesco Balducci Pegolotti, La pratica della mercatura. ed. A. Evans, Cambridge, Mass., 1936, pp. 270-1; E. Otte, "El comercio exterior andaluz a fines de la edad media." Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8-10 de Abril, 1981. Seville, 1982, pp. 194-5. Otte discusses trade in Andalusian oil, pp. 194-205.

(9) J. Finot, Etude historique sur les relations commerciales entre Flandre et l'Espagne au moyen âge, Paris, 1899, p.303; L. Gilliodts-van-Severen, Cartulaire de l'ancien consulat d'Espagne à Bruges. Bruges, 1901, I, p. 15.

(10) L.F. Salzman, English Trade in the Middle Ages. Oxford, 1931, p. 412; E.M. Carus-Wilson ed., Overseas Trade of Bristol in the later Middle Ages. Bristol, 1937, p. 63.

أمبتون، ولكن ربان السفينة حوّلها إلى بريستول[11]. وبعد ذلك بسنوات قليلة، أي في سنة 1495 أجرى تاجر لندني عقداً لتسليم تسعة براميل من «زيت الزيتون الإشبيلي الطيب» وتعهد بأن تشحن على ظهر Anne of Hampton في الرحلة القادمة محملة بالسلع الجيدة إلى ميناء Saint Lucard Baramed على نهر إشبيلية[12].

التوابل والزئبق

وقد صُدر القرمز أيضاً من المناطق المسيحية القديمة والجديدة في شبه الجزيرة خلال طريق شقها إلى أسواق شمال وجنوب أوروبا. وقد هاجم القراصنة السندويتش Sandwich سفينة إسبانية في سنة 1228 ذكر أنها كانت تنقل مئة رطل من حبيبات القرمز في عنبرها، ذلك أن القرمز كان متوافراً في بروجس ومصدره قشتالة والأندلس والبرتغال في الوقت نفسه تقريباً[13]. وكان نقل الأصباغ الإيبرية إلى بروجس مفاجئاً، ذلك أن مراكز النسيج في البلدان المنخفضة كانت سوقاً جاهزة للملونات. وفي الواقع، وعندما وصلت شحنة أخرى من القرمز إلى سندويتش سنة 1337 في ظل ظروف أقل تأثيراً من شحنة 1228، ولم تبع جيداً، راح التاجر الإسباني الذي شحنها يبحث عن إذن بأخذها إلى برابانت Brabant أو هينولت Hainault أملاً في إيجاد سوق أفضل[14]. وقد نقل التجار الإسبان حبيبات الصباغ إلى بروجس في سنة 1355 على الرغم من أنهم كانوا مطالبين أن يدفعوا تعرفة مرتفعة نسبياً مقابل هذه الشحنة[15]. وقد استمر القرمز الإيبري متوافراً في آخر القرن الرابع عشر

---

(11) Carus-Wilson, Overseas Trade, p. 149.

(12) Amold. R. The Customs of London, otherwise called Arnold's Chronicle. London, 1811, p. 110 See also WR Childs, Anglo-Castilian Trade in the Later Middle Ages, Manchester, 1978, pp. 45,109-11.

(13) Calendar of Close Rolls, CCR, London, 1896-1938, 1227-31, p. 89; Finot, Etude, p. 303.

(14) CCR, 1333-7, p. 644.

(15) Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 15.

والخامس عشر عندما برز في وثائق انجليزية متنوعة، عدلية وأدبية. وظهر ذلك في آخر سياق، من خلال امتياز في حكايا كنتربوري Canter bury Tales (حوالي 1367) حيث ذكر مصادفة «حبيبات برتغالية» للصباغ، في حين ظهر حب الصباغ، خلال القرن الخامس عشر، في لائحة Libelle of Englyshe Polycye للصادرات الإسبانية والبرتغالية وفي جمرك لندن(16). وفي سنة 1445، وصل قادسان (سفينتان شراعيتان) بندقيتان إلى لندن تحملان «حبيبات اسبانية» للصباغ grana hispanica pro pannos(17).

واستمرت العقود العدلية الجنوية في البحر الأبيض المتوسط تشير إلى القرمز الايبري، ويضاف إلى ذلك سجل من سنة 1253 لبيع «حب إسبانيا» يبين استمرار التجارة منذ القرن الماضي(18). وقد ثبت هذا النقل التجاري الرائج مع جنوى في وثائق من سنة 1265 من مدينة مونبلييه، حيث سيطر فيها جيمس الأول صاحب أراجون المهيمن على العمل التجاري وعلى استخدام هذه الأصباغ(19). وأدرج بيجولوتي فيما بعد حبيبات إسبانيا، grana di Spagna إلى جانب ستة أنواع أخرى من القرمز أتجر بها من قبل تجار في فلورنسا، وذكرت مراجع من محفوظات داتيني 1383 - 1411 Datini achives القرمز القادم من مورسيا وبلنسيا (رغم أن قرمز البروفانس أفضل كما كان يُظن)(20).

---

(16) G. Chaucer, "The Nun's Priest's Tale," Chaucer's Poetry. ed. E.T. Donaldson, New York, 1958, line 639, p. 514; Libelle of Englyshe Polycye, pp. 4,7; Arnold, Customs of London, p. 235. See also Childs, Anglo-Castilian Trade, p. 106.

(17) E. Ferreira Priegue, "El papel de Galicia en redistribución de productos andaluces visto a traves los archivos ingleses," Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8-10 de abril, 1981. Seville, 1982, p. 243.

(18) ASG Cart. 18/1, fol. 84v.

(19) M.G. Fagniez ed., Documents relatifs a l'histoire de l'industrie et commerce en France. Paris, 1898, I, pp. 261-62.

(20) Pegolotti, Pratica, p. 297; F. Melis, I trasporti e le comunicazioni nel medioevo. Florence, 1984, pp. 56-9.

وقد عثر على ذكر الزعفران والكمون الإيبري في السجلات المسيحية من القرن الثالث عشر والرابع عشر؛ ذكر الاثنان في قائمة بروجس على أنهما صادرتان اسبانيتان في القرن الثالث عشر. وكان الأول من أراجون والثاني من قشتالة، ولكن الكمون وحده الذي ظهر في لائحة بروجس سنة 1355[21]. وذكر بيجولوتي الاثنين كصادرتين إيبريتين[22]. أما في انجلترا فقد تنافس الزعفران الإسباني مع آخر ينمو محلياً. أما الكمون فكان مستورداً بالتأكيد. وتقول شكوى قدمت في سنة 1294 تتعلق بشحنة من «ثلاثين كيساً من الكمون» بأنها تعود لتاجر إسباني في سندويتش، بينما يذكر سجل آخر من المدينة نفسها مؤرخ سنة 1305 شحنة أخرى من الكمون الإسباني[23].

وذكر الزئبق في لائحة «تشهير السياسة الانجليزية» مما يدل على استمراريته، خاصة وأن مناجم المعدن Almaden شمال قرطبة قد استثمرت من قبل الحكام المسيحيين كما كان الحال في القرون الباكرة. وقد نقل الزئبق خلال إشبيلية إلى أسواق المتوسط وانجلترا وفلندر خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر[24]. وخلال القرن الخامس عشر، أعطت منحة ملكية من تاج قشتالة احتكار تجارة الزئبق إلى التجار الجنويين[25].

الجلود والفراء

وقد استمر الجلد القرطبي وغيره من الجلود المشغولة والملونة

(21) Finot, Etude, p. 303; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 15.

(22) Pegolotti, Pratica, pp. 294, 376.

(23) C.C.R. 1288-96, p. 365; Salzman, English Trade, p. 414; Childs, Anglo-Castilian Trade, p. 124.

(24) F. Perez Embid, "Navigation et commerce dans le port de Séville au bas moyen âge," Le moyen âge 75,1969, p. 489; Finot, Etude, p. 303; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 15; Salzman, English Trade, p. 411; Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 119-20.

(25) J. Heers, "Les hommes d'affaires italiens en Espagne au moyen âge: Le marché monétaire." Fremde Kaufleute auf der iberischen Halbinsel. ed.H. Kellenbenz, Cologne-Vienna, 1970, p. 75.

كصادرات ايبرية مهمة خلال القرن الثالث عشر وما بعده. وربما نقل بعض الجلود إلى دار الإسلام، حيث ذكر القزويني (توفي 1283) وابن الخطيب (توفي 1374) صادرات الجلد الإيبري[26]. وكما كان الحال قبلاً، كان القرطبي مرغوباً في الأسواق المسيحية حيث كانت تتوافر جلود ليست من تقليد إيبري. وعلى الرغم من هذه المنافسة، فمن الواضح أن صناعة الجلد الإسباني وتجارته قد ازدهرت. وقد فرقت قوائم التعرفة القشتالية والأراجونية بين القرطبي الأحمر والأبيض، لكن قيمة الفرق ازدادت في القرن الثالث عشر عندما فرضت المكوس على الشحنات المنقولة على طول نهر إيبرو خلال عهد الفونسو الثاني 96 - 1162، متضمنة عشرين سوليدي Solidi فُرضت على القرطبي الأبيض والقرمزي cordovans blanchs o vermels وكانت الضريبة واحدة على الاثنين[27]. وفي سنة 1238 أدرج عقد تعرفة في بلنسيا وصلت إلى ستة دنانير deniers بالدرزينة من القرطبي الأبيض، وضعف المبلغ على الأحمر. وهكذا فإن التعرفة المرتفعة هي إشارة ارتفاع السعر، وندرة المادة أو كونها مستوردة، هذا التعارض ينشأ من واقع أن الجلد القرطبي الأبيض كان ينتج محلياً فيما يعرف كأراضٍ أراجونية، بينما ظلت أنواع الأحمر تأتي من الجنوب الإسلامي أو من قشتالة والجنوب المسيحي حديثاً. وفي سنة 1240 ذكر عقد تجاري واحد على الأقل من فيتش Vich جلداً «بلنسياً» قرطبياً، وخلال القرن القادم صارت بلنسيا مشهورة في إنتاج الجلد الأبيض[28]. وقد أشار بيجولوتي إلى بيع جلد قرطبي من بلنسيا

(26) Qazwini, Athar, p. 555; Ibn Khātib, Mufakarat Malaqa wa Sala. ابن الخطيب مفاخرات ملقا وسالا. ed. A.M. al-'Abbadi, Alexandria, 1958, p. 59.

(27) M. Gual Camarena, "Peaje fluvial del Ebro siglo XII," Estudios de edad media de la Corona de Aragón 8,1967, p. 167; Fori antiqui valentiae. ed. M. Dualde Serrano, Madrid-Valencia, 1950-67, pp. 282-3. من أجل بلنسيا انظر إلى وثائق مماثلة في 1240 المجموعة من قبل M.D. Sendra Cendra, Aranceles aduaneros de la Corona de Aragon siglo XIII, Valencia, 1966, pp. 22-3, 29, 38.

(28) A. Garcia, "Contractes comercials vigatans de principis del segle XIII," Ausa, Vich 43, 1963, p. 329; Gual Camarena, "Peaje," p. 182.

وبرشلونة في موانئ جنوب فرنسا في باكر القرن الرابع عشر، وذكر وجود «جلد قرطبي» في البندقية ولكنه كان مجهول المنشأ[29].

وكان الجلد القرطبي مرغوباً في شمال أوروبا، كما هو مبين من خلال ذكره من قبل جون جارلاند في باريس John Garland منذ سنة 1220 وظهور الجلد القرطبي القرمزي في لوائح تعرفة باريس مؤرخة في (1272 و1297)[30]. وبطريقة مماثلة، تصف خرافة فرنسية من القرن الثالث عشر غندورين متأنقين يلبسان: حذاءين من الجلد القرطبي الخالص وسروالين ممتازين من بروجس»[31]. وعلى الرغم من أن هذه الأدلة لا توضح الأصل الإيبري لها، فمن المحتمل إن جلد هذين الحذاءين جاء من شبه الجزيرة إلى فرنسا عن طريق بروجس وهي مصدر السروالين. لقد كان الجلد القرطبي من قشتالة وليون ونافار متوافراً باستمرار في فلندر خلال القرن الثالث عشر[32]. وبعيداً عن ذلك، تتضمن فاليش مابينوجيون Welsh Mabinogion إشارة إلى أحذية مصنوعة من جلد قرطبة المذهب، مما يدل على أن هذا النموذج من الجلد كان مألوفاً في أقصى بريطانيا[33]. وكان الجلد القرطبي متيسراً ولا

(29) Pegolotti, Pratica, pp. 225, 141. وظهرت أنواع أخرى من الجلد المتاجر به في المتوسط في: Pegolotti, Pratica, pp. 124, 270, وفي Datini archives, Melis, I traspori, pp. 54-6.

(30) A. Scheler, ed., "Trois traités de lexicographie latine du XIIe au siècle," Jahrbuch für romanishe und englishe Literatur 6,1985, p. 296; D. D'Arcq, "Tarif de marchandises qui se vendaient à Paris a la fin du XIIIe siècle," Revue archéologique 9,1852, p. 227.

(31) A. de Montaiglon ed., Recueil general et complet des fabliaux des XIIIe et XIVe siècles. Paris, 1872, I, p. 1. ذُكر هذا المقطع من قبل R. van Uytven, "Cloth in medieval literature of Western Europe," Cloth and Clothing in Medieval Europe: دراسات في ذكرى Prof. E.M. Carus-Wilson. London, 1983, p. 155.

(32) Finot, Etude, pp. 302-3. الجلد القرطبي بيع في بروجس في سنة 1355 أيضاً Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 15.

(33) Mach vab Mathonwy. edition, translation, and commentary by W.J. Gruffydd, Cardiff, 1928, p. 20.

شك في جنوب انجلترا في سنة 1228 عندما وصفت وثيقة مركباً إسبانياً هوجم من قبل القراصنة قرب سندويتش مُدْرِجاً نوعاً مدهشاً من سلع الجلد منقولة في عنبره. ولم يكن القارب سيء الحظ يحمل كمية كبيرة من الجلد القرطبي (التي تلف بعضها بسبب مياه البحر، وهي خطر دائم) وحسب، بل كان يحمل جلود الأرانب والنمور والحَمَلْ والجدي وكثيراً من الجلود غير المدبوغة[34]. وبعد ذلك ذكرت Libelle of Englyshe Polycye القرطبي بين صادرات إلى البرتغال (ويبدو أنها لم تكن قشتالة)[35].

وقد كثرت المراجع عن أنماط أخرى من الجلد الإسباني والجلود المباعة في أوروبا في القرن الرابع عشر والخامس عشر، ولكن جلد الأرنب فقط بقي قليل البيع منذ العهد الإسلامي الباكر. وقد ذكر جلد الأرنب كصادرة أندلسية من قبل الزهري في القرن الثاني عشر، حيث ظهر في بورتازجو معاصرة في قشتالة وأراجون. وبعد منتصف القرن الثالث عشر، ظهر في وثائق التجارة الإيبرية إلى إنجلترا والبلدان المنخفضة. ولم ينقل إلى سندويتش في سنة 1228 وحسب، بل وصل جلد الأرنب إلى لندن، حيث سلم التجار القشتاليون الغاليس/الغاليون شحنة من ستة آلاف من الجلود اللامعة Pellium, cuniculorum في سنة 1237، وإلى بروجس من نافار في وسط القرن الثالث عشر[36]. وكان العواهل يحاولون من وقت لآخر، الحد من تصدير السلع الإيبرية، وقد امتد هذا الإجراء ليشمل جلود الأرنب في

= كلمة cordwal بلغة Welsh تلتقي مع cordwain الانجليزية واشتقاقات أخرى، ويؤرخ نص هرجست (Red Book of Hergest) في 1400.

(34) C.C.R. 1227-31, p. 89. The Close Rolls and Fine Rolls C.F.R.

مليئة بالمراجع عن شحن الجلود من إسبانيا، ن:

C.C.R. 1333-7, p. 644; C.F.R. 1337-47, p. 5; C.C.R. 1337-9, p. 85. See also Salzman, English Trade, pp. 414-15, and Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 136-7.

(35) Libelle of Englyshe Polycye, p. 7.

(36) C.C.R. 1227-31, p. 89; C.C.R. 1234-7, p. 479; Finot, Etude, pp. 302-3.

آخر القرن الثالث عشر[37]. وكان سبب القيود غير معروف، خاصة وأن هذه البضاعة غير مؤذية، ولكن هذا المنع لم يدم واستمرت تجارة جلود الأرنب في القرن الرابع عشر. وفي سنة 1337 مثلاً نقل التجار الإسبان «خمسين بالةٍ أو رزمة من جلود الأرانب البرية» إلى سندويتش وكان قد ذكر جلد coninen بين السلع الإسبانية التي صدرت إلى بروجس في سنة 1355[38]. وذكر بيجوليتي في الوقت نفسه جلود أرانب للبيع (ربما لتجار أجانب في مالوركا وإشبيلية) [39].

الفواكه المجففة

كانت الثروة الناتجة عن تصدير التين المجفف وغيره من الفواكه حاسمة في أهميتها للاقتصاد في غرناطة الناصرية في القرن الرابع عشر. «أيها التين» هكذا بدأ يكتب عنه أحد شعراء ملقا كاعتراف بأهمية مصدر الثروة هذه. «لقد أبقيت على حياة ملقا، وبسببك تصل المراكب إلى [هذه المدينة]» [40]. وقد احتفظ تين ملقا بسمعته العالية لجودته ولكونه مرغوباً في الأسواق المسلمة والمسيحية وأصبحت أرباح هذه التجارة ذات قيمة زائدة إذ إن حركة تجارة الحرير في غرناطة قد تداعت. وقد كتب الجغرافي العمري (متوفى 1348) أن تين ملقا صُدّر إلى جميع جيران الأندلس، وادعى الحميري أنه «نقل إلى مصر وسورية والعراق، وربما بعيداً إلى الهند، لأنه كان أطيب وألذ تين» وبطريقة مماثلة ذكر ابن بطوطة والمقري

(37) J. O'Callaghan, The Cortes of Castile-Leon, 1188-1350, Philadelphia, 1989, pp. 189-90.

(38) CCR 1337-9, pp. 85-6; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 16.

حول تجارة الفرو في إنجلترا وفرو الأرانب ن:

E.M. Veale, The English Fur Trade in the Later Middle Ages. Oxford, 1966, especially pp. 209-14.

(39) Pegolotti, Pratica, pp. 124,270.

(40) Ibn Battuta, Tuhfa al-nazar fi ghara'ib al-amsar. Cairo, 1934, p. 291.

ابن بطوطة «تحف النظر في غرائب الأمصار».

تصدير التين من ملقا إلى جميع بلدان الغرب والشرق منتشراً بعيداً حتى الصين[41]. وكانت عناقيد العنب ممتازة بحجمها وشحم عنبها، ولذا فقد صدرت. وكان عنب المربالي من مرابيلا Marabella والمنكّبي Munakabbi من المنقار Almunecar وجميعها مرغوبة. كفواكه إلتشه Elche وملقا ومناطق أخرى من غرناطة[42]. ورأى ابن بطوطة أن «العنب يباع في أسواق [ملقا]»، وذكر القزويني أن المصدّر منه من نبيلا Niebla لم يكن له نظير في العالم[43].

لقد كان التين والفواكه المجففة الأخرى إحدى الصادرات القليلة المنتظمة والرائجة من غرناطة المسلمة إلى أوروبا، على الرغم من أن مناطق اخرى (بما فيها إشبيلية وقرطبة وكتلونيا ومالوركا/ قا) بدأت بتصدير الفواكه في وسط القرن الثالث عشر[44]. وكان التجار المسيحيون تاجروا بالتين الإيبري في القرن الحادي عشر، عندما سجل كاتب عدل جنوي شحنات من التين fegie نقلت من قبل تجار جنويين (ولكن إلى سبتا كأبعد حد) في العامين 1162 و1179[45]. وبعد ذلك بقليل كتب المؤلف العربي الشقندي (بين 1199 ـ 1212) أن «المسلمين والمسيحيين قد صدروا [التين من ملقا] بتلك الكميات الكبيرة بحيث لم يكن باستطاعتهم المتابعة»[46]. وفي أواخر القرن الرابع عشر، تباحثت عائلة سبينولا Spinola الجنوية مع الحكام

---

(41) ‘Umari, Masalik al-absar. trans. M. Gaudefroy-Demombynes, Paris, 1927, pp. 240-1; Himyari, Peninsule, p. 178; Ibn Battuta, Tuhfa, p. 291; Maqqari, Analectes sur l’historie et la littérature des arabes d’Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, I, p. 95.

العمري، مسالك الأبصار.

(42) J. Vallve, "La agricultura en al-Andalus," Al-Qantara 3,1982, pp. 289-90.

(43) Ibn Battuta, Tuhfa, p. 291; Qazwini, Athar, p. 555.

(44) Finot, Etude, p. 30; Pegolotti, Pratica, p. 123.

(45) H.C. Krueger. "The Commercial Relations between Genoa and North-West Africa in the Twelfth Century." Ph.D. Dissertation, University of Wisconsin, 1931, p. 121.

(46) Maqqari, Analectes, II, p. 148.

الناصريين للحصول على امتياز السيطرة على تصدير الفواكه المصدرة من موانئ غرناطة[47]. وكان بعض الفواكه المجففة من غرناطة قد بيع داخل شبه الجزيرة، كما تبين في لوائح تعرفة سنة 1252 من طرطوشة التي خصصت مكساً من ثلاثة دنانير Denarios على كل سلة تين من ملقا أو أليكانته Alicente والشيء نفسه على سلة كبيرة Sporta grasse من التين من دينيا[48]. وكذلك وصلت شحنات اللوز والزبيب والجوز إلى موانئ أوروبا الشمالية محمولة على مراكب ايبرية وإيطالية[49]. وقد نقل دومنجو جونسلافس Domingo Gunslaves وهو تاجر من لشبونة خمسين كيساً من اللوز ومئة وتسعة عشر من التين إلى سندويتش في سنة 1299. وقبل ذلك بعشر سنين باع تاجر إسباني على ظهر مركب في بورتسموث Portsmouth كمية من الزبيب والتمر والرمان والليمون والبرتقال إلى مندوب الملكة «النور Eleanor» صاحبة قشتالة التي ربما كانت مشتاقة لتذوق حلاوة وجمال بلادها[50]. وبطريقة مماثلة بينت الوثائق الإنجليزية وصول سفينتين ايبريتين تحملان شحنات من التين والزبيب في أول القرن القادم[51]. وليس من الضروري القول أن الإنجليز لم يكونوا المستهلكين الشماليين الوحيدين التواقين إلى

---

(47) J. Heers, "Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en occident, XVe siècle," Le moyen age 63,1957, p. 108; Otte, "Comercio exterior," p. 223; E.J. López de Coca Castañer, "Comercio exterior del reino Granada," Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza. Hacienda y comercio. Sevilla, 8-10 de Abril, 1981. Seville, 1982, p. 344.

(48) Sendra Cendra, Aranceles, p. 61.

(49) F. Melis, "The Nationality of Sea-Borne Trade between England and the Mediterranean around 1400," Journal of European Economic History, 4,1975, p. 376.

(50) Salzman, English Trade, pp. 412-13.

(51) يذكر سالسمان مراكب برتغالية تنقل الفواكه المجففة إلى ساوث أمبتون في سنة 1309.
English Trade, p. 412; Patent Rolls, C.P.R. 1334-8, London, 1895,
تقول الشكوى أن 300 زوج من التين والعنب قد سرقت من مركب إسباني في سندويتش في سنة 1337.p.443 .
وانظر حول التين Childs, Anglo-Castilian Trade, p. 125.

التين الإيبري، فقد وصل في سنة 1350 أربعون مركباً إسبانياً (كثير منها محمل بالفواكه المجففة) إلى بروجس حيث وضعت التعرفة على الزبيب والتين[52]. وبعد ذلك، ذكر سجل من سنة 1395 تجاراً انجليزاً يشحنون التين والزبيب إلى النورماندي من الجرف Agarve[53]. وقد استمر نقل الفواكه الإيبرية إلى ما وراء بريطانيا في القرن الخامس عشر، كما تبين وثائق الخلافات التي نشبت بين التجار في بريستول حول شحنة من «بعض أطنان الفواكه المدعوة تين وزبيب Tonnes of ffrute called ffyges and resans» منقولة من جنوب قشتالة في سنة 1470[54].

الخزف والفخار

إن أدلة پيزا بتشيني وهي أفضل مخبر لتفحص انتشار الفخاريات في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، ترينا أن إنتاج الفخار الإيبري وتصديره قد استمر منذ الدور الإسلامي إلى المسيحي. وقد لاحظت اللوائح تلو اللوائح من شبه الجزيرة إن «امتداد فترة تحول [صناعة] الفخار في الأندلس... تؤكد [هي الأخرى] على استمرارية هذه الحرفة، على الرغم من الهيجان السياسي». وكما ذكرت تلك الملاحظات، فقد استمر إنتاج الفخار في قرطبة ومدن الجنوب الأخرى، للأنماط السابقة نفسها، بينما حافظ الناصريون في غرناطة والأندلس على تصدير الفخاريات خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر، وبالعكس، ظل إنتاج الفخار في شمال قشتالة غير متطور[55]. وقد كان الموقف مختلفاً في مملكة أراجون، وعلى الأقل في باليريك، حيث نوه روسيللو بوردوي Rossello Bordoy إلى «انقطاع تام» في

(52) F. Rorig, The Medieval Town. Berkeley, 1967, p. 81; Gilliodts-van-Severen, Cartulare, p. 15.

(53) C.CR. 1392-6, p. 324.

(54) Carus-Wilson, Overseas Trade, pp. 147-8.

(55) F.C. Lister and R.H. Lister, Andalusian Ceramics in Spain and New Spain. Tucson, 1987, p. 72.

تقاليد الفخاريات الإسلامية إثر الفتح[56].

وتوحي المعلومات من بتشيني وأماكن أخرى بأن الفخاريات الإيبرية قد تدنت في أواخر العصور الوسطى ورغم ذلك فإن الأشكال الجديدة وتقنية التزجيج قد تطورت في هذا الدور. ومما يلفت النظر هنا هو ظهور الميوليكا Maiolica، وهو نوع من الخزف الملمح الذي أصبح شعبياً في القرن الرابع عشر والخامس عشر. وطبقاً لما ذكره بعض العلماء فإن ميوليكا مشتقة من اسم ملقا Malaga على الرغم من أنه كان يُعاد إلى مالوركا Mallorca بصورة عامة، وكان في كل الأحوال، مقلداً على نطاق واسع[57]. وكانت ملقا مشهورة بفخارياتها (كما بتينها)، وقد ظهر خزف هذه المنطقة محافظاً على سمعته وشهرته في القرن الخامس عشر. واتّجر بالأواني الفخارية لهذه المدينة في أسواق المسلمين والمسيحيين، كما أشار إلى ذلك عدد من المؤلفين المسلمين المتأخرين. وقد ذكرت قدور ملقا وصحونها في نصوص بروفنسال خلال القرن الثالث عشر[58]. وشقّت فخاريات إيبريا طريقها إلى إنجلترا، حيث أن عدداً من الصحون، وصحون الفناجين والجرار قد ابتيعت من مراكب إسبانية في سنة 1289 كما جاء مركب محمل بالصحون والأباريق «الملكية» إلى ساوث أمبتون في أوائل القرن التالي. وذكر مرجع متأخر أن

(56) G. Rosselló Bordoy, "Mallorca: Comercio y ceramica a lo largo de siglos X al XIV," II Coloquio internacional de ceramica medieval en el Mediterraneo occidental, Toledo, 1981. Madrid, 1986, p. 199.

(57) U. Scerrato, Gli arabi in Italia. Milan, 1979, p. 441.

(58) Himyari, Peninsule, p. 163; Qalqashandi, Subḥ al-a'sha fi kitābāt al-insha.

القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا،

trans. L. Seco de Lucena, Valencia, 1975, p. 26; Ibn Battuta, Tuhfa, p. 291; Maqqari, Analectes, 1, p. 96, 123. See also B. Martinez Caviro, La loza dorada. Madrid, 1983.

من أجل مراجع بروفنسال ن:

M. Jenkins, "Medieval Maghribi Ceramics." Ph.D. Dissertation, New York University, 1978, p. 183.

«جرار الملك» متوافرة في لندن في سنة 1462[59].

انحسار صناعة الحرير الأندلسي

إن المصادر عن الحرير ومنسوجاته، وهي الصادرات البارزة لإسبانيا المسلمة، قد انحسرت واختفت بعد أوائل القرن الثالث عشر. ومع ذلك فقد استمر إنتاج الحرير في غرناطة الناصرية حيث استمرت سفوح البوجاراس Alpujarras بزراعة شجر التوت، وبعد وقت ليس بالقصير، سيطر حرير الأندلس على أسواق البحر الأبيض المتوسط الغربية كما كان الحال في القرن الحادي عشر والثاني عشر. وظل بعض الحرير الغرناطي يتاجر به في دار الإسلام، وقد ذكر المقريزي قطع حرير أندلسي هي «السقلطون» في القرن الثالث عشر في القاهرة[60]. وأعلن ابن سعيد (توفي 1286) أن ملقا ومورسيا والماريا، جميعها أنتجت «الحرير المذهب (البروكار) الذي أدهش الناس في المشرق بجمال تشغيله» إلا أن هذه الملاحظة ربما أخذت من مرجع سابق[61]. ومما هو جدير بالملاحظة، من جهة الطلب المسيحي أن كتيّب بيجولوتي الشامل لبضائع البحر الأبيض المتوسط لم يذكر الحرير الإسباني، ومع ذلك يسجل المؤلف كثيراً من المنوعات الإقليمية، وخاصة من المشرق والأناضول. وبالعكس، فإن محفوظات داتيني، تتضمن أدلة على seta spagnola (الحرير الإسباني) مما يوحي أن بعض الحرير الخام قد وصل من شبه الجزيرة إلى البندقية ولوتشا Lucca ومراكز نسيج أخرى خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر[62]. ولعل جنوى كانت أهم سوق إيطالية للحرير الناصري في العصور الوسطى. ومنذ ذلك الوقت تمرس

---

(59) Salzman, English Trade, pp. 415-16. يؤرخ سالسمان سجلات ساوث أمبتون في 1304. وقد ذكر أيضاً من قبل أ. لان، A. Lane "Early Hispano-Moresque Pottery: A Reconsideration.". Burlington Magazine 88, 1946, p. 249, الذي يؤرخ في 1303.

(60) Maqrizi, Khitāt, Bulaq, 1270/1853, I, p. 427.

(61) Maqqari, Analectes, p. 123.

(62) Melis, I trasporti, pp. 58-9, 171.

التجار الجنويون في تجارة غرناطة وتمكنوا من تأمين حاجات الحائكين الجنويين. وقد وصل الحرير الأندلسي إلى أجزاء أخرى من أوروبا، إلا أن المراجع قليلة بعد وسط القرن الثالث عشر مقارنة مع معلومات القرن السابق. ولم يتغن الشعراء الفرنسيون طويلاً بالحرير العمري Soie d'Aumarie، فقد صار لديهم نظيره في القرن الثالث عشر. وظهر حرير غرناطة في لوائح تعرفة بروجس في القرن الثالث عشر، وما هو ملاحظ أن الإنتاج الناصري وحده لم يذكر كصادر من مناطق شبه الجزيرة الأخرى[63]. وكان بعض الحرير يأتي إلى بروجس من غرناطة في القرن التالي مع شحنة وصلت إلى ميناء سوين Swin في سنة 1350[64]. كما كان النسيج الحريري الأندلسي متوافراً في إسبانيا المسيحية، كما تبين من خلال وجوده في القبور الملكية في سانتا ماريا لا ريل دو لوس هولجاس Santa Maria la Real de los Huelgas في بورجس Burgos.

وباستثناء هذه الأمثلة القشتالية والحرير المذهب الأندلسي المذكور في المصادر العربية، فإن بعض الأدلة من العصر الوسيط تخص الغزل الخام. وزيادة على ذلك تشير المعلومات أولاً إلى أن الحرير الأندلسي سرعان ما تمتع بالأبهة والسيطرة الاقتصادية سواء في أوروبا أم في البحر الأبيض المتوسط، التي كان يتمتع بها يوماً. وثانياً، توحي بأن حجم صادرات غرناطة من الحرير قد تضاءل، وثالثاً، تشير إلى تبدل من النقل المختلط للحرير الخام والمنسوج إلى تركيز على المواد الخام.

وكانت التبدلات في صناعة الحرير الأندلسي وتصديره ملفتة للنظر، ولكن لم تكن عسيرة على الفهم، ذلك أن مصادر الحرير والطلب عليه قد تبدّلا في البحر الأبيض المتوسط وأوروبا في أوائل القرن الثالث عشر. وكانت المنافسة إحدى أهم العوامل في تقهقر الحرير الأندلسي. وقد بدأت

(63) Finot, Etude, p. 303.

(64) Rorig, The Medieval Town, p. 81.

مناطق البحر الأبيض المتوسط البحرية، وخاصة جنوب إيطاليا وصقلية، بإنتاج حاجتها من الحرير في باكر القرن العاشر، ولكن الصناعة الطليانية توسعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لتلبية حاجات حائكي الحرير المحليين[65]. وكانت مناطق إسبانية المسيحية من منتجي الحرير في القرن الثاني عشر ولكن المحصول لم يكن منافساً حتى القرن الخامس عشر[66]. وكانت المعاهدات اللاتينية مع البيزنطيين قد زادت من إمكانيات وصول الغرب إلى الحرير البيزنطي في شرق المتوسط في القرن الثاني عشر. وفي الوقت نفسه، فإن ظهور المنغول وإقامتهم «pax mongolica السلام المنغولي» قد فتح طريق الحرير الشهير، وسمح للتجار الغربيين الحصول على الحرير من الصين ومن مراكز الإنتاج في العالم الإسلامي. ويمكن تلمس مشكلة مماثلة في بلاد المسلمين، حيث لم يعد التجار يتطلعون إلى الغرب الإسلامي من أجل الحرير، لأنهم تمكنوا من الحصول عليه إما من الصين أو من مكان قريب من بلادهم.

وهناك غزول ومنسوجات اخرى ظهرت منافسة للحرير الخام الأندلسي والحرير المذهب أو المطرز Brocardes في أواخر العصور الوسطى، وخلال القرن الخامس عشر. حتى الأسواق الإسلامية في شرق المتوسط فضلت استيراد المنسوجات غير الحريرية من أوروبا على استيراد الحرير من الغرب الإسلامي. وإن التوجه الشمالي الجديد للتجارة الإيبرية في القرن الثالث عشر بدأ من خلال كمية المصنوعات في البلدان المنخفضة وفرنسا وإيطاليا والتي بدأت تُستورد إلى شبه الجزيرة. حيث كان الأندلس مصدراً للحرير الإسلامي

---

(65) R.S. Lopez, "China Silk in Europe in the Yuan Period," JAOS 72,1952, p. 72; M. Lombard. The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p. 184.

(66) E. Morral i Romeu and A. Segura i Mas. La seda en Espana: poder y realidad. Barcelona, 1991, pp. 62-7. لقد ذكر شجر التوت والحرير المنسوج في كتلونيا في القرن الحادي عشر, F. May, Silk Texiles of Spain, 8th-15th century. New York, 1957, pp. 10-11 and in Toledo in 1192 A. Gonzalez Palencia, Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII. Madrid, 1926, I, p. 171.

إلى أوروبا. وصار المستهلكون الإيبريون الآن تواقين إلى الأصواف والكتان الفلامندي والإيطالي. وفي سنة 1234، منح جيمس الأول صاحب أراجون امتيازات خاصة لتجار ثياب محليين في وثيقة ذكرت أقمشة من انجلترا وفرنسا، ولم تذكر شيئاً من الجنوب المسلم. وبعد ست سنوات، منح امتيازه leuda إلى لائحة مصنوعات حيكت في جينت Ghent وايبرس Ypres ورايمس Rheims وناربون Narbonne ومونبلييه وميلانو وبرشلونة ومدن أوروبية أخرى، مع اشارة قصيرة ووحيدة لنسيج إسباني tela hispanie[67]. وكانت مصنوعات المدن الأوروبية الشمالية متوافرة في أسواق قشتالة بصورة واسعة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر[68]. وبما أن معظم المنسوجات الأوروبية كانت غير حريرية، كان إنتاجها ذا أثر مضاعف على صناعة الحرير الإيبرية. فهي لم تنافس الطلب على الحرير الأندلسي وحسب بل إن مشاغل الحياكة الشمالية رغبت في الصوف الخام، وكذلك الكتان والقطن اكثر من الحرير الخام.

وفي أواخر العصور الوسطى بدلت المراكز الرئيسة لإنتاج النسيج والتجارة من أسواق الأندلس إلى شمال شبه الجزيرة. وفي الوقت نفسه كانت غالبية الأنسجة المتوافرة في أسواق إيبريا مصنوعة من الصوف وألياف أخرى أكثر مما هو مصنوع من الحرير[69]. ومن خلال تحليل المراجع عن النسيج

(67) James I, Documentos de Jaime I de Aragon. ed. A. Huici Miranda, Valencia, 1976; Sendra Cendra, Aranceles, pp. 30-1. See also Fori antiqui valentiae, CXLIV. 14, p. 286.

(68) The Cortes de Jerez de 1268، مثلاً، تضع أسعاراً للبضائع والكساء المنسوج من المدن في البلدان المنخفضة.

Cortes de antiguos reinos de Leon y Castilla. Madrid, 1861, 1, pp. 65-74.

(69) إن تطور بنية صناعة النسيج الشمالي قد أخذت جهوداً كبيرة من العلماء ولا حاجة لوصفها مطولاً هنا. وحول صناعة النسيج القشتالي ن:

P. Iradiel Murugarren, Evolución de la industria textil castellana en los siglos XIII-XVI. Salamanca, 1974.

وحول الإنتاج الكتلاني والأراجوني انظر:

=

في القرن الخامس عشر، تدل وثائق قشتالية على اتجاه التبدلات في الإنتاج والتجارة من الدور الإسلامي إلى الدور المسيحي. ويوجد هناك أكثر من مئة وأربعة أسماء قشتالية للنسيج وأربعة وأربعين تدل على الصوف وثلاثة وثلاثين للحرير وسبعة للكتان واثنين وعشرين لمنسوجات أخرى. وتشمل اللائحة منسوجات قشتالية وغيرها، وتكشف عن شيء من التنوع في المشاغل الغربية التي بقيت منذ الدور الإسلامي، ولعلها شُغِّلَتْ في ورشات حياكة منطقة مُدجَر، بينما حَمَلَتْ معظم الأصواف المنسوجة أسماء رومنسية[70]. ويبدو أن المسيحيين الإيبريين فضلوا العمل بالصوف.

وقد أثرت التبدلات السكانية في شبه الجزيرة بصورة مخالفة في صناعة الحرير الإيبري، ولما مد السكان المسيحيون جذورهم في المناطق الجنوبية، حملوا معهم مصالحهم الاقتصادية وإمكانياتهم التقنية الخاصة. وفي كثير من الحالات كان هؤلاء المستوطنون لا يتبنون نمط الحياة أو العمل للسكان السابقين، أو أنهم لم يستطيعوا ذلك، مما أدى إلى اختفاء بعض الصناعات وتطور بعضها الآخر[71]. وكذلك فإن إنتاج الحرير وحياكته يرتبطان بالقوة العاملة على نطاق واسع، هذا ولم تتعطّل صناعة غرناطة بسبب هجرة

= M. Gual Camarena, "Origenes y expansión de la industria lanera catalana en la edad media," Atti della seconda settimana di studio, Istituto F. Datini. Florence, 1976, pp. 511-23.

ومقالات أخرى في هذه المجموعة

M. Riu, "The Woollen Industry in Catalonia in the Later Middle Ages," Cloth and Clothing in Medieval Europe. Essays in Memory of Professor E.M. Carus-Wilson. London, 1983, pp. 205-29; E. Ashtor, "Catalan Cloth on the Late Medieval Mediterranean Markets," Journal of European Economic History 17,1988, pp. 227-57; and Sesma Muñoz, "El comercio de exportacion," pp. 219-24.

(70) من أصل ثلاثة وثلاثين هناك ستة عشر اسماً للحرير مشتقاً من العربية، في حين أن ستين لها أسماء رومنسية، وترجمت الأسماء من قبل:

M. Martinez, Los nombres de tejidos en castellano medieval. Granada, 1989.

(71) T. Ruiz, "Expansion et changement: la conquete de Seville et la societe castillane, 1248-1350," Annales: ESC 34,1979, p. 551.

المسلمين إلى بلاد الناصريين إثر الانتصارات المسيحية وحسب، بل بسبب الهجرة المعاصرة للمسلمين من شبه الجزيرة أيضاً.

الصادرات الإيبرية الجديدة

وفيما كان واضحاً انحسار تجارة الحرير الأندلسي، فإن كمية المعلومات عن استمرارية بعض الصادرات الإيبرية، حتى إلى الأسواق الأوروبية الجديدة، يجب ألاّ تحجب التبدلات الحقيقية التي أخذت مكانها مع نسق البضائع الإيبرية. وخلال القرن الرابع عشر، فإن عدداً من المواد التي كانت مجهولة لدى التجار الأندلسيين قد صارت السلعة الرئيسة للصادرات من الممالك الإسبانية المسيحية. ومن المستحيل تقريباً المغالاة في تقدير أهمية هذه السلع، وخاصة الصوف، بالنسبة للاقتصاد الإيبري في أواخر العصور الوسطى.

الصوف

ويوجد نحو مئة سنة من التخلف بين زوال صناعة الحرير الأندلسية وبين ازدهار وتطور التجارة الدولية الكامل في الصوف الإيبري. وحيث أن حرير الأندلس قد توقف عن أن يكون الصادرة الأولى في أوائل القرن الثالث عشر، فإن صناعة الصوف بدأت تتطور في شبه الجزيرة في النصف الثاني من ذلك القرن فقط. وقبل سنة 1253 فإن الطرق الرئيسة canadas من أجل الرعايا قد تأسست، كما أن الدمج الرسمي لـ: Honorable Council of the Mesta of the shepherds castile أي «المجلس الأعلى أو شرف ميستا Mesta لرعاة قشتالة» من قبل ألفونسو العاشر في سنة 1273، ربما يؤكد الضمانات الملكية المبكرة (مفقود الآن) [72]. وكانت كمية قليلة من الصوف

(72) J. Klein, The Mesta: A Study in Spanish Economic History. Cambridge, Mass., 1920, p. 12; J. Hillgarth, The Spanish Kingdoms. Oxford, 1976, pp. 288-9; R. Pastor de Togneri, "La lana en Castilla y León antes de la organización de la Mesta," Atti della prima settimana di Studio, Istituto F. Datini. Florence, 1974, pp. 253-69. =

قد استوردت من انجلترا في سنة 1260 وذكر أمر محلي في بروجس سنة 1304 بيع الصوف الإسباني[73]. وفي وسط القرن الرابع عشر، استقر تصدير الصوف الإيبري، وستسيطر تجارة الصوف على تجارة شبه الجزيرة خلال القرنين القادمين.

وكانت قطعان الأغنام قد تربت في شبه الجزيرة منذ زمن بعيد، وكان الصوف المنتج والمصدر من بيتيكا الرومانية Roman Baetica ذا شهرة واسعة، ولكن التيلة الناعمة الطويلة للصوف الروماني والأندلسي تختلف عن صوف المرينو merino المجعد الذي أصبح فيما بعد الصادرة الإنموذجية لقشتالة. ولعل قطعان المرينو نقلت إلى شبه الجزيرة خلال القرن الثالث عشر، ولكن كلمة مرينو merino لم تظهر في النصوص الإسبانية حتى أوائل القرن الخامس عشر. والاسم مشتق على الأغلب من «بنو مرين» وهي سلالة مغربية خلفت الموحدين في آخر القرن الثاني عشر. وفي كل حال، ليس واضحاً إذا كانت الأغنام قد نقلت إلى الأندلس في الدور الإسلامي أو أنها استوردت من قِبَل الحكام المسيحيين المتأخرين، أو أنها (كما يعتقد لوبز Lopez)، أُدخلت عن طريق شمال أفريقيا إلى شبه الجزيرة في القرن الرابع عشر من قبل الوسطاء الجنويين الذين أملوا في اقامة مصدر إيبري ثابت للصوف لإمداد المغازل الإيطالية[74]». ومهما كان الحال فقد تطورت صناعة

= من أجل تحليل جديد عن Mesta ن:

J. Bishko, "Sesenta años después: La Mesta de Julius Klein a la luz de la investigación subsiguente," Historia, Instituciones, Documentos Seville, 8,1981,pp. 9-57.

(73) Childs, Anglo-Castilian Trade, p. 106; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 7.

ربما وصل الصوف الإسباني إلى إنجلترا في القرن الثاني عشر، ومنذ ذلك الوقت وجد هنري الثاني طريقة لمنع هذه التجارة في سنة 1172.

M. Carlé, "Mercaderes en Castella. 1252-1512," Cuadernos de historia de España 21-2, 1954, p. 275.

(74) Klein, Mesta, p. 4; M. Lombard, Les textiles dans le monde musulman du VIIe au XIIe siècle. Paris, 1978, p. 26; R.S. Lopez, "The Origin of the Merino Sheep," Joshua Starr Memorial Volume. New York, 1953, p. 163.

الصوف القشتالية، لأن الأغنام استوردت من شمال أفريقيا وأنتجت أغناماً أخرى محلياً. ورغم ذلك فقد قُدِّر عدد الأغنام في سنة 1467 لدى السكان القشتاليين بـ 2,700,000 رأس وهو ضعف ما كان موجوداً في القرن الثالث عشر(75).

إن انبعاث إنتاج الصوف الإيبري قد تميز بتوجه مثير للاقتصاد في شبه الجزيرة. فمنذ أن تأسست صناعة وتجارة النسيج على الأغنام، وعلى التنقل الفصلي الطويل للقطعان، كان هذا مختلفاً عن نظام عمل العائلة المتحضرة المستقرة وهي مواصفات أعمال تربية دودة الحرير. ويمكن أن يعزى إدخال وتنمية تجارة الصوف ونجاحها في شبه جزيرة إيبريا إلى عدة أسباب متداخلة اولها، المناخ وأرض قشتالة الملائمة لتنقل الأغنام خاصة في زمن الحملات العسكرية التي عطّلت الزراعة في مركز شبه الجزيرة. وثانياً، باعدت الفتوح والتوسع في الأرض في القرن الثالث عشر بين السكان القشتاليين والأراجونيين وتوزعوا من جديد في الأراضي، وكذلك فعل بلاء الطاعون في القرن القادم. ثالثاً، عزز الطلب الأجنبي حركة التجارة وصناعة النسيج كبير or large, growing, etc. في فلندر وفرنسا وإيطاليا التي قدمت أسواقاً جاهزة للصوف الإسباني. وعلى الرغم من أن الصوف الإيبري كان يعتبر عملياً أقل من الأنواع ذات المواصفات العالية من انجلترا، فقد كان مطلوباً من أجل النسيج الأكثر خشونة لأنه في الأزمات الاقتصادية أو الخلاف السياسي يحل محل الصوف الإنجليزي في الأسواق الأوروبية(76).

---

(75) J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, p. 617.

(76) من أجل دراسة شاملة عن تجارة الصوف ن:

E. Carus-Wilson, "The Woollen Industry," Cambridge Economic History of Europe. Cambridge, 1952 and 2nd edn 1987, and collection edited by M. Spallanzani, Produzione commercio e consumo dei panni di lana nei secoli XII-XVIII. Atti della seconda settimana di studio, Istituto F. Datini. Florence, 1976.

حول الصوف الايبري ونقله انظر: Iradiel Murugarren, Evolución; C.R. Phillips, =

الحديد

وقبل هبة التطور لصناعة الصوف الإيبري، كان الحديد منافساً للصوف كصادرة إيبرية مهمة وجديدة، لأنه كان متوافراً دائماً في شبه الجزيرة، ولكنه لم يستغل ولم يصدر قبل أخر القرن الثاني عشر. إن نمو تقنية صناعة الحديد واستخدام أوروبا له خلال أواسط العصور الوسطى، مع تزايد التطبيقات الحربية والبحرية والزراعية، كان من الأسباب التي حركت الطلب الجديد على الحديد في الوقت الذي بدأت فيه شبه الجزيرة تظهر كوحدة اقتصادية في مجال تجارة شمال أوروبا. لقد كان السلاح وتجهيزات المراكب والخيول والأحذية والنصال والمحاريث الثقيلة وآلات أخرى، تتطلب كميات كبيرة من الحديد واستطاعت المناجم القشتالية والتجار تلبية هذه الحاجات.

لقد كتب الجغرافيون العرب عن مناجم الحديد في شبه الجزيرة . في سالت Saltes وجوديكس Guadix، وهيوسكا/ وشقه Huesca وفي أماكن أخرى ولاحظوا أنه، بسبب الاستخدامات البحرية كان شغل الحديد «صناعة [مألوفة في] المرافئ حيث ترسو المراكب،» وعلى الرغم من أن الحميري حذر من أنها «صناعة شاقة ومن شأنها إضعاف الناس المحليين»[77]. فإننا لا نجد هناك معلومات عن صادرات الأندلس من الحديد، وهو صمت يمكن أن يعزى إما إلى قلة التجارة، بسبب بطء تطور تقنية الحديد، أو إلى كره

= "The Spanish Wool Trade, 1500-1780," Journal of Economic History 42,1982, pp. 775-95; and C.R. Phillips, "Spanish Merchants and the Wool Trade in the 16th Century," Sixteenth Century Journal 14,1983, pp. 259-82.

إنني أشكر T. Ruiz لسماحه بقراءة وتصوير الفصل الثامن من دراسته:

Crisis and Continuity: Land and Town in Late Medieval Castile, Philadelphia, 1994.

وكذلك فإنني مَدينة لـ W.D.Phillips & C.R.Phillips لنصائحهما حول نقل الصوف وسماحهما بقراءة وتصوير الفصل التالي من مؤلفهما القادم حول: Spain's Golden Fleece .

(77) Himyari, Peninsule, p. 110. حول شغل الحرير الإسلامي ن: A. Y. Hassan, "Iron and Steel Technology in mediaeval Arabic Sources," Journal for the History of Arabic Science 2,1978, pp. 31-43.

التوثيق في المواد الحربية. وعندما ذكر الزهري صادرات الحديد الأسود المستعمل في صناعة «آلات الحرب» في آخر القرن الثاني عشر، كان المقصود بالوصف برشلونة (التي وقعت في أيدي المسيحيين) [78]. وكانت موانئ قشتالة على شواطئ باي بيزكاي، وكذلك موانئ كتلونيا ظهرت كمراكز لتصدير الحديد في القرن الثالث عشر، وسوف تسيطر هذه الصناعة على الرغم من ظهور تجارة الصوف. وخلال أواخر القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر شُحن الحديد الإيبري نحو الشمال إلى موانئ إنجلترا وفلندر، حيث ذكر وصوله بوفرة في وثائق متنوعة[79].

النبيـذ

ومن خلال تحريم القضاة للخمرة، ومدح الشعراء لها نكتشف أن الخمرة كانت متوافرة في الأندلس، إلا أنه لم يعترف بها إطلاقاً كسلعة أو صادرة. وقد توقف هذا الحال في عهد الحكم المسيحي عندما كان النبيذ

---

(78) Zuhri, "Kitāb al-djarafiyya" ed. M. Hadj-Sadok, Bulletin des études orientales 21,1968, p. 203.

الزهري، كتاب الجغرافيا.

(79) حول الحديد الإيبري في فلندر انظر:

Finot, Etude, p. 303 and Rorig, The Medieval Town, p. 81.

توجد مساءلة حول نقل الحديد إلى إنجلترا في

Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 112-19; also Salzman, English Trade, pp. 408-10, 414; Carus-Wilson, Overseas Trade, p. 63; T. Ruiz, "Castilian Merchants in England, 1248-1350," in Order and Innovation in the Middle Ages: Essays in Honor of Joseph R. Strayer. Princeton, 1976, pp. 181-82; C.C.R. 1288-96, p. 365, 1346-9, p. 213; C.P.R. 1307-13, pp. 246-7, 1340-3, p. 364; Arnold, The Customs of London, p. 190.

حول المتوسط انظر:

R. Sprandel, "Le commerce du fer en Méditerranée orientale au moyen âge," Sociétés et compagnies de commerce en orient et dans l'Océan indien. Paris, 1970, pp. 387-92. Also on Iberian iron: T. Glick, Islamic and Christian Spain. Princeton, 1979, p. 134; T. Ruiz, "Burgos y el comercio castellano en la baja edad media," La ciudad de Burgos. Actas del congreso de historia de Burgos. Madrid, 1985, p. 48; and Hillgarth, The Spanish Kingdoms, p. 40.

الإيبري (من الأندلس أو المناطق الشمالية) ينتج علناً، ويرسل إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط وشمال أوروبا، وكما هي الحال بالنسبة للبضائع الإيبرية الأخرى واجه النبيذ الإسباني منافسة جادة من إنتاج مناطق أوروبا.

من جهة أخرى إن النبيذ الإيبري الذي وصل إلى انجلترا مثلاً، لم يكن قط يعتبر من صنف منافسه الفرنسي وبالنتيجة فإن هذه المسكرات القوية كانت أرخص من الخمور المعتقة من بوردو Bordeaux. وقد سخر ذات مرة شوسر بردونر Chaucer's Pardoner من ممارسة الغش بخلط النبيذ الفرنسي الممتاز مع ذلك القوي الأرخص الإسباني[80]! هذا لا يعني أن النبيذ الإسباني كان جميعه من نوع واحد، فقد وصل مركب إلى بريستول في سنة 1474 وكان لدى الغاليين شحنات من النبيذ الطيب والثقيل، ولعل الأول من الأندلس، والأخير من منطقة ريوجا Rioja[81].

لقد كان النبيذ الإسباني متوافراً في إنجلترا في سنة 1228، عندما جاءت شحنة نبيذ وبضاعة أخرى إلى جريمسبي Grimsby، وذكر الخمر في عنابر مركب إسباني سيء الحظ هوجم قرب سندويتش في السنة نفسها[82]. واستمر وصول كميات قليلة من النبيذ الإسباني إلى موانئ إنجلترا خلال القرن القادم، ولكن بمنافسة مع نبيذ من جسكوني Gascony. وقد ربح النبيذ الإيبري موطئ قدم في أسواق إنجلترا بعد سنة 1453 فقط عندما سيطر الفرنسيون على بوردو وانخفض دون أن ينقطع من مستوردات خمر جسكون[83]. وقد شق النبيذ الإسباني والبرتغالي طريقهما إلى أسواق في

---

(80) Chaucer, "The Pardoner's Tale," line 237, p. 415.

(81) Ferreira Priegue, "El papel de Galicia," p. 246.

(82) C.C.R. 1227-31, pp. 71, 89.

(83) C.C.R. 1346-49, p. 213.

يقدم مثالاً عن النبيذ الإسباني المستورد إلى ساوث أمبتون في سنة 1347 وهي وثائق جمعت من قبل E. Carus-Wilson وتظهر النبيذ الإيبري في بريستول سنة 1434 Overseas Trade . of Bristol, p. 63. وحول تجارة النبيذ انظر أيضاً:

M. James, Studies in the medieval Wine Trade, Oxford, 1971, pp. 29, 84; Salzman, English Trade, p. 401; and Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 126-36.

البلدان المنخفضة وإيطاليا خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر[84].

الشب

كان الشب مثل النبيذ ينتج في شبه الجزيرة خلال العهد العربي، إلا أن تجارته الدولية تطورت في ظل الحكم المسيحي فقط[85]. وعلى الرغم من أن كثيراً من المناطق الإيبرية التي أنتجت الشب كانت تحت سيطرة المسلمين، إلا أن تجارته لم تذكر في المصادر العربية قبل القرن الثالث عشر عندما أشار السقطي باختصار إلى الشب الأندلسي. لأن هذه المادة اللاذعة كانت عاملاً حاسماً في صناعة النسيج والجلد، حتى إنتاج المناجم من النوع الثاني (وهي صنف شب إيبريا) كان يجد سوقاً عندما تقصر المصادر الجيدة. وكان الشب الممتاز متوافراً في آسيا الصغرى، حيث كانت تجارته محتكرة من قبل البندقيين والجنويين بالتناوب، واكتشف مصادر جيدة للشب في القرن الخامس عشر في تولفا Tolfa في دولة البابا ولكن إنتاجها لم يكن متوافراً دائماً. وبالرغم من رداءة الشب الإيبري إلا أنه نقل إلى أوروبا مع تزايد طلب الصناعات الأوروبية عليه.

وتذكر المصادر اللاتينية نقل الشب القشتالي إلى غرب المتوسط اعتباراً من وسط القرن الثاني عشر عندما ذكرت لائحة مكوس من ناربون Narbonne في سنة 1153 شب قشتالة Castelha، وظهرت كذلك عقود معاصرة جنوية[86]. وفي القرن التالي ذكر كتاب العدل الجنويون شباً قشتالياً، وكذلك كتاب العقود في پيزا وناربون ومرسيليا، وذكر بيجولوتي فيما بعد

---

(84) Finot, Etude, p. 303; Pegolotti, Pratica, p. 125.

(85) Ibn al-Shabbat, "Un fragmento de la obra de Ibn al-Sabbat s.XIII sobre al-Andalus" trans. E. de Santiago Simon, Cuadernos de historia del Islam 1973, pp. 23-4.

(86) M.G. Mouynes, Inventaire des archives communales. Ville de Narbonne. Narbonne, 1871, p. 4; Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano and M. Moresco, Rome, 1935, I, p. 101, #193; II, pp. 203-5, #1212.

شب قشتالة في سجله الكبير عن المواد التجارية[87]. كما وجد شب قشتالة ومالوركا طريقهما إلى مدن شمال أوروبا بما فيها بروجس وسندويتش وساوث أمبتون خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر[88].

سلع أخرى

كان العسل والسكر والملح والحبوب وغيرها من المواد قد ذكرت بين صادرات إيبريا في هذا العصر على الرغم من مواجهتها المنافسة من قبل منتجات المناطق الأخرى. وكما هي الحال بالنسبة للشب، فإن بعضها كان متوافراً في الأندلس قبل القرن الثالث عشر ولكنها تطورت كصادرات داخل مجال التجارة المسيحية فقط. وخلال القرن الرابع عشر، وصلت كمية كبيرة من العسل إلى موانئ أنجلترا وفنلندا محمولة على ظهر مراكب إسبانية وبرتغالية، كما بيع السكر من ملقا الناصرية في بروجس نحو سنة 1300[89]. وفيما بعد وثقت محفوظات داتيني Datini انتقال سكر ملقا إلى أسواق غرب المتوسط[90]. كما كانت إسبانيا المسيحية مصدرة للسكر خلال أول القرن

---

(87) ASG Div. 5v 1179; ASG Cart. 5, 60r, 1213; D. Herlihy, Pisa in the Early Renaissance. New Haven, 1958, p. 31; Mouynès, Inventaire, II, cxxix, p. 207; L. Blancard, ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884-5, II, p. 11, 1248; Pegolotti, Pratica, p. 293.

(88) Finot, Etude, p. 304; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 16; Salzman, English Trade, p. 411; Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 108-9; Ferreira, "El papel de Galicia," p. 245.

(89) C.C.R. 1333-7, p. 644, 1337-9, p. 85; C.F.R. 1337-47, p. 5; C.P.R. 1350-4، تشير الوثيقة الأخيرة إلى أن العسل كان يقصد شحنه إلى بروجس، حيث أن لوائح التعرفة الأبكر كذلك أشارت إلى تجارة العسل الإسباني في فلندر انظر أيضاً Finot, Etude, p. 303.

Salzman, English Trade, p. 411, Childs, Anglo-Castilian trade, pp. 124-5.

السكر في بروجس C. Verlinden, "From the Mediterranean to the Atlantic: Aspects of an Economic Shift," Journal of European Economic History 1,1972, pp. 636-9.

وذكر Arnold's Customs of London اللندني سكراً من البرتغال ص234.

(90) Melis, I trasporti, p. 58.

الرابع عشر وأدخلت زراعته إلى الجَرف Algarve ومناطق أخرى، ولكن تصدير السكر من شبه الجزيرة تقهقر في القرن التالي بسبب منافسة سكر منتج في جزر الكناري[91]. صدرت إيبريا المسيحية بعض كميات الملح الصخري والبحري إلى أسواق في البحر المتوسط وأوروبا إلى جانب الشمع والصابون والوَدَكِ (الشحم الحيواني) والرز وسلع أخرى[92]. وكانت تجارة الحبوب أكثر تعقيداً وتتنوع موادها حسب أوقات العجز والنقص أو الوفرة. وعلى الرغم من أن شمال شبه الجزيرة كان منتجاً رئيساً للحبوب، فإن الأندلس وغرناطة كانا يجدان أنهما في عجز أكثر من وفرة.

الاستمرارية والتحريم

لم تكن جميع صادرات إيبريا في أواخر العصور الوسطى مستمرة أو جديدة الظهور. وقد اختفى عدد من الصادرات في المرحلة المبكرة من التجارة في وسط القرن الثالث عشر، في حين تقهقرت أخرى أمام المزيد من صرامة الحكومات وتشدّدها.

---

(91) A. Mackay, Spain in the Middle Ages, From Frontier to Empire, 1000-1500. London, 1977, p. 172; Gual Camerena, "Peaje," p. 187.

(92) حول تجارة الملح انظر: See M. Mollat, ed., Le rôle du sel dans l'histore. Paris, 1968 وخاصة مقال by V. Rau and J. Heers; J.-C. Hocquet, Le sel et la fortune de Venise. vol. II, Voiliers et commerce en Méditerranée, 1200-1650. Lille, 1979; A.R. Bridbury, England and the Salt Trade in the Later Middle Ages. Oxford, 1955; M. Gual Camarena, "Para un mapa de la sal hispana en la edad media," Homenaje a Jaime Vicens Vives. Barcelona, 1965-7,1,pp. 483-97; and A. Malpica Cuello, "Regimen fiscal y actividad ecónomica de las salinas del reino de Granada," Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8-10 de Abril, 1981. Seville, 1982, pp. 393-403.

حول الصابون والشحم والشمع انظر:

Pegolotti, Pratica, p. 293; Finot, Etude, p. 303; Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 15; C.C.R. 1288-96, p. 365; Arnold, Customs of London, p. 235; Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 111,141; Salzman, English Trade, pp. 410-11.

حول الأرز: Pegolotti, Pratica, 296; Finot, Etude, pp. 303-4; Melis, I trasporti, pp. 54, 67; Salzman, English Trade, p. 411.

وكما نوهنا في بداية الفصل، فإن بعض الانقطاع يمكن أن يُفسر بتبدل الدور التجاري لشبه الجزيرة في عالم المتوسط الواسع ولم تعد أسواق الأندلس تعمل كمخزن تجاري على حدود العالم الإسلامي الغربية، فقد ذهب كثير من التجار إلى أماكن أخرى من أجل مشترياتهم. وفي نهاية القرن الثالث عشر، حصل الجنويون على الذهب من موانئ المغرب وتطلع تجار الرقيق المصريون إلى مصادر من آسيا الوسطى. وفي الوقت نفسه، فكر الحكام الإسبان المسيحيون بالتشريعات المتعلقة بصادرات مملكتهم اكثر من سابقيهم الأندلسيين. وقد منعت تجارة بعض المواد، ليس لمجرد المنع الديني أو الحربي، وإنما على قاعدة عدم هدر المصادر النادرة أو القيمة في المملكة.

الرقيق

ولم يعد الرقيق المسيحي المرتبط بالبلاد الإسلامية مسموحاً للتصدير من الأسواق المسيحية الجديدة في شبه الجزيرة، ولكن أخذ مكانهم مسلمون أرسلوا للبيع في جنوب أوروبا. ويعكس هذا التبدل حقيقة رواج تجارة الرقيق خلال عالم البحر الأبيض المتوسط المسيحي والمسلم في العصر الوسيط. وكان الأندلس قد وزع في الماضي الرقيق المسيحي والوثني إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي. وفي وسط القرن الثالث عشر، فإن عدداً من الرقيق المسلم بدأ يظهر للبيع في مدن مسيحية، وأحياناً في المدينة نفسها التي كانوا فيها مواطنين أحراراً. وعلى الرغم من وجود رقيق عربي في البلاد المسيحية الإسبانية وأوروبا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلا أن الرقيق المسلم في القرن الثالث عشر يُعزى مباشرة إلى الانتصارات المسيحية في بلاد المسلمين.

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح خاص في وسط مشاكل إيبريا، على الرغم من أن أفضل البراهين على تصدير المسلمين الأندلسيين (كرقيق) يأتي من وثائق بيوع الرقيق في جنوب فرنسا وموانئ مدن إيطاليا. وتذكر وثائق

العدليين عادة أن الرقيق كان مسلماً، مسمين إياهم إما سرازن Sarracenus (أي أبناء سارة ـ المترجم) أو مور Maurus (أي المراكشيون أي العرب ـ المترجم). أو أن بعض الرقيق الجديد يدعى باسمه المسلم. وهناك بعض العقود التي تذكر مدينة أو منطقة أصل الرقيق وكذلك الجنس (ذكر أو انثى). وقد قدمت وثائق كتاب العدل الجنويين مجموعة من أسماء رقيق بيع في هذه المدينة في القرن الثالث عشر. ولا تشير جميع هذه البيوع إلى الرقيق الأندلسي، ولكن العقود الإسبانية مهمة خاصة بعد أن ظهر وجود علاقة بين الانتصارات المسيحية الحربية وتاريخ هذه البيوع. وبالتأكيد ليس مصادفة، مثلاً أنه تبعاً لفتح بلنسيا من قبل جيمس الأول صاحب أراجون في سنة 1238، سجل العدليون الجنويون كثيراً من بيوع الرقيق المسلم البلنسي في سنة 1239[93].

وقد قدمت الوثائق المدنية الإيبرية ادلة على بيع الرقيق المسلم في آخر القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد سجل الفيورو سنة 1166 لمدينة إيفورا Evora مثلاً ضريبة سوليدوس واحد على التجار لكل «مور مباع في السوق». وكانت هذه العبارة تتكرر كثيراً في عقود وامتيازات ذلك الدور[94]. لقد كان الرقيق المسلم صادرة مهمة من قبل مملكة أراجون في عهد جيمس الأول 1213 ـ 1276 عندما كانت تجارتهم موضوع رخصة حكومية وقيود أخرى[95].

---

(93) انظر مقالتي:
"Muslim Spain and Mediterranean Slavery: The Medieval Slave Trade as an Aspect of Muslim-Christian Relations." Christendom and its Discontents ed. S. Waugh, Berkeley, 1996 pp. 264-84.

(94) Portugaliae monumenta historica: leges consuetudines. Lisbon, 1856, I, p. 393. also pp. 407, 412, 416, 419, 427, 431, 475, 488, 495, 196, 513. On Castilian and Catalan references, see C. Verlinden, "L'origine de sclavus-esclave," Bulletin Du Cange: Archivum latintatis medii aevi 17,1942, pp. 116-7.

(95) R. Burns, Islam under the Crusaders: Colonial Survival in the thirteenth century Kingdom of Valencia, Princeton, 1973, p. 111.

وكما كان الحال مع لوائح التعرفة، فإن امتيازات منحت إلى مدينتيْ كتلانيا وأراجون (بما في ذلك Lezda ليزدا 1238 وبلنسيا) التي ذكرت ضرائب جمعت على بيع رقيق مسلم في المدينة[96]. وتشهد عقود عدلية كتلانية على تجارة الرقيق، فهذا تاجر أرسل أَمَةً لبيعها في صقلية في سنة 1238 وآخر أرسل سبعة من الرقيق إلى صليبيي فلسطين في سنة 1252[97].

ويبدو أن بيع المسلمين الأندلسيين في البحر الأبيض المتوسط المسيحي قد تضاءل في آخر القرن الثالث عشر، حيث أن مجتمع إيبريا قد أنهى مرحلة جديدة ثابتة، وتطلع التجار إلى مصادر أخرى للرقيق. ولكن الثروات الأولى التي جنيت من الرقيق وتصديره قدمت مصدر قوة جديدة للمدن الإسبانية المسيحية الجديدة وإلى التجار الذين نقلوا التجارة إلى أسواقهم.

الخيـل

لقد فُرض على تصدير الخيول من شبه الجزيرة تقييد شديد لم يكن كذلك على تصدير الكائنات الإنسانية. فقد كان الحكام المسيحيون، خلال العصور الوسطى، مهتمين بذلك مخافة أن تقع السلعة الحربية في أيدي الأعداء المسلمين أو المسيحيين. بينما أبدى الحكام الأندلسيون اهتماماً أقل بتجارة الخيول، ولعل سبب ذلك أنها لم تكن صادرة مهمة من بلادهم[98]. ولعل التجارة الدولية للخيول عبرحدود إيبريا كانت سهلة في الدور الباكر، قبل فتح المسيحيين لطليطلة وانطلاق الصليبيين إلى فلسطين ما زاد العداوة

---

(96) Fori antiqui valentiae, p. 287.

(97) J. Madurell and A. Garcia, Comandes comerciales barcelonesas de la baja edad media. Barcelona, 1973, pp. 151-4, documents 2 and 5.

(98) الخيول والبغال الإسبانية *equos et mulos Hispanos* المرسلة من قبل شارلمان إلى فارس ربما كانت حيوانات نقلت من شبه جزيرة إيبريا. أو أنها نسلت في إسبانيا على الأقل.

Notker the Stammerer, de Carolo Magno. ed. P. Jaffe, Monumenta carolina, IV, Bibliotheca rerum gemanicarum, Berlin, 1867, P. 677.

المسيحية الإسلامية. على سبيل المثال، لقد فرض فيورو مدينة سيبولفيدا Sepulveda سنة 1076 تعرفة على الخيول وحيوانات الركوب الاخرى المنقولة إلى بلاد المسلمين، ولكنه لم يمنعها[99]. ولكن مع بداية القرن الثالث عشر، كرر الملوك الإسبان بانتظام منع تصدير الخيول من ممالكهم، معللين أحياناً هذه القيود بعوامل خارجية وهي الخوف من أن تقع هذه الخيول في أيدي العدو. وأحياناً يكون المنع لأسباب محلية حيث أن الخيول (حاجات خاصة بالملك وجيشه واستعماله الشخصي)[100]. وكما هي الحال بالنسبة للممنوعات، فهي بحد ذاتها محرض على التجارة. وكان الخرق والتجاور أمرين مألوفين. ففي بلاط طليطلة سنة 1207 مثلاً، منع ألفونسو الثامن صاحب قشتالة تجارة الخيل والبغال والحمير وغير ذلك من الحيوانات المشابهة إلى بلاد المسلمين أولاً، ثم سمح بتجارتها طالما لا يوجد فيها خيول الحرب الفَرَس والسروج Cavallo o egua con albarda[101]. وهناك وثيقة من بلنسيا مؤرخة في 1238 و1246 أكثر واقعية، وتفرض ضريبة على «الخيول [و] البغال.. التي تدخل بلاد العرب Saracen لأغراض التجارة»[102]، وسمح بلاط بُورجُس Burgos لبعض الخيول العربية Cavallos

(99) Los Fueros de Sepulveda. ed. E. Saez, Segovia, 1953, P.223.

(100) تكرر المنع في الوثائق التالية: Jerez 1268, Burgos 1338, Valladolid 1351, وكذلك في Cortes de los antiguos reinos de Leon y Castilla. Madrid, 1861, I, PP. 71, 450; II, P.25.

وانظر مناقشة *cosas vedadas* in J. O'Callaghan, The Cortes of Castile-Leon, PP. 189-91.

وقد منع القضاة المسلمون في ذلك الوقت بيع الخيل ومواد أخرى للمسيحيين، انظر: Ibn Juzayy (d.1340), Qawanin al-ahkam. Beirut, 1968, P.319.

(101) Hernández, "Cortes de Toledo." pp.234-5: 245.

(102) Fori antiqui valentiae, CXLIV.4, p. 284; p.284; James I, Documentos, II, pp. 167-70. See also R.I. Burns. "Renegades, Adventurers, and Sharp Businessmen: The 13th century Spaniards in the Cause of Islam." Catholic Historical Review 58, 1972, p.363/ It is possible that *terram sarracenorum* referred to North Africa.

بأن تنقل خارج المملكة (بإستثناء بلاد المسلمين) مقابل رسوم تدفع للتاجر[103]. وفي النهاية، سواء دعم الحكام المحليون تصديرها أم لا، فقد كانت الخيول الإيبرية تجد طريقاً إلى المشترين الأجانب وذكرت في وثائق التجارة الأوروبية الشمالية خلال أواخر العصور الوسطى[104].

الأخشاب

وإلى جانب تحريم تجارة الحيوانات، حاول العواهل الإيبريون احتكار تجارة الأخشاب. وللمرة الثانية، فإن احتمال الحرب هو سبب الاهتمام عامة. ففي بلاط فالادوليد Valladolid بيَّن بيتر الأول Peter صاحب قشتالة أن تصدير الأخشاب غير مقبول لسببين أولهما: تعرية هضاب المملكة، وثانيهما أنه إذا ذهب الخشب المحلي لبناء سفن العواهل الأجانب، فلا يبقى ما يسمح ببناء أسطول الملك نفسه[105]. وفي بعض الحالات، كان المنع الملكي صدى لتحريم البابا بالنسبة لتجارة الخشب المسيحي إلى بلاد المسلمين، ففي سنة 1237 مثلاً، أقر جورج التاسع أنه لا يجوز للتجار الكتلانيين من تراجونا Tarragona أن يبيعوا الخشب للسفن Lignamina Galearum إلى المسلمين في باليريك. وهناك فتاوى مشابهة أصدرها البابوات المتأخرون ولم تكن مخصصة لكتالونيا فقط[106].

---

(103) Cortes de los antiguos reinos de Leon y Castilla. I, p. 487.

(104) Childs, Anglo-Castilian Trade, pp. 120-2; Ruiz, "Castilian merchants," pp. 181-2; Y. Renouard, "Un sujet de recherches: L'exportation des chevaux de la péninsule ibérique en France et en Angleterre au moyen âge," Homenaje a Jaime Vicens Vives. Barcelona, 1965, 1, pp. 571-7.

(105) Cortes de los antiguos reinos de Leon y Castilla, II, pp. 22-3. The king conceded that merchants in Galicia and Asturias might continue trafficking in timber according to their usual custom.

(106) Gregory IX, Les registres de Gregoire IX. ed. L. Auvray, Paris, 1896-1919, II, p. 554, #3491. See also Corpus iuris canonici. ed.E. Friedberg, Leipzig, 1879-81, II, 5.6.6 p. 774; and Regesta pontificum romanorum. ed. A. Potthast, Berlin, 1874-5, p. 1653, no. 20522. These prohibitions, and other papal restrictions on trade with Muslims, are discussed by J. Muldoon. Popes, Lawyers, and Infidels. Philadelphia, 1979, pp. 52-4.

لقد أثرت التبدلات في تجارة الأخشاب الإيبرية بصورة عميقة على مجرى التطور التجاري والبحري (بناء الأساطيل) في غرب البحر الأبيض المتوسط خلال العصور الوسطى، وقبل القرن الثالث عشر، كان الأندلس يمتلك خشباً لسد حاجاته وللتصدير لبقية بلاد العالم الإسلامي. وبإعتبار أن شبه جزيرة إيبريا قدمت الكثير من الأخشاب لأحواض بناء السفن في شمال أفريقيا حتى شرق المتوسط، فإن سيطرة المسيحيين على غابات الأندلس في كتلونيا خلال القرن الحادي عشر، وباليريك الجراف في أول القرن التالي، كان لها أثر مهم على توازن قوة الشحن البحري للمسيحيين والمسلمين. وفي الواقع أن بعض الحملات المسيحية كالهجوم المشترك ما بين كتالونيا وبيزا وجنوى على طرطوشة Tartosa في سنتي 1092 و1147 كان يهدف إلى السيطرة على غابات المنطقة. فعندما تصبح الأخشاب تحت سيطرة حكام إسبانيا المسيحيين فبإمكانهم توسيع اسطولهم وتوفير اللازم لبناء المراكب التجارية الجديدة للكتلانيين والقشتاليين. ومن جهة أخرى، إذا حلت المنفعة قبل التحريم، فذلك لأن الحكام والتجار قد يبيعون الخشب المحلي للمسلمين وغير المسلمين (وهو مسرحية يشهد عليها تكرار ذكر التحريم). وفي أي حال بعد أن خسر المسلمون إمكانية الوصول إلى أخشاب إيبريا بعد حصول المسيحيين على غابات الأندلس، تعزز الخلل في ميزان قوة الأساطيل في البحر المتوسط في أواخر العصور الوسطى.

ولم تؤثر التحريمات الملكية على تصدير بعض السلع في أواخر العصور الوسطى على التجارة الدولية الإيبرية وحسب، بل أثرت على الموقف الرسمي تجاه التجارة.

فالحكام الأندلسيون نادراً ما تدخلوا في الشحنات التجارية إلا بقدر ما يمثل ذلك من مصدر لثروة خزينة الحكومة، على الرغم من أن بعض السلع مثل النبيذ والرقيق المسلم ممنوعة بصورة آلية من قبل السلطات الدينية. من جهة أخرى، فإن الحكام المسيحيين أظهروا اهتماماً أكبر تجاه اقتصاد ممالكهم بصورة عامة، كما أبقوا عيونهم مفتوحة على فرص تحقيق الربح.

وهناك عدد من التفسيرات لهذا التبدل، بما في ذلك النمو الضخم على الحدود الدولية وادراك مفهوم «الدولة» في هذا العصر، كل ذلك مع التوجه الجديد الإيبري نحو الشمال. ولم يكن المنع أو تحريم المبادلات لبعض المواد مجرد محاولة للاحتفاظ بالمواد الاحترابية كي لا تصل إلى يد المسلمين أو أية يد معادية، فقد كانت الامتيازات الممنوحة للتجار المحليين والتحريمات تمثل غالباً اتجاهاً ملكياً (غير واقعي) لاحتكار التجارة في ممالكهم ولخلق تمييز قانوني بين مملكة مسيحية وأخرى.

وعندما ننظر إلى مجموعة المعلومات من أواخر العصور الوسطى المتعلقة بالتبدلات واستمرار التصدير الإيبري، وإلى التدخل الملكي في التجارة نرى انبعاث شبه الجزيرة كنجم جنوبي في مجال سياسي أوروبي شمالي. فقد ظل جزءاً من عالم اقتصاد المتوسط، ولكن الأسواق الإيبرية والصادرات لم يعد لهما دور، ولم يستطيعا القيام بالدور نفسه الذي كان يقوم به الأندلسيون السالفون.

الفصل التاسع

إسبانيا وشمال أوروبا والبحر الأبيض المتوسط في أواخر العصور الوسطى

إن التبدلات التي طرأت على الصادرات والأسواق الإيبرية تدل على تحولات عميقة في بنية الاقتصاد الإيبري ودوره في التجارة الدولية في أواخر العصور الوسطى. ومن خلال تتبع المعلومات حول السلع، فإن هذا الفصل الأخير سيناقش وضع الموانئ الإيبرية وجمهور تجارها في أواخر العصور الوسطى، واضعين هذه المدن والتجار في سياق المشكلات الجديدة المنبثقة عن التجارة الدولية والمصالح السياسية في البحر الأبيض المتوسط والاطلنطي والمحيط الهندي.

الاطلنطي وتجارة البحر الأبيض المتوسط

لقد غيرت انتصارات المسيحيين الأسبان في القرن الثالث عشر ـ ونتيجة فتح مضائق جبل طارق للملاحة والشحن المسيحي ـ من بنية أوروبا وتجارة البحر الأبيض المتوسط، وبدلت من وظيفة شبه الجزيرة في داخل هذه المجالات التجارية. وبعد اختفاء محاور التجارة الإسلامية الشرقية الغربية، تطور نظام مسيحي شمالي جنوبي ليصل الأسواق في البحر الأبيض المتوسط وأوروبا. وإنه لمن السهل رؤية انبثاق عالم التجارة الاطلنطية كوسط كيميائي لإعادة تنظيم التجارة الإيبرية. وكانت موانئ البرتغال وقشتالة الشمالية قد تغذت وتربت في ظل الفرص التجارية الجديدة في شمال أوروبا جاعلة من

قشتالة «أفضل دليل للأطلنطي، الذي سيطر على الحياة الاقتصادية بالكامل بعد البحر الأبيض المتوسط الذي أدارت له ظهرها»[1]. وبطريقة مماثلة، فإن الموانئ الجنوبية في الأندلس وغرناطة قد تبدلت لتتمكن من الإحاطة بدورها الجديد كمحطة نقل بحري بين شمال وجنوب أوروبا. وبعد كل هذا فإن فتح الأطلنطي (مع تعقيداته وتوريطه التجارة الإيبرية في العالم الجديد في أواخر العصور الوسطى) هو برهان جبري على التوجه الأوروبي والمسيحي لحياة الإيبريين بعد وسط القرن الثالث عشر.

ولكن البحر الأبيض المتوسط، ظل محتفظاً بتأثير هائل على التجارة والأعمال الدولية الإيبرية. فقد كانت إيبريا جزءاً متمماً من عالم المتوسط وظلت كذلك في أواخر العصر الوسيط. وكانت التبدلات قوية في تجارة البحر الأبيض المتوسط على الرغم من أنها كانت أقل تأثيراً، وكان لها مظهر آخر من التحولات التي حدثت في الاطلنطي، وبدت كمحول تجاري قوي للتوجه الأوروبي والمسيحي من شواطئ الجنوب إلى شواطئ الشمال من البحر. وقد انعكست نزعتان في الواقع العملي من جراء هيجان حس التوسع الأرضي المسيحي. أولاً كانت قاعدة عمل التجار المسيحيين الغربيين في موانئ الشمال الغربي بصورة رئيسة، واستطاعت أن تكسب احتكار معظم تجارة المتوسط بما فيها النقل إلى غرناطة والمغرب، والمشرق وبيزنطا. وكانت قاعدة معظم التجار المسلمين في مصر، حيث وجهت مصالحها التجارية البحرية بعيداً عن المتوسط إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي. لقد صارت أوروبا سوقاً جبارة للإنتاج والاستهلاك معاً وهي الآن قد تمددت نحو الجنوب لتضم البحر الأبيض المتوسط إلى مجال عملها التجاري. وظل مماليك مصر مركزاً للتجارة الدولية عبر القرن الخامس عشر، ولكنهم توجهوا نحو الجنوب والشرق وليس الغرب، باستثناء بعض التجارة البرية خلال شمال أفريقيا. وصارت الإسكندرية (كما كانت الأندلس) سوقاً جبهوية

---

(1) F. Braudel, The Mediterranean and The Mediterranean world in the Age of Philip II. New York, 1966. I, P.294.

بين مجالي تجارة المسلمين والمسيحيين. ولكي نعيد صياغة عبارة برودل Braudel عن قشتالة نقول إن مصر قد أدارت ظهرها أيضاً إلى البحر الأبيض المتوسط لكي تتركز في مجال مجرى جديد.

وقد تعدلت طرق التجارة في المتوسط لأنه صار مداراً تجارياً أوروبياً. ففي القرنين الحادي عشر والثاني عشر تبعت أهم الطرق البحرية الشاطئ المغربي واصلة الأندلس ومصر مروراً بالمحور الحيوي تونس ـ صقيلية. وفي القرن الثالث عشر، حدث العكس، إذ تعطلت هذه الطريق لصالح طريق أبعد إلى الشمال. وصارت الطرق التجارية بما فيها تلك المحاذية لشاطئ إيبريا الشرقي وتلك التي تستفيد أكثر من جزر البحر الأبيض المتوسط بين أيدي المسيحيين[2].

وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر تعامل تجار من جنوى ومرسيليا وكتلونيا مع موانئ إسلامية بما في ذلك ملقا وسبتة وبوجي وتونس والإسكندرية، ولكن مسالكهم كانت مختلفة عن تلك التي اتبعها التجار الجنويون قبل قرنين، وفضلاً عن اتباعهم طريقاً مستقيمة تقريباً بين الشرق والغرب، فقد وضع التجار الأوروبيون الآن خريطة طرق مثلثية. وبعد آخر القرن الثاني عشر، كان مألوفاً أن نجد مراكب مسيحية تمخر من الجنوب الأوروبي إلى مرافئ في المشرق وإسبانيا في رحلة واحدة. ففي سنة 1464 مثلاً، استؤجر مركب جنوي من أجل رحلة تبدأ في جنوى وتذهب إلى الإسكندية وطرابلس وجربا وتونس وملقا[3]. كما يمكن للتجار أن يقصروا رحلاتهم على حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، كما فعلت السفن الكتلانية التي كانت تتوقف في تونس وسردينيا ومالوركا والماريا وملقا في

---

(2) هذه الطرق وصفت من قبل J.H. Pryor, Geography, Technology, and War. Cambridge. 1988.

(3) J.Heers, Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en occident. Xve siecle, Le moyen âge 63, 1957, P.105.

1327 إلى 1328[4].

ومع إعادة توجيه حركة النقل المتوسطية عبر الموانئ المسيحية، بدأت التوابل وبضائع شرقية أخرى بالانتقال مباشرة من المشرق إلى إيطاليا وجنوب فرنسا وكتلونيا على ظهور مراكب مسيحية إلى أسواق ثانوية بما فيها غرناطة. إن دور الأندلس كمخزن ونقطة توزيع للبضائع الشرقية قد انهار أمام المنافسة التجارية المسيحية. وخلال القرن الثالث عشر سجل العدليون الجنويون شحنات التوابل الواصلة إلى جنوى مباشرة من الإسكندرية، وكتبوا العقود من أجل تصدير هذه المواد إلى شمال أوروبا وغرناطة أو إلى المغرب، وكان يمكن رؤية النموذج نفسه في أماكن أخرى، كما في سنة 1248، حيث كتب كاتب العدل أماليريك Amalric، في مرسيليا أربعاً وأربعين طلباً أو تعاقداً من أجل نقل بضائع مشرقية قادمة خلال مرسيليا، وقد توجه كثير منها إلى موانئ شمال أفريقيا[5].

الدور الجديد لموانيء إيبريا

كانت هذه التطورات في طرق تجارة البحر الأبيض المتوسط والأطلنطي كعربة يقودها حصانان، حيث تكتلت موانئ المدن الإيبرية في ثلاث مجموعات متميزة في آخر القرن الثالث عشر، وهي في شمال قشتالة والبرتغال، الأندلس وغرناطة، وتاج كراون أراجون. وعلى الرغم من أن جميع هذه المناطق كانت تحت سيطرة التجارة والنقل المسيحي، فإن كلاً منها كان له مصالحة التجارية الخاصة وجمهور تجاره وخصوصيته الجغرافية. وهذا بعكس ما كان في الدور الباكر، عندما ركزت جميع موانئ الأندلس على البحر الأبيض المتوسط وخرج منها تجار من الخليط نفسه تقريباً.

---

(4) C.E. Dufourcq. Les communications entre les royaumes chretiens ibériques et les pays de l'occident musulman, dans les derniers siècles du moyen âge, Les Communications dans la péninsule ibérique au moyen âge Actes du Colloque de Pau, 28-29 mars 1980, Paris, 1981, P. 32.

(5) J.H. Pryor, Business Contracts of Medieval Provence; Selected Notulae from the Cartulary of Giraud Amalric of Marseilles, 1248. Toronto, 1981, P.77.

باستثناء عهد دول الطوائف، فقد كانت موانئ الأندلس تحت نظام سياسي واحد، على الرغم من أن الحكام والتجار وكذلك الجغرافيا يميلون إلى تفضيل بعض الموانئ على أخرى، مما يخلق جهازاً تراتبياً «كهنوتيًا» بحجم النشاط الاقتصادي ولياقة الموانئ. وكان يمكن للتجار الأجانب أن يتوقعوا تجربة مماثلة وقواعد تنظيمية وضرائب في أي من تلك الموانىء. والواقع أن الموانئ الإسبانية المسيحية والتجارة الدولية البحرية لم تكن موجودة في ذلك الزمن. باستثناء واحد رائع هو برشلونة. وفي ظل الحكم المسيحي، كان التميز السياسي والخصومات الاقتصادية بين الممالك الإيبرية وتجارها قد فاق قوة أي تشابه بينها. وقد تطلعت الموانئ الشرقية في أراجون وكتلونيا، الأكثر أهمية من برشلونة وبلنسيا، إلى البحر الأبيض المتوسط وتطورت بسرعة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وبتشجيع من التطلعات السياسية لحكامهم في صقلية وأماكن أخرى من البحر الأبيض المتوسط راح التجار الكتلان والاراجوان يبحثون عن منافسة التجار الجنويين والبندقيين. وفي الوقت نفسه، بدأ التجار القشتاليون الشماليون من بورجس وموانئ شواطئ كنتابريا وأستوريا وجاليسيا يجتمعون مع تجار برتغاليين لأخذ المبادرة واكتساب الفرص التجارية في باي بزكاي وشمال أوروبا. وبالتدريج، توصل هؤلاء التجار إلى السيطرة على المزيد من النقل البحري من شبه جزيرة إيبريا إلى انجلترا وفلندر. وكان الموقف التجاري متميزاً في جنوب شبه الجزيرة. وهنا، فإن موانئ غرناطة المسلمة والأندلس المسيحية الجديدة، لديها المزيد مما هو مشترك أكثر من تلك في أراجون وكتلونيا وشمال قشتالة. وخلافاً للطرف المقابل الشمالي، افتقرت موانئ جنوب إيبريا إلى استقلالية مضمونة وجمهور من التجار المحليين الذين يسيطرون على حركة النقل. وعوضاً عن ذلك، أصبحت هذه الموانئ محطات للتجارة الأجنبية.

وقدمت إشبيلية مثالاً جيداً لهذا التوجه أو الميل. وعلى الرغم من أن هذه المدنية ظلت ميناء إيبرياً مهماً، فإن دورها التجاري قد تبدل خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وسيطر جمع جديد من التجار على أسواقها.

لقد وصفت الـ Primera Cronica General le Espana أي الحولية الأولى العامة في إسبانيا مدينة إشبيلية بعد فتحها من قبل فرديناند صاحب قشتالة سنة 1248 بتعابير، إذا ما قورنت بالوصف العربي السابق ترينا الفارق في الموجودات التجارية في الميناء بعد الفتح المسيحي، وطبقاً لما ذكرته هذه الحولية فقد كانت إشبيلية مدينة «تأتي إليها المراكب عبر النهر كل يوم من البحر، بما فيها السفن والقوادس (سفن شراعية) وكثير من مراكب السفر البحري. وتقف جميعها عند أسوار المدينة، حاملة على ظهرها كل أنواع البضائع من أنحاء العالم كله: من طنجة وسبتا وتونس وبوجي والإسكندرية وجنوا والبرتغال وانجلترا وپيزا ولومباردي وبوردو وبايون Bayonne وصقلية وجاسكوني وكتلونيا وأراجون، ومناطق أخرى من فرنسا، ومناطق أخرى عديدة من البحر مسيحية وإسلامية».

«ولماذا كان هذا هو الحال؟!! يقول النص، ويجيب: أن ذلك بسبب المميزات الجيدة لزيت الزيتون الإشبيلي[6]. فقد صدرت المنطقة الزيت لقرون عديدة سابقاً، أما اليوم فقد ذهبت إلى أسواق جديدة بعد أن أصبحت إشبيلية ميناء مهماً كعقدة لتجمع مراكب التجار الرائحين والعائدين بين المتوسط والأطلنطي. وكان التجار المسلمون واليهود قد عبروا مضائق جبل طارق حاملين البضائع من شرق المتوسط ومركزه، ثم عادوا نحو الشرق محملين بالمنتجات الإيبرية والشمالية، ولكن، وفي نهاية القرن الثالث عشر، غدت إشبيلية جزءاً من شبكة بحرية أكثر اتساعاً تصل انجلترا وجاسكوني مع كتلونيا، وصقلية وتونس والإسكندرية. وقد أمكنت السيطرة المسيحية على إشبيلية والشريط الإيبري غرب مضائق جبل طارق، تنقُّل الأسطول المسيحي

(6) Alfonso X, Primera Cronica General de Espana. ed. R. Menendez Pidal, Madrid, 1906, reprint 1977, II, p. 769. C.E. Dufourcq ينبه إلى احتمال تضخيم الأرقام "La Question de Ceuta au XIIIe siècle," Hesperis 42,1955,p. 72، ولعلها تعكس الشروط خلال عهد الفونسو العاشر الذي أوكل الأعمال التجارية أكثر من أبيه، أو كان هذا وصفاً واعياً لإشبيلية.

جيئة وذهاباً خلال المضائق بأمان نسبي. ولعله في سنة 1278 بدأت مراكب التجار برحلات بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ومحطات في شمال أوروبا بالمرور خلال الطرق البرية وخلال فرنسا التي سيطرت مرة على تجارة الشمال والجنوب الأوروبي(7).

إن فتح هذا الطريق البحري قد ترك نتائجه على الأسواق الداخلية لفرنسا وبصورة خاصة، منطقة شمبانيا Champagne المغمورة سابقاً، مع معارضها الشهيرة، التي بدلت من دور مرافئ إيبريا الجنوبية وأسواقها. ومنذ القرون الأولى كان الأندلس وموانئه يقدمان خدمات استيراد السلع وتصديرها وتوزيعها بدءاً من القرن العاشر حتى باكر القرن الثالث عشر، وامتدت الشبكة التجارية من القاهرة إلى قرطبة. وكانت أسواق الأندلس تتاجر على محاور الطرف الغربي لنظام البحر الأبيض المتوسط الغربي، وهي الواقعة على الحدود، وقامت الأسواق الإيبرية بإعادة توزيع السلع بين المجالين التجاريين للمسيحيين وللمسلمين. وتم بيع البضائع الشرقية للمستهلكين المحليين، وبيع ما تبقى منها إلى أسواق شبه الجزيرة، وجنوب فرنسا وإيطاليا؛ كما بيعت المنتجات الإيبرية، مع الذهب السوداني ومواد شمالية أخرى، لتجار ينقلون البضائع إلى تونس وصقلية ومصر وما وراء ذلك، وغدت موانئ الأندلس قمة النظام التجاري الأوروبي المسيحي وتبدلت وظائفها لتقدم بعض التسهيلات، وأهم من ذلك خدمة العبور والتبادل بين البحر الأبيض المتوسط والأطلنطي، وسيطر التجار المسيحيون الأجانب على موانئ جنوب إيبريا في الأندلس وفي غرناطة، واستخدموا تلك الموانىء كمواقع لبيع وشراء السلع أثناء العبور، وكان التجار الإيطاليون والكتلانيون المتوجهون نحو الغرب

---

(7) F. Pérez Embid سجل رحلات من بورجس سنة 1278، "Navigation et commerce dans le port de Seville au bas moyen âge," Le moyen âge 75,1969, p. 487. وقد نوقش موضوع أول مرور منظم عبر المضايق من R.S. Lopez, "Majorcans and Genoese on the North Sea Route in the 13th century," Revue belge de philologie et d'histore 29,1951, pp. 1163-79.

يتوقفون في الموانئ على طول الشاطئ الغرناطي أو الأندلسي لشراء زيت الزيتون والفواكه المجففة وهم في الطريق إلى ساوث أمبتون وبورجس. وبالمقابل كانوا يتوقفون في إشبيلية كي يأخذوا الحديد والسلع الشمالية لتباع في النهاية في شمال أفريقيا وفي أجزاء أخرى من البحر الأبيض المتوسط. أما في جهة الأطلنطي من المضائق فإن المراكب الكانتابرية تأتي جنوباً حتى إشبيلية حاملة البضائع الشمالية، وقاصدة البحر الأبيض المتوسط، ومعتزمة اختيار شحنة من المنتجات المحلية أو من التوابل الشرقية والأقمشة الإيطالية لنقلها نحو الشمال إلى إنجلترا وفلندر[8].

إن اقتصاد غرناطة، وكذلك الأندلس المسيحية، قد توجها نحو تجارة التصدير وشحن العبور. وللمرة الثانية صارت تجارة غرناطة، مثل الأندلس تحت السيطرة الأجنبية، وبصورة خاصة تحت سيطرة الجنويين: وعلى اعتبار أن صادرات المنطقة كانت متخصصة جداً، فقد صار المستهلكون الغرناطيون تابعين للمستوردات الأجنبية بصورة واسعة، وخاصة مواد الرفاهية وضروريات الحياة. ولقد تميزت العلاقات الاقتصادية بين غرناطة والممالك الإسبانية المسيحية بالتبدل في أواخر العصور الوسطى وكذلك كان الأمر في عهد الأمويين والمرابطين ثم الموحدين. ولقد دفع الحكام الناصريون الجزية لدول الشمال، وحين كان التجار، بأفكارهم التجارية، يتدفقون باتجاه الشمال، كانت غرناطة قاب قوسين أو أدنى من النهاية، وكانت تبعية غرناطة الاقتصادية واضحة من خلال التحول اللغوي لكلمة فنيق Faniqa وهو مكيال أندلسي تبناه المسيحيون الإسبان تحت اسم أنيجا/ هنيجا Hanega أو فنيجا Fanega في وسط القرن الثاني عشر. ولم يعد هذا المكيال في الاستخدام في الجنوب المسلم حتى عاد ليظهر من جديد تحت اسم هنيجا Hanega وهو

(8) كتب الكثير في أواخر العصور الوسطى عن التجار والاقتصاد الإشبيلي. ن:

A. Ballesteros y Beretta, Sevilla en el siglo XIII. Seville, 1913; R. Carande, Sevilla, fortaleza y mercado. Seville, 1972; and F. Perez Embid, "Navigation et commerce," pp. 263-89, 479-502 وكذلك قائمة مراجع p. 266.

اسم مشتق من القشتالية في زمن غرناطة الناصرية[9].

إن تبدل النماذج التجارية وتحولها، وخاصة الأهمية الكبرى للنقل التجاري خلال مضائق جبل طارق، قد ظهرت من خلال الأدوار الجديدة لمدينتي ملقا والماريا، وصارت هذه الأخيرة الميناء الأول للأندلس ثم أخذت ملقا السبق خلال القرن الرابع عشر. وقد وصف المؤرخ الناصري ابن الخطيب (توفي 1374) ملقا أنها «مكان لحج التجار»، حيث يتوقفون في المدينة لاختيار الفواكه الغرناطية والسكر ولبيع أنواع كثيرة من السلع المستوردة[10]. وكما كان الحال في القرون الماضية، استمرت ملقا تعمل كميناء لتوقف واستراحة المراكب المتأهبة لرحلة نحو الغرب وخلال المضائق وكمحطة توقف للمراكب العائدة والقادمة إلى إشبيلية من البحر الأبيض المتوسط. وقد ذكر دوفورق Dufourcq ثلاثة مراكب من كراون أراجون حيث توقفت في ملقا في طريقها من برشلونة إلى إشبيلية في سنة 1279، وكذلك كان الحال بالنسبة لكثير من المراكب القادمة من مالوركا وبلنسيا وبرشلونة حيث تتوقف في مينائها وهي في طريقها إلى إشبيلية أو إلى قادش/ قاديز وجاليسيا وإلى شمال أوروبا[11]. وكانت ملقا محطة توقف للرحلات بين

(9) J. Vallve Bermejo, "Notas de metrologia hispano-arabe II: Medidas de capacidad," Al-Andalus 42,1977, p. 101. حول تجارة غرناطة see E.J. López de Coca Castañer, "Comercio exterior del reino de Granada," Actas del II Coloquio de historia medieval andalulza. Hacienda y comercio. Sevilla, 8-10 de Abril, 1981. Seville, 1982, pp. 335-77; and in the volume, C. Torres Delgado, "El reino nazari de Granada, 1232-1492. Aspectos socio-económicos y fiscales", pp. 297-334.

(10) Ibn al-Khatib, Mufakharat Malaqa wa Sala. ed. A.M. al-'Abbadi, Alexandria, 1958, p. 59.

(11) C.E. Dufourcq, "Les communications," pp. 30-9.

على الرغم من التوقف الدائم في ملقا فإن Hinojosa Montalvo يذكر رحلات بين بلنسيا وإشبيلية دون توقف.

"Las relaciones comerciales entre Valencia y Andalucia durante la baja edad media," Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio, Sevilla, 8-10 de abril, 1981. Seville, 1982, p. 256.

جنوب أوروبا وشمال أفريقيا أيضاً. وقد بينت وثائق العدلية الجنوية أن المراكب المتوجهة إلى المغرب تستريح في ملقا كي تتلقط المعلومات عن شروط السوق عبر البحر. وبناءً على هذه المعلومات كان التجار الجنويون يقررون إذا كان يجب التوجه برحلتهم إلى سبتا أو بوجي أو تونس أو أي مكان آخر[12]. وقد تابع الجنويون التوقف في ملقا في القرن الخامس عشر، وظهرت أهمية تجارتهم من خلال بنائهم السور العريض الذي يطوق المدينة[13].

وقد استمرت الماريا في كونها ميناء مهماً في عهد الحكم الناصري، عندما وصفها أبو الفداء (توفي سنة 1331) والعمري (توفي سنة 1349) كمركز للتجارة وبناء السفن، ودعا ابن الخطيب المدينة «ساحة التجار» ملاحظاً أن مرفأها قدم خدمات لمراكب كثيرة[14]. أضف إلى ذلك أن الماريا قامت بوظائف متعددة في أواخر العصور الوسطى أكثر مما كانت في البداية. وبفضل الطرق الأفضل لعبور المتوسط أصبحت الماريا أول ميناء للوصول أو «المفتاح» كما وصفها أحد الجغرافيين بالنسبة لأسواق الأندلس. وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، كانت معظم مراكب التجار المرتحلة إلى الأندلس تتوقف في الماريا كمحطة أخيرة. وبالعكس، وخلال القرن الرابع عشر فقدت الماريا حركة النقل لصالح ملقا. ولكن ظل التجار الكتلانيون يجدونها مكاناً مناسباً لهم للوصول إلى أسواق غرناطة. واستخدمها تجار آخرون مجرد محطة توقف بعد طريق طويل.

---

(12) ASG Cart. 29, fol.164r, dated July, 1253, E.H. Byrne. ed., Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth centuries. Cambridge, Mass., 1930, p. 36.

(13) F. Guillen Robles, Malaga musulmana. Malaga, 1880, p. 524.

(14) Abu al-Fida, Geographie d'Aboulfeda. ed. M. Reinaud and M. de Slane, Paris, 1840-8, p. 177; 'Umari, Masalik al-absar fi mamalik al-amsar. trans. M. Gaudefroy-Demombynes, L'Afrique moins l'Egypte. Paris, 1927, p. 239; Ibn al-Khatib, Miyar al-ikhtiyar. ed. M.K. Chabana, Rabat, 1397/1977, p. 100.

البنية الجديدة لقوة التجار

لقد تبدلت مجموعات التجار العاملين في شبه الجزيرة مع التوسع السياسي المسيحي وتوجهات الطرق التجارية. وهكذا وعلى الرغم من أن إشبيلية ظلت على اتصال مباشر مع موانئ العالم الإسلامي، فإن التجار الذين وصلوها بالإسكندرية، وتونس وبوجي صاروا الآن كتلانيين وبروفنسال وجنويين وإيطاليين آخرين، بعد أن كانوا لفترة طويلة مسلمين أندلسيين أو تجار الجينيزة اليهود المتمركزين في مصر. وصارت تجارة شبه الجزيرة في موانئ الشاطئ بطوله بيد التجار المسيحيين حصراً، مع قليل من المسلمين واليهود الذين استمروا في أعمال تجارية مع كراون أراجون وغرناطة الناصرية.

المسيحيون

كان التجار المسيحيون العاملون في شبه الجزيرة مجموعات متنوعة، كما هو واضح من خلال مصالحهم التجارية المختلفة ومجالات عملياتهم. ويعكس هؤلاء التجار الانقسامات السياسية والاقتصادية الحادة التي أثرت على شبه الجزيرة في أواخر القرن الثالث عشر.

وكان النقل التجاري البحري عبر برشلونة وطرطوشة Tartosa وبلنسيا Valencia وموانئ أخرى في كراون اراجون بيد التجار المحليين بصورة واسعة، وكانت مصالحهم متمركزة في البحر الأبيض المتوسط. وقد تعززت قوة هذا التجمع التجاري من خلال التشريعات التي ميزت التجار المحليين. ففي سنة 1227 مثلاً، رسم جيمس الأول أمراً لا يسمح فيه للمراكب الأجنبية أن تشحن البضائع خارج برشلونة إلى مصر وسورية أو إلى سبتا إذا كان هناك مركب كتلاني يرغب في القيام بهذه الرحلة[15]. وخلال السنوات التالية، صارت اجراءات الحماية أكثر وضوحاً في تاج أراجون من أي مكان آخر في

(15) J.N. Hillgarth, The Spanish Kingdoms, 1250-1516. Oxford, 1976, I, p. 291.

شبه الجزيرة، مبينة الصلة الوثيقة بين السياسات الأراجونية، والتوسع الأرضي والتطلعات التجارية في البحر الأبيض المتوسط حتى في القرن الخامس عشر عند ما كانت التجارة الأرجوانية في تقهقر. حاول ألفونسو تشجيع التجارة من خلال أمر (في سنة 1419) يفيد أن جميع البضائع القادمة من مالوركا وكتلونيا يجب أن تنقل على ظهر مراكب محلية[16]. ولم تكن الإجراءات القانونية، في النتيجة، لتطرد جميع التجار الأجانب خارج التجارة الأراجونية، إذ إن البيزائيين والجنويين والبرفنساليين تاجروا مع برشلونة ومع باليريك في آخر القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، كما أن محفوظات داتيني (بين 1383 ـ 1411) تدل على أنشطة كثيفة لتجار فلورند في مملكة أراجوني[17].

وقد كان تجار موانئ مملكة أراجون مهتمين بتجارة غرناطة وشمال أفريقيا ومصر وصقلية وبيزنطا أولاً، وهي جميع المناطق التي تنافسوا فيها مع الطليان والبروفنسال من أجل التجارة. ومع ذلك فقد أقام التجار الكتلان مستعمرة أو مستوطنة تجارية في الإسكندرية في سنة 1264 وأمنوا سيطرة حقيقية على حركة النقل خلال هذه المدينة في القرن الرابع عشر[18]. وفي الطرف الآخر من البحر الأبيض المتوسط، كان هناك فنادق كتلانية في بوجي وتونس في القرن الثالث عشر، وفي الماريا وملقا خلال بداية سنة 1300[19]. ومارس التجار من برشلونة ومن مالوركا العمل التجاري في إنجلترا وفلندر في القرن الرابع عشر، على الرغم من أن كتلة الشمال التجارية كانت تتعامل

(16) J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain. thaca, 1975, p. 623.

(17) See J. Heers, "Les relations commerciales entre Gênes et le royaume d'Aragon vers le mileu du XVe siècle," IV Congreso de Historia de la Corona de Aragón. Actas y Comunicaciones. Barcelona, 1970, II, pp. 1-14.

(18) O'Callaghan, A History of Medieval Spain, p. 482.

(19) C. E. Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècle. Paris, 1966, pp. 99-101, and "Les communications," p. 40.

مع القشتاليين والإيطاليين[20]. وقد تقهقرت التجارة الكتلانية في القرن الخامس عشر لأن التجار المحليين فقدوا الأرضية لصالح الجنويين وسحبوا مصالحهم من الإسكندرية وتونس وموانئ أخرى حيث ازدهرت تجارتهم فيها ذات يوم. ولقد عُزي هذا التقهقر إلى أسباب عدة وبصورة خاصة إلى الوباء في أراجون والموقف الأخلاقي من ذلك، والشعور بنقص الفضيلة وتدهور البنوك الكتلانية ونضوب احتياطي الذهب والفضة، والاستثمارات الكبرى في البلاد، ولم يعد هناك مغامرات بحرية. وكانت المنطقة الوحيدة من مملكة أراجون التي استمرت بالازدهار خلال القرن الخامس عشر هي بلنسيا حيث انبعثت صناعة الحرير وأقيمت علاقات تجارية وثيقة مع غرناطة ما حافظ على تجارتها[21]. وكانت التجارة خلال موانئ إيبريا الجنوبية وغرناطة المسلمة والأندلس المسيحي تحت سيطرة التجار الأجانب، وأهمهم الجنويون. وعندما عَيَّن الفونسو العاشر أميرالاً جنوياً هو هيوجو فنتو Hugo Vento للإشراف على أسطول المملكة في سنة 1264، عزز هذا العمل سيطرة الجنويين في جنوب قشتالة رغم ما ذكر من أن هذا العمل كان يهدف إلى تحسين سيطرة التجار المحليين. كما حصلت جنوى على امتيازات تجارية في غرناطة، وتفاوضوا من أجل معاهدات مع الناصريين للسماح للتجار الجنويين بتصدير الفواكه المجففة ولاستمرار حركة النقل القائمة منذ زمن طويل مع ملقا والماريا. وقد اشتغل تجار إيطاليون آخرون بما في ذلك البندقيون والميلانيون والپيزائيون واللومبارديون والسافونيون والفلورنديون بالعمل التجاري في جنوب شبه الجزيرة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. كما فعل التجار من شمال قشتالة، وكتالونيا ومرسيليا وإنجلترا. وقد ذكر بيجولوتي ضريبة خاصة مستثناة وممنوحة للمتاجرين الطليان في إشبيلية، وذكرت لوائح تعرفة إشبيلية في القرن الخامس عشر مجموعة من التجار

(20) ذكر Dufourcq إقامة طريق نظامية بين برشلونة وفلندر في سنة 1369 وذكر وصول تجار مالوركيين إلى إنجلترا وفلندر في سنة 1301 و 1323 و 1340 و 1350 و 1372. p. 31.

(21) O'callaghan, A History of Medieval Spain, p. 623.

الذين يمارسون التجارة في تلك المدينة[22].

وكان الموقف مختلفاً جداً على طول سواحل الأطلنطي لشبه الجزيرة، حيث تنافس التجار من البرتغال وشمال قشتالة للسيطرة على التجارة والنقل خلال باي بزكاي. في حين كان التجار البرتغاليون يغامرون جنوباً على طول الساحل الإفريقي الغربي. وقد استطاع تجار من شمال قشتالة السيطرة على حركة النقل بين شبه الجزيرة وشمال أوروبا في القرن الثالث عشر بمساعدة التحالفات السياسية المصلحية. وبدأت أسماء التجار القشتاليين ومالكي السفن (وهم الذين كانوا يدعون سبانيارد Spaniards وحسب في وثائق الشمال) بالظهور في وثائق من بريستول وساوث أمبتون ولندن وبروجس وأرّاس Arras وأماكن أخرى في أول القرن. كما نقل تجار جنوبيون آخرون، بمن فيهم الكتلان والجنويون والبندقيون، البضائع إلى مدن الشمال في آخر العصور الوسطى، ولكنهم واجهوا منافسة من قبل القشتاليين. وقامت علاقات

(22) Pegolotti, La pratica della mercatura. ed. A. Evans, Camridge, Mass., 1936, p. 271; M.A. Ladero Quesada, "Almojarifazgo sevillano y comercio exterior de Andalucía en el siglo XV," Anuario de historia económica y social 2,1969, pp. 92-3; M.A. Ladero Quesada, "Las aduanas de Castilla en el siglo XV," Revue internationale d'histoire de la banque, 7,1973, p. 102. عن التجار الايطاليين ن: F. Melis, Mercaderes italianos en Espana siglos XIV-XVI. Seville, 1976; R. Carande, "El puerto de Malaga y la lana de Menorca en la edad media dos estudios de F. Melis," Moneda y crédito, 64,1958, pp. 14, 17; B. Gari, "El reino de Granada y la politica comercial genovesa en la peninsula iberica en la segunda mitad del siglo XIII," Relaciones exteriores del reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza. Almeria, 1988, pp. 287-96; and Perez Embid. "Navigation," pp. 274-75.

ذكر Dufourcq تجاراً من سافون في الماريا في 1345.
"Les communications," p. 32.
وفي القرن الخامس عشر ذكر من قبل Heers "Le royaume de Grenade," p. 105.
ويذكر Dufourcq بندقيين وملقيين في سنة 1324 و 1332 "Les communications," p. 31.

حميمة بين الانجليز والقشتاليين خلال عهد ألفونسو العاشر (1252 ـ 1284) عقب زواج شقيقته إلنور Eleanor من ادوارد الأول ملك انجلترا في سنة 1254، ولكنها صارت متوترة بعد أن نقض سنخو الرابع Sancho (1295 - 1284) سياسة والده وتحالف مع فرنسا[23]. وأقام التجار القشتاليون والبرتغال مستعمرات في البلدان المنخفضة في أواخر القرن الثالث عشر، بعد أن وسع الكونت جي فلندر Count Guy امتيازات تجار إسبانيا (أي قشتالة) العاملين في أراضيه سنة 1280. كما أعيد منح امتيازات ثانية في سنة 1294 من أجل دور محدد بناء على طلب ادوارد الأول[24]. وغدت التجارة أكثر تنظيماً في القرن الرابع عشر، على الرغم من أن تقلبات السياسة الإيبرية الدولية وحرب المئة سنة 1337 ـ 1453 زادت من تعقيدات أشكال الصداقة والتجارة بين قشتالة وأراجون وإنجلترا، وفرنسا وفلندر.

وقد توضحت التبدلات التجارية والسياسية التي ولدتها الحرب من خلال رد فعل ادوارد الثالث الإنجليزي (1327 ـ 1377) الذي فرض حظراً على شحن الصوف الإنجليزي إلى فلندر في بداية حرب المئة سنة، مما دفع الحائكين الفلامند إلى الاعتماد على استيراد الصوف الإيبري كلياً[25]. ومنح ادوارد إذناً بضمان المرور للتجار الأجانب بما فيهم القشتاليون لنقل السلع إلى بروجس. وقد أدت هذه الضمانات إلى تغيير في المفاهيم، حيث أن أربعين سفينة إسبانية على الأقل وصلت إلى ميناء سوين Swin قرب بروجس في سنة 1350[26]. ثم عقد إدوارد (بعد أن تحالف مع بيتر الأول القشتالي)

(23) T. H. Lloyd, Alien Merchants in England in the High Middle Ages. New York, 1982, p. 159.

(24) L. Gilliodts-van-Severen, L. Cartulaire de l'ancien consulat d'Espagne a Bruges. Bruges, 1901, 1, pp. 7-8; M. Carle, "Mercaderes en Castilla, 1252-1512," Cuadernos de historia de Espana 21-2,1954, p. 275. See also H. Laurent, Un grand commerce d'exportation au moyen âge: draperie des Pays-Bas en France et dans les pays mediterraneens XIIe-XVe siècle. Liège-Paris, 1935, pp. 106-7.

(25) O'Callaghan, A History of Medieval Spain, pp. 616-17.

(26) Gilliodts-van-Severen, Cartulaire, p. 12; F. Rorig, The Medieval Town. Berkeley, 1967, p. 81.

معاهدة أخرى مع البحرية الإسبانية في سنة 1351 ضامناً الحماية لمراكب التجار في أي ميناء من موانئه[27]. وقد انقطعت هذه العلاقات الحميمة بين انجلترا وقشتالة عندما خلف هنري Henry الثاني أخاه عرش قشتالة سنة 1369، ملحقاً ذلك بتحالف قشتالي فرنسي واتفاق لتقديم سفن للبحرية الفرنسية. ولم تتحسن العلاقات الإنجليزية القشتالية حتى عهد فرديناند وإيزابيلا Isabella في نهاية القرن التالي، وظلت العلاقات التجارية متقلقلة. وقد منع التجار القشتاليون والفرنسيون من التجارة مع فلندر سنة 1371 وسينقلب هذا الوضع في عهد الدوق فيليب البورجوندي Duke Philip of Burgundy في سنة 1384[28]. وظل البرتغاليون على علاقات طيبة وتجارية حسنة مع إنجلترا بخلاف جيرانهم القشتاليين.

وثابر التجار الإيبريون على المتاجرة في الشمال في القرن الخامس عشر، وأقاموا علاقات وثيقة مع موانئ هانسيتيك Hanseatic. وفي فلندر أيضاً نظمت نقابة مهنية للتجار القشتاليين في بورجس سنة 1441 (وقد سبق لهم وتاجروا من بورجس). وبعد عشر سنين منح فيليب الطيب البورجوندي Philip the Good of Burgundy إقراراً لعمل التجار الباسك[29]. وسافرت المراكب التجارية من شمال قشتالة والبرتغال إلى الجنوب، وصاغت رحلاتهم إلى إشبيلية وكاديز صلات مهمة في سلسلة التجارة العابرة بين الإطلنطي والبحر الأبيض المتوسط. وكان التجار من ستاندر مثلاً، يستطيعون الوصول إلى الأندلس محملين بأنسجة من فلندر وصوف من إنجلترا (على الرغم من نمو صناعة الصوف الإيبرية)، والحديد من شمال قشتالة. وكانوا

---

(27) O'Callaghan, A History of Medieval Spain, p. 482.

(28) Gilliodts-van Severen, Carulaire, p. 18.

من أجل تحليل مفصل عن السياسة والتجارة بين قشتالة وإنجلترا في هذا الدور راجع:

W.R. Childs, Anglo-Castilian Trade in the Later Middle Ages. Manchester, 1978.

(29) O'Callaghan. A History of Medieval Spain, pp. 621-22.

يبيعون هذه السلع في إشبيلية مقابل الحصول على توابل من شرق المتوسط، والنسيج الإيطالي، وزيت الزيتون المحلي وجميع ما يرغبون في نقله إلى الشمال في رحلة العودة. ونادراً ما غامر التجار الشماليون شرقاً وراء مضائق جبل طارق، فقد كانت الموانئ المتوسطية مملوءة بالتجار الجنويين والپيزائيين والبندقيين والكتلانيين والبروفنساليين. وقد أدت المنافسة الجنوية الكتلانية في أول القرن الخامس عشر إلى فتح نافذة صغيرة للتجار الباسك والبرتغاليين للعمل في البحر الأبيض المتوسط، ولكن مجيء الجنويين عقب ذلك دفعهم خلفاً نحو الغرب في نهاية القرن.

المسلمون واليهود

لم يختفِ التجار المسلمون واليهود من التجارة الإيبرية في آخر العصور الوسطى، ولكن تقلص عددهم في بعض المناطق (وخاصة في الأندلس) وتدنّى أثرهم التجاري بصورة كبيرة. وتابع بعض التجار من غير المسيحيين أعمالهم التجارية في مملكة غرناطة، في حين أن المدجر Mudejar واليهود تاجروا مع مملكة قشتالة على الرغم من أن أنشطتهم افتقرت للاستقلال في أول القرن، ذلك لأن شمال غرب المتوسط صار الآن مجالاً سياسياً وتجارياً وبحرياً مسيحياً. وكان غير المسيحيين مجبرين على العمل بعد موافقة الحكام المسيحيين. وكان على المسافرين المسلمين والمسيحيين أن يبحثوا عن مراكب مسيحية لمرورهم، رغم معارضة السلطات المسلمة لهذه الطريقة في النقل. وكان الاتجاه الأخير واضحاً في آخر القرن الثاني عشر، عندما سافر ابن جبير وبنيامين التودلي Benjamin of Tudela على مراكب مسيحية بين الأندلس وشرق المتوسط، وصار ذلك علنياً مع الزمن. وعندما أراد فريق من التجار التونسيين المتاجرة مع غرناطة في سنة 1327، امتطوا مركباً كتلانياً في تونس وذهبوا عن طريق سردينيا ومالوركا في طريقهم إلى الماريا وملقا. ونقل مركب كتلاني آخر يعود لمسيحي من برشلونة تاجراً «مدجراً» إلى مصر في سنة 1333 (لأن التجارة مع بلاد المماليك كانت ممنوعة في هذه الفترة، وعُرف هذا التاجر من خلال عفوٍ منح من قبل پيتر الرابع الأراجوني في سنة

1339)[30]. وفي القرن نفسه رحل تاجران مسلمان على الأقل من غرناطة إلى تونس على ظهر مركب جنوي؛ وفي سنة 1443 وصل مركب جنوي إلى رودس Rhodes مع مسافرين من تونس وتجار من غرناطة، ونقل مركب جنوي آخر تاجراً مصرياً من وهران إلى ملقا[31].

وإلى جانب هذه المعلومات عن نقل التجار المسلمين الغرناطيين، هناك أدلة قليلة على أعمالهم التجارية في آخر العصر الوسيط. وبالمقابل، فإن أنشطة التجار «المدجر» أفضل توثيقاً بسبب تسجيلها في المحفوظات المسيحية. وتوجد دراسة حديثة عن مدجر بلنسيا حيث عَرَّفت بمئتين وثلاثة وسبعين مسلماً كانوا قد تاجروا مع بلنسيا وغرناطة في القرن الخامس عشر. وكان هؤلاء التجار جميعهم مولودين في بلنسيا، باستثناء تاجري حرير غرناطيين، وقد سافر واحد منهما إلى بلده على ظهر مركب بندقي في سنة 1465[32].

وتابع عدد من اليهود العمل التجاري مع مملكة أراجون، وفي غرناطة وفي الأندلس (وليس في شمال قشتالة). وسافر التجار اليهود بين موانئ غرب المتوسط ولكنهم لم يغامروا في تجارة الأطلنطي، وبالمقابل ظهر التجار اليهود في عقود من مرسيليا في وسط القرن الثالث عشر ونقل بعضهم سلعاً إلى مالوركا والمغرب[33]. كما تاجر اليهود بين بلنسيا والأندلس خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وبينت سجلات من ملقا أن التجار

---

(30) Dufourcq, "Les communications," p. 32; E. Ashtor, The Levant Trade in the Later Middle Ages. Princeton, 1983, p. 51.

(31) Heers, "Le royaume de Grenade," p. 104. López de Coca Castaner, "Comercio," p. 351.

(32) M. Ruzafa García, "Les relaciones economicas entre los mudejares valencianos y el reino de Granada en el siglo XV," Relaciones exteriores del Reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza. Almeria. 1988, p. 349.

(33) استنتج Pryor من هذه المعلومات أن: «اليهود ظلوا يشاركون في التجارة بقوة [في هذا الدور].. ولكنهم لم يكونوا بالتأكيد قوة اقتصادية كما كانوا قبلاً». Pryor, Business Contracts. pp. 86-87.

الجنويين غالباً ما تعاملوا مع التجار اليهود في هذا الميناء[34]. كما أن اليهود الأراجونيين تاجروا شرقاً حتى مصر، كما نعلم من الرقابة القانونية على أنشطتهم. وفي سنة 1312 غُرِّم تاجران يهوديان من برشلونة (وعُفي عنهما فيما بعد) لنقلهما بضائع ممنوعة هي (حبوب وحديد وخشب) إلى الإسكندرية على ظهر قارب مسيحي، وسجلت حالات مشابهة في سنة 1305 و1307. كما فرضت غرامات على يهود تاجروا بين برشلونة ومصر في سنة 1340[35].

لقد كانت الموانئ والأسواق في شمال شبه الجزيرة مجالاً خالصاً لتجارة المسيحيين في آخر العصور الوسطى. ولم يتاجر المسلمون ولا اليهود في هذه المناطق إطلاقاً. وتضاءلت تجارة هؤلاء في الشرق والجنوب في مواجهة السيطرة السياسية والمنافسة التجارية المسيحيتين. وينسجم هذا التبدل مع الإجراءات المعاصرة لإعادة تنظيم التجارة في عالم البحر الأبيض المتوسط وانتشار التجارة في مراكز حول أوروبا ومصر. وبعد تحول المتوسط إلى بحيرة مسيحية فإن التجار اليهود لم يعودوا مؤهلين لتجارة الوساطة، ولذا فقد ركزوا جهودهم إما في المجال المسيحي أو في المجال الإسلامي. في حين أن التجار المسلمين الذين لم يرغبوا يوماً بالتجارة مع بلاد المسيحيين وجهوا تجارتهم بعيداً إلى داخل دار الإسلام وإلى أقصى الشرق.

وبعد أن توجهت تجارة مصر نحو البحر الأحمر والمحيط الهندي سيطر جمع جديد من التجار دعي كريمي Karimis على التجارة الدولية في العالم الإسلامي[36]. وعلى الرغم من أنه يشك في أن يكون اسم الجماعة هذا يدل على أية هوية مشتركة فإن تعبير كريمي لقب به منذ القرن الثاني

---

(34) Hinojosa Montalvo, "Las relaciones comerciales," p. 252; Heers, "Le royaume de Grenade," p. 103.

(35) J. Regne, History of the Jews in Aragon. Regesta and Documents 1213-1327. Jerusalem, 1978 no. 2975, p. 550; no. 2840, p. 526; no. 2878, p. 531-2; Ashtor, Levant Trade, p. 51.

(36) توجد لائحة مراجع عديدة عن كريمي بما في ذلك مقالات: G. Wiet, "Les marchands d'epices sous les sultans Mamlouks," Cahiers d'histoire égytienne 7,1955, pp. 81-147; =

عشر عدد من التجار المسلمين الأقوياء الذين سيطروا على تجارة البحر الأحمر في التوابل وغير ذلك من السلع الشرقية القادمة إلى أسواق مصر. وكان ظهور هؤلاء التجار في مصر خلال القرن الثالث عشر تعويضاً عن جمهور التجار اليهود الأوائل في جينيزا، ولكنهم لم يُبدوا اهتماماً بتجارة البحر الأبيض المتوسط، ما يدل على تبدل التوجهات في الحياة المصرية والتجارة في العصور الوسطى. وقد دعم الحكام المماليك الكريمي وعززوا مصالحهم مقابل دفع الضرائب والأجور وخدمات أخرى للحكومة. ثم فرضت سياسة جديدة في عهد بارسبيي (1422 ـ 1437) Barsbay شددت فيها رقابة الحكومة، واحتكرت كثيراً من السلع ما أدى إلى وضع حد لنهاية أعمال الكريمي التجارية. ومع توجه المصالح التجارية الإسلامية نحو الشرق حتى المحيط الهندي، تحولت الإسكندرية إلى طرف اقتصادي معنوي بين عالمين. وعندما وصل ابن سعيد الغرناطي (1208 ـ 1286) إلى مصر كلاجئ أندلسي كان مدركاً أن العالم الإسلامي قد تبدل خلال حياته. فقد كتب «كنت مقهوراً من الأسى».. «كلما تذكرت تلك الأماكن السعيدة والمألوفة في الأندلس، حيث انفصلت عنها حياتي الآن وإلى [الأبد]» [37]. وعلى الرغم من بقاء غرناطة الصغيرة بيد المسلمين، فقد رقد الأندلس بعيداً عن مجال تجارة العالم الإسلامي الشرقي واهتماماته باستثناء حنين متردد..

إيبريا في آخر العصر الوسيط والنظام التجاري العالمي

بدءاً من القرن الثالث عشر والرابع عشر قامت الأسواق المسيحية الإسبانية والغرناطية المسلمة بدور تجاري داخل أوروبا وهي التي كانت تقوم

= and W. J. Fischel, "The Spice Trade in Mamluk Egypt," JESHO, 1,1958, pp. 157-74.

من أجل نظرة شاملة ن:

see D. Abulafia, "Asia, Africa, and the Trade of Medieval Europe," Cambridge Economic History of Europe. 2nd edn, Cambridge, 1987, II, pp. 437-43.

(37) Maqqari, Analeectes sur l'histoire et la littérature des arabes d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, I, p. 647.

بمثله في المحيط الخارجي. فقد اندمجت الآن مع مجال الشمال التجاري، إلا أن حركة نقلها إلى الشمال لم تكن متوازنة. وعلى الرغم من جهود الحكام الإيبريين لتشريع سياسة اقتصادية، فقد ظلت تجارة شبه الجزيرة هدفاً لمصالح الأسواق الخارجية بصورة واسعة. لقد كانت التجارة الأندلسية والغرناطية تابعة للطلب الأجنبي وكانت الأعمال التجارية في موانئ إيبريا الجنوبية خاضعة لسيطرة التجار الأجانب.

ويبدو أن العواهل الإيبريين المسيحيين اهتموا بتنظيم التجارة الدولية أكثر من أسلافهم الأندلسيين. وكان بعض المشرعين المسيحيين محرضين للتجارة وفق الحاجات السياسية والدبلوماسية، ولكن حكاماً آخرين قاموا بتوجيه الطلب على التجارة أو تعزيز المصالح الملكية. وكانت هذه الجهود الإيبرية منسجمة مع مفاهيم التشريع والقوة الملكية التي اتخذت مظهراً جديداً في أوروبا وكانت الفكرة الوليدة أنه كان بالإمكان التأثير على الاقتصاد الإقليمي. وقد وضع حكام قشتالة وأراجون والبرتغال قوانين تتعلق بالسلع التي يمكن المتاجرة بها أولاً cosas vedadas، وبالضرائب التي يجب دفعها، وبالتجار الذين يسمح لهم بنقل البضائع وبالمناطق التي يمكن لهؤلاء أن يديروا أعمالهم فيها، وبالمشترين الذين يمكن بيع البضاعة لهم. وكانت أحواض بناء السفن والنقل البحري عرضة للرقابة الملكية. وكان كثير من هذه الترتيبات التنظيمية واضحة في الأحكام الإسلامية، ولكن بأدنى حدة أو شدة. مثال ذلك أننا لا نجد لوائح طويلة للصادرات الممنوعة في الفتاوى الأندلسية وكتب الحسبة. ولا توجد أية علامة أو إشارة إلى جهود وإجراءات اتخذت لمنع حركة النقل بين الأندلس والمناطق المسيحية (خلافاً للقيود الملكية والتحريم البابوي للتجارة الأوروبية مع مماليك مصر). وزيادة على ذلك كان الحكام المسلمون في الأندلس أكثر اهتماماً بالفوائد التي تجنى من التجارة الدولية من فرض القيود عليها، وبالعكس كان خلفاؤهم المسيحيون مهتمين بتنظيم وتقييد حركة التجار والبضائع، ولكنهم قليلاً ما شاركوا مباشرة في التجارة والشحن التجاري.

يبدو أن هذا الإدراك الواسع والاهتمام بإمكانية وضع نظام تجاري قد كان معيقاً أكثر منه مساعداً على نجاح التجارة الدولية الإيبرية أو القشتالية خاصة. إن القوائم الكثيرة للمواد الممنوعة التي كان يجب ألا تنقل خارج المملكة، (وكانت تضم عادة الخيل والأسلحة والحديد والخشب والحبوب، وتتوسع أحياناً لتشمل في الواقع كل مادة محلية قابلة للتصدير) يجب أن تساعد على تعزيز حركة السوق اكثر من كونها عملية اصلاح لتبعية الاقتصاد الإيبري. ففي سنة 1286 مثلاً أمر سنخوا الرابع أن نبيذ نافار يجب ألاّ يورد إلى قشتالة. وفي سنة 1303 منع فرديناند الرابع النبيذ البرتغالي في إشبيلية، وتبع الحكام التالون القوانين نفسها[38]. ولعل تلك الأحكام التنظيمية قد عززت صناعة الخمر القشتالي ولكن لم تتخذ أي إجراءات لتنظيم التدفق الواسع للمنسوجات الأجنبية (مع إمكانية كبيرة لكبح الصناعات المحلية) في داخل أسواق شبه الجزيرة. حتى التشريع الذي يفضل التجار المحليين على الأجانب أو يطلب من التجار تصدير البضائع المحلية بقيمة معادلة لتلك التي استوردت إلى المملكة، يبدو أنه كان عقيماً[39]. ولعل جون الأول البرتغالي وهو الذي اتخذ إجراءات دقيقة للاستثمار التجاري، قد فهم عدم جدوى مثل هذه السياسة عندما بدلها سنة 1386، مانحاً الامتيازات للتجار الأجانب ورافعاً القيود عن التصدير[40].

كما أن التحريم البابوي على التجارة مع بلاد المسلمين والذي كررته التشريعات غير الكنسية قد خفضت، وعلى نطاق واسع، مشاركة إيبريا في تجارة البحر الأبيض المتوسط وركزت مصالحها في تجارة غير متوازنة مع أوروبا. لقد حُظرت تجارة المواد الحربية مع عدو البلاد، من المسلمين أو غيرهم، في القرن الثالث عشر ولكن أحكام البابا في سنة 1320 و1330 قد

(38) Carle, "Mercaderes," p. 309.

(39) وصفت مثل هذه التنظيمات من قبل:

Perez Embid, "Navigation," pp. 481-2; Ladero Quesada, "Las aduanas de Castilla," pp. 85-7; and Hillgarth, The Spanish Kingdoms, pp. 291-92.

(40) O'Callaghan, A History of Medieval Spain, p. 621.

حرمت، بصورة قاطعة أي اتصال تجاري مسيحي مع موانئ المماليك.

إن مثل هذه التحريمات، كانت في النهاية غير إجبارية وكانت تتحلل من خلال نظام تشتري فيه الأمم التجارية إذناً للتعامل مع المسلمين. وقد كانت التنظيمات البحرية المعاصرة في جنوى والبندقية وأراجون تستجيب بإذعان رمزي لطلب البابا[41]. وقد أظهر نشاط الأراجونيين، من خلف ستار، العلاقات الجديدة لسياسة شبه الجزيرة ومصالحها الاقتصادية مع مسيحيي أوروبا. وبالعكس كانت مع مزيد من التسامح للمشاركة الأندلسية في عالم تجارة المتوسط كما كان خلال قرنين سابقين. ومن جهة أخرى، أصبحت شبه الجزيرة في وسط القرن الثالث عشر جزءاً من أوروبا، وستبقى كذلك، وكما كان الحال في المئتي سنة الأُوليين من حكم المسلمين للأندلس، فقد كان القرن الأول من الاندماج في وسط أوروبا الشمالية مربكاً وغير متوازن، وخاصة من منظور اقتصادي. وبينما كانت ممالك شبه الجزيرة تسترد عافيتها إثر تقلبات إعادة الفتوح Reconquest وهي في حالة سلام متقلقل على الحدود الغرناطية، كانت أيضاً تجهد للدخول، كقوة معترف بها، في العالم الأوروبي. ومن ناحية ثانية، وبعد إعادة التنظيم التدريجي للصناعة الأوروبية، اكتسب اقتصاد شبه الجزيرة قوة في القرن الرابع عشر عندما أصبح التصدير الضخم للصوف الإيبري إلى أوروبا الدعامة الرئيسة للتجارة. حتى عندما أنجزت شبه الجزيرة بعض التكافؤ، فإن دورها في عالم التجارة قد تبدل ثانية. إن عبور القشتاليين والأراجونيين الأطلنطي، وإبحار البرتغاليين حول أفريقيا في نهاية القرن الخامس عشر، ودون ذكر الفتح النهائي لغرناطة الناصرية وظهور الإمبراطورية العثمانية في أراضي بيزنطا والمماليك، كان كل هذا يبدل بصورة دائمة العلاقات بين أوروبا والبحر الأبيض المتوسط والأطلنطي. وفي نهاية العصور الوسطى، وضعت الجغرافيا للمرة الثانية شبه الجزيرة في طليعة التغيير في نظام العالم. ولكن هذه المرة تمكنت من الحصول على منفعة اقتصادية وسياسية أفضل من جراء هذا التغيير.

---

(41) Ashtor, Levant Trade, pp. 44-7.

المراجع

PRIMARY SOURCES

UNPUBLISHED

Archivo di Stato, Genoa (ASG); Cartularies 1, 2, 3/II, 4, 5, 7, 11, 15, 16/II, 17, 18/I, 18/II, 20/I, 20/II, 21/I, 24, 25, 26/I, 26/II, 29, 34, 56, 143, Diversorum 102.

al-Fihrī al-Buntī, Abū Muḥammad 'Abd Allah. *Wathā'iq wa al-masā'il al-majmū'a min kutub al-fuqahā*. Miguel Asín Institute, CSIC, Madrid, ms. 11.

Ibn Mughīth, Abū Ja'far Muḥammad. *Muqni' fī 'ilm al-shurūṭ*. Real Academia de la Historia, Madrid, Gayangos Collection ms. 44.

Ibn Sahl, Abū Asbagh 'Isā. *Aḥkām al-kubrā*. General Library, Rabat, ms. 838Q
Aḥkām al-kubrā. General Library, Rabat, ms. 370Q
Aḥkām al-kubrā. General Library, Rabat, ms. 3398D

Ibn Salmūn, Abū al-Qāsim 'Abd Allah. *Kitāb al-'aqd al-munaẓẓam bi al-ḥukkām*. Escorial Library, ms. 1077.

al-Jazīrī, Abū al-Ḥasan 'Alī b. Yaḥyā al-Sinhajī. *Maqṣud al-maḥmūd fī talkhīṣ al-'uqūd*. Miguel Asín Institute, CSIC, Madrid, ms. 5.

al-Shāṭibī, Abū Muḥammad b. Hārūn b. Aḥmad. *Ṭurar al-mawḍu'a 'alā al-wathā'iq al-majmū'a*. Biblioteca Nacional, Madrid, ms. 21573.

Unpublished Geniza documents were consulted through photocopies and microfilms held in the S.D. Goitein Geniza Research Laboratory at Princeton University. Where available, Goitein's transcriptions, India Book notes, subject notes, and other documents were also consulted.

PUBLISHED

'Abd Allah al-Zīrī. *The Tibyān: Memoirs of 'Abd Allah b. Buluggīn, last Zirid Emir of Granada*. English trans. A.T. Tibi, Leiden, 1986.

Abraham ben Daud. *Sefer ha-qabbalah (The Book of Tradition)*. English trans. Gershon D. Cohen, Philadelphia, 1967.

Abū al-Fidā. *Geographie d'Aboulféda*. ed. and French trans. M. Reinaud and M. de Slane, Paris, 1840 and 1848.

Abū al-Ḥasan al-Ḥakīm, 'Alī b. Yūsuf. "Régimen de la casa de la moneda (al-dawḥa al-mushtabika fī ḍawābiṭ dār al-sikka)," ed. H. Mones, *Madrid-:MDI* 6(1958), pp. 63–204.

Abū al-Muṭahhar al-Azdī, Muḥammad b. Aḥmad. *Abulkāsim ein bagdāder Sittenbild*. ed. A. Mez, Heidelberg, 1902.
Abū Ḥamid al-Gharnāṭī. *Abu Ḥamid el Granadino y su relación de viaje por tierras eurasiáticas*. ed. and Spanish trans. C.E. Dubler, Madrid, 1953.
"Le 'Tuḥfat al-albāb' de Abū Ḥāmid al-Andalusī al-Gharnāṭī," ed. and French trans. G. Ferrand, *Journal Asiatique* 207 (1925), pp. 1–304.
Abū Yūsuf, Ya'qūb b. Ibrāhīm. *Kitāb al-kharāj*. Cairo, 1352/1933–34.
Agobard, *Epistolae*. ed. E. Dümmler, *MGH*, Epistolae, v, Berlin, 1899.
Alfasi, Isaac ben Jacob. *She'elot u-teshuvot.* Bilgoraj, 1935 (reprint Jerusalem, 1973).
(Alfonso X) *Primera crónica general de España*. ed. R. Menéndez Pidal (*Nueva biblioteca de autores españoles*. v), Madrid, 1906 (reprint Madrid, 1977).
Amari, Michele, ed. *I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino*. Florence, 1863.
"Nuovi ricordi arabici su la storia di Genova," *ASLSP* 5(1867).
Annales Bertiniani. ed. G. Waitz, *MGH*, Scriptores in usum scholarum, Hanover, 1883.
Annales Petaviani. ed. G.H. Pertz, *MGH*, Scriptores (in folio), I, Hanover, 1826.
Annales pisani. ed. Michele Lupo Gentile, *Rerum italicarum scriptores*, VI, pt. 2, Bologna, 1930.
Arberry, A.J., ed. and English trans. *Arabic Poetry: A Primer for Students*. Cambridge, 1965.
Arnold, Richard. *The Customs of London, otherwise called Arnold's Chronicle*. London, 1811.
Ashtor, Eliyahu, ed. and Spanish trans. "Documentos españoles de la Genizah," *Sefarad* 24(1964), pp.41–80.
Assaf, Simha, ed. *Gaonica: Gaonic Responsa and Fragments from Halachic Literature*. Jerusalem, 1933.
Gaonic Responsa from Geniza mss. Jerusalem, 1928.
"Letters from Kairwan and Alexandria to R. Joseph ibn Ukal," *J.N. Epstein Jubilee Volume*. Jerusalem, 1950. pp. 177–90.
Mekorot u-mehkarim [*Texts and Studies in Jewish History*]. Jerusalem, 1946.
Sifran shel rishonim. Jerusalem, 1935.
Aye d'Avignon. Chanson de geste. eds. F. Guessard and P. Meyer, Paris, 1861.
al-Bakrī, Abū 'Ubayd 'Abd Allah. *Kitāb al-masālik wa al-mamālik*. ed. and French trans. M. de Slane, *Description de l'Afrique septentrionale par Abou-Obeid-el-Bakri*. Paris, 1911–13. (reprint Paris, 1965); ed. A.A. al-Ḥajjī. *Jughrafiyat al-Andalus wa 'Urubba*. Beirut, 1968; Spanish trans. E. Vidal Beltran, *Geografia de España*. Zaragoza, 1982.
Belgrano, Luigi T., ed. "Documenti e genealogia dei pessagno genovesi ammiragli del portogallo," *ASLSP* 15(1881), pp. 245–95.
"Il registro della curia arcivescovile di Genova," *ASLSP* 2(1862).
"Il secondo registro della curia arcivescovile di Genova," *ASLSP* 18(1887).
Benjamin of Tudela. "The Itinerary of Benjamin of Tudela," English trans. M.N. Adler, *Jewish Quarterly Review* 16 (1904), pp. 453ff, 715ff; 17(1905), pp. 123ff, 286ff, 514ff, 762ff; 18(1906), pp. 84ff, 664ff.

Bertrand de Bar-sur-Aube. *Girart de Vienne par Bertrand-sur-Aube.* (ed. W. van Emden), Paris, 1977.

Blancard, Louis, ed. *Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge.* 2 vols., Marseille, 1884–5.

Bonaini, Francesco, ed. *Statuti inediti della città di Pisa dal XII al XIV secolo.* 3 vols., Florence, 1854–70.

Bonvillano (1198). eds. J.E. Eierman, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1939.

Buzurg b. Shahriyar. *The Book of the Wonders of India.* ed. and English trans. G.S.P. Freeman-Grenville, London, 1981.

Caffaro, *Annali genovesi di Caffaro e de' suoi continuatori.* ed. L.T. Belgrano, 5 vols., Genoa, 1890–1929.

Calendar of Close Rolls, 1227–1399. London, 1896–1938.

Calendar of Fine Rolls, 1272–1509. London, 1911–62.

Calendar of Patent Rolls, 1216–1399. London, 1891–1913.

Le Calendrier de Cordoue. ed. R. Dozy, new edn and French trans. Charles Pellat, Leiden, 1961.

Cantar de mío Cid. ed. R. Menéndez Pidal, English trans. W.S. Merwin, New York, 1975.

Capasso, Bartolomeo, ed. *Monumenta ad neapolitani ducatus historiam pertinentia.* 2 vols., Naples, 1881–92.

Capitularia Regum Francorum. eds. A. Boretius and V. Krause, *MGH,* Leges (in quarto), II.1–2, Hanover, 1883–97.

Capmany y de Monpalau, Antonio de, ed. *Memorias históricas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona.* (new edn), 3 vols., Barcelona, 1961–63.

Carmi, T., ed. and English trans. *The Penguin Book of Hebrew Verse.* London, 1981.

Cartolari notarili genovesi. Inventario. Archivio di Stato di Genova, 2 vols., Rome, 1956–61.

Carus-Wilson, E.M., ed. *Overseas Trade of Bristol in the Later Middle Ages.* Bristol, 1937.

Chau Ju-Kua. *Chau Ju-Kua: His Work on Chinese and Arabic Trade.* English trans. F. Hirth and W. Rockhill, St. Petersberg, 1911.

Chaucer, Geoffrey. *Chaucer's Poetry. An Anthology for the Modern Reader.* ed. E.T. Donaldson, 2nd edn, New York, 1958.

Chronicle of the Reigns of Henry II and Richard I (AD 1169–1192). ed. W. Stubbs, II, London, 1867.

Chronicon Moissiacense. ed. G.H. Pertz, *MGH,* Scriptores (in folio), I, Hanover, 1826.

Una crónica anónima de 'Abd al-Raḥmān III al-Nāṣir. ed. and Spanish trans. E. Lévi-Provençal and E. García Gómez, Madrid-Granada, 1950.

Colección de fueros y cartas-pueblas de España por la Real Academia de la historia: catálogo. Madrid, 1852.

Cortes de los antiguos reinos de León y Castilla. ed. Real Academia de la historia, 5 vols., Madrid, 1861–1903.

Cumano, Arnold. *Il Cartulario di Arnaldo Cumano e Giovanni di Donato (Savona, 1178–1188)*. ed. Laura Balleto, Rome, 1978.

Cuoq, Joseph M., ed. and French trans. *Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du VIIIe au XVIe siècle*. Paris, 1975.

al-Ḍabbī, Aḥmad b. Yaḥyā. *Kitāb bughyat al-multamis fī ta'rīkh rijāl ahl al-Andalus*. eds. F. Codera and J. Ribera, *BAH*, III, Madrid, 1885.

D'Arcq, D., ed. "Tarif de marchandises qui se vendaient à Paris à la fin du XIIIe siècle," *Revue archéologique* 9(1852), pp. 213–28.

al-Dimashqī, Abū al-Faḍl Ja'far. *Kitāb al-'ashāra ilā maḥāsin al-tijāra*. Cairo, 1318/1900.

al-Dimashqī, Shams al-Dīn. *Cosmographie de Chams ed Din Abou Abdallah Muhammed ed-Dimichqui*. ed. M.A.F. Mehren, St. Petersberg, 1899.

Fagnan, E., ed. *L'Afrique septentrionale au XIIe siècle de notre ère: description extraite de 'Kitāb al-istibçār'*. Constantine, 1900.

Extraits inédits relatifs au Maghreb. Paris, 1924.

Fagniez, Gustave, ed. *Documents relatifs à l'histoire de l'industrie et du commerce en France*. Paris, 1898.

Ferretto, Arturo, ed. "Codice diplomatico delle relazioni fra la Liguria la Toscana e la Lunigana al tempi di Dante (1264–1321)," *ASLSP* 31(1901).

Florez, Enrique, ed. *España sagrada. Teatro geografico-histórico de la iglesia de España*. x, Madrid, 1753.

Font Ruiz, J. M. *Cartas de población y franquicia de Cataluña*. Madrid, 1969–83.

Fori antiqui valentiae. ed. M. Dualde Serrano, Madrid-Valencia, 1950–67.

Formulae merowingici et karolini aevi. ed. C. Zeumer, *MGH*, Leges (in quarto), v, Hanover 1886.

Friedberg, Emil, ed. *Corpus iuris canonici*. 2 vols., Leipzig, 1879–81.

Fuero de Cuenca. Spanish trans. A. Valmaña Vicente, Cuenca, 1978.

Fuero de Estella. ed. J.M. Lacarra, *AHDE* 4(1927) pp. 404–51.

Fuero de Molina de Aragón. ed. M. Sancho Izquierdo, Madrid, 1916

Los Fueros de Sepúlveda. ed. E. Saez, Segovia, 1953

Germain, A, ed. *Liber instrumentorum memorialium. Cartulaire des Guillems de Montpellier*. Montpellier, 1884–6.

Gesta abbatum fontanellensium. ed. G.H. Pertz, *MGH*, Scriptores (in folio), II, Hanover, 1829. 2nd edn S. Löwenfeld, *MGH*, Scriptores in usum scholarum, Hanover, 1886.

Gesta sanctorum patrum Fontanellis coenobii. eds. F. Lohier and J. Laporte, Rouen-Paris, 1936.

Gil, Moshe, ed. *Palestine during the First Muslim Period*. [Hebrew] 3 vols., Tel Aviv, 1983.

Gilliodts-van-Severen, L., ed. *Cartulaire de l'ancien consulat d'Espagne à Bruges*. I, Bruges, 1901.

Giovanni Scriba, *Il Cartolare di Giovanni Scriba*. eds. M. Chiaudano and M. Moresco, 2 vols., Rome, 1935. Also in *Historia patria monumenta VI: Chartae*. II, Turin, 1853.

Giovanni di Guiberto (1200–1211). eds. M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, 2 vols, Turin, 1940.

Goitein, S.D., ed. and English trans. *Letters of Medieval Jewish Traders*. Princeton, 1973.
González, Julio, ed. *El reino de Castilla en la época de Alfonso VIII*. Madrid, 1960.
González, Tomás, ed. *Colección de privilegios, franquezas, exenciones, y fueros, concedidos a varios pueblos y corporaciones de la Corona de Castilla, copiados de orden de S.M. de los registros del Real archivo de Simancas*. IV, Madrid, 1833.
(Gregory IX). *Les régistres de Grégoire IX*. ed. L. Auvray, 3 vols., Paris, 1896–1919.
Gregory of Tours. *Historia Francorum*. eds. W. Arndt and B. Krusch, *MGH*, Scriptores rerum Merovingicarum, I.I, Hanover, 1884.
Guérard, B., ed. *Cartulaire de l'abbaye de Saint Victor de Marseilles*. Paris, 1857.
Guglielmo Cassinese (1190–1192). eds. M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, 2 vols., Turin, 1938.
Le guide du pèlerin de Saint Jacques de Compostelle. ed. J. Vielliard, 2nd edn, Mâcon, 1950.
Harkavy, A.E., ed. *Teshuvot ha-geonim*. Berlin, 1887 (reprint Jerusalem, 1966).
Herman of Tournai. "Epistola de corpore S. Vincentii diaconi," *Analecta bollandiana* 2 (1883), pp.243–6.
Hernández Sánchez, Francisco J., ed. *Los cartularios de Toledo: Catálogo documental*. Madrid, 1985.
"Las Cortes de Toledo de 1207," *Las Cortes de Castilla y León en la edad media*. Valladolid, 1988, pp.221–63.
al-Ḥimyarī, Muḥammad b. ʿAbd Allah. *La Péninsule ibérique au moyen âge d'après le "Kitāb ar-rawḍ al-miʿṭār fī habar al-akhtār."* ed. and French trans. E. Lévi-Provençal, Leiden, 1938.
Hirschberg, H.Z., ed. "ʿAl gezeirut hameihadim vesakhar huhu," *I.F. Baer Jubilee Volume*. Jerusalem, 1961, pp.134–53.
Hirschfeld, H., ed. "Some Judeo-Arabic Legal Documents," *Jewish Quarterly Review* 16 (1925–6), pp.279–86.
Ḥudūd al-ʿālam: "The Regions of the World," A Persian Geography. English trans. V. Minorsky, Gibb Memorial Series, ns XI, London, 1970.
Ḥulāl al-mawshiyya. ed. I.S. Allouche, Rabat, 1936. Spanish trans. A. Huici Miranda, *"Al-Ḥulāl al-mawsiyya": crónica árabe de las dinastías Almorávide, Almohade, y Benimerín*. Tetuan, 1952.
(James I) *Documentos de Jaime I de Aragón*. ed. A. Huici Miranda, Valencia, 1976:
John of Gorze. *Vita*. ed. G.H. Pertz, *MGH*, Scriptores (in folio), IV, Hanover, 1841.
Ibn al-ʿAbbār, Abū ʿAbd Allah. *Kitāb al-takmila li-kitāb al-ṣila*. ed. F. Codera, *BAH*, V, Madrid, 1886.
Ibn ʿAbd al-Raʾūf. *Risāla*. See Lévi-Provençal, *Documents arabes*. French trans. R. Arié, "Traduction annotée et commentée des traités de ḥisba d'Ibn ʿAbd al-Raʾūf et de ʿUmar al-Garsīfī," *Hespéris-Tamuda* 1(1960), pp.5–37, 199–210, 349–84.
Ibn ʿAbdūn, Muḥammad b. Aḥmad. *Risāla fī al-qaḍāʾ wa al-ḥisba*. See Lévi-

Provençal, *Documents arabes*. Spanish trans. E. Lévi-Provençal and E. García Gómez, *Sevilla a comienzos del siglo XII; el tratado de Ibn 'Abdūn*. Madrid, 1948.

Ibn Abī Zar', 'Alī b. 'Abd Allah. *Rawḍ al-qirṭās*. Spanish trans. A. Huici Miranda, 2nd edn, Valencia, 1964.

Ibn Abī Firās, Abū al-Qāsim Khalaf. "Kitāb akriyat al-sufun wa al-nizā' bayna ahliha," ed. M.A. Tahir, *Cahiers de Tunisie* 31 (1983), pp.7–52.

Ibn al-'Arabī, *Sufis of Andalusia. The Rūḥ al-quds and al-Durrat al-fākhirah of Ibn 'Arabī*. English trans. R.W.J. Austin, Berkeley, 1977.

Ibn 'Aṣim, Abū Bakr Muḥammad b. Muḥammad. *Traité de droit musulmane; La Tohfat d'Ebn Acem*. ed. and French trans. O. Houdas and F. Martel, Algiers, 1882.

Ibn al-Athīr, Abū al-Ḥasan 'Alī. *Kāmil fī al-ta'rīkh*. ed. C.J. Tornberg, Leiden, 1851–76. Partial French trans. E. Fagnan, *Annales du Maghreb et de l'Espagne*. Algiers, 1898.

Ibn al-'Awwām, Yaḥyā b. Muḥammad. *Le livre de l'agriculture d'Ibn Awam*. French trans. J.J. Clément-Mollet, 3 vols., Paris, 1866.

Ibn Bashkuwāl, Abū al-Qāsim Khalaf. *Kitāb al-ṣila fī ta'rīkh al-immat al-Andalus*. ed. F. Codera, *BAH*, 2 vols., Madrid, 1882–3; Also edited, 2 vols., Cairo, 1955.

Ibn Baṣṣāl, Muḥammad b. Ibrāhim. *Kitāb al-filāḥa*. ed. J.M. Millás Vallicrosa, Tetuan, 1955.

Ibn Bassām, Abū al-Ḥasan 'Alī. *Dhakhīra fī maḥāsin ahl al-jazīra*. 8 vols., Cairo, 1358/1939–1364/1945.

Ibn Baṭṭūṭa, Muḥammad b. 'Abd Allah. *Tuḥfa al-naẓār fī gharā'ib al-amṣār*. eds. A. al-'Awāmarī and M. al-Mawlī, Cairo, 1934.

Voyages III: Inde, extrême-orient, Espagne, et Soudan. French trans. C. Defremery and B.R. Sanguinetti, Paris, 1858.

The Travels of Ibn Baṭṭūṭa, A.D. 1325–1354. English trans. H.A.R. Gibb, III, Cambridge, 1971.

Ibn al-Bayṭār, 'Abd Allah b. Aḥmad, "Traité des simples par Ibn el-Beither," French trans. L. LeClerc, *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque Nationale*. Paris, 23 (1877), 25 (1881), 26 (1883).

Ibn Buklārish, Yūnus b. Isḥāq. "El prólogo de 'al-Kitāb al-musta'īnī' de Ibn Buklārish," ed. and Spanish trans. A. Labarta, *Estudios sobre historia de la ciencia árabe*. (ed. J. Vernet), Barcelona, 1980, pp.183–316.

Ibn Ezra, Abraham. *"Sefer Hanisyonot": The Book of Medical Experiences attributed to Abraham Ibn Ezra*. eds. and English trans. J.O. Liebowitz and S. Marcus, Jerusalem, 1984.

Ibn al-Faqīh al-Hamadhānī, Aḥmad b. Muḥammad. *Kitāb al-buldān*. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, v, Leiden, 1967. French trans. H. Massé, *Abrégé du livre des pays*. Damascus, 1973.

Ibn al-Faraḍī, 'Abd Allah. *Kitāb ta'rīkh 'ulama' al-Andalus*. ed. F. Codera, *BAH*, 2 vols., Madrid, 1890.

Ibn Ghālib, Muḥammad b. Ayyūb. "Naṣṣ andalusī jadīd qaṭ'īa min kitāb farḥa al-anfūs li-Ibn Ghālib," ed. L. 'Abd al-Badī, *Majalla ma'had al-makhṭūṭāt al-'arabiya* 1 (1955), pp.272–310.

"Una descripción de España de Ibn Ghālib," Spanish trans. J. Vallvé Bermejo, *Anuario de filología* 1 (1975), pp.369–84.

Ibn Ḥawqal, Abū al-Qāsim. *Kitāb ṣurat al-arḍ.* ed. J.H. Kramers, Leiden, 1938. French trans. J.H. Kramers and G. Wiet, *Configuracion de la terre.* Paris, 1964.

Ibn Ḥayyān, Ḥayyān b. Khalaf. *Muqtabis.* (vol. II) ed. M.'A. al-Makkī, Beirut, 1973.

Kitāb al-muqtabis min ta'rīkh rijāl al-Andalus. (vol. III) ed. M. Antuña, Paris, 1937.

Muqtabas. (vol. V) eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subḥ, Madrid-Rabat, 1979; Spanish trans. M.J. Viguera, F. Corriente, *Crónica del califa 'Abdarraḥmān III an-Nāṣir entre los años 912 y 942.* Zaragoza, 1981.

Muqtabis. (vol: VIII) ed. 'A.'A. al-Ḥajjī, Beirut, 1965.

Ibn Ḥazm, 'Alī b. Aḥmad. "Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm," ed. M. Asín Palacios, *Al-Andalus* 2(1934), pp.1–56.

Maḥallī. Cairo, 1347/1928–9.

Ṭawq al-ḥamāma. ed. T.A. Makkī, Cairo, 1975. English trans. A.J. Arberry, *The Ring of the Dove.* London, 1953.

Ibn 'Idhārī al-Marrākushī, Abū al-'Abbās. *Bayān al-mughrib.* (vol. II) ed. R. Dozy, Leiden, 1849. New edn, G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Leiden, 1951.

Bayān al-mughrib. (vol. III) ed. E. Lévi-Provençal, Paris, 1930.

Ibn Jubayr, Muḥammad b. Aḥmad. *Rihla.* English trans. R.J.C. Broadhurst, *The Travels of Ibn Jubair.* London, 1952.

Ibn Juzayy, Muḥammad b. Aḥmad. *Qawānin al-aḥkam al-shar'īya wa al-masā'il al-furū' al-fiqhiya.* ed. A.A. Sayyid al-Ahl, Beirut, 1968.

Ibn Khaldūn, 'Abd al-Raḥmān b. Muḥammad. *The Muqaddimah.* English trans. F. Rosenthal, 3 vols., New York, 1958.

Ibn al-Khaṭīb, Lisān al-Dīn. *Kitāb al-'amāl al-'alām.* ed. E. Lévi-Provençal, Beirut, 1956.

Mi'yār al-ikhtiyār. ed. M.K. Chabana, Rabat, 1397/1977.

Mufākharāt Mālaqa wa Salā. ed. A.M. al-'Abbādī, Alexandria, 1958.

"El 'Parangón entre Malaga y Salé' de Ibn al-Khaṭīb," Spanish trans. E. García Gómez, *Al-Andalus* 2(1934), pp. 183–96.

Ibn Khurradādhbih, 'Ubayd Allah. *Kitāb al-masālik wa al-mamālik.* ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, VI, Leiden, 1967.

Ibn Māsawaih. "Ibn Māsawaih and his Treatise on Simple Aromatic Substances," ed. and English trans. M. Levey, *Journal of the History of Medicine* 16(1961), pp. 394–410.

Ibn Paquda, Bahya ben Joseph. *The Book of Direction to the Duties of the Heart.* English trans. M. Mansoor, London, 1973.

Ibn Rushd, Muḥammad b. Aḥmad. *Fatāwā Ibn Rushd.* ed. Ibn al-Tāhir al-Talīlī, Beirut, 1407/1987.

Kitāb al-muqaddimāt al-mumahhidāt. Cairo, 1325/1907.

Ibn Rustah, Aḥmad b. 'Umar. *'Alaq al-nafīsah.* ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, VII, Leiden, 1967.

Ibn Sahl, Abū al-Asbagh 'Isā. "Les 'nawāzil' d'Ibn Sahl; section relative a l'iḥtisāb," ed. Thami el-Azemmouri, *Hespéris Tamuda* 14(1972–4), pp. 7–107.

Thalāth wathā'iq fī muḥāraba al-'ahwā' wa al-bida' fī al-Andalus. ed. M. 'Abd al-Wahhāb Khallāf, Cairo, 1981.

Wathā'iq fī shu'ūn al-ḥisba fī al-Andalus. ed. M. 'Abd al-Wahhāb Khallāf, Cairo, 1985.

Wathā'iq fī shu'ūn al-'umrān fī al-Andalus: al-masājid wa al-dūr. ed. M. 'Abd al-Wahhāb Khallāf, Cairo, 1983.

Ibn Sa'īd al-Gharnāṭī, *Kitāb basṭ al-arḍ fī al-ṭūl wa al-'arḍ*. ed. J. Vernet Gides, Tetuan, 1958.

Rāyāt al-mubarrizīn wa ghāyāb al-mumayyizīn. ed. A.M. al-Qādī, Cairo, 1393/1973. English trans. A.J. Arberry, *Moorish Poetry: A Translation of 'The Pennants'; an Anthology compiled in 1243 by the Andalusian Ibn Sa'īd*. Cambridge, 1953.

Ibn Salmūn, 'Abd Allah. "Algunos capítulos del formulario notarial de Abensalmun de Granada," ed. P.J. López Ortiz, *AHDE* 4(1924), pp. 319–75.

Ibn Sammāk al-'Amalī, Muḥammad. "Al-zahrāt al-manthūra fī nakt al-akhbār al-ma'thūra," ed. M.A. Makkī, *Madrid:MDI* 20(1979–80), pp. 5–76; 21(1981–2), pp. 5–79.

Ibn al-Shabbāṭ, Muḥammad b. 'Alī. "Un fragmento de la obra de Ibn al-Sabbāṭ (s. XIII) sobre al-Andalus," Spanish trans. E. de Santiago Simón, *Cuadernos de historia del Islam*. Granada, 1973.

Ibn al-Zubayr, Abū Ja'far Aḥmad. *Kitāb ṣilat al-ṣilah*. ed. E. Lévi-Provençal, Rabat, 1938.

al-Idrīsī, Muḥammad b. Muḥammad. *Opus geographicum* (*Kitāb al-nuzhat al-mushtāq fī al-ikhtirāq al-'afāq*). 9 vols. Rome–Naples, 1970–84.

Description de l'Afrique et de l'Espagne. ed. and French trans. R. Dozy and M.J. de Goeje, Leiden, 1866.

Geografía de España. Spanish trans. E. Saavedra, Madrid, 1881.

Imperiale di Sant'Angelo, Cesare, ed. *Codice diplomatico della repubblica di Genova*. 3 vols., Rome, 1936–42.

Isḥāq b. al-Ḥusayn. "Il compendio geografico arabo di Isḥāq ibn al-Ḥusayn," ed. and Italian trans. A. Codazzo and C.A. Nallino, *Rendiconti della R. accademia nazionale dei Lincei* (Rome) 6th series, 5(1929).

al-Iṣṭakhrī, Ibrāhīm b. Muḥammad. *Kitāb al-masālik wa al-mamālik*. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, 1, Leiden, 1967.

Jaffé, P., ed. *Regesta pontificum romanorum*. (2nd edn G. Wattenbach) 2 vols., Leipzig, 1885–88.

(al-Jāḥiẓ, 'Amr b. Baḥr). *Tabaṣṣur al-tijāra*. ed. H.H. 'Abd al-Wahhāb, Damascus, 1351/1932.

"Gahiziana I: Le 'Kitāb al-tabaṣṣur al-tigāra' attribué à Gaḥīẓ," French trans. C. Pellat, *Arabica* 1(1954), pp. 153–65.

al-Jarsīfī, 'Umar. *Risāla*. See Lévi-Provençal, *Documents arabes*.

Jewish Poets of Spain 900–1250. English trans. D. Goldstein, London, 1965.

al-Khushanī, Muḥammad. *Historia de los jueces de Córdoba por Aljoxaní*. ed. and Spanish trans. J. Ribera y Tarragó, Madrid, 1914.

al-Kindī, Ya'qūb b. Isḥāq. *The Medical Formulary or Aqrabadhin of al-Kindī.* English trans. M. Levy, Madison, 1966.

Lacarra, José María, ed. *Documentos para el estudio de la reconquista y repoblación del Valle del Ebro.* 3 vols., Zaragoza, 1946–52.

Lambert li Tort. *Li Romans d'Alixandre.* ed. H. Michelant, Stuttgart, 1846.

Lanfranco (1206–1226). eds. H.C. Krueger and R.L. Reynolds, 2 vols., Genoa, 1952.

Lévi-Provençal, E., ed. *Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulman au moyen âge: Trois traités hispaniques de ḥisba.* Cairo, 1955.

Lex Visigothorum. ed. C. Zeumer, *MGH*, Leges (in quarto), I. 1, Hanover, 1892.

The Libelle of Englyshe Polycye. A Poem on the Use of Sea Power, 1436. ed. G. Warner, Oxford, 1926.

Liber iurium reipublicae genuensis. ed. M.E. Ricotti, *Historiae patriae monumenta,* VII, Turin, 1854.

Liber miraculorum S. Bertini Abbatis. Acta Sanctorum, September 5, vol. II, Antwerp, 1748, pp. 595–604.

Liber miraculorum Sancte Fidis. ed. A. Bouillet, Paris, 1897.

Liber pontificalis. ed. L. Duchesne, 3 vols., Paris, 1955.

Liutprand of Cremona. *Opera.* ed. J. Becker, *MGH,* Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915.

Llibre del repartiment de Valencia. ed. A. Ferrando i Francés, Valencia, 1979.

The Mabinogion. English trans. J. Gantz, London, 1976.

Madurell Marimón, J. and García Sanz, A., eds. *Comandes comerciales barcelonesas de la baja edad media.* Barcelona, 1973.

Mañueco Villalobos, M., ed. *Documentos de la Iglesia Colegial de Santa María la Mayor de Valladolid (siglo XIII, 1201–1280).* Valladolid, 1920.

al-Maqqarī, Aḥmad b. Muḥammad. *Analectes sur l'histoire et la littérature des arabes d'Espagne.* ed. R. Dozy, 2 vols., Leiden, 1855–60.

Nafḥ al-ṭīb min ghuṣn al-Andalus al-raṭīb. 10 vols., Cairo, 1949.

The History of the Mohammaden Dynasties in Spain. English trans. Pascual de Gayangos, 2 vols., London, 1840.

Azhār al-riyāḍ fi akhbār al-'iyāḍ. II, Cairo, 1359/1940.

al-Maqrīzī, Taqī al-Dīn Aḥmad. *Mawā'iz wa al-i'tibār bi-dhikr al-khiṭaṭ wa al-'athār.* Bulaq, 1270/1853–4.

Martin of Savona, *Il Cartulario del notaio Martino, Savona, 1203–1206.* ed. D. Puncuh, Genoa, 1974.

Martín Rodríguez, José Luis, ed. "Portazgos de Ocaña y Alarilla," *AHDE* 32(1962), pp. 519–26.

Mas Latrie, Louis de, ed. "Documents sur l'histoire de l'Algérie et de l'Afrique septentrionale pendant le moyen âge: Relations avec Pisa," *Bibliothèque de l'Ecole de Chartes* 10(1848–9), pp. 134–54.

Traités de paix et documents divers concernant les relations de chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge. Paris, 1866.

al-Mas'ūdī, 'Alī b. Ḥusayn. *Murūj al-dhahab (Les praires d'or).* ed. and French trans. C. Barbier de Meynard, Paris, 1861.

Kitāb al-tanbīh wa al-ishrāf. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, VIII, Leiden, 1967.

Historical Encyclopedia. English trans. A. Sprenger, London, 1841.

Math vab Mathonwy. ed. and English trans. W.J. Gruffydd, Cardiff, 1928.

Méry, Louis and Guindon, F., eds. *Histoire analytique et chronologique des actes et des délibérations du corps et du conseil de la municipalité de Marseille depuis le Xe siècle jusqu'au nos jours*. I, Marseilles, 1841.

Molina, Luis., ed. and Spanish trans. *Una descripción anónima de al-Andalus*. 2 vols., Madrid, 1983.

Mones, H., ed. "Waṣf al-jadīd li-Qurṭuba al-islamiyya," *Madrid: MDI* 13(1965–6), pp. 164–81.

Montaiglon, Anatole de, ed. *Recueil général et complet des fabliaux des XIIIe et XIVe siècles*. I, Paris, 1872.

Moses b. Maimon. *Glossary of Drug Names*. English trans. F. Rosner, Philadelphia, 1979.

Kovets teshuvot ha-Rambam ve-iggerotav. ed. A. Lichtenberg, Leipzig, 1859 (reprint 1969).

Letters of Maimonides. English trans. L.D. Stitskin, New York, 1977.

Responsa. ed. Joshua Blau, 3 vols., Jerusalem, 1957–61.

Mouynès, G. ed. *Inventaire des archives communales. Ville de Narbonne*. Narbonne, 1871.

Müller, Joel, ed. *Die Responsen der spanischen Lehrer des 10. Jahrhunderts*. Berlin, 1889.

Teshuvot geonei mizrah u-ma'arav [Responsen der Lehrer des Osten und Westens). Berlin, 1888 (reprint Jerusalem, 1966).

Muñoz y Romero, Tomás, ed. *Colección de fueros municipales y cartas puebles de los reinos de Castilla, León, Corona de Aragón, y Navarra*. I, Madrid, 1847 (reprint 1971).

al-Muqaddasī, Muḥammad b. Aḥmad. *Aḥsan al-taqāsīm fi ma'rifat al-aqālīm*. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, III, Leiden, 1967.

Description de l'occident musulman au IVe = Xe siècle. ed. and French trans. C. Pellat, Paris, 1950.

Muratori, Ludovico Antonio, ed. *Antiquitates italicae medii aevi sive dissertationes*. IV, Rome, 1741.

Nāsir-i Khusraw. *Nāser-e Khosrow's Book of Travels (Safarnāma)*. English trans. W.M. Thackston, Albany, 1986.

Notker the Stammerer. *De Carolo Magno*. ed. P. Jaffé, *Monumenta carolina*. IV, *Bibliotheca rerum germanicarum*. Berlin, 1867.

al-Nuwayrī, Aḥmad b. 'Abd al-Wahhāb. *Historia de los musulmanes de España y Africa por en-Nuguarí*. ed. and Spanish trans. M. Gaspar Remiro, I, Granada, 1917.

Oberto Scriba de Mercato (1186). ed. M. Chaiudano, Genoa, 1940.

Oberto Scriba de Mercato (1190). eds. M. Chaiudano and R. Morozzo della Rocca, Genoa, 1938.

Pegolotti, Francesco Balducci. *La pratica della mercatura*. ed. Allan Evans, Cambridge, Mass., 1936.

Peter the Venerable. *Adversus iudeorum inveteratam duritiem*. ed. Y. Friedman, Corpus Christianorum: Continuatio Mediaevalis, 58; Turnhout, 1985.

Petrus Alfonsi, *The "Disciplina clericalis" of Petrus Alfonsi*. English trans. P.R. Quarrie, London, 1977.

Petrus Guillelmus. *Miracula beati Aegidii*. ed. P. Jaffé, *MGH*, Scriptores (in folio), XII, Hanover, 1856.

Pliny, *Natural History*. ed. and English trans. H. Rackham, Cambridge, Mass., 1983.

Portugaliae monumenta historica: Diplomata et chartae. I, Lisbon, 1867.

Portugaliae monumenta historica: Leges et consuetudines. I, Lisbon, 1856.

Potthast, A., ed. *Regesta pontificum romanorum*. Berlin, 1874–5.

Procopius of Caesaria. *Bellum gothicum*. ed. and English trans. H.B. Dewing, London, 1919.

Pryor, John H., ed. *Business Contracts of Medieval Provence; Selected "Notulae" from the Cartulary of Giraud Amalric of Marseilles, 1248*. Toronto, 1981.

al-Qalqashandī, Aḥmad b. ʿAlī. *Ṣubḥ al-ʿasha fī kitābāt al-inshā'*. Spanish trans. L. Seco de Lucena, Valencia, 1975.

al-Qazwīnī, Zakarīya b. Muḥammad. *Athār al-bilād wa akhbār al-ʿibār*. Beirut, 1380/1960.

Qudama b. Jaʿfar. *Kitāb al-kharāj*. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, VI, Leiden, 1967.

Raoul de Cambrai. Chanson de Geste. eds. M.P. Meyer and A. Longnon, Paris, 1882.

al-Rāzī, Aḥmad. *Anales palatinos del califa de Cordoba al-Ḥakam II, por ʿIsā b. Aḥmad al-Rāzī*. Spanish trans. E. García Gómez, Madrid, 1967.

"La 'Description de l'Espagne' d'Aḥmad al-Rāzī," ed. E. Lévi-Provençal, *Al-Andalus* 18(1953), pp.51–108.

Recueil des historiens de Gaules et de la France. XVI, Paris, 1878.

Regné, Jean. *History of the Jews in Aragon. Regesta and Documents, 1213–1327*. Jerusalem, 1978.

Richard the Pilgrim, *Chanson d'Antioch, composée au XIIe siècle par Richard le pèlerin*. ed. L. de Saint-Aulaire, Paris, 1862.

Roger of Hoveden. *Cronica*. (ed. W. Stubbs), 4 vols., London, 1868–71.

al-Saḥnūn, ibn Saʿīd al-Tanūkhī. *Mudawwana al-kubrā*. Cairo, 1323/1905.

al-Sakhāwī, Muḥammad. b. ʿAbd al-Raḥmān. *ʿIlān bi-l-tawbīkh limān dhamma al-ta'rīkh*. Damascus, 1349/1931.

Salmon, *Liber magistri Salmonis sacri palatii notarii (1222–1226)*. ed. Arturo Ferretto, *ASLSP* 36(1906).

al-Saqaṭī, Muḥammad b. Abī Muḥammad. *Kitāb al-faqīh al-ajall al-ʿālim al-ʿārif al-awḥad (Un manuel hispanique de ḥisba)*. eds. G.S. Colin and E. Lévi-Provençal, Paris, 1931.

"El kitāb fī ādāb al-ḥisba de al-Saqaṭī," Spanish trans. P. Chalmeta, *Al-Andalus* 32(1967), pp.125–62, 359–97; 33(1968), pp.143–95, 367–434.

Scheler, A., ed. "Trois traités de lexicographie latine du XIIe au XIIIe siècle," *Jahrbuch für romanische und englische Literatur* 6(1865).

Sendra Cendra, Ma. Dolores. *Aranceles aduaneros de la Corona de Aragón (siglo XIII)*. Valencia, 1966.

al-Shaqundī, Ismā'īl b. Muḥammad. *Risāla*. (in Maqqarī, *Analectes*) Spanish trans. E. García Gómez, *Elogio del Islam español (Risāla fī faḍl al-Andalus)*.; French trans. A. Luya, "Le 'Risāla' d'as-Sakundī," *Hespéris* 22(1936), pp.133–81.

al-Silafī, Aḥmad b. Muḥammad. *Akhbār wa al-tarājim andalusiyya*. ed. I. 'Abbās, Beirut, 1963.

The Song of Roland. English trans. D.L. Sayers, London, 1976.

The Theodosian Code. English trans. C. Pharr, Princeton, 1952.

Theodulfus. *Versus contra iudices*. ed. E. Dümmler, *MGH*, Poetae latini, 1.2, Berlin, 1881.

Thorpe, L., trans. *Two Lives of Charlemagne*. London, 1969.

Traducción española de un manuscrito anónimo del siglo XIII sobre la cocina hispano-magribī. Spanish trans. A. Huici Miranda, Madrid, 1966.

Tucci, Raffaele di. "Documenti inediti sulla spedizione e sulla mahona dei Genovesi a Ceuta (1234–1237)," *ASLSP* 64(1935), pp.273–340.

al-'Udhrī, Aḥmad b.'Umar b. al-Dilā'ī. "Nuṣūs 'an al-Andalus," *Tardī' al-akhbār wa tanwī' al-'āthār*. ed. A.A. al-Ahwānī, Madrid, 1960.

"La cora de Ilbīra (Granada y Almeria) en los siglos X y XI, segun al-'Udhrī," Spanish trans. M. Sánchez Martínez, *Cuadernos de historia de Islam* 7(1975–6), pp.5–137.

La cora de Tudmīr segun al-'Udhrī [s. XI]: aportaciones al estudio geográfico-descriptivo del S.E. peninsular. Spanish trans. E. Molina López, Granada, 1972.

al-'Umarī, Ibn Faḍl Allah. *Masālik al-abṣār fī mamālik al-amṣār*. French trans. M. Gaudefroy-Demombynes, *L'Afrique moins l'Egypte*. Paris, 1927.

Usamah b. Munqidh. *Kitāb al-'itibār*. (*Ousāma ibn Mounkidh, un émir syrien au premier siècle des croisades (1095–1188)*.) ed. H. Derenbourg, 2 vols., Paris, 1886–93.

Usatges de Barcelona. eds. R. d'Abadal y Vinyals and F. Valls Taberner, Barcelona, 1913.

Vitas sanctorum patrum Emeretensium. ed. A. Maya Sánchez, Corpus Christianorum: Series latina, 116; Turnhout, 1992. Also ed. and English trans. J.N. Garvin, Washington, D.C., 1946.

al-Wansharīsī, Aḥmad b. Yaḥyā. *Mi'yār al-mu'rib wa al-jāmi' al-maghrib*. ed. M. Hajjī, 13 vols., Rabat-Beirut, 1401/1981.

"La pierre de touche des fétwas de Aḥmad al-Wanscharīsī," Selected passages summarized in French by E. Amar, *Archives marocainnes* 12(1908); 13(1909).

Yaḥyā b. 'Umar. *Kitāb aḥkām al-sūq*. ed. F. Dashraoui, Tunis, 1975. Also ed. M.A. Makkī, *Madrid:MDI* 4(1956), pp.59–151.

"Unas 'ordenanzas del zoco' del siglo IX," Spanish trans. E. García Gómez, *Al-Andalus* 22(1957), pp.253–316.

al-Ya'qūbī, Aḥmad. *Kitāb al-buldān*. ed. M.J. de Goeje, *BGA*, 2nd edn, VII, Leiden, 1967.

al-Yāqūt, ibn 'Abd Allah al-Hamawī. *Mu'jām al-buldān.* [*Jacut's Geographisches Worterbuch*] ed. F. Wüstenfeld, Leipzig, 1873.

La España musulmana en la obra de Yaqut. ed. and Spanish trans. G. 'Abd al-Karīm, Granada, 1974.

Yepes, A. *Coronica general de la Orden de San Benito.* Valladolid-Pamplona, 1609–21.

al-Zuhrī, ibn 'Abd Allah Muḥammad. "Kitāb al-dja'rāfiyya," ed. M. Hadj-Sadok, *Bulletin des études orientales* 21(1968), pp.111–310.

"Extrait de la description de l'Espagne tiré de l'ouvrage du géographe anonyme d'Almeria," ed. R. Basset, *Homenaje a Don Francisco Codera.* Zaragoza, 1904, pp.619–47.

SECONDARY LITERATURE

'Abbādī, Aḥmad. *Los esclavos en España. (al-Ṣaqāliba fī Isbānīya.)* Madrid, 1953.

'Abd al-Karīm, Gamal. "Alejandría y al-Ṣilafī, nexo cultural entre Oriente y al-Andalus," *Cuadernos de historia del Islam* 7(1975–6), pp. 111–51.

Abiad, M. "Origine et développement des dictionnaires biographiques arabes," *Bulletin d'études orientales* 31(1979), pp. 7–15.

Abu-Lughod, Janet. *Before European Hegemony. The World System A.D. 1250–1350.* Oxford, 1989.

Abulafia, David. "Asia, Africa, and the Trade of Medieval Europe," *Cambridge Economic History of Europe.* 2nd edn, Cambridge, 1987, pp. 402–73.

"Catalan merchants and the Western Mediterranean, 1236–1300: Studies in the Notarial Acts of Barcelona and Sicily," *Viator* 16(1985), pp. 209–42.

"The Pisan *Bacini* and the Medieval Mediterranean Economy: A Historian's Viewpoint," *Papers in Italian Archeology* 5(1985), pp. 287–302.

The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes. Cambridge, 1977.

Abun-Nasr, Jamil M. *A History of the Maghrib.* 2nd edn, Cambridge, 1975.

Agus, I.A. *Urban Civilization in Pre-Crusade Europe. A Study of Organized Town Life.* 2 vols., Leiden, 1965.

Ahmad, Aziz. *History of Islamic Sicily.* Edinburgh, 1975.

Airaldi, Gabriela. "Groping in the Dark: The Emergence of Genoa in the early Middle Ages," *Miscellanea di studi storici II. (Collana storica di fonti e studi).* Genoa, 1983, pp. 9–17.

Al-Azmeh, A. "Barbarians in Arab Eyes," *Past and Present* 134(1992), pp. 3–18.

Alemany Bolufer, José. "La geografía de la península ibérica en los escritores árabes," *Revista del centro de estudios históricos de Granada y su reino* 9(1919), pp. 109–72; 10(1920), pp. 1–29, 121–84; 11(1921), pp. 1–39.

Alfau de Solalinde, J. *Nomenclatura de los tejidos españoles del siglo XIII.* Madrid, 1969.

Allouche, I.S. "La vie économique et sociale à Grenade au XIVe siècle," *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman. Hommage à Georges Marçais.* II, Algiers, 1957, pp. 7–12.

Alvazes de Morales, C. "Pesos y medidas en un manuscrito árabe sobre materia medica del siglo XI," *Cuadernos de historia del Islam* 8(1977), pp. 161–5.
Antoniadis-Bibicou, H. *Recherches sur les douanes a Byzance*. Paris, 1963.
Antuña, M. "Ibn Hayyān de Córdoba y su historia de la España musulmana," *Cuadernos de historia de España* 4(1945), pp. 5–71.
Arié, Rachel. "Considérations sur la vie économique dans l'Espagne musulmanau cours du bas moyen âge," *Akten des VII Kongresses für Arabistik und Islamwissenschaft (Gottingen, 1974)*. Gottingen, 1976, pp. 47–58.
La España musulmana (siglos VII–XV). Barcelona, 1982.
"La vie économique de l'Espagne musulmane," *Wirtschafts-geschichte des vorderen Orients in islamischer Zeit*. Leiden, 1977, pp. 239–54.
Ashtor, Eliyahu. "Banking Instruments between the Muslim East and the Christian West," *Journal of European Economic History* 1(1972), pp. 553–73.
"Catalan Cloth on the Late Medieval Mediterranean Markets," *Journal of European Economic History* 17(1988), pp. 227–57.
"Gli ebrei nel commercio mediterraneo nell'alto medioevo (sec. X–XI)," *Gli Ebrei nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, xxvi, Spoleto, 1980, pp. 401–64.
The Jews of Moslem Spain. 3 vols., Philadelphia, 1973–84.
The Levant Trade in the Later Middle Ages. Princeton, 1973.
"Prix et salaires dans l'Espagne musulmane aux Xe et XIe siècles," *Annales:ESC* 20(1965), pp. 664–79.
"Quelques observations d'un orientaliste sur la thèse de Pirenne," *JESHO* 13(1970), pp. 166–94.
"Recent Research on Levantine Trade," *Journal of European Economic History* 14(1985), pp. 361–85.
"Il regime portuario nel califato," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 651–84.
"Republiques urbaines dans le proche orient à l'époque des croisades," *Cahiers de civilisation médiévale* 18(1975), pp. 117–31.
Attman, A. *The Bullion Flow between Europe and the East, 1000–1750*. Göteborg, 1981.
Avila, María Luisa. *La sociedad hispano-musulmana al final del califato (aproximación a un estudio demográfico)*. Madrid, 1985.
Ayalon, David. "Aspects of the Mamluk Phenomenon," *Der Islam* 53(1976), pp. 196–225.
"On the Eunuchs in Islam," *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 1, Jerusalem, 1979, pp. 67–124.
Bach, Erik. *La cité de Gênes au XIIe siècle*. Copenhagen, 1955.
Bachrach, Bernard S. *Jews in Barbarian Europe*. Lawrence, Kansas, 1977.
Badr, A. "Al-andalusiyyūn wa al-maghāriba fī al-Quds," *Awrāq* 4(1981), pp. 125–39.
Baer, Yitzhak F. *A History of the Jews in Christian Spain*. 1, Philadelphia, 1961.
Balard, Michel. "Escales génois sur les routes de l'orient méditerranéan au XIVe siècle," *Recueils de la Société Jean Bodin* 32(1974), pp. 243–59.

"Remarques sur les esclaves à Gênes dans la seconde moitié du XIIIe siècle," *Mélanges d'archéologie et d'histoire de l'Ecole française de Rome* 80(1968), pp. 627–80.

Balbi, Giovanna. "La schiavitù a Genova tra i secoli XII e XIII," *Mélanges offerts à René Crozet*. II, Paris, 1966; pp. 1025–9.

Ballesteros y Beretta, Antonio. *Historia de España y su influencia en la historia universal*. II, Barcelona, 1920.

Sevilla en el siglo XIII. Seville, 1913.

Banti, Ottavio. "I rapporti tra Pisa e gli stati islamici dell'Africa settentrionale tra l'XI e il XIV secolo," *Le ceramiche medievali delle chiese di Pisa*. Pisa, 1983, pp. 9–26.

Bardenhewer, L. *Der Safranhandel im Mittelalter*. Bonn, 1914.

Barkai, Ron. *Cristianos y musulmanes en la España medieval (el enemigo en el espejo)*. Madrid, 1984.

Barbour, Nevill. "Al-Andalus en las crónicas inglesas de los siglos doce y trece," *Madrid: MDI* 13(1965–6), pp. 137–48.

"L'influence de la géographie et de la puissance navale sur le destin de l'Espagne musulmane et du Maroc," *ROMM* (1970), pp. 45–54.

"The Influence of Sea Power on the History of Muslim Spain," *Madrid: MDI* 14(1967), pp. 103–11.

"The Significance of the Word 'Maurus' with its derivatives 'Moro' and 'Moor', and of other terms used by medieval writers in Latin to describe the inhabitants of Muslim Spain," *Actas de IV Congreso de estudios árabes e islámicas*. Leiden, 1971, pp. 253–66.

Barceló, Miguel. "Alguns problemes d'història agrària mallorquina suggerits pel text d'al-Zuhrī," *Recerques* (Barcelona) 8(1978), pp. 27–49.

"Expedicions militars i projectes d'atac contra les illes orientales d'al-Andalus," *Sobre Mayūrqa*. Palma, 1984, pp. 59–75.

"Un estudio sobre la estructura fiscal y procedimientos contables del emirato omeya de Córdoba (138–300/755–912) y el califato (300–66/912–76)," *Acta mediaevalia*. 1985, pp. 45–72.

"El hiato en las acuñaciones de oro en al-Andalus, 127–316/744(5)–936(7)," *Moneda y crédito* 132–5(1975), pp. 33–71.

"La qüestió del documents d'un suposat acord entre 'Alī b. Mujāhid de Dānya i el bisbe Guislabert de Barcelona," *Sobre Mayūrqa*. Palma, 1984, pp. 13–25.

"Why and How did Andalusian Coins travel to Europa during the Emirate and the Caliphate from 98/716–17 to 403/1012–13," *ROMM* 36(1983), pp. 5–18.

Bautier, R.H. "Notes sur l'histoire économique médiévale dans l'archives italiennes," *Mélanges d'archéologie et d'histoire de l'Ecole française de Rome* 58(1946), pp. 291–307; 60(1948), pp. 181–210.

"Les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du Nord et l'équilibre économique méditerranéen du XIIe au XIVe siècle," *Bulletin philologique et historique* (1953–4), pp. 399–416.

"Sources pour l'histoire du commerce maritime en Méditerranée du XIIe au

XVe siècle," *Actes du IVème colloque international d'histoire maritime (Paris, 1959)*. Paris, 1962, pp. 137–77.

Benaboud, M. "'Asabiyya and Social Relations in al-Andalus during the Period of the Taifa States," *Hespéris-Tamuda* 19(1980–1), pp. 5–45.

Ta'rīkh al-siyyāsī wa al-ijtimā'ī al-Ishbīliyya. Tetuan, 1983.

"Tendances économiques dans al-Andalus durant la période des Etats-Taifas," *Bulletin économique et social du Maroc* 151–2(1983), pp. 5–34. English version: "Economic Trends in al-Andalus during the period of the Taifa States," *Islamic Studies* 26(1987), pp. 1–30.

Bensch, Stephen. "From Prizes of War to Domestic Merchandise: Slaves in the Towns of Eastern Iberia," Unpublished paper presented at the annual meeting of the Medieval Academy of America, Princeton, NJ, May, 1991.

Bernis Madrazo, Carmen. "Tapiceria hispano-musulmana (siglos IX–XI)," *Archivo español de arte* 27(1954), pp. 189–211.

Berti, Graziella and Tongiorgi, Liana. *Arte islamica in Italia: i bacini delle chiese pisane*. Rome-Pisa, 1983.

"I bacini ceramici delle chiese della provincia di Pisa con nuove proposte per la datazione della ceramica spagnola tipo pula," *Faenza* 60(1974), pp. 67–79.

I bacini ceramici medievali delle chiese di Pisa. Rome, 1981.

"I bacini ceramici di S. Michele di Castello-Villa a Roggio (Pescaglia-Lucca)," *Faenza* 60(1974), pp. 76–84.

"Bacini ceramici su alcune chiese della campagna Luccese," *Faenza* 59(1973), pp. 4–15.

"Bacini ceramici su edifici religiosi e civili delle province di Pistoia, Firenze e Siena," *Faenza* 61(1975), pp. 123–35.

"Ceramiche decorate (XI-XIV secolo) di importazione da vari centri del Mediterraneo e di produzione locale sulla base della documentazione in Toscana," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 83–91.

Ceramiche importate dalla Spagna nell'area pisana dal XII al XV secolo. Florence, 1985.

"Per lo studio dei bacini delle chiese di Pisa: Rassegna di recenti contributi alla storia della ceramica," *Le ceramiche medievale delle chiese di Pisa*. [Biblioteca del Bollettino storico pisano, collana storica 25], Pisa, 1983.

Berti, Graziella and Tongiorgi, Ezio. *Ceramiche importate dalla Spagna nell'area pisana dal XII al XV secolo*. Florence, 1985.

Beshir, B.J. "Fatimid Military Organization," *Der Islam* 55(1978), pp. 37–56.

Bishai, Wilson B. "Negotiations and Peace Agreements between Muslims and Non-Muslims in Islamic History," *Medieval and Middle Eastern Studies in Honor of A.S. Atiya*. Leiden, 1972, pp. 50–61.

Bishko, Julian. "Sesenta años después: *La Mesta* de Julius Klein a la luz de la investigación subsiguente," *Historia, Instituciones, Documentos* (Seville) 8(1981), pp. 9–57.

Blake, H. "The 'Bacini' of North Italy," *La céramique médiévale en Méditeranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 93–111.

Bloch, Marc. "Le problème d'or au moyen âge," *Annales d'histoire économique et sociale* 19(1933), pp. 1–34.
Blum, André. *On the Origin of Paper*. New York, 1934.
Bohannan, Paul and Dalton, George, eds. *Markets in Africa*. Chicago, 1962.
Boissonade, P. "Les études relatives à l'histoire économique de l'Espagne et leur résultats," *Revue de synthèse historique*. (Paris), 1913, pp. 62–83, 145–55.
Bolens, Lucie. *Agronomes andalous du moyen âge*. Geneva, 1981.
La cuisine andalouse, un art de vivre: XIe-XIIIe siècle. Paris, 1990.
"Henné et koḥl: Le corps peint du rituel nuptial chez les hispano-arabes du moyen âge," *Razo* 7(1987), pp. 63–79.
"Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale (XIe-XIIIe siècle)," *Les soins de beauté. Actes du IIIe colloque international, Grasse (avril, 1985)*. Nice, 1987, pp. 145–69.
"The Use of Plants for Dyeing and Clothing: Cotton and Woad in al-Andalus: A Thriving Agricultural Sector (5th/11th-7th/13th centuries)," *The Legacy of Muslim Spain*. (ed. S.K. Jayyusi), Leiden, 1992, pp. 1000–15.
"La viticulture d'après les traités d'agronomie andalous (XIe-XIIe siècles)," *L'Andalousie du quotidien au sacré (XIe-XIIIe siècles)*. Aldershot, 1991, pp. 1–7.
Bolin, Sture. "Mohammed, Charlemagne, and Ruric," *Scandinavian Economic History Review* 1(1953), pp. 5–39.
Borlandi, F. "Note per la storia della produzione e del commercio di una materia prima: il guado nel medio evo," *Studi in onore di Gino Luzzatto*. 1, Milan, 1950, pp. 297–326.
Borouiba, Rachid. "Monnaies et bijoux trouvés à la Qal'a des Bani Hammad," *ROMM* 8(1970), pp. 67–77.
Bosch Vilá, Jacinto. "Algunas consideraciones sobre 'al-tagr' en al-Andalus y la división político-administrativa de la España musulmana," *Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*. Paris, 1962, pp. 23–33.
Ben al-Jatīb y Granada. Madrid, 1980.
Los Almorávides. Tetuan, 1956.
La Sevilla islámica 712–1248. Seville, 1984.
Bosworth, C.E. *The Islamic Dynasties*. Edinburgh, 1967.
Bouayed, M.A. "Le port de Hunayn, trait d'union entre le Maghreb central et l'Espagne au moyen âge," *Relationes de la península ibérica con el Magreb (siglos XIII-XVI)*. (eds. M. García-Arenal and M.J. Viguera), Madrid, 1988. pp. 325–59.
Bovill, E.W. *The Golden Trade of the Moors*. 2nd edn, Oxford, 1970.
Braudel, Ferdinand. *The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II*. 2 vols., New York, 1966.
Braulio, Justel. "Nuevo fondo de manuscritos árabes en la Biblioteca Nacional," *Madrid:MDI* 20(1979–80), pp. 96–143.
Brett, Michael. "Ifrīqiya as a Market for Saharan Trade from the 10th to the 12th C. AD," *Journal of African History* 10(1969),.pp. 347–64.
"Islam and Trade in the 'Bilād al-Sūdān' 10th-11th c.," *Journal of African History* 24(1983), pp. 431–40.

Bridbury, A.R. *England and the Salt Trade in the Later Middle Ages*. Oxford, 1955.

Brockelmann, C. *Geschichte der arabischen Litteratur*. Supplement 1, 3 vols., Leiden, 1937–42.

Brown, Peter. "Mohammed and Charlemagne by H. Pirenne," *Daedalus* 103(1974), pp. 25–33.

Bruno, Federico. "Le convenzioni commerciali e la marina savonese dai tempi piu antichi sino alla fine del secolo XIV," *Atti della Societá savonese di storia patria*. (Savona) 1924.

Brunschvig, Robert. *La Berbérie orientale sous les Hafṣides*. Paris, 1947.

Buckley, R.P. "The Muḥtasib," *Arabica* 39(1992), pp. 59–117.

Bulliet, Richard W. *The Camel and the Wheel*. Cambridge, Mass. 1975.

"A quantitative approach to medieval Muslim biographical dictionaries," *JESHO* 13(1970), pp. 195–211.

Burns, Robert Ignatius. *Islam under the Crusaders: Colonial Survival in the 13th-century Kingdom of Valencia*. Princeton, 1973.

"Jaume I and the Jews of the Kingdom of Valencia," *Jaime I y su época: X Congresso de historia de la Corona de Aragón*. Zaragoza, 1980, pp. 245–322.

"The Paper Revolution in Europe: Crusader Valencia's Paper Industry," *Pacific Historical Review* 50(1981), pp. 1–30.

"Piracy as an Islamic-Christian Interface in the Thirteenth Century," *Viator* 11(1980), pp. 165–78.

"Renegades, Adventurers, and Sharp Businessmen: The 13th-century Spaniards in the Cause of Islam," *Catholic Historical Review* 58(1972), pp. 341–66.

Society and Documentation in Crusader Valencia. Princeton, 1985.

Byrne, Eugene H. "Commercial Contracts of the Genoese in the Syrian Trade of the Twelfth century," *Quarterly Journal of Economics* 31(1916–17), pp. 128–70.

"Easterners in Genoa," *JAOS* 38(1918), pp. 176–87.

Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries. Cambridge, Mass, 1930.

"Genoese Trade with Syria in the 12th Century," *AHR* 25(1920), pp. 191–219.

Cabona, I. and D., Gardini, A., Mannoni, T., Milanese, M. "Contributi dell'archeologia medievale ligure alle conoscenze dei prodotti ceramici nel Mediterraneo occidentale," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 113–23.

Cagiano de Azevedo, M. "Le navi nella documentazione archeologica," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 413–27.

Cahen, Claude. "Commercial Relations between the Near East and Western Europe from the 7th to the 11th century," *Islam and the Medieval West*. (ed. K. Semaan), Albany, 1980, pp. 1–25.

"Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Egypte médiévale d'après le 'Minhādj d'al-Makhzūmī'," *JESHO* 7(1964), pp. 217–314.

"Ports et chantiers navals dans le monde méditerranéen musulman jusqu'aux croisades," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 300–13.

"Quelques problèmes concernant l'expansion économique musulmane au haut moyen âge," *L'Occident e l'Islam nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, xii, Spoleto, 1965, pp. 381–432.

Caiger-Smith, A. *Lustre Pottery: Technique, tradition, and innovation in Islam and the Western World*. London, 1985.

Caille, Jacques. "Les marseillais à Ceuta au XIIIe siècle," *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulmane: Hommage à Georges Marçais*. Algiers, 1957. pp. 21–31.

Canard, M. "Ibrāhīm b. Ya'qūb et sa relation de voyage en Europe," *Etudes d'orientalisme dédiées à la mémoire de E. Lévi-Provençal*. ii, Paris, 1962, pp. 503–8.

Canto García, A. and A.M. Balaguer, "Al-Andalus y los carolingios, un singular testimonio monetario," *Gaceta numismatica* 85(1987), pp. 41–9.

Carande, Ramon. "La huella económica de las capitales hispano-musulmanas," *Moneda y crédito* 29(1949), pp. 3–19.

"El puerto de Málaga y la lana de Menorca en la edad media (dos estudios de F. Melis)," *Moneda y crédito* 64(1958), pp. 11–24.

Sevilla, fortaleza y mercado. Seville, 1972.

Carbonell, Antonio. "La minería y la metalurgia entre los musulmanes de España," *Boletín de la academia de ciencias, bellas letras, y nobles artes de Córdoba* 25(1929), pp. 179–217.

Carlé, María del Carmen. "Mercaderes en Castilla (1252–1512)," *Cuadernos de historia de España* 21–2(1954), pp. 146–328.

Carus-Wilson, Eleanora. "The Woollen Industry," *Cambridge Economic History of Europe*. (eds. M. Postan and E. Rich) ii, Cambridge, 1952, pp. 55–429; 2nd edn, Cambridge, 1987, pp. 614–92.

Casaretto, Pier Francesco. "La moneta genovese in confronto con le altre valute mediterranee nei secoli XII e XIII," *ASLSP* 55(1928), pp. 1–225.

Castro, Américo. "Unos aranceles de aduanas del siglo XIII," *Revista de filología española* 8(1921), pp. 1–29, 325–56; 9(1922), pp. 266–76; 10(1923), pp. 113–36.

Chalmeta Gendrón, Pedro. "An Approximate Picture of the Economy of al-Andalus," *The Legacy of Muslim Spain*. (ed. S.K. Jayyusi), Leiden, 1992, pp. 741–58.

"Bilan et tendances des recherches (1967–1987) al-Andalus (occidentale)," *L'Arabisant* 26(1987), pp. 17–28.

"Facteurs de la formation des prix dans l'Islam médiéval," *Actes du premier congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb*. i, Tunis, 1979, pp. 111–37.

"La ḥisba en Ifrīqiya et al-Andalus: étude comparative," *Cahiers de Tunisie* 18(1970), pp. 87–105.

"La Méditerranée occidentale et al-Andalus de 934 à 941: les données d'Ibn Ḥayyān," *Rivista degli studi orientali* 50(1976), pp. 337–51.

"Précisions au sujet du monnayage hispano-arabe (dirham qāsimī et dirham arbaʿīnī)," *JESHO* 24(1981), pp. 316–24.

El señor del zoco en España: edades media y moderna, contribución al estudio de la historia del mercado. Madrid, 1973.

"Sources pour l'histoire socio-économique d'al-Andalus: Essai de systématisation et de bibliographie," *Annales islamologiques* 20(1984), pp. 1–14.

"Treinta años de historia hispana: El tomo V del *Muqtabas* de Ibn Ḥayyān," *Hispania* 35(1975), pp. 665–76.

Chazen, Robert. *Church, State, and the Jew in the Middle Ages*. New York, 1980.

Chiaudano, Mario. *Contratti commerciali genovesi del secolo XII: Contributo alla storia dell' "accomendatio" e della "societas"*. Turin, 1925.

Chica Garrido, Margarita la. "Referencias árabes a las costas de la península ibérica en la edad media," *Saitabi* 24(1974), pp. 55–63.

Childs, Wendy R. *Anglo-Castilian Trade in the Later Middle Ages*. Manchester, 1978.

Cipolla, Carlo M. *Money, Prices, and Civilization in the Mediterranean World, 5th–17th C.* Princeton, 1956.

"Sans Mahomet, Charlemagne et inconcevable," *Annales: ESC* 17(1962), pp. 130–6.

Citarella, A.O. "Patterns in Medieval Trade: The Commerce of Amalfi before the Crusades," *Journal of Economic History* 28(1968), pp. 53–5.

"A Puzzling Question concerning the Relations between the Jewish Communities of Christian Europe and those represented in the Geniza documents," *JAOS* 91(1971), pp. 390–7.

"The Relations of Amalfi with the Arab World before the Crusades," *Speculum* 42(1967), pp. 299–312.

Cohen, H.J. "The Economic Background and Secular Occupations of Muslim Jurisprudents and Traditionists in the Classical Period of Islam," *JESHO* 13(1970), pp. 16–61.

Colin, G.S. "Filaha (in the Muslim West)," *EI2* II, pp. 901–2.

Coll i Alentorn, M. "La crónica de Sant Pere de les Puelles," *II Colloqui d'historia del monaquisme catala*. Santas Creus, 1967, pp. 35–50.

Collins, Roger. *Early Medieval Spain: Unity in Diversity, 400–1000*. London, 1983.

Colom, F.S. "Navegaciones mediterraneas (s. XI–XVI): valor del puerto de Mallorca," *Navigazioni mediterranea e connessioni continentali*. (ed. R. Ragosta), Naples, 1982, pp. 15–74.

Coniglio, Guiseppe. "Amalfi e il commercio amalfitano nel medioevo," *Nuova rivista storica* 28–9(1944–5), pp. 100–14.

Constable, O.R. "Genoa and Spain in the twelfth and thirteenth centuries," *Journal of European Economic History* 19(1990), pp. 635–56.

Corcos-Abulafia, David. "The Attitude of the Almohadic Rulers towards the Jews" [in Hebrew], *Zion* 32(1967), pp. 137–60.

Corda, Mario. "Pisa, Genova, e l'Aragona all'epoca di Giacomo I nelle fonti narrative," *Jaime I y su época: X Congresso de historia de la Corona de Aragón*. Zaragoza, 1980, pp. 579–88.

Cornu, Georgette. "Les géographes orientaux des IXe et Xe siècles et al-Andalus," *Sharq al-Andalus* 3(1986), pp. 11–19.

Cossio, José María de. "Cautivos de moros en el siglo XIII," *Al-Andalus* 7(1942), pp. 49–112.

Courtois, Christian. "Les rapports entre l'Afrique et la Gaule au début du moyen âge," *Cahiers de Tunisie* 2(1954), pp. 127–45.

"Remarques sur le commerce maritime en Afrique au XIe siècle," *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulmane. Hommage à Georges Marçais.* II, Algiers, 1957, pp. 51–9.

Cowdrey, H.E.J. "The Mahdia Campaign of 1087," *English Historical Review* 362(1977), pp. 1–29.

Crone, Patricia. *Meccan Trade and the Rise of Islam.* Princeton, 1987.

Curtin, Philip D. *Cross-Cultural Trade in World History.* Cambridge, 1984.

Cutler, Anthony. *The Craft of Ivory: Sources, Techniques, and Uses in the Mediterranean World, AD 200–1400.* Washington, DC, 1985.

Dalton, George. "Comments on Ports of Trade in Early Medieval Europe," *Norwegian Historical Review* 11(1978), pp. 102–8.

"Karl Polanyi's Analysis of Long-Distance Trade and his wider Paradigm," *Ancient Civilization and Trade.* (eds. J.A. Sabloff and C.C. Lamberg-Karlovsky), Albuquerque, 1975, pp. 63–132.

Davillier, Charles. *Notes sur les cuirs de Cordoue, guadamaciles d'Espagne, etc.* Paris, 1878.

Day, John. *The Medieval Market Economy.* Oxford, 1987.

Dennett, D.C. "Pirenne and Muhammad," *Speculum* 23(1948), pp. 167–90.

Desimini, C. and Belgrano, L.T. "Atlante idrografico del medioevo posseduto dal Prof. Tammar Luxoro," *ASLSP* 5(1867), pp. 7–270.

Devisse, Jean. "La question d'Awdaghust," *Tegdaoust I; Recherches sur Aoudaghost.* (eds. J. Devisse, D. Robert, S. Robert), Paris, 1970, pp. 109–54.

"Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée: Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au XVIe siècle," *Revue d'histoire économique et sociale* 50(1972), pp. 42–73, 357–97.

Di Tucci, Raffaele. *Studi sull'economia genovesi del secolo decimosecondo: la nave e i contratti marittimi.* Turin, 1933.

Dodds, J.D., ed. *Al-Andalus: The Art of Islamic Spain.* New York, 1992.

Doehaerd, Renée. "Méditerranée et économie occidentale pendant le haut moyen âge," *Cahiers d'histoire mondiale* 1(1954), pp. 571–93.

"Les réformes monétaires carolingiennes," *Annales: ESC* 7(1952), pp. 13–20.

Dolley, R.H.M. "A Spanish Dirham found in England," *Numismatic Chronicle* 17(1957), pp. 242–3.

Dotson, J.E. "A Problem of Cotton and Lead in Medieval Italian Shipping," *Speculum* 57(1982), pp. 52–62.

Dozy, Reinhart. *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes.* Amsterdam, 1845.

Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe. 2nd edn, Leiden, 1869.

Histoire des musulmans d'Espagne. 4 vols., Leiden, 1861. (revised edn E. Lévi-Provençal, 3 vols., Leiden, 1932).

Supplément aux dictionnaires arabes. 2 vols., Leiden, 1881.

Drury, Thomas. "The Image of Alfonso VI and his Spain in Arabic Historians," Ph.D. dissertation, Princeton University, 1973.

Dubler, C.E. *Über das Wirtschaftsleben auf der iberischen Halbinsel vom XI zum XIII Jahrhundert*. Geneva, 1943.

Dufourcq, Charles-Emmanuel. "Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIIIe siècle," *Economies et sociétés au moyen âge: Mélanges offerts à Edouard Perroy*. Paris, 1973, pp. 721–36.

"A propos de l'Espagne catalane et le Maghreb aux XIIIe et XIVe siècles," *Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb* 2(1967), pp. 32–53.

"Berbérie et Ibérie médiévales: un problème de rupture," *Revue historique* 240(1968), pp. 293–324.

"Commerce du Maghrib médiéval avec l'Europe chrétienne et marine musulmane données connues et petitiques en suspen," *Actes du I Congrès d'histoire et de la civilisation du Maghreb*. I, Tunis, 1979, pp. 161–7.

"Les communications entre les royaumes chrétiens ibériques et les pays de l'occident musulman dans les derniers siècles du moyen âge," *Les Communications dans la péninsule ibérique au moyen âge*. Paris, 1981, pp. 29–44.

L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècle. Paris, 1966.

"La question de Ceuta au XIIIe siècle," *Hespéris* 42(1955), pp. 67–127.

"Les relations du Maroc et de la Castille pendant la première moitié du XIIIe siècle," *Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb* (Algiers) 5(1968), pp. 37–62.

La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination arabe. Paris, 1978.

Dufourçq, C.H. and Gautier-Dalché, J. *Histoire économique et sociale de l'Espagne chrétienne au moyen âge*. Paris, 1976.

Dunlop, D.M. *The History of the Jewish Khazars*. Princeton, 1954.

"The *Kitāb al-maḥabbah* of Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb," *Actas del I Congreso de historia de Andalucía*. Cordoba, 1978. pp. 125–130.

"Sources of Gold and Silver in Islam according to al-Ḥamdānī," *Studia islamica* 8(1957), pp. 29–50.

Duplessy, Jean. "La circulation des monnaies arabes en Europe occidentale du VIIIe au XIIIe siècle," *Revue numismatique*, 5th series, 18(1956), pp. 101–63.

Dupont, André. *Les relations commerciales entre les cités maritimes de Languedoc et les cités méditerranéennes d'Espagne et d'Italie du Xe au XIIIe siècle*. Nîme, 1942.

Duprat, Eugène. "Les relations de la Provence et du Levant du Ve siècle aux croisades," *Séances et travaux du Congrès français de la Syrie*. Jan. 1919, Fasc. II, pp. 75–98.

Ebersolt, Jean. *Orient et occident: recherches sur les influences byzantines et orientales en France avant les croisades*. Paris, 1928.

Edwards, John. "'Development' and 'Underdevelopment' in the Western Mediterranean: The Case of Córdoba and its Region in the Late Fifteenth

and Early Sixteenth Centuries," *Mediterranean Historical Review* 2(1987), pp.3–45.

Ehrenkreutz, Andrew S. "Another Orientalist's Remarks concerning the Pirenne Thesis," *JESHO* 15(1972), pp. 94–104.

"The Place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages," *JAOS* 75(1955), pp. 100–16.

"Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages; the Standard of Fineness of some types of Dinars," *JESHO* 2(1959), pp. 126–61.

"Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages; the Standard of Fineness of Western and Eastern Dinars before the Crusades," *JESHO* 6(1963), pp. 243–77.

Elshayyal, Gamal al-Dīn. "The Cultural Relations between Alexandria and the Islamic West in al-Andalus and Morocco," *Madrid:MDI* 16(1971), pp. 61–9.

Epalza, Mikel de. "Costas alicantinas y costas magrebíes: el espacio marítimo musulmán según los textos árabes," *Sharq al-Andalus* 3(1986), pp. 25–31.

Moros y moriscos en el levante peninsular [Sharq al-Andalus]: Introducción bibliográfica. Alicante, 1983.

Epstein, S. *Wills and Wealth in Medieval Genoa 1150–1250*. Cambridge, Mass., 1984.

Epstein, S. *An Island for itself, Economic development and social change in late medieval Sicily*. Cambridge, 1992.

Fabrège, Frédéric. *Histoire de Maguelone*. Paris and Montpellier, 1894–1900.

Face, Richard D. "Secular History in twelfth-century Italy: Caffaro of Genoa," *Journal of Medieval History* 6(1980), pp. 169–84.

Ferrandis Torres, José. *Cordobanes y guadamecíes; Catálogo ilustrado de la exposición. Sociedad de amigos de arte*. Madrid, 1955.

Ferreira Priegue, E. "El papel de Galicia en la redistribución de productos andaluces visto a traves de los archivos ingleses," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio, Sevilla, 8–10 de abril, 1981*. Seville, 1982, pp. 241–7.

Galicia en el comercio marítimo medieval. La Coruña, 1987.

Fierro, Ma. Isabel. "Sobre la adopción del titulo califal por 'Abd al-Raḥmān III," *Sharq al-Andalus* 6(1988), pp. 33–42.

Finot, Jules. *Etude historique sur les relations commerciales entre la Flandre et l'Espagne au moyen âge*. Paris, 1899.

Fischel, W.J. *The Jews in the Economic and Political Life of Medieval Islam*. reprint London, 1969.

"The Spice Trade in Mamluk Egypt," *JESHO* 1(1958), pp. 157–74.

Freehof, Soloman B. *The Responsa Literature and a Treasury of Responsa*. New York, 1973.

Freeman-Grenville, G.S.P. *The Muslim and Christian Calendars*. New York, 1963.

Frothingham, Alice W. *Lustreware of Spain*. New York, 1951.

Fryde, E.B. "Italian Maritime Trade with Medieval England (c. 1270–1530)," *Recueils de la Société Jean Bodin* 32(1974), pp. 291–337.

Fuentes Guerra, R. "Panorama económico-industrial del califato de Córdoba," *Actas del I Congreso de estudios árabes e islámicas*. Madrid, 1964, pp. 433–9.

García, Arcadi. "Contractes comercials vigatans de principis del segle XIII," *Ausa* (Vich) 43(1963), pp. 321–9.

García de Valdeavellano, Luis. "Economía natural y monetaria en León y Castilla durante los siglos IX, X, y XI," *Moneda y crédito* 10(1944), pp. 28–46.

"El mercado. Apuntes para su estudio en León y Castilla durante la edad media," *AHDE* 8(1931), pp. 210–405.

El mercado en León y Castilla durante la edad media. 2nd edn., Seville, 1975.

"La moneda y la economía de cambio en la península ibérica desde el siglo VI hasta mediados del siglo XI," *Moneta e scambi nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo, VIII, Spoleto, 1961, pp. 203–30.

Sobre los burgos y los burgueses de la España medieval. Madrid, 1960.

García Arenal, Mercedes. "Algunos manuscritos de 'fiqh' andalusíes y norteafricanos pertenecientes a la Real Biblioteca de el Escorial," *Al-Qantara* 1(1980), pp. 9–26.

"Los moros en las Cántigas de Alfonso X el Sabio," *Al-Qantara* 6(1985), pp. 133–52.

García Franco, Salvador. *La lengua náutica en la edad media*. Madrid, 1947.

García Gómez, Emilio. "A propósito de Ibn Ḥayyān," *Al-Andalus* 11(1946), pp. 395–423.

"Tejidos, ropas y tapicería en los *Anales de al-Hakam II* por 'Isā Rāzī," *Boletín de la Real Academia de la historia* 156(1970), pp. 43–53.

Gari, Blanca. "El reino de Granada y la política comercial genovesa en la península ibérica en la segunda mitad del siglo XIII," *Relaciones exteriores del reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza*. Almeria, 1988, pp. 287–96.

Gariel, E. *Les monaies royales de France sous la race carolingienne*. Strasbourg, 1883.

Garrard, Timothy F. "Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold Trade," *Journal of African History* 23(1982), pp. 443–61.

Gateau, A. "Quelques observations sur l'intérêt du voyage d'Ibn Jubair pour l'histoire de la navigation en Méditerranée au XIIe siècle," *Hespéris* 36(1949), pp. 289–312.

Gautier, E.F. "L'or du Soudan dans l'histoire," *Annales d'histoire économique et sociale* 32(1935), pp. 113–23.

Gautier-Dalché, J. "Islam et chrétienté en Espagne au XIIe siècle: Contibution à l'étude de la notion de frontière," *Hespéris* 47(1959), pp. 183–217.

"Monnaie et économie dans l'Espagne du nord et du centre (VIIIe a XIIIe siècle," *Hespéris-Tamuda* 3(1963), pp. 63–74.

"Les peages dans les pays de la Couronne de Castille: état de la question, réflexions, perspectives de recherches," *Les communications dans la péninsule ibérique au moyen âge (Actes du Colloque de Pau, 28–29 mars, 1980)*. Paris, 1981, pp. 73–8.

Gazulla, F.D. "La redención de cautivos entre los musulmanes," *BRABLB* 13(1928), pp. 321–42.

Gibert de Vallve, Soledad. "La ville d'Almeria a l'époque musulmane," *Cahiers de Tunisie* 18(1970), pp. 61–72.

Giese, W. "Cuero de Córdoba y guadalmeçí," *Revista de la filología española* 12(1925), pp. 75–6.

Gil, Moshe. "The Radhanite Merchants and the Land of Radhan," *JESHO* 17(1974), pp. 299–328.

Gioffré, Domenico. "Uno studio sugli schiavi a Genova nel XIII secolo," *ASLSP* n.s. 9(1969), pp. 321–5.

Gisbert, Josep A. "La ciudad de Denia y la producción de cerámicas vidriadas con decoración estampillada," *Sharq al-Andalus* 2(1985), pp. 161–74.

Glick, Thomas F. *Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages*. Princeton, 1979.

"Muhtasib and Mustasaf: A Case Study of Institutional Diffusion," *Viator* 2(1971), pp. 59–81.

Glick, Thomas F. and Pi-Sunyar, O. "Acculturation as an Explanatory Concept in Spanish History," *Comparative Studies in Society and History* 2(1969), pp. 136–54.

Goitein, S.D. "Bankers' Accounts from the 11th century AD," *JESHO* 9(1966), pp. 28–68.

"The Beginnings of the Kārim Merchants and the Character of their Organization," *Studies in Islamic History and Institutions*. Leiden, 1968, pp. 351–60.

"The Biography of Judah Ha-Levi in the Light of the Cairo Geniza Documents," *Proceedings of the American Academy for Jewish Research* 28(1959), pp. 41-56.

"Commercial and Family Partnerships in the Countries of Medieval Islam," *Islamic Studies* 3(1964), pp. 315–37.

"The Documents of the Cairo Geniza as a Source for Islamic Social History," *Studies in Islamic History and Institutions*. Leiden, 1968, pp. 279–95.

"L'état actuel de la recherche sur les documents de la Geniza du Caire," *Revue des études juives* 118(1959–60), pp. 9–27.

"The Exchange Rate of Gold and Silver Money in Fatimid and Ayyubid Times; A Preliminary Study of the Relevant Geniza Material," *JESHO* 8(1965), pp. 1–46.

"From Aden to India: Specimans of the Correspondence of India Traders of the 12th century," *JESHO* 23(1980), pp. 43–66.

"Glimpses from the Cairo Geniza on Naval warfare in the Mediterranean and on the Mongol Invasion," *Studi orientalistici in onore de Giorgio Levi della Vida*. 1, Rome, 1956, pp. 393–408.

"Judeo-Arabic Letters from Spain (early 12th century)," *Orientalia Hispanica; Studies in Honor of F.M. Pareja*. Leiden, 1974, pp. 331–50.

"The Main Industries of the Mediterranean Area as reflected in the Records of the Cairo Geniza," *JESHO* 4(1961), pp. 168–97.

A Mediterranean Society. The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza. 5 vols. Berkeley, 1967–88.

"Mediterranean Trade preceeding the Crusades: Some Facts and Problems," *Diogenes* 59(1967), pp. 47–62.

"The Rise of the Near Eastern Bourgeoisie in Early Islamic Times," *Cahiers d'histoire mondiale* 3(1957), pp. 583–604.

"Slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza Records," *Arabica* 9(1962), pp. 1–20.

"The Tribulations of an Overseer of the Sultan's Ships: A Letter from the Cairo Geniza (written in Alexandria in 1131)," *Arabic and Islamic Studies in Honor of H.A.R. Gibb.* Cambridge, Mass., 1965, pp. 270–84.

"La Tunisie du XIe siècle à la lumière de documents de la Geniza du Caire," *Etudes d'orientalisme dédiées à la memoire de Lévi-Provençal.* II, Paris, 1962. pp. 559–79. English translation: "Medieval Tunisia: The Hub of the Mediterranean. A Geniza Study," *Studies in Islamic History and Institutions.* Leiden, 1968, pp. 308–28.

"The Unity of the Mediterranean World in the 'Middle' Middle Ages," *Studia islamica* 12(1960), pp. 29–42.

Golb, Norman and Omeljan, Pritzak. *Khazarian Hebrew Documents of the tenth century.* Ithaca, 1982.

Golvin, Lucien. "Note sur l'industrie du cuivre en occident musulman au moyen âge," *Cahiers de linguistique, d'orientalisme, et de slavistique* 1–2(1973), pp. 117–26.

Gómez Moreno, Manuel. *Iglesias mozárabes: arte español de los siglos IX a XI.* Madrid, 1919.

"La loza dorada primitiva de Málaga," *Al-Andalus* 5(1940), pp. 383–98.

El Panteón real de las Huelgas de Burgos. Madrid, 1946.

González Martí, M. *Cerámica del levante español: siglos medievales.* Barcelona-Madrid, 1944–52.

González Mínguez, César. *El portazgo en la edad media. Aproximación a su estudio en la Corona de Castilla.* Bilbao, 1989.

González Palencia, Angel. *Aspectos sociales de la España árabe.* Madrid, 1946.

Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII. 3 vols., Madrid, 1926–8.

Grant, Michael. *The Ancient Mediterranean.* New York, 1969.

Greif, A. "The Organization of Long-Distance Trade: Reputation and Coalitions in the Geniza Documents and Genoa during the 11th and 12th centuries." Ph.D. Dissertation, Northwestern University, 1989.

Grierson, Philip. "Carolingian Europe and the Arabs: The Myth of the Mancus," *Revue belge de philologie et d'histoire* 32(1954), pp. 1059–74.

"Commerce in the Dark Ages: A Critique of the Evidence," *Transactions of the Royal Historical Society* 9(1959), pp. 123–40.

Medieval European Coinage. 1, Cambridge, 1986.

"Muslim Coins in 13th-century England," *Studies in Honor of George C. Miles.* Beirut, 1974, pp. 387–91.

"Numismatics and History," *Historical Association: General Series.* London, 1951.

Grohmann, A. "Ṭirāz," *Encyclopedia of Islam*. 1st edn, Leiden, 1913–42, IV.2, pp. 785–3.
Groom, Nigel. *Frankincense and Myrrh, a Study of the Arabian Incense Trade*. London, 1981.
Grunebaum, Gustave E. von. *Medieval Islam: A Study in Cultural Orientation*. 2nd edn, Chicago, 1962.
"The Structure of the Muslim Town," *Islam. Essays in the Nature and Growth of a Cultural Tradition*. London, 1961, pp. 141–58.
Gual Camarena, Miguel. "Aranceles de la Corona de Aragón en el siglo XIII," *VI Congreso de la historia de la Corona de Aragón* (1957). Madrid, 1959, pp. 209–220.
"El comercio de telas en el siglo XII hispano," *Anuario de historia económica y social* 1(1968), pp. 85–106.
"Origenes y expansion de la industria lanera catalana en la edad media," *Atti della seconda settimana di studio, Istituto F. Datini*. (ed. M. Spallanzani), Florence, 1976, pp. 511–23.
"Para un mapa de la industria textil hispana en la edad media," *Anuario de estudios medievales* 4(1967), pp. 109–68.
"Para un mapa de la sal hispana en la edad media," *Homenaje a Jaime Vicens Vives*. 1, Barcelona, 1965, pp. 483–97.
"Peaje fluvial del Ebro (siglo XII)," *Estudios de la edad media de la Corona de Aragón* 8(1967), pp. 155–88.
"Tarifas hispano-lusas de portazgo, peaje, lezda, y hospedaje (siglos XI y XII)," *Anuario de estudios medievales* 9(1974–9) pp. 365–92.
Vocabulario del comercio medieval. Tarragona, 1968.
Guerrero Lovillo, José. *Las Cántigas: Estudio arqueológico de sus miniaturas*. Madrid, 1949.
Guichard, Pierre. "Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane," *Mélanges de la Casa de Velázquez* 5(1969) pp. 103–57.
Structures sociales "orientales" et "occidentales" dans l'Espagne musulmane. Paris, 1977.
Guillen Robles, F. *Málaga musulmana*. 2 vols. Malaga, 1880. (reprint Malaga, 1984).
Gutkind, E.A. *Urban Development in Southern Europe: Spain and Portugal*. New York, 1967.
al-Hajji, Abdurrahman A. "Andalusia e Italia altomedievale," *Rivista storica italiana* 79(1967), pp. 158–73.
Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe during the Umayyad Period. Beirut, 1970.
Halphen, L. "La conquête de la Méditerranée par les européens au XIe et au XIIIe siècles," *Mélanges d'histoire offerts à Henri Pirenne*. 1, Brussels, 1926, pp. 175–80.
Hamada, Fadhel. "Unos aspectos del desarollo económico en la época de los reyes de taifas," *Actas del IV Coloquio hispano-tunecino (Palma, 1979)*. Madrid, 1983, pp. 155–61.

Hamarneh, S.K. and Sonnedecker, G. *A Pharmaceutical View of Abulcasis Alzahrāwī in Moorish Spain*. Leiden, 1963.

Hamblin, William. "The Fatimid Navy during the Early Crusades: 1099–1124," *The American Neptune* 46(1986), pp. 77–83.

Handler, Andrew. *The Zirids of Granada*. Coral Gables, Florida. 1974.

al-Hassan, Aḥmad Y. "Iron and Steel Technology in medieval Arabic sources," *Journal for the History of Arabic Science* 2(1978), pp. 31–43.

al-Hassan, Aḥmad Y. and Hill, D.R., *Islamic Technology: An Illustrated History*. Cambridge, 1986.

Haverkamp, A. "Zur Sklaverei in Genua während des 12. Jahrhunderts," *Geschichte in der Gesellschaft: Festschrift für Karl Bosl*. Stuttgart, 1974, pp. 160–215.

Hazard, Harry W. *The Numismatic History of Late Medieval North Africa*. New York, 1952.

Heers, Jacques. *Esclaves et domestiques au moyen âge dans le monde méditerranéen*. Paris, 1981.

"Les hommes d'affaires italiens en Espagne au moyen âge: Le marché monétaire," *Fremde Kaufleute auf der iberischen Halbinsel*. (ed. H. Kellenbenz), Cologne-Vienna, 1970, pp. 74–83.

"Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en occident (XVe siècle)," *Le moyen âge* 63(1957), pp. 87–121.

"Les relations commercials entre Gênes et le royaume d'Aragon vers le milieu du XVe siècle," *IV Congreso de Historia de la Corona de Aragón. Actas y Comunicaciones*. II, Barcelona, 1970, pp. 1–14.

"Types de navires et spécialisation des trafics en Méditerranée a la fin du moyen âge," *Le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée*. Paris, 1958, pp. 107–17.

Hendy, Michael. "From Public to Private: The Western Barbarian Coinages as a Mirror of the Disintegration of Late Roman State Structures," *Viator* 19(1988), pp. 29–78.

Herlihy, David. *Pisa in the Early Renaissance*. New Haven, 1958.

Hernández Jiménez, Félix. "El camino de Córdoba a Toledo en la época musulmana," *Al-Andalus* 24(1959), pp. 1–62.

Herrero Carretero, C. *Museo de telas medievales: Monasterio de Santa María la Real de Huelgas*. Madrid, 1988.

Heyd, W. *Histoire du commerce du Levant au moyen âge*. 2 vols., Leipzig, 1885.

Higounet, Charles. "Les fôrets de l'Europe occidentale du Ve au XIe siècle," *Agricoltura e mondo rurale in occidente nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, XIII, Spoleto, 1966, pp. 343–98.

Hillgarth, J.N. *The Spanish Kingdoms 1250–1516*. I, Oxford, 1976.

Hinojosa Montalvo, J. "Las relaciones comerciales entre Valencia y Andalucia durante la baja edad media," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de abril, 1981*. Seville, 1982, pp. 249–67.

Hinz, Walther. *Islamische Masse und Gewichte umgerechnet ins metrische System*. Leiden, 1955 (revised edn Leiden-Köln, 1970).

Hirschberg, H.Z. *A History of the Jews in North Africa*. 2nd edn, Leiden, 1974.
Hocquet, J.-C. *Le sel et la fortune de Venise*. (vol. II, *Voiliers et commerce en Méditerranée, 1200–1650*.) Lille, 1979.
Hodges, Richard. *Dark Age Economics. The Origins of Towns and Trade, AD 600–1000*. New York, 1982.
"Ports of Trade in Early Medieval Europe," *Norwegian Archeological Review* 11(1978), pp. 97–101.
Hodges, Richard and Whitehouse, David. *Mohammad, Charlemagne and the Origins of Europe*. Ithaca, 1983.
Hoenerbach, Wilhelm. *Araber und Mittelmeer: Anfange und Probleme arabischer seegeschichte*. Kiel, 1967.
"La navigación omeya en el Mediterraneo y sus consecuencias político-culturales," *Miscelanea de estudios árabes y hebraicos Universidad de Granada* (1953), pp. 77–98.
Hoover, Calvin B. "The Sea Loan in Genoa in the 12th Century," *Quarterly Journal of Economics* 40(1925–26), pp. 495–529.
Horton, Mark. "The Swahili Corridor," *Scientific American* Sept. 1987, pp. 86–93.
Hourani, A. and Stern, S.M. *The Islamic City*. Oxford, 1970.
Houston, J.M. "Urban Geography of Valencia: The Regional Development of a Huerta City," *Transactions of the Institute of British Geographers* 15(1951), pp. 19–35.
Huici Miranda, Ambrosio. *Historia política del imperio almohade*. 2 vols., Tetuan, 1956–7.
"The Iberian Peninsula and Sicily," *Cambridge History of Islam*. 2A, Cambridge, 1970, pp. 406–39.
Humphreys, S.C. "History, Economics, and Anthropology: The Work of Karl Polanyi," *History and Theory* 8(1969), pp. 165–212.
Hurst, J.G. "The Export of Spanish Lustreware to North-West Europe," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, p. 372.
"Spanish Pottery imported into Medieval England," *Medieval Archeology* 21(1977), pp. 69–105.
Idris, Hady Roger. *La Berbérie orientale sous les Zirides*. 2 vols., Paris, 1962.
"Commerce maritime et kirāḍ en Berbérie orientale d'après un recueil inédit des fatwās médiévales," *JESHO* 4(1961), pp. 225–39.
"Les tributaires en occident musulmane médiévale d'après le *Mi'yār* d'al-Wansharīsī," *Mélanges d'islamologie: Volume dédié à la mémoire de Armand Abel*. Leiden, 1974, pp. 172–96.
Imamuddin, S.M. "Business Contracts in Muslim Spain," *Journal of the Pakistan Historical Society* (1962), pp. 282–301.
"Coins in Umayyad Spain, 711–1031," *Dacca University Studies* 9(1959), pp. 49–65.
"Commercial Relations between Muslim Spain and Christian Countries in the 9th and 10th centuries," *Journal of the Asiatic Society of Pakistan* 3(1958), pp. 1–13.
"Commercial Relations of Spain with Ifriqiyah and Egypt in the 10th century," *Islamic Culture* 38(1964), pp. 9–14.

The Economic History of Spain under the Umayyads (711–1031). Dacca, 1963.

Iradiel Muragarren, P. *Evolución de la industria textil castellana en los siglos XIII–XVI*. Salamanca, 1974.

James, Margery. *Studies in the Medieval Wine Trade*. (ed. E.M. Veale), Oxford, 1971.

Jayyusi, Salma Khadra, ed. *The Legacy of Muslim Spain*. Leiden, 1992.

Jenkins, Marilyn, "Medieval Maghribī Ceramics. A Reappraisal of the Pottery Production of the Western Regions of the Muslim world." Ph.D. Dissertation, New York University, 1978.

"Medieval Maghribī Lustre-painted Pottery," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 335–42.

Joncheray, M.J.P. "Le navire de Bataiguier," *Archeologia* 85 (1975), pp. 42–8.

Kahane, Henri and Kahane, Renée. "Notes on the Linguistic History of *sclavus*," *Studi in onore di Ettore Lo Gatto e Giovanni Maver*. Rome, 1962, pp.345–60.

Kamen, H. "The Decline of Spain: A Historical Myth," *Past and Present* 81(1978), pp.24–50.

Kassis, Hanna. "Muslim Revival in Spain in the 5th/11th Century," *Der Islam* 67(1990), pp.78–110.

Katz, Soloman. *The Jews in the Visigothic and Frankish Kingdoms of Spain and Gaul*. Cambridge, Mass, 1937.

Khadduri, Majid. *War and Peace in the Law of Islam*. Baltimore, 1955.

Khalis, Saleh. *La vie litteraire à Séville au XIe siècle*. Algiers, 1966.

Khallāf, M. ʻAbd al-Wahhāb. *Qurṭuba al-islāmiyya fī al-qarn al-ḥādī ʻashara al-mīlādī al-khāmis al-hijrī*. Tunis, 1984.

Klein, Julius. *The Mesta: A Study in Spanish Economic History (1273–1836)*. Cambridge, Mass, 1920.

King, P.D. *Law and Society in the Visigothic Kingdom*. Cambridge, 1972.

Kramers, G.H. "Geography and Commerce," *The Legacy of Islam*. (eds. T. Arnold and A. Guillaume), Oxford, 1931, pp.79–107.

Kreutz, Barbara. "Ships, Shipping, and the Implications of Change in the Early Medieval Mediterranean," *Viator* 7(1976), pp.79–109.

Krueger, Hilmar Carl. "The Commercial Relations between Genoa and North-West Africa in the Twelfth Century." Ph.D. Dissertation, University of Wisconsin, 1931.

"Early Genoese Trade with Atlantic Morocco," *Medievalia et humanistica* 3(1945), pp.3–15.

"Economic Aspects of Expanding Europe," *Twelfth-century Europe and the Foundations of Modern Society*. (ed. M. Clagett), Madison, 1961, pp.59–76.

"Genoese Merchants, their Associations and Investments, 1155–1230," *Studi in onore di Amintore Fanfani*. 1, Milan, 1962, pp.413–26.

"Genoese Merchants, their Partnerships and Investments, 1155–1164," *Studi in onore di Armando Sapori*. Milan, 1957, pp.257–72.

"Genoese Shipowners and their Ships in the 12th century," *The American Neptune* 47(1987), pp.229–39.

"Genoese Trade with North-West Africa in the Twelfth century," *Speculum* 8(1933), pp.377–95.
Navi e proprietà navale a Genova, seconda metà del secolo XII. Genoa, 1985.
"Post-war Collapse and Rehabilitation in Genoa (1149–1162)," *Studi in onore di Gino Luzzatto*. i, Milan, 1949, pp.117–28.
"The Routine of Commerce between Genoa and North-West Africa during the Late Twelfth century," *The Mariner's Mirror* 19(1933), pp.417–38.
"The Wares of Exchange in the Genoese-African Traffic of the Twelfth century," *Speculum* 12(1937), pp.57–71.
Kurdian, H. "Kirmiz," *JAOS* 61(1941), pp.105–7.
Lacarra, José María. "Un arancel de aduanas del siglo XI," *Actas del primer congreso internacional de pirenéistas*. San Sebastián, 1950, pp.5–20.
"Aspectos económicos de la sumisión de los Reinos de Taifas (1010–1102)," *Colonización, parias, repoblación, y otros estudios*. Zaragoza, 1981, pp.43–76.
"Dos tratados de paz y alianza entre Sancho el de Peñalén y Moctádir de Zaragoza 1069–1073," *Colonización, parias, repoblación, y otros estudios*. Zaragoza, 1981, pp.79–94.
"Panorama de la historia urbana española," *Estudios de alta edad media española*. Valencia, 1971, pp.27–65.
Lacave, J.L. "España y los judíos españoles," *Revue des études juives* 144(1985), pp.7–25.
Ladero Quesada, M.A. "Almojarifazgo sevillano y comercio exterior de Andalucía en el siglo XV," *Anuario de historia económica y social* 2(1969), pp.69–115.
"Las aduanas de Castilla en el siglo XV," *Revue internationale d'histoire de la banque* 7(1973), pp.83–110.
Lamm, Carl Johan. *Cotton in Medieval Textiles of the Near East*. Paris, 1937.
Lane, Arthur. "Early Hispano-Moresque Pottery: A Reconsideration," *Burlington Magazine* 88(1946), pp.246–52.
Early Islamic Pottery. London, 1947.
Lane, Frederic C. "The Economic Meaning of the Invention of the Compass," *AHR* 68(1963), pp.605–17.
"The Economic Meaning of War and Protection," *Venice and History: Collected Papers of Frederick C. Lane*. Baltimore, 1966, pp.383–98.
Lapidus, I. *Muslim Cities in the Later Middle Ages*. Cambridge, Mass, 1967.
Laroui, A. *The History of the Maghrib; An Interpretative Essay*. Princeton, 1977.
Latham, J.D. "Some Observations on the Bread Trade in Muslim Malaga (ca. AD 1200)," *Journal of Semitic Studies* 29(1984), pp.111–22.
Latour, A. "Paper: A Historical Outline," *Ciba Review* 6(1947–49), pp.2630–40.
Laurent, Henri. *Un grand commerce d'exportation au moyen âge: la draperie des Pays-Bas en France et dans les pays méditerranéens [XIIe-XVe siècle]*. Liège-Paris, 1935.
Le Clair, Edward E. "Economic Theory and Economic Anthropology," *American Anthropologist* 64(1962), pp.1179–203.
Leggett, W.F. *The Story of Linen*. New York, 1955.
Leix, Alfred. "Dyes of the Middle Ages," *Ciba Review* 1(1937), pp.19–21.

Lenker, M.K. "The Importance of the Rihla for the Islamization of Spain." Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania, 1982.
Lesch, Alma. *Vegetable Dyeing*. New York, 1970.
Le Tourneau, Roger. *The Almohad Movement in North Africa in the 12th and 13th centuries*. Princeton, 1969.
Fez in the Age of the Marinids. Norman, Oklahoma, 1961.
Levasseur, P.E. *Histoire du commerce de la France*. 1, Paris, 1911.
Lévi-Provençal, E. *Las ciudades y las instituciones urbanas del occidente musulman en la edad media*. Tetuan, 1950.
"Un échange d'ambassades entre Cordoue et Byzance au IXe siècle," *Byzantion* 12(1937), pp. 1–24.
L'Espagne musulmane au Xème siècle: Institutions et vie sociale. Paris, 1932.
Histoire de l'Espagne musulmane. 3 vols., Paris, 1950–3.
Inscriptions arabes d'Espagne. Paris, 1931.
Islam d'occident; Etudes d'histoire médiévale. Paris, 1948.
"Le Kitāb nasab Quraysh de Mus'ab al-Zubayrī," *Arabica* 1(1954), pp. 92–5.
"La política africana de 'Abd al-Raḥmān III: El conflicto entre las influencias Omeya y Fatimī en el Maghrib," *Al-Andalus* 11(1946), pp. 351–78.
"La vie économique de l'Espagne musulmane au Xe siècle," *Revue historique* 167(1931), pp. 305–23.
Lévi-Provençal, E., García Gómez, E., Oliver Asín, J. "Novedades sobre la batalla llamada de al-Zallāqa (1086)," *Al-Andalus* 11(1950), pp. 111–55.
Levillian, Léon. "Etudes sur l'abbaye de St. Denis à l'époque mérovingienne," *Bibliothéque de l'école de Chartres* 91(1930), pp. 5–65.
Examen critique des chartes mérovingiennes et carolingiennes de l'abbaye de Corbie. Paris, 1902.
Lewicki, Tadeusz. "Les écrivains arabes du moyen âge au sujet des pierres précieuses et des pierres fines en territoire africain et de leur exploitation," *Africana Bulletin* 7(1967), pp. 49–68.
"L'état nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle," *Cahiers d'études africaines* 8(1962), pp. 513–35.
"Traits d'histoire du commerce transsaharien. Marchands et missionaires ibadites en Soudan occidental et central au cours des VIIIe-XIIe siècles," *Etnografia polska* 8(1964), pp. 291–311.
"Les voies maritimes de la Méditerranée dans le haut moyen âge d'après les sources arabes," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, xxv, Spoleto, 1978. pp. 439–70.
Lewis, Archibald R. "Mediterranean Maritime Commerce: AD 300–1100 Shipping and Trade," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 481–501.
Naval Power and Trade in the Mediterranean AD 500–1100. Princeton, 1951.
"Northern European Sea Power and the Straits of Gibraltar, 1031–1350 AD," *Order and Innovation in the Middle Ages: Essays in Honor of Joseph R. Strayer*. Princeton, 1976. pp. 139–65.

The Northern Seas: Shipping and Commerce in Northern Europe. AD 300–1100. Princeton, 1958.

Lewis, Archibald and Runyan, Timothy. *European Naval and Maritime History 300–1500.* Bloomington, 1985.

Lewis, Bernard. *The Muslim Discovery of Europe.* New York, 1982.

The Political Language of Islam. Chicago, 1988.

Lieber, A.E. "Eastern Business Practices and Medieval European Commerce," *Economic History Review* 21(1968), pp. 230–43.

Linder Welin, U.S. "Spanish-Umaiyad Coins found in Scandinavia," *Numismatiska Meddelanden* 30(1965), pp. 15–25.

Lisciandrelli, Pasquale. "Trattati e negoziazioni politische della Repubblica di Genova (958–1797)," *ASLSP* n.s. 1(1960).

Lister, F.C. and R.H. Lister. *Andalusian Ceramics in Spain and New Spain: A Cultural Register from the third century BC to 1700.* Tucson, 1987.

Lloyd, T.H. *Alien Merchants in England in the High Middle Ages.* New York, 1982.

Llubía Munné, Luis M. *Cerámica medieval española.* Barcelona, 1967.

Lluis y Navas Brusi, Jaime. "Observaciones sobre la amonedación legal de los musulmanes de España," *Madrid:MDI* 4(1956), pp. 47–78.

Lomax, D.W. *The Reconquest of Spain.* New York, 1978.

Lombard, Maurice. "Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VIIe-XIe siècles)," *Le navire et l'économie maritime du moyen âge au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée.* (ed. M. Mollat), Paris, 1958, pp. 53–106.

The Golden Age of Islam. Oxford, 1975.

"Mahomet et Charlemagne," *Annales:ESC* 3(1948), pp. 188–99.

Les métaux dans l'ancien monde du Ve au XIe siècle. Paris, 1974.

Monnaie et histoire Alexandre à Mahomet. Paris, 1971.

"L'or musulman du VIIe au XIe siècles," *Annales:ESC* 2(1947), pp. 145–60.

"Un problème cartographié: Le bois dans la Méditerranée musulmane (VIIe-XIe siècles)," *Annales:ESC* 14(1959), pp. 234–54.

Les textiles dans le monde musulman du VIIe au XIIe siècle. Paris, 1978.

Longpérier, Adrien D. "Monnaie andalouse trouvée à contres," *Revue numismatique* n.s. 8(1963), pp. 14–16.

Lopez, R.S. "Alfonso el Sabio y el primer almirante de Castilla genovés," *Cuadernos de historia de España* 14(1950), pp. 5–16.

"L'attività economica di Genova nel Marzo 1253 secondo gli atti notarili del tempo," ASLSP 64(1934), pp. 166–270.

"Aux origines du capitalisme génois," *Annales d'histoire économique et sociale* 9(1937) pp. 429–54.

"Back to Gold, 1252," *Economic History Review* 2nd series, 9(1956–57), pp. 219–40.

"China Silk in Europe in the Yuan Period," *JAOS* 72(1952), pp. 72–6.

The Commercial Revolution of the Middle Ages 950–1350. New York, 1971.

"Concerning Surnames and Places of Origin," *Medievalia et humanistica* 8(1954), pp. 6–16.

"The Dollar of the Middle Ages," *Journal of Economic History* 3(1951), pp. 209–34.

"East and West in the Early Middle Ages: Economic Relations," *Relazioni del X Congresso internazionale di scienze storiche*. III, Rome, 1955, pp. 113–63.

Genova marinara nel duecento: Benedetto Zaccaria, ammiraglio e mercante. Milan, 1932.

"I genovesi in Africa occidentale nel medioevo," *Studi sull'economia genovese nel medioevo*. Turin, 1936, pp. 3–61.

"Majorcans and Genoese on the North Sea Route in the 13th century," *Revue belge de philologie et d'histoire* 29(1951), pp. 1163–79.

"Market Expansion: The Case of Genoa," *Journal of Economic History* 24(1964), pp. 445–64.

"Mohammed and Charlemagne: A Revision," *Speculum* 18(1943), pp. 14–38.

"The Origin of the Merino Sheep," *Joshua Starr Memorial Volume*. New York, 1953, pp. 161–8.

"Il predominio economico dei genovesi nella monarchia spagnola," *Giornale storico e letterario della Liguria* 11(1936), pp. 65–74.

"Profil du marchand génois," *Annales:ESC* 3(1958), pp. 501–15.

"Silk Industry in the Byzantine Empire," *Speculum* 20(1945), pp. 1–42.

"Still Another Renaissance?" *AHR* 57(1951), pp. 1–21.

"The Trade of Medieval Europe: The South," *Cambridge Economic History of Europe*. (eds. M. Postan and E. Rich) II, Cambridge, 1952. pp. 257–354; 2nd edn Cambridge, 1987, pp. 306–401.

"The Unexplored Wealth of the Notarial Archives in Pisa and Lucca," *Mélanges d'histoire du moyen âge dédiés à la mémoire de Louis Halphen*. Paris, 1951, pp. 417–32.

Lopez, R.S. and Raymond, I.W. *Medieval Trade in the Mediterranean World*. New York, 1955.

López Ortiz, P. José. "Fatwas granadinos de los siglos XIV y XV," *Al-Andalus* 6(1941), pp. 73–127.

"Formularios notariales de la España musulmana," *La ciudad de Dios* (1926), pp. 260–72.

López de Coca Castañer, E.J. "Comercio exterior del reino de Granada," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza. Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de Abril. 1981*. Seville, 1982, pp. 335–77.

Lowick, N.M. "The Kufic Coins from Cuerdale," *The British Numismatic Journal* 46(1977), pp. 19–28 (reprinted in N.M. Lowick, *Islamic coins and trade in the medieval world*. London, 1990).

MacDonald, Gerald J. "Spanish Textile and Clothing Nomenclature in -án, -í, and -ín," *Hispanic Review* 44(1976), pp. 57–78.

Mackay, Angus. "Comercio/mercado interior y la expansión económica del siglo XV," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de Abril, 1981*. Seville, 1982, pp. 103–23.

Spain in the Middle Ages: From Frontier to Empire, 1000–1500. London, 1977.

Makkī, Maḥmūd. "Ensayo sobre las aportaciones orientales en la España musulmana," *Madrid:MDI* 11(1963), pp. 7–140.

Malanima, Paolo. "Pisa and the Trade Routes to the Near East in the Late Middle Ages," *Journal of European Economic History* 16(1987), pp. 335–56.

Malowist, Marian. "Quelques observations sur le commerce de l'or dans le Soudan occidental au moyen âge," *Annales:ESC* 5–6(1970), pp. 1630–6.

Malpica Cuello, Antonio. "Regimen fiscal y actividad económica de las salinas del reino de Granada," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de Abril, 1981*. Seville, 1982, pp. 393–403.

Mann, Jacob, ed. "The Responsa of the Babylonian Geonim as a Source of Jewish History," *Jewish Quarterly Review* 7(1916–17), pp. 457–90.

Texts and Studies in Jewish History and Literature. 2 vols. Cincinnati, 1931–35.

Marçais, George. "Les villes de la côte algérienne et la piraterie au moyen âge," *Annales de l'Institut d'études orientales. Faculté des lettres de l'Université d'Alger* 13(1955), pp. 118–42.

Martínez, María del Carmen. *Los nombres de tejidos en castellano medieval*. Granada, 1989.

Martínez Caviró, Balbina. *La loza dorada*. Madrid, 1983.

Martínez Montavez, Pedro. "La economia de la España omeya," *Hispania* 25(1965), pp. 429–40.

"Islam y cristianidad en la economia mediterranea de la baja edad media," *XIII Congreso internacional de ciencias históricas*. Moscow, 1970, pp. 1–14.

Mas Latrie, Louis de. *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale en Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen âge*. Paris, 1886.

Masiá de Ros, Angeles. *La Corona de Aragón y los estados del norte de Africa; Politica de Jaime II y Alfonso IV en Egipto, Ifriquía, y Tremcén*. Barcelona, 1951.

Mateu y Llopis, F. "El hallazgo de 'pennies' ingleses en Roncevalles," *Principe de Viana* 11(1950), pp. 201–10.

"Hallazgos numismáticos musulmanes," *Al-Andalus* 12(1947), pp. 481–4.

Mauny, Raymond. "Découvert à Gao d'un fragment de poterie émaillée du moyen âge musulman," *Hespéris* 39(1952) pp. 514–16.

"La navigation sur les côtes du Sahara pendant l'antiquite," *Revue des études anciennes* 57(1955), pp. 92–101.

Les navigations médiévales sur les côtes sahariennes antérieures à la découverte portugais (1434). Lisbon, 1960.

Tableau géographique de l'ouest africain au moyen âge d'après les sources écrits, la tradition et l'archéologie. Dakar, 1961.

May, Florence Lewis. *Silk Textiles of Spain, 8th–15th century*. New York, 1957.

Mayer, Ernesto. *Historia de los instituciones sociales y políticas de España y Portugal durante los siglos V a XIV*. 1, Madrid, 1925.

Mazzaoui, M. *The Cotton Industry of Medieval Italy*. Cambridge, 1981.

Meiggs, Russell. *Trees and Timber in the Ancient Mediterranean World*. Oxford, 1982.

Melis, Federigo. *Mercaderes italianos en España (siglos XIV–XV)*. Seville, 1976.

"The Nationality of Sea-Borne Trade between England and the Mediterranean around 1400," *Journal of European Economic History* 4(1975), pp. 359–80.

I trasporti e le comunicazioni nel medioevo. Florence, 1984.
Menéndez Pidal, Ramón. *The Cid and his Spain*. London, 1934.
Messier, Roland A. "The Almoravids: West African Gold and the Gold Currency of the Mediterranean Basin," *JESHO* 17(1974), pp.31–47.
"Muslim Exploitation of West African Gold during the Period of the Fatimid Caliphate." Ph.D. Dissertation, University of Michigan, 1972.
Mez, Adam. *The Renaissance of Islam*. London, 1937.
Michel, Francisque Xavier. *Recherches sur le commerce, la fabrication et l'usage des étoffes de soie, d'or et d'argent et autres tissus précieux en occident, principalement en France, pendent le moyen âge*. 2 vols., Paris, 1852–4.
Migeon, Gaston. *Manuel d'art musulman; Arts plastiques et industriels*. Paris, 1927.
Miles, George C. *The Coinage of the Umayyads of Spain*. New York, 1950.
Coins of the Spanish Mulūk at-Tawā'if. New York, 1954.
"The Year 400 AH/1009–1010 AD at the Mint of Cordoba," *Numisma* 17(1967), pp.9–25.
Millás Vallicrosa, J.M. "El cultivo del algodón en la España árabe," *Boletín de la Real Academia de la historia* 139(1956), pp.463–72.
Miquel, André. "L'Europe occidentale dans la relation arabe d'Ibrāhīm b. Ya'qūb, (Xe siècle)" *Annales: ESC* 21(1966), pp.1048–64.
La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XIe siècle. Paris, 1967.
Misbach, Henri L. "Genoese Commerce and the Alleged Flow of Gold to the East, 1154–1253," *Revue internationale d'histoire de la banque* (1970), pp.67–87.
"Genoese Trade and the Flow of Gold 1154–1253." Ph.D. Dissertation, University of Wisconsin, 1968.
Molina, Luis. "Nota sobre 'murūs'," *Al-Qantara* 4(1983), pp.283–300.
Molina López, Emilio. "Algunas consideraciones sobre la vida socio-económica de Almería en el siglo XI y primera mitad del XII," *Actas del IV Coloquio hispano-tunecino (Palma, 1979)*. Madrid, 1983, pp.181–96.
Mollat, M., ed. *Le rôle du sel dans l'histoire*. Paris, 1968.
Mones, Hussein. "Al-jughrāfiya wa al-jughrāfiyūn fī al-Andalus," *Madrid: MDI* 7–8(1959–60), pp.199–359; and 9–10(1961–2), pp.257–372.
"Al-jughrāfiya wa al-jughrāfiyūn fī ma'āṣarū al-Idrīsī," *Madrid: MDI* 11–12(1963–4), pp.7–328.
Moraes Farias, P.F. de. "Silent Trade: Myth and Historical Evidence," *History in Africa* 1(1974), pp.9–24.
Morales Belda, F. *La marina de al-Andalus*. Barcelona, 1970.
"Papel de las disponibilidades forestales en la reconquista del tráfico marítimo de al-Andalus mediterráneo," *Anuario de estudios medievales* 10(1980), pp.173–85.
"La unidad de medida de los itinerarios marítimos en al-Andalus, siglos VIII-XV," *Actas de las jornadas de cultura árabe e islámica (1978)*. Madrid, 1981, pp.165–77.
Moresco, M. and Bognetti, G.P. *Per l'edizione dei notai liguri del secolo XII*. Turin, 1938.

Morral i Romeu, Eulàlia, and Segura i Mas, Antoni. *La seda en España: Leyenda, poder, y realidad*. Barcelona, 1991.

Morrison, Karl F. "Numismatics and Carolingian Trade: A Critique of the Evidence," *Speculum* 38(1963), pp.403–32.

Muldoon, J. *Popes, Lawyers, and Infidels*. Philadelphia, 1979.

Munro, John H. "The Medieval Scarlet and the Economics of Sartorial Splendor," *Cloth and Clothing in Medieval Europe. Essays in Memory of Prof. E.M. Carus-Wilson*. London, 1983, pp.13–70.

Mut Remola, Enrique. *La vida económica en Lérida de 1150 a 1500*. Lerida, 1953.

Navarro Palazon, J. "Murcia como centro productor de la loza dorada," *III Congresso internazionale sulla ceramica medievale nel Mediterranea occidentale. Siena, ottobre, 1984*. Florence, 1986, pp.129–46.

Neale, W.C. "The Market in Theory and History," *Trade and Market in Early Empires*. (ed. K. Polanyi), New York, 1957, pp.357–72.

Nef, John. "Mining and Metallurgy in Medieval Society," *Cambridge Economic History of Europe*. (eds. M. Postan and E. Rich) II, Cambridge, 1952, pp.430–93; 2nd edn, Cambridge, 1987, pp.693–761.

Nelson, B. "Blancard (the Jew?) of Genoa and the Restitution of Usury in Medieval Genoa," *Studi in onore di Gino Luzzatto*. I, Milan, 1949, pp.96–116.

Neuman, Abraham A. *The Jews in Spain*. Philadelphia, 1942.

Nicolle, David. "Shipping in Islamic Art: Seventh through Sixteenth Century AD," *The American Neptune* 49(1989), pp.168–97.

Noberasco, Filippo. "Savona allo spirare del secolo XII," *Atti della Societá savonese di storia patria* 14(1932), pp.213–55.

Noonan, Thomas S. "Andalusian Umayyad Dirhams from Eastern Europe," *Acta numismatica* 10(1980), pp.81–91.

"Ninth-century dirham hoards from European Russia: A preliminary analysis," in *Viking Age Coinage in Northern Lands*. (eds. M.A.S. Blackburn and D.M. Metcalf), Oxford, 1981, pp.47–117.

North, Douglas C. "Markets and other Allocation Systems in History: The Challenge of Karl Polanyi," *Journal of European Economic History* 6(1977), pp.703–16.

Nykl, A.R. *Hispano-Arabic Poetry*, Baltimore, 1946.

O'Callaghan, Joseph F. *The Cortes of Castile-León, 1188–1350*. Philadelphia, 1989.

A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975.

Origo, Iris. *A Merchant of Prato*. New York, 1957.

Otte, Enrique. "El comercio exterior andaluz a fines de la edad media," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de Abril, 1981*. Seville, 1982, pp.193–240.

Pacha, Najet. *Le commerce au Maghreb du XIe au XIVe siècles*. Tunis, 1976.

Pastor de Togneri, Reyna. "La lana en Castilla y León antes de la organización de la Mesta," *Atti della prima settimana di Studio, Istituto F. Datini*. (ed. M. Spallanzani), Florence, 1974, pp. 253–69.

Pariset, Ernest. *Histoire de la soie*. 2 vols., Paris, 1862–5.

Partearroyo, C. "Almoravid and Almohad Textiles," *Al-Andalus: The Art of Islamic Spain.* (ed. J. Dodds), New York, 1992, pp. 105–13.
Pellegrini, G.B. "Terminologia marinara di origine arabe in italiano e nelle lingue europee," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo.* Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 797–841.
Pérès, Henri. *La poesie andalouse en arabe classique au XIe siècle.* Paris, 1953. Spanish trans. M. García Arenal, *Esplendor de al-Andalus.* Madrid, 1983.
Pérez Embid, Florentino. *Bibliografía española de historia marítima (1932–1962).* Seville, 1970.
"Navigation et commerce dans le port de Séville au bas moyen âge," *Le moyen âge* 75(1969), pp. 263–89, 479–502.
Phillips, C.R. "Spanish Merchants and the Wool Trade in the 16th Century" *Sixteenth Century Journal* 14(1983), pp. 259–82.
Phillips, W.D. "Spain's Northern Shipping Industry in the Sixteenth Century," *Journal of European Economic History* 17(1988), pp. 267–301.
Pigeouneau, H. *Histoire du commerce de la France.* Paris, 1885.
Pirenne, Henri. *Medieval Cities; their Origins and the Revival of Trade.* New York, 1956.
Mohammed and Charlemagne. London, 1939.
Pistarino, Geo. "Le donne d'affari a Genova nel secolo XIII," *Miscellanea di storia italiana e mediterranea per Nino Lamboglia.* Genoa, 1978, pp. 157–69.
"Genova e Barcelona: Incontro e scontro di due civiltá," *Atti del I Congresso storico Liguria-Catalogna (14–19 ottobre, 1969).* Bordighera, 1974, pp. 81–122.
"Genova e l'Islam nel Mediterraneo occidentale (secoli XII-XIII)," *Anuario de estudios medievales* 10(1980), pp. 189–205.
"Genova e il Maghreb nel secolo XII," *Italia e Algeria: Aspetti storici di un'amicizia mediterranea.* Milan, 1982, pp. 23–68.
"Genova e l'Occitania nel secolo XII," *Atti del I Congresso storico Liguria-Provenza, Ventimiglia-Bordighera (2–5 ottobre, 1964).* Bordighera, 1966, pp. 64–130.
Testi per lo studio del medio evo in Liguria. Genoa, n.d.
Poncet, J. "Le mythe de la 'catastrophe' hilalienne," *Annales: ESC* 22(1967), pp. 1099–1120.
Posac Mon, Carlos. "Relaciones entre Génova y Ceuta durante el siglo XII," *Tamuda* 7(1959), pp. 159–68.
Postan, M. "Credit in Medieval Trade," *Economic History Review* 1(1927), pp. 234–61.
Power, E. *The Wool Trade in English Medieval History.* Oxford, 1941.
Prieto Vives, A. *Los reyes de taifas. Estudio histórico-numismático de los musulmanes españoles en el siglo V de la hégira.* Madrid, 1926.
Pryor, John H. *Geography, Technology, and War: Studies in the Maritime History of the Mediterranean, 649–1571.* Cambridge, 1988.
"The Medieval Muslim Ships of the Pisan Bacini," *The Mariners Mirror* 76(1990), pp. 99–113.

"Mediterranean Commerce in the Middle Ages: A Voyage under Contract of Commenda," *Viator* 14(1983), pp. 133–94.

"The Origins of the 'Commenda' Contract," *Speculum* 52(1977), pp. 5–37.

"Transportation of Horses by Sea during the Era of the Crusades," *The Mariner's Mirror* 68(1982), pp. 9–27, 103–25.

Rabie, Hassanein. *The Financial System of Egypt.* London, 1972.

Rabinowitz, L. *Jewish Merchant Adventurers: A Study of the Radanites.* London, 1948.

Reglá, J. "El comercio entre Francia y la Corona de Aragón en los siglos XIII y XIV y sus relaciones con el desenvolvimiento de la industria textil catalana," *Actas del primer congreso internacional de estudios pirenaicos, San Sebastian, 1950.* Zaragoza, 1952, pp. 47–65.

Renfrew, Colin. "Trade as Action at a Distance," *Ancient Civilization and Trade.* (eds. J.A. Sabloff, C.C. Lamberg-Karlovsky), Albuquerque, 1975, pp. 3–59.

Renouard, Yves. "Lumiéres nouvelles sur les hommes d'affaires italiens du moyen âge," *Annales: ESC* 3(1955), pp. 63–78.

"Le rôle des hommes d'affaires italiens dans la Méditerranée au moyen âge," *Revue de la Méditerranée* 15(1955), pp. 115–35.

"Un sujet de recherches: L'exportation des chevaux de la péninsule ibérique en France et en Angleterre au moyen âge," *Homenaje a Jaime Vicens Vives.* I, Barcelona, 1965, pp. 571–7.

"Les voies de communication entre pays de la Méditerranée et pays de l'Atlantique au moyen âge: Problèmes et hypothèses," *Mélanges d'histoire du moyen âge dédiés à la mémoire de Louis Halphen.* Paris, 1951, pp. 587–94.

Reparaz, Gonzalo de. "L'activité maritime et commerciale du royaume d'Aragon au XIIIe siècle," *Bulletin hispanique* 49(1947), pp. 422–51.

Reyerson, K. "Montpellier and the Byzantine Empire: Commercial Interaction in the Mediterranean World before 1350," *Byzantion* 48(1978), pp. 456–76.

Reynolds, Robert L. "Genoese Trade in the late Twelfth century, particularly in Cloth from the Fairs of Champagne," *Journal of Economic and Business History* 3(1930–1), pp. 362–81.

"The Origins of Modern Business Enterprise: Medieval Italy," *Journal of Economic History* 12(1952), pp. 350–65.

Ribera y Tarrago, J. *Disertaciones y opúsculos.* I, Madrid, 1928.

Riu, Manuel. "The Woolen Industry in Catalonia in the Later Middle Ages," *Cloth and Clothing in Medieval Europe: Essays in Memory of Prof. E.M. Carus-Wilson.* London, 1983, pp. 205–29.

Robbert, L.B. "Twelfth-century Italian Prices: Food and Clothing in Pisa and Venice," *Social Science History* 7(1983), pp. 381–403.

Rodinson, M. *Europe and the Mystique of Islam.* Seattle, 1987.

"Le marchand méditerranéen à travers les âges," *Markets and Marketing as Factors of Development in the Mediterranean Basin.* (ed. C.A.O. Van Nieuwenhuijze), The Hague, 1963, pp. 71–92.

"Le marchand musulman," *Islam and the Trade of Asia.* (ed. D.S. Richards), Philadelphia, 1970, pp. 21–35.

Rörig, F. *The Medieval Town*. Berkeley, 1967.
Roover, Florence Edler de. "Partnership Accounts in twelfth-century Genoa," *Business History Review* 15(1941), pp. 87–92.
Roover, Raymond de. "Economic Thought: Ancient and Medieval Thought," *International Encyclopedia of Social Sciences*. New York, 1968.
Rosenthal, F. *A History of Muslim Historiography*. Leiden, 1968.
Rosselló Bordoy, Guillermo. "Algunas anotaciones sobre la vida económica de las Baleares durante la dominación musulmana," *Boletín de la camera oficial de comercio, industria, y navegación* (Palma) 621(1958), pp. 140–5.
"Un ataifor norteafricano: un ensayo de interpretación iconográfica," *Sharq al-Andalus* 2(1985), pp. 191–205.
"The Ceramics of al-Andalus," in *Al-Andalus: The Art of Islamic Spain*. (ed. J. Dodds), New York, 1992, pp. 97–103.
"Mallorca: Comercio y cerámica a lo largo de los siglos X al XIV," *II Coloquio internacional de cerámica medieval en el Mediterraneo occidental, Toledo, 1981*. Madrid, 1986, pp. 193–238.
Roth, Norman. "Some Aspects of Muslim-Jewish Relations in Spain," *Estudios en homenaje a D. Claudio Sánchez Albornoz*. II, Buenos Aires, 1983, pp. 179–214.
Rotstein, Abraham. "Karl Polanyi's Concept of Non-Market Trade," *Journal of Economic History* 30(1970), pp. 117–26.
Rottenburger, Elizabeth. "Genoese Relations with Mediterranean France and Spain and the Balearic Islands, 1155–1164." MA Dissertation, University of Cincinnati, 1947.
Rouche, M. "Les relations transpyrénéennes du Ve au VIIIe siècle," *Les communications dans la péninsule ibérique au moyen âge (Actes du Colloque de Pau, 28–29 mars, 1980)*. Paris, 1981, pp. 13–20.
Roy, B., Poinssot, P., and Poinssot, O. *Inscriptions arabes de Kairouan*. I, Paris, 1950.
Rozi, A.I. "The Social Role of Scholars ('Ulamā) in Islamic Spain." Ph.D. Dissertation, Boston University, 1983.
Ruiz, Teofilo F. "Burgos y el comercio castellano en la baja edad media: economia y mentalidad," *La ciudad de Burgos. Actas del congreso de historia de Burgos*. Madrid, 1985, pp. 37–55.
"Castilian Merchants in England, 1248–1350," *Order and Innovation in the Middle Ages: Essays in Honor of Joseph R. Strayer*. Princeton, 1976, pp. 173–86.
Crisis and Continuity: Land and Town in Late Medieval Castile. Philadelphia, 1994.
"Expansion et changement: la conquête de Séville et la société castillane (1248–1350)," *Annales: ESC* 34(1979), pp. 548–65.
Sociedad y poder real en Castilla. Barcelona, 1981.
"The Transformation of the Castilian Municipalities: The Case of Burgos 1248–1350," *Past and Present* 77(1977), pp. 3–32.
Ruiz Domenec, J.E. "En torno a un tratado comercial entre las ciudades de Génova y Barcelona en la primera mitad del siglo XII," *Atti del I*

Congresso storico Liguria-Catalogna (14–19 ottobre 1969). Bordighera, 1974, pp. 151–60.

"Las posibilidades que la reflexión histórico-antropológica puede tener en el discernimiento de la expansión marítima de la Corona de Aragón," *Second International Congress of Studies on Cultures of the Western Mediterranean*. Barcelona, 1978, pp. 329–57.

"Ruta de las especias/ruta de las islas: apuntes para una nueva periodización," *Anuario de estudios medievales* 10(1980), pp. 689–97.

"The Urban Origins of Barcelona: Agricultural Revolution or Commercial Development?" *Speculum* 52(1977), pp. 265–86.

Ruzafa García, Manuel. "Las relaciones económicas entre los mudejares valencianos y el reino de Granada en el siglo XV," *Relaciones exteriores del Reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza*. Almeria, 1988, pp. 343–81.

Sabbe, Etienne. "L'importation des tissus orientaux en Europe occidentale au haut moyen âge (IXe et Xe siècles)," *Revue belge de philologie et d'histoire* 15(1935), pp. 811–48, 1261–88.

"Quelques types de marchands des IXe et Xe siècles," *Revue belge de philologie et d'histoire* 13(1934), pp. 176–87.

Salavert, Vicente. "Nuevamente sobre la expansión mediterránea de la Corona de Aragón," *Second International Congress of Studies on Cultures of the Western Mediterranean*. Barcelona, 1978, pp. 359–88.

Sālim, ʻAbd al-ʻAzīz. "Algunos aspectos del florecimiento económico de Almería islámica durante el período de los Taifas y de los Almorávides," *Madrid: MDI* 20(1979–80), pp. 7–22.

Ta'rīkh madīnat al-Mariyya al-Andalusiyya. Alexandria, 1984.

Salzman, L.F. *English Trade in the Middle Ages*. Oxford, 1931,

Samarrai, Alauddin. "Medieval Commerce and Diplomacy: Islam and Europe, AD 850–1300," *Canadian Journal of History* 15(1980), pp. 1–21.

"Some Geographical and Political Information on Western Europe in the Medieval Arab Sources," *The Muslim World* 62(1972), pp. 304–22.

Sāmarrā'i, Khalīl Ibrāhīm. *ʻAlaqāt al-murabiṭīn bi al-mamālik al-Isbāniyah bi al-Andalus*. Baghdad, 1985.

Sánchez Albornoz, Claudio. *Estampas de la vida en León durante el siglo X*. 3rd edn, Madrid, 1934.

"El precio de la vida en el reino Astur-Leonés hace mil años," *Logos: Revista de la facultad de filosofía y letras de la Universidad de Buenos Aires* 3(1944), pp. 225–64.

"La primitiva organización monetaria de León y de Castilla," *AHDE* 5(1928), pp. 301–45.

Santamaría Arández, Alvaro. "La reconquista de las vías marítimas," *Anuario de estudios medievales* 10(1980), pp. 41–133.

Santillana, D. *Istituzioni di diritto musulmano malichita con riguardo anche al sistema sciafita*. Rome, 1938.

Santos Jener, S. de los. "Monedas carolingias en un tesorillo de dirhemes del emirato cordobés," *Numario hispánico* 5(1956), pp. 79–87.

Saussure, Hermine de. "De la marine antique à la marine moderne," *Revue archéologique* n.s. 10(1937), pp. 90–105.

Sauvaget, J. "Les épitaphes royales de Gao," *Al-Andalus* 14(1949), pp. 123–41.

"Les épitaphes royales de Gao," *Bulletin de l'Institut français de l'Afrique noire* 12(1950), pp. 418–40.

Sauvaire, M.H. "Matériaux pour servir à l'histoire de la numismatique et de la métrologie musulmanes," *Journal asiatique* viie série 19(1882), pp. 23–77; viiie série 4(1884), pp. 207–321; 7(1886), pp. 394–468; 10(1887), pp. 200–59.

Sawyer, P. "Kings and Merchants," *Early Medieval Kingship*. (eds. P. Sawyer and I.N. Wood), Leeds, 1977, pp. 139–58.

Sayous, André. *Commerce et finance en Méditerranée au moyen âge*. Variorum, London, 1988.

"Les méthodes commerciales de Barcelone au XIIIe siècle, d'après des documents inédits des archives de sa cathédrale," *Estudis universitaris catalans* 16(1931), pp. 155–98.

Scales, Peter. "The Handing over of the Duero Fortresses: 1009–1011 AD (399–401 AH)," *Al-Qantara* 5(1984), pp. 109–22.

Scalia, Giuseppe. "Il carme pisano sull'impresa contro i saraceni del 1087," *Studi di filologia romanza offerti a Silvio Pellegrini*. Padua, 1971, pp. 565–627.

"Contributi pisani alla lotta anti-islamica nel Mediterraneo centro-occidentale durante il secolo XI e nei primi decenni del XII," *Anuario de estudios medievales* 10(1980), pp. 135–41.

Scandurra, Enrico. "The Marine Republics: Medieval and Renaissance Ships in Italy," *A History of Seafaring*. (ed. G. Bass), London, 1972, pp. 205–24.

Scanlon, G.T. "Egypt and China: Trade and Imitation," *Islam and the Trade of Asia*. (ed. D.S. Richards), Philadelphia, 1970, pp. 81–95.

Scerrato, U. and F. Gabrieli. *Gli arabi in Italia*. Milan, 1979.

Schaefer, G. "The Development of Paper-Making," *Ciba Review* 6(1947–9), pp. 2641–9.

Schaube, Adolf. *Handelsgeschichte der romanischen völker des Mittelmeergebiets bis zum ende der kreuzzüge*. Munich–Berlin, 1906.

Schneidman, J. Lee. "The State and Trade in thirteenth-century Aragon," *Hispania* 19(1959), pp. 366–77.

Segura, Cristina. "Almería en el ocaso del dominio musulman," *Hispania* 36(1976), pp. 117–29.

Senac, P. "Contribution à l'étude des relations diplomatiques entre l'Espagne musulmane et l'Europe au Xe siècle: le règne de 'Abd ar-Raḥmān III (912–61)," *Studia islamica* 61(1985), pp. 45–56.

Musulmans et sarrasins dans le sud de la Gaule du VIIIe au XIe siècle. Paris, 1980.

Serjeant, R.B., ed. *The Islamic City*. Paris, 1980.

"Material for a History of Islamic Textiles up to the Mongol Conquest," (Chapter XVII: Textiles and Ṭirāz in Spain) *Ars Islamica* 15(1951), pp. 29–61.

Sesma Muñoz, J. Angel. "El comercio de exportación de trigo, aceite, y lana

desde Zaragoza a mediados del siglo XV," *Aragón en la edad media*. Zaragoza, 1977, pp. 201–37.

Lexico del comercio medieval en Aragón [siglo XV]. Zaragoza, 1982.

Shaked, Shaul. *A Tentative Bibliography of Geniza Documents*. The Hague, 1964.

Shatzmiller, Maya. "The Legacy of the Andalusian Berbers in the fourteenth-century Maghreb," *Relaciones de la península ibérica con el Magreb (siglos XIII–XIV)*. (eds. M. García-Arenal and M.J. Viguera), CSIC, Madrid, 1988, pp. 205–6.

"Professions and Ethnic Origin of Urban Labourers in Muslim Spain: Evidence from a Moroccan Source," *Awrāq* 5–6(1982–3), pp. 149–59.

Smith, R.S. "The Early History of the Spanish Sea Consulate," *Politica* 1(1935), pp. 314–24.

Soto i Company, Ricard. "El primer tràfic esclavista a Mallorca," *L'Avenç* 35(1981), pp. 60–5.

Soucek, S. *"Mīnā',"* *Encyclopedia of Islam*. 2nd edn, Leiden 1960–, VII, pp. 66–72.

Spallanzani, M., ed. *Produzione commercio e consumo dei panni di lana (nei secoli XII–XVIII)*. Atti della seconda settimana di studio, Istituto F. Datini. Florence, 1976.

Sprandel, Rolf. "Le commerce de fer en Méditerranée orientale au moyen âge," *Sociétés et compagnies de commerce en orient et dans l'Ocean indien*. Paris, 1970, pp. 387–92.

Spufford, Peter. *Handbook of Medieval Exchange*. London, 1986.

"Le rôle de la monnaie dans la révolution commerciale du XIIIe siècle," *Etudes d'histoire monétaire, XIIe–XIXe siècles*. (ed. John Day), Lille, 1984, pp. 355–95.

Stern, S.M. "An Original Document from the Fatimid Chancery concerning Italian Merchants," *Studi orientalistici in onore di Giorgio Levi della Vida*. Rome, 1956, pp. 529–38.

"Tari," *Studi medievali* 11(1970), pp. 177–207.

Stillman, Norman A. "Aspects of Jewish Life in Islamic Spain," *Aspects of Jewish Culture in the Middle Ages*. (ed. Paul Szarmach), Albany, 1979, pp. 51–84.

"East–West Relations in the Islamic Mediterranean in the Early Eleventh century – A Study in the Geniza correspondence of the House of Ibn 'Awkal." Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania, 1970.

"The Eleventh-century Merchant House of Ibn 'Awkal (A Geniza Study)," *JESHO* 16(1973), pp. 15–88.

The Jews of Arab Lands: A History and a Source Book. Philadelphia, 1979.

"Quelques renseignements biographiques sur Yōsēf Ibn 'Awkal, médiateur entre les communautés juives du Maghreb et les académies d'Irak," *Revue des études juives* 132(1973), pp. 529–42.

Talbi, Mohamed. *L'émirat aghlabide*. Paris, 1966.

"Intérêt des oevres juridiques traitant de la guerre pour l'historien des armées médiévales ifrīkiennes," *Cahiers de Tunisie* 4(1956), pp. 289–93.

Tapia Garrido, J.A. *Almería musulmana*. Almeria, 1986.

Todesca, James J. "The Monetary History of Castile-Leon (ca. 1100–1300) in Light of the Bourgey Hoard," *American Numismatic Society Museum Notes* 33(1988), pp. 129–203.

Torres Balbás, Leopoldo. "Alcaicerías," *Al-Andalus* 14(1949), pp. 431–55.

"Las alhóndigas hispanomusulmanas y el Corral del Carbón de Granada," *Al-Andalus* 11(1946), pp. 447–81.

"Almería islámica," *Al-Andalus* 22(1957), pp. 411–53.

"Bibliography of Spanish Muslim Art, 1936–1946," *Ars Islamica* 15–16(1951), pp. 165–85.

"Cementerios hispanomusulmanes," *Al-Andalus* 22(1957), pp. 131–91.

"Extensión y demografía de las ciudades hispanomusulmanas," *Studia islamica* 3(1955), pp. 37–59.

Torres Delgado, Cristóbal. "El reino nazari de Granada (1232–1492). Aspectos socio-económicos y fiscales," *Actas del II Coloquio de historia medieval andaluza: Hacienda y comercio. Sevilla, 8–10 de Abril, 1981*. Seville, 1982, pp. 297–334.

Tria, Luigi. "La schiavitù in Liguria (ricerche e documenti)," *ASLSP* 70(1947).

Turnau, Irena. "The Diffusion of Knitting in Medieval Europe," *Cloth and Clothing in Medieval Europe: Essays in Honor of Prof. E.M. Carus-Wilson*. London, 1983, pp. 368–89.

Ubieto Arteta, Antonio. *Ciclos económicos en la edad media española*. Valencia, 1969.

Udina Martorell, F. "La expansión mediterranea catalano-aragonesa," *Second International Congress of Studies on Cultures of the Western Mediterranean*. Barcelona, 1978, pp. 209–24.

Udovitch, Avram L. "At the Origins of the Western Commenda: Islam, Israel, Byzantium?" *Speculum* 37(1962), pp. 198–207.

"Commercial Techniques in Early Islamic Trade," *Islam and the Trade of Asia*. (ed. D.S. Richards), Philadelphia, 1970, pp. 37–62.

"Les échanges de marché dans l'Islam médiéval: Théorie du droit et savoir local," *Studia islamica* 65(1987), pp. 5–30.

"Merchants and *Amīrs*: Government and Trade in eleventh-century Egypt," *Asian and African Studies* 22(1988), pp. 53–72.

Partnership and Profit in Medieval Islam. Princeton, 1970.

"Reflections on the Institutions of Credit and Banking in the Medieval Islamic Near East," *Studia islamica* 41(1975) pp. 5–21.

"A Tale of Two Cities: Commercial Relations between Cairo and Alexandria during the second half of the 11th century," *The Medieval City*. (eds. H.A. Miskimin, D. Herlihy, A.L. Udovitch), New Haven, 1977, pp. 143–62.

"Time, the Sea, and Society: Duration of Commercial Voyages on the Southern Shores of the Mediterranean during the High Middle Ages," *La navigazione mediterranea nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 503–63.

Unger, Richard W. *The Ship in the Medieval Economy (600–1600)*. London, 1980.

"Warships and Cargo Ships in Medieval Europe," *Technology and Culture* 22(1981), pp. 233–52.

Urvoy, Dominique. *Le monde des ulémas andalous du V/XIe au VII/XIIIe siècle.* Geneva, 1978.

Usher, A.P. "The Origins of Banking: The Primitive Bank of Deposit, 1200–1600," *Economic History Review* 4(1932–4), pp. 391–428.

Uytven, Raymond von. "Cloth in Medieval Literature of Western Europe," *Cloth and Clothing in Medieval Europe: Essays in Memory of Prof. E.M. Carus-Wilson.* London, 1983, pp. 151–83.

Valdeón, Julio. *Alfonso X el Sabio.* Madrid, 1986.

Valdeón, J. et al. "Las relaciones entre Castilla y Francia (siglos XIII–XV)," *Les communications dans la péninsule ibérique au moyen âge. Actes du colloque de Pau, 28–29 mars, 1980.* Paris, 1981, pp. 45–53.

Valls i Subirà, Oriol. "El paper al al-Andalus i a la Corona d'Aragó," *Second International Congress of Studies on Cultures of the Western Mediterranean.* Barcelona, 1978, pp. 441–8.

Vallvé Bermejo, Joaquin. "La agricultura en al-Andalus," *Al-Qantara* 3(1982), pp. 261–97.

"Carthage et Carthagene au VIIIe siècle," *Actas del II Coloquio hispano-tunecino de estudios históricos.* Madrid, 1973, pp. 7–12.

"La emigración andalusí al Magreb en el siglo XIII (despoblación y repoblación en al-Andalus)," *Relaciones de la península ibérica con el Magreb (siglos XIII–XIV).* (eds. M. García-Arenal and M.J. Viguera), CSIC., Madrid, 1988, pp. 87–129.

"España musulmana en el siglo XI: aspectos económicos," *Actas de las jornadas de cultura árabe e islámica (1978).* Madrid, 1981, pp. 197–204.

"La industria en al-Andalus," *Al-Qantara* 1(1980), pp. 209–41.

"El nombre de al-Andalus," *Al-Qantara* 4(1983), pp. 301–55.

"Notas de metrología hispano-árabe: El codo en la España musulmana," *Al-Andalus* 41(1976), pp. 339–54.

"Notas de metrología hispano-árabe II: Medidas de capacidad," *Al-Andalus* 42(1977), pp. 61–121.

"Notas de metrología hispano-árabe III: Pesos y monedas," *Al-Qantara* 5(1984), pp. 147–67.

"Poids et mesures en Espagne musulmane," *Cahiers de Tunisie* 26(1978), pp. 143–54.

Van Beek, G.W. "Frankincense and Myrrh in Ancient South Arabia," *JAOS* 78(1958), pp. 141–51.

Vanacker, Claudette. "Géographie économique de l'Afrique du Nord, selon les autors arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle," *Annales:ESC* 28(1973), pp. 659–80.

Veale, E.M. *The English Fur Trade in the Later Middle Ages.* Oxford, 1966.

Verlinden, Charles. "A propos de la place des juifs dans l'économie de l'Europe occidentale au IXe et Xe siècles: Agobard de Lyon et l'historiographie arabe," *Storiografia e storia: Studi in onore di Eugenio Dupré Theseider.* Rome, 1977, pp. 21–37.

L'esclavage dans l'Europe médiévale. Bruges, 1955.
"L'Espagne au Xe siècle; aux origines d'une civilisation composite," *Revue des cours et conferences* 38(1936–7), pp. 261–78.
"From the Mediterranean to the Atlantic: Aspects of an Economic Shift (12th–18th c.)," *Journal of European Economic History* 1(1972), pp. 625–46.
"Italian Influence in Iberian Colonization," *The Hispanic American Historical Review* 33(1953), pp. 199–211.
"L'origine de sclavus-esclave," *Bulletin Du Cange: Archivum latinitatis medii aevi* 17(1942), pp. 97–128.
"La place de la Catalogne dans l'histoire commerciale du monde méditerranéen médiéval (avant 1300)," *Revue des cours et conferences* 39 (1937–8), pp. 586–606.
"Les Radaniya et Verdun. A propos de la traite des esclaves slaves vers l'Espagne musulmane aux IXe et Xe siècles," *Estudios en homenaje a D. Claudio Sánchez Albornoz*. II, Buenos Aires, 1983, pp. 105–32.
"Le recrutement des esclaves à Gênes du milieu du XIIe siècle jusque vers 1275," *Fatti e idee di storia economica nei secoli XII-XX. Studi dedicati a Franco Borlandi*. Bologna, 1977, pp. 37–57.
"The Rise of Spanish Trade in the Middle Ages," *Economic History Review* 10 (1940), pp. 44–59.
"La traite des esclaves. Un grand commerce international au Xe siècle," *Etudes de civilisation médiévale (IXe – XIIIe siècles). Mélanges offerts à Edmond-René Labande*. Poitiers, 1974, pp. 721–30.
Vernet, Juan. "La cartografia náutica, Tiene un origen hispano-árabe?" *Madrid: MDI* 1 (1953), pp. 66–91.
"La navegación en la alta edad media," *La navigazione nell'alto medioevo*. Settimane di studio del Centro italiano di studi sull'altro medioevo, xxv, Spoleto, 1978, pp. 323–81.
"El Valle del Ebro como nexo entre oriente y occidente," *BRABLB* 23 (1950), pp. 249–86.
Vernet, Robert. "Les relations céréalières entre le Maghreb et la péninsule ibérique du XIIe au XVe siècle," *Anuario de estudios medievales* 10 (1980), pp. 321–35.
Vicens Vives, Jaime. *An Economic History of Spain*. Princeton, 1969.
Vindry, Georges. "Présentation de l'épave arabe de Batéguier (Baie de Cannes, Provence-orientale)," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 221–6.
Viré, François. "Dénereaux, estampilles et poids musulmans en verre en Tunisie," *Cahiers de Tunisie* 4 (1956), pp. 17–90.
Vire, M.M. "Notes sur trois épitaphes royales de Gao," *Bulletin de l'Institut français d'Afrique du Nord* 20 (1958), pp. 368–76.
Vismara, Giulio. "Limitazioni al commercio internazionale nell'imperio romano e nella comunita' cristiana mediovale," *Scritti in onore di Contardo Ferrini*. 1, Milan, 1947, pp. 443–70.
Vitale, Vito. "La schiavitù in Liguria," *Bollettino ligustico per la storia e la cultura regionale* 1 (1949), pp. 43–7.

"Vita e commercio nei notai genovesi dei secoli XII e XIII. Parte prima: La vita civile," *ASLSP* 72 (1949).

Wakin, Jeanette A. *The Function of Documents in Islamic Law; The Chapters on Sales from Tahāwī's "Kitāb al-shurūṭ al-kabīr"*. Albany, 1972.

Walker, John. *A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umaiyad Coins*. London, 1956.

Wansborough, John. "The Safe-Conduct in Muslim Chancery Practice," *BSOAS* 34 (1971), pp. 20–35.

Wasserstein, David. "Byzantium and al-Andalus," *Mediterranean Historical Review* 2 (1987), pp. 76–101.

"Does Benjamin of Tudela mention Portugal?" *Journal of Semitic Studies* 24 (1979), pp. 193–200.

The Rise and Fall of the Party Kings: Politics and Society in Islamic Spain 1002–1086. Princeton, 1985.

Watson, Andrew. *Agricultural Innovation in the Early Islamic World*. Cambridge, 1983.

"The Arab Agricultural Revolution and its Diffusion, 700–1100," *Journal of Economic History* 34 (1974), pp. 7–35.

"Back to Gold – and Silver," *Economic History Review* 20 (1967), pp. 1–34.

"The Rise and Spread of Old World Cotton," *Studies in Textile History in Memory of Harold B. Burnham*. (ed. V. Gervers), Toronto, 1977, pp. 355–68.

Watt, W.M. *The Influence of Islam on Medieval Europe*. Edinburgh, 1972.

Watt, W.M. and Cachia, P. *A History of Islamic Spain*. Edinburgh, 1965.

Wescher, H. "Cotton and the Cotton Trade in the Middle Ages," *Ciba Review* 6 (1947–9), pp. 2322–60.

Whitehouse, David. "Chinese Porcelain in Medieval Europe," *Medieval Archeology* 16 (1972), pp. 63–78.

"La collezione pisana e le produzioni ceramiche dei paesi circummediterranei nei secoli XI-XV," *Le ceramiche medievali delle chiese di Pisa*. [Biblioteca del Bollettino storico pisano, collana storica 25] Pisa, 1983, pp. 31–6.

"Medieval Pottery in Italy: The Present State of Research," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 65–82.

Wickham, C. "The Other Transition: From the Ancient World to Feudalism," *Past and Present* 103 (1984), pp. 3–36.

Wiet, Gaston. "Les marchands d'epices sous les sultans Mamlouks," *Cahiers d'histoire egytienne* 7 (1955), pp. 81–147.

"Tapis égyptiens," *Arabica* 6 (1959), pp. 1–24.

Wittlin, A. "The Development of the Silk Industry," *Ciba Review* 2 (1939), pp. 707–21.

Wolf, Kenneth. *Christian Martyrs in Muslim Spain*. Cambridge, 1988.

Yalaoui, M. "Les relations entre Fātimides d'Ifriqiya et Omeyyades d'Espagne à travers le dīwān d'Ibn Hānī," *Actas del II Coloquio hispano-tunecino de estudios históricos*. Madrid, 1973, pp. 13–30.

Yarrison, James Lee. "Force as an Instrument of Policy: European Military Incursions and Trade in the Maghrib, 1000–1355." Ph.D. Dissertation, Princeton University, 1982.

Zanón, Jesus. "Un itinerario de Córdoba a Zaragoza en el siglo X," *Al-Qantara* 7 (1986), pp. 31–51.

Zeki, Ahmad. "Mémoire sur les relations entre l'Egypte et l'Espagne pendant l'occupation musulmane," *Homenaje a Don Francisco Codera*. Zaragoza, 1904, pp. 455–81.

Zozaya, Juan. "Aperçu général sur la céramique espagnole," *La céramique médiévale en Méditerranée occidentale*. Paris, 1980, pp. 265–96.

"Cerámicas islámicas del Museo de Soria," *Boletín de la asociación española de orientalistas* 11 (1975), pp. 135–48.

"El comercio de al-Andalus con el Oriente: nuevos datos," *Boletín de la asociación española de orientalistas* 5 (1969), pp. 191–204.